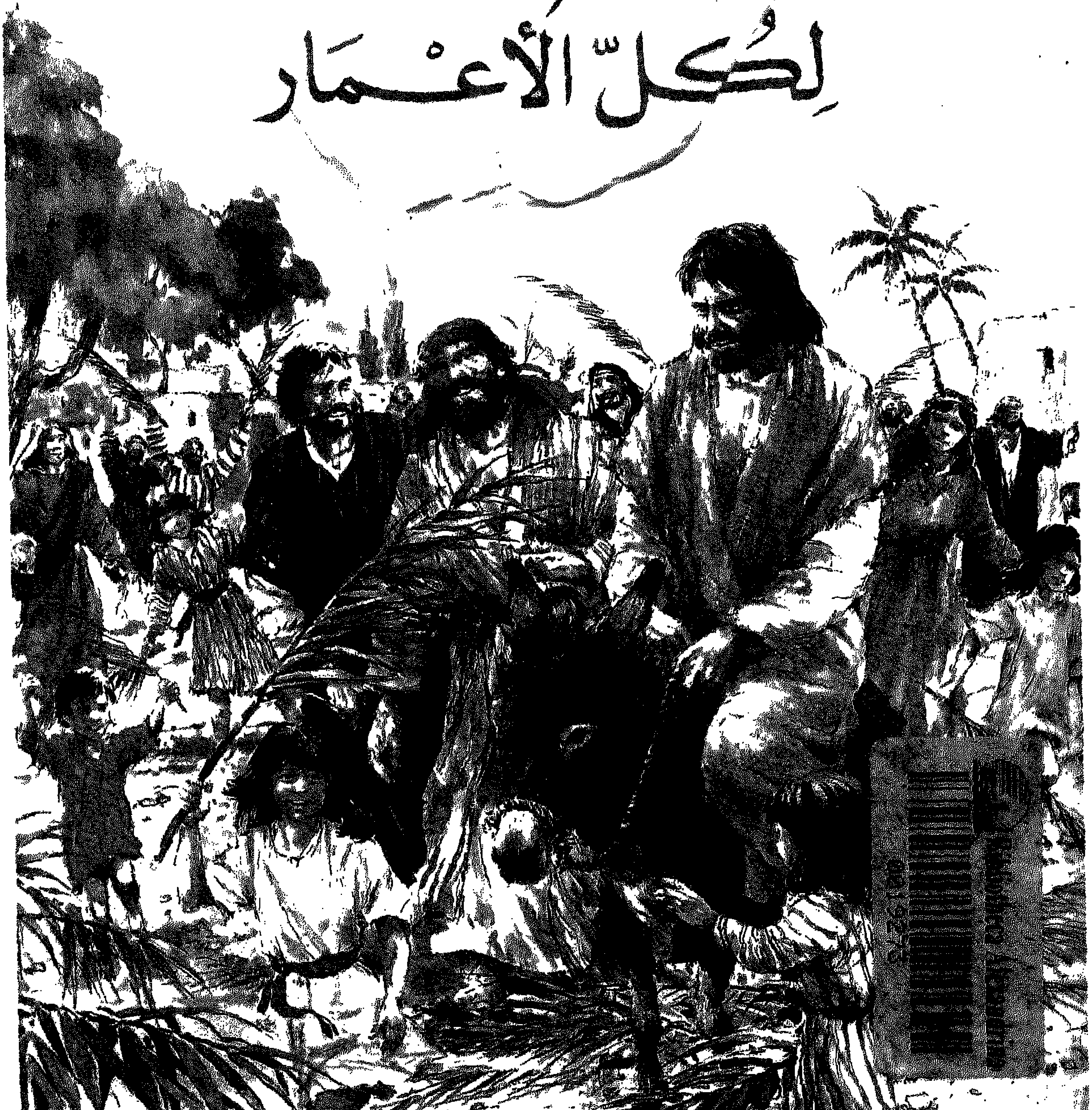
٣٦٥ قِصَّة مِنَ الكتاب المقدّس لِكُلّ الأعْمَار

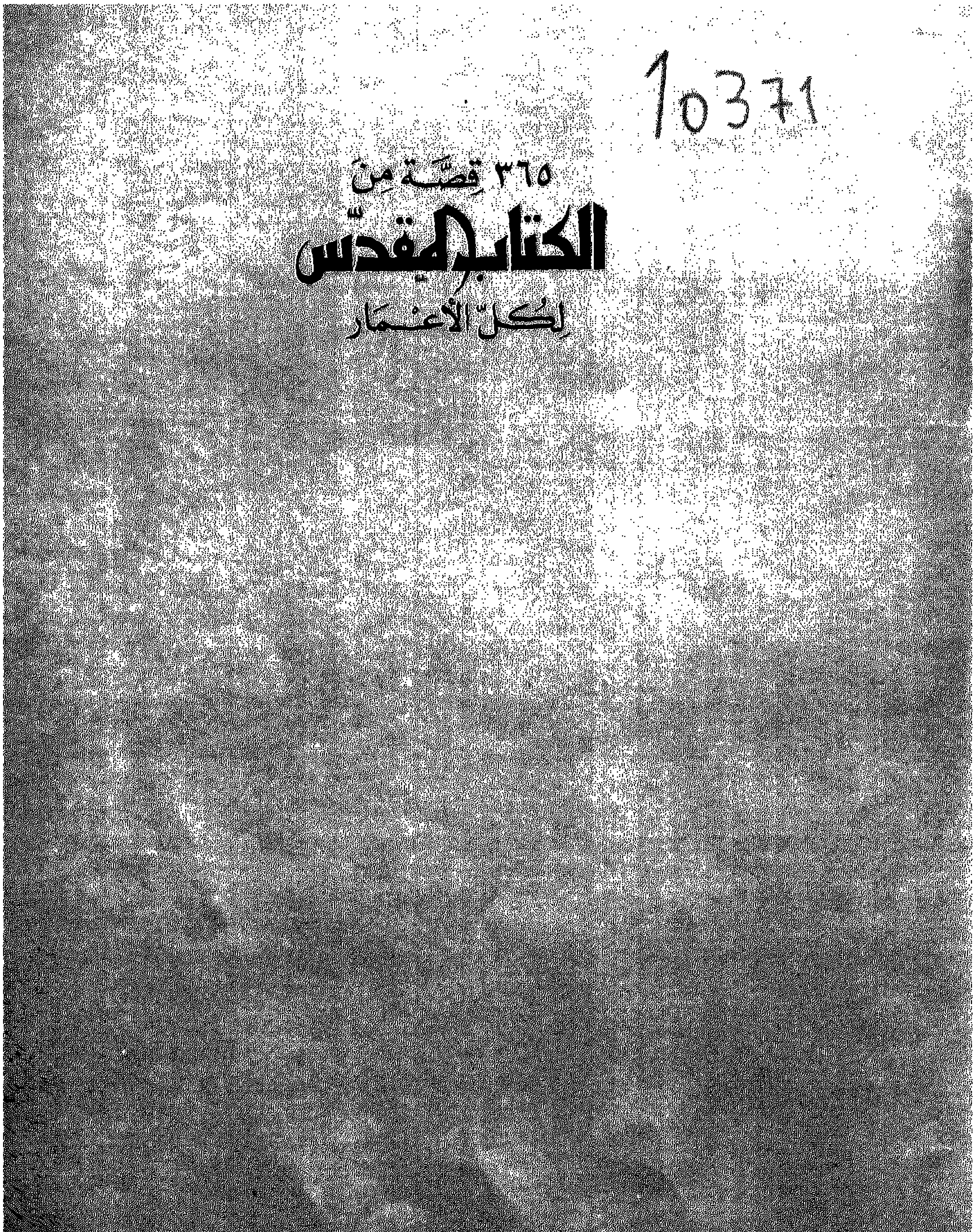


لكل يوم من أيام السنة قصة من كتاب الكتب.

يحتوي هذا الكتاب على ٣٦٥ قصة من الكتاب المقدّس.
بدءًا من الخلق، يحدثنا عن الحوادث العظيمة في العهدين: القديم والجديد لينتهي بالحديث عن السماء الجديدة والأرض الجديدة في سفر الرؤيا.
هناك قصة قصيرة لكل يوم من أيام السنة يسهل على الطفل قراءتها وفهمها والتمتع بها.
صيغت القصص المختارة في هذا الكتاب بأسلوب معبر يعرّف الأولاد على شخصيات كثيرة مهمة.
وُضعت رسوم جون هايسوم الرائعة خصيصاً لهذا الكتاب. وهي ليست فقط جذابة، إنما تنقل محتويات ومشاعر القصة. لقد اختيرت باعتناء لتكون دقيقة وصحيحة تتناسب مع محتويات الكتاب المقدس.
في هذا العمل النادر الذي يضع نص الكتاب المقدس بلغة سهلة المنال للأطفال، تتحد الرسوم والكلمات لتصيغ نموذجاً مثالياً للبالغين وللأطفال ليقرأوا معاً هذا الكتاب خلال أيام السنة.



٣٦٥ قِصَّة مِنَ
الكتاب المقدّس
لِكُلّ الأعمار



الطبعة الأولى ١٩٩٤
الطبعة الثانية والثالثة ١٩٩٥
الطبعة الرابعة والخامسة ١٩٩٦

حقوق التوزيع:
جمعية الكتاب المقدس في لبنان
ص.ب. ٧٤٧٠-١١، بيروت – لبنان
هاتف ٠١/٤٨٣٨٤٧ – ٠١/٤٨٣٦٥٦

دار الكتاب المقدس في سوريا
شارع القباني، دمشق – سوريا
هاتف ٢٢٤٤٢٩٠-٠١١
شارع [illegible]، حلب – سوريا
هاتف ٢٢٣٧٣٣٢-٠٢١

دار الكتاب المقدس في جمهورية مصر العربية
ص.ب. ١٢٤٨، ٧٠ شارع الجمهورية – القاهرة
هاتف ٥٩٣٣٧٣٠-٥٩٢٢٢٥٥

دار الكتاب المقدس في الأردن
ص.ب. ٦٣٢٧، عمان ١١١١٨ – الأردن
هاتف ٠٦-٦٣٨٩٢٣

دار الكتاب المقدس في السودان
ص.ب. ٣٢١، ١٥ شارع الطابية، الخرطوم – الشرطة
هاتف ٨٠٠٢٣٠

Published by The Bible Societies in the Middle East
NR 563P, 20M June 1996

٣٦٥ قِصَّة مِنَ
الكتاب المقدّس
لِكُلّ الأعمار

تصدرها دار الكتاب المقدّس
في الشرق الأوسط

GOD'S WORD: HOPE FOR ALL
كلمة الله: رجاء للجميع

المقدمة

يدل عنوان هذا الكتاب **«٣٦٥ قصّة من الكتاب المقدّس لكل الأعمار»** على أن القصص الموجودة فيه ليست من نسج الخيال أو من تأليف بشر، وإنما هي مشتقّة من الكتاب المقدّس – كلمة الله – الذي هو بحد ذاته أشبه بمكتبة كاملة. فهو يحتوي على ستة وستين كتاباً من التاريخ والشعر والرسائل وغيرها، اشترك في كتابتها عدد من الأشخاص عبر مئات السنين بوحي من الروح القدس. وهو يُقسم إلى قسمين رئيسيَّين: العهد القديم، ولغته الأصلية العبرية، والعهد الجديد ولغته الأصلية اليونانية، وهي اللغة التي كانت مفهومة لدى سكان الامبراطورية الرومانية أثناء تجسد المسيح.

وحيث أن كتاباً كهذا من الصعب أن يشتمل على كل ما جاء في الكتاب المقدّس، لذا فضّلنا أن نختار منه أكثر القصص متعة وتشويقاً، ولكن لهذا الاختيار هدف آخر أيضاً. فمع أن الكتاب المقدّس يحتوي ظاهرياً على خليط مدهش من أنواع مختلفة من الكتابات، فأجزاؤه المتفرّقة تتناسب كما لو أنها قطع مجزّأة تكوّن صورة كاملة، وقد أردنا أن نجعل تلك الصورة واضحة.

يدلّنا الكتاب المقدّس على ما يمكن أن يكون الله، وعلى ما نحن عليه بالحقيقة. ولأن الله لا يتغيّر لذا فكتابه هو كتاب كل العصور والأجيال، فهو يجيب على الأسئلة التي يطرحها الإنسان في كل زمان ومكان: «كيف هو الله؟» و «لماذا التعاسة والشر والموت في عالمنا؟» «ما هو هدف الحياة؟» و «هل تصرفاتي صحيحة ومهمّة؟» إلى ما هنالك من أسئلة.

وقد تكلّم الله في العهد القديم بواسطة بعض الأشخاص الذين اختارهم لينقلوا كلمته للناس، ولكنه في العهد الجديد جاء بنفسه إلى عالمنا في شخص ابنه يسوع المسيح الذي علّمنا تماماً كيف هو الله، إذ أنه صورة الله غير المنظور وأهم من ذلك، أنه عالج مشكلة الخطيّة التي سقط الانسان فيها، بحمله الدينونة وقبوله الموت عنا.

نأمل أن تستمتعوا بقراءة هذه القصص الجميلة من الكتاب المقدّس وبالتأمّل في رسومها المعبرة.

الناشرون

فهرس الموضوعات

العهد القديم

العهد الجديد

العهد القديم

العهد القديم هو حكاية الله مع شعبه . وكلمة (عهد) هنا تعني الاتفاق أو الميثاق . ومن الحكايات التي ترد في العهد القديم هي حكاية اتفاق الله مع إبراهيم ونسله . وبحسب هذا الاتفاق يكون الله لهم معيناً ما داموا يسيرون معه ويسلكون حسب وصاياه . لكنهم رغم هذا الاتفاق نقضوا العهد مع الله . غير أن الله بقي صادقاً معهم . فرتب لهم وللعالم خلاصاً في عهد النعمة الذي هو العهد الجديد .



حكاية الخلق

١

الله يخلق العالم

تكوين ١

في البداية خلقَ الله السّماوات والأرض. وكانت الأرض مُقفِرةً وخاليةً. وكان الظلامُ في كلّ مكان، وفي الظلام كانَ روحُ الله يرفرف على وجه المياه.

وأمر الله أن يكون نورٌ، فكان نور، وتطلّع الله إلى النّور، فرآه جميلاً، ثمّ فَصَلَ الله النّور عن الظلمة، وسمّى النّورَ نهاراً والظّلمةَ ليلاً. وكان هذا اليوم الأوّل.

وأمر الله أن يكون فضاءٌ يفصِلُ بين مياهٍ ومياهٍ، فصارَ ما أمر. خلق الله الفضاء وفصلَ المياهَ التي في الأعلى عن المياه التي في الأسفل. وسمّى الله الفضاء سماء. وكان هذا اليوم الثاني.

وأمر الله أن تتجمّع المياه التي تحت السّماء في مكانٍ واحد، وأن تظهرَ اليابسة. فصارَ ما أمر، وسمّى الله اليابسة أرضاً والمياه المتجمّعة بحاراً. ثمّ أمر الله أن تُنْبِتَ الأرضُ عُشباً ونباتاً يحملُ بذوراً، وشجراً يحملُ ثمراً. فصارَ ما أمر. وتطلّعَ الله إلى ما خلق، فرآه جميلاً. وكانَ هذا اليومُ الثالث.

وأمر الله أن تكون كواكب في السماء [illegible]

[illegible]

والأيّام والسنين. وأمر الله أن تضيء هذه الكواكب التي في السماء على الأرض. فصارَ ما أمر. وخلق الله الشمس لتنير النهار، والقمر لينير الليل. كذلك خلق الله النجوم لتضيء الأرض، ولتفصلَ النورَ عن الظلمة. وتطلّع الله إلى ما خلق، فرآه جميلاً. وكان هذا اليوم الرابع.

وأمر الله أن تمتلىء المياه بمخلوقات حَيّةٍ كثيرة، وأن تطيرَ طيورٌ في السّماء فوق الأرض. فخلقَ الله الأسماك الضخمة وكلّ شيءٍ حيٍّ. هذا كلّهُ فاضَ من المياه بأعدادٍ كثيرة. وخلقَ الله الطيور، وتطلّع إلى ما خلق، فرآه جميلاً.

وباركَ الله هذه المخلوقات، وأرادها أن تُثمر وتتكاثر وتملأ مياه البحار، وأرادَ أيضاً أن تتكاثر الطيور على الأرض. وكان هذا اليوم الخامس.

وأمر الله، أن تُخرج الأرض مخلوقات من كل نوع: بهائم وحيوانات زاحفة ووحوشاً بريّة. وهكذا صار، ورأى الله أن هذا جميلاً. وأرادَ الله أن يخلقَ الإنسانَ على صورته



وأن يكون شبيهاً له، وأن يسلّطه على سمك البحر وعلى طيور السماء، على البهائم وعلى الأرض، وعلى كلّ شيءٍ حيٍّ فيها. وخلق الله النّاس على صورته، على صورة الله خلق الرّجل والمرأة. ذكراً وأنثى خلقهم.

وباركهم الله وقال لهم أن يتكاثروا ويملأوا الأرض ويتسلّطوا على سمك البحر وطير السماء، وعلى كلّ شيء حيٍّ على الأرض. وقال الله لهم: «ها أنا أعطيتكم كلّ نباتٍ يحملُ بذراً وكلّ شجرٍ يثمرُ على وجه الأرض، ومنها يكون طعامكم. كذلكَ جعلتُ العشبَ والنباتَ طعاماً لوحوش الأرض وطيور السماء وكل شيء حيٍّ يزحف على الأرض.» وهكذا كان، وتطلّع الله إلى ما خلق [illegible] فرآه جميلاً [illegible]. وكان هذا [illegible] السماوات والأرض [illegible]

٢ الله يخلق الإنسان

تكوين ١–٢

ولمّا انتهى الله من خلق العالم، لم يكن هناك شجر بَعْدُ، ولا عُشب، ولا مطر ولا إنسان، فصنَعَ الله الإنسان من التراب ونفخ فيه الحياة، فصار رَجُلاً حيّاً سمّاه آدم.

ثُمَّ زرعَ الله جنّةً في أرض عدن، وأنبتَ فيها شجراً جميلاً، طيّب الثمر. وكان في وسط الجنّة شجرتان: شجرةُ الحياةِ وشجرةُ معرفةِ الخير والشر. وبَعْد ذلك أسكن الله آدم في جنّة عدن ليفلحها ويحرسها، وقال له: «تأكل من جميع شجر الجنّة، أمّا شجرةُ معرفةِ الخير والشرّ فلا تأكل منها. في اللّحظة التي تأكل [illegible] تموت.»

[illegible] الله [illegible] هذا الكلام، قال في [illegible] آدم وحده، [illegible] يجعله ينام نوماً [illegible] الله ضلعاً من [illegible]



من عظامي ومن لحمي. لذلكَ يظلُّ الرَّجل دائماً مع امرأتهِ، ولا يتركها أبداً.»

وفي الجنّة كان آدم وامرأتهُ عُريانين ولا يخجلان من ذلك، لأنّهما كانا بريئين، ولا يعرفان الخير والشرّ.

فساد الخلق

٣

الثمرة المُغرية

تكوين ٣

وكانت في الجنّة حيّةٌ، والحيّةُ أخبَثُ حيوانٍ خلقهُ الله. فاقتربت هذه الحيّةُ من المرأة وسألتها: «هل صحيح أنّ الله لا يريد أن تأكلا من جميع شجر الجنّة؟» فأجابتها المرأةُ: «نأكل من جميع شَجرِ الجنّة إلاَّ من واحدة، وهي الشجرةُ التي في الوسط، فالله قال إنّنا سنموت في اللحظة التي نأكل منها أو نلمسها.» فردّت عليها الحيّةُ وقالت: «هذا غيرُ صحيح. لن تموتا إذا أكلتما منها، فالله قال لكما هذا، لأنّهُ يعرف أنّكما تصيران مثلهُ تعرفان الخير والشر يوم تأكلان من تلك الشجرةِ.»

وهنا تطلّعت المرأة إلى الشجرة التي في وسط الجنّة، فرأتها جميلةً وشهيّةً، فمدَّت يدها إليها وأخذت من ثمرِها وأكلت، ثمَّ أعطت زوجها من ثمرها، فأكل. وفي هذه اللحظة انفتحت أعينهما، فعرفا أنّهما عريانان، فخجلا من ذلك، فصنعا لأنفسهما من ورق التين ردائين سترا بهما جسديهما العاريَين.

وعنْد المساء كان الله يتمشّى كعادتِه في الجنّة. فسمع آدم وامرأتهُ صوتَهُ فهربا واختفيا بين الشجر، فنادى الله آدم وسأله: «أين أنت، يا آدم؟»



٤
الجنّة الضائعة
تكوين ٣

وبعدما سأل الله آدم : «أين أنت ؟» خرَجَ آدم مع امرأته من بين الشجر ، وأجاب : «سمعتُ صوتك في الجنّة فخفتُ ، ولأنّي عريان خجلتُ منك ، فاختبأتُ .» فقال الرّبّ الإلّه : «وكيف عرفت أنك عريان ؟ هل خالفت أمري فأكلتَ من الشجرة التي أوصيتكَ أن لا تأكلَ منها ؟» فأجابهُ آدم : «نَعَمْ ، فالمرأة التي معي ، هي التي أعطتني من ثمرِ الشجرة ، فأكلت .» فالتفتَ الرّبُّ الإلّه إلى المرأة وسألها : «لماذا فعلتِ هذا ؟» فأجابتهُ : «أغرتني الحيّةُ وشجّعتني على أن آكل منها ، فأكلت .» فقال الرّبّ الإلّه للحيّةِ : «لأنّكِ فعلت هذا ، تزحفين على بطنك وتأكلين تراباً ،
طول أيّام حياتك .»

ثمّ قال الرّبّ الإلّه للمرأة : «أزيدُ تَعَبَكِ حين تحبلين ، وأوجاعك حين تلدين .»

وأخيراً قال لآدم :

«لأنّكَ سمعت كلام امرأتك وخالفت أمري ، فأكلتَ من الشجرة التي أوصيتكَ أن لا تأكل منها ، لأنّكَ فعلت هذا ، تأكل طعامكَ بالتعب طول أيّام حياتك حتّى تموت وتعود إلى الأرض ، فالرّبّ الإلّه صنعك من التراب وإلى التراب تعود بعدَ الموت .»

وطرد الرّبّ الإلّه آدم من جنّة عدن وصنع له ولامرأتِه ثياباً من جلد ، وكساهما . أمّا آدم ، فسمّى امرأتهُ حوّاء ، لأنّها والدةُ كل بشرٍ حيّ .

قايين وهابيل

٥

الأخوان

تكوين ٤

وتزوّج آدم امرأته حوّاء فحبلت وولدت آبناً فسمَّياه قايين. ثمَّ عادت فولدت أخاً له فسمَّياه هابيل. ولمّا كبر الأخوان، صار هابيل راعي غنم وقايين فلاّحاً يفلح الأرض ويزرعها. ومرّت الأيّام، فقدّم قايين من محاصيل الأرض تقدمة للرّبّ، وقدّم هابيل أيضاً للرّبّ بعضاً من أغنامه السّمينة. فَقَبِلَ الرّبّ بِفَرح هابيل وتقدمته، أمّا قايين وتقدمته فلم يَقْبَلْها. فلمّا عرف قايين ما جرى، غضب وعبس وجهه، فسأله الرّبّ: «لماذا غضبت وعبَسَ وجهُكَ؟ إذا فعلتَ شيئاً حسناً رضيتُ عنكَ، أمّا إذا رفضت أن تفعل شيئاً حسناً، فهذا يعني أن الخطيئةَ تقترب منك، وعليك أن تردّها عنك.»



٦
الجريمة الأولى
تكوين ٤



وصمّم قايين في قلبه أن يقتُلَ أخاه هابيل لأنّه حسده، فقال له: «تعال نخرج إلى الحقل.» ولمّا خرجا إلى الحقل هجم قايين على أخيه وقتله. فرأى الرّبّ ما حدث، فسأل قايين: «أين هابيل أخوك؟» فأجابه: «لا أعرفُ. هل أنا حارسٌ له؟» فعاد الرّبّ وسأله: «ماذا فعلتَ؟ دمُ أخيك يصرخ إليَّ من الأرض. والآن لأنّك قتلته، فأنت ملعون من الأرض التي شربت دمه من يدك، فهي لن تعطيك غلّتها إذا فلحتها، وطول أيّام حياتك ستبقى شريداً بلا مأوى.» فقال قايين: «يا ربّ، طردتني وأبعدتني عنك وجعلتني بلا مأوى في الأرض، وكل من يجدُني سيقتلني فأنا لا أقدر أن أحتمل هذا القصاص.» فقال له الرّبّ: «لن يقتلك أحد، وكل من يقتلك سأنتقم منه انتقاماً شديداً.» وهنا وضع الرّبّ على قايين علامةً حتى لا يقتله كل من يجدهُ.

قصة نوح

٧

نوح يبدأ البناء

تكوين ٦

كان نوح رجلاً صالحاً، يسلك حسب إرادة الله. وكان له ثلاثةُ بنين هم سامٌ وحامٌ ويافث.

وفي ذلك الزمان فَسَدَت الأرض وامتلأت شرًّا. ونظر الله إليها فرأى شرّها وشرّ سكّانِها. فأراد أن يقضي على كلّ شيءٍ فيها. فقال الله لنوح: «اصنعْ لك سفينةً من خشب السّرو، واجعلها غُرَفاً، وادهنها من الداخل ومن الخارج بدهانٍ آسمه القار. واجعلْ طولها ثلاث مئة ذراع، وعرضها خمسين ذراعاً، وارتفاعها ثلاثين ذراعاً. واجعلْ نافذة للسفينة يكون بينها وبين السقف ذراع واحدةٌ، واجعلْ باب السفينة في جانبها، وليَكن في السفينةِ ثلاث طبقات في الأسفلِ وفي الوسط وفي الأعلى. فها أنا أُنزل طوفاناً على الأرض وأقضي على كلّ شيءٍ حيٍّ فيها. أمّا أنت، فأخلّصك، لأنّك وحدك صالحٌ، تعمل حسب إرادتي. لهذا تدخل السفينة أنت وأبناؤك وامرأتك وزوجات أبنائك. وتأخذ معكَ اثنين: ذكراً وأنثى، من كلّ نوع من المخلوقات الحيّة، كذلك تأخذ معكَ طعاماً لك ولهم جميعاً. فبعدَ سبعةِ أيّامٍ أُنزلُ المطرَ على الأرض مُدَّة أربعينَ يوماً وأربعينَ ليلةً، فأقضي على كلّ شيءٍ صنعته.» وعَمِلَ نوحٌ بكلّ ما أوصاهُ الرّبّ.



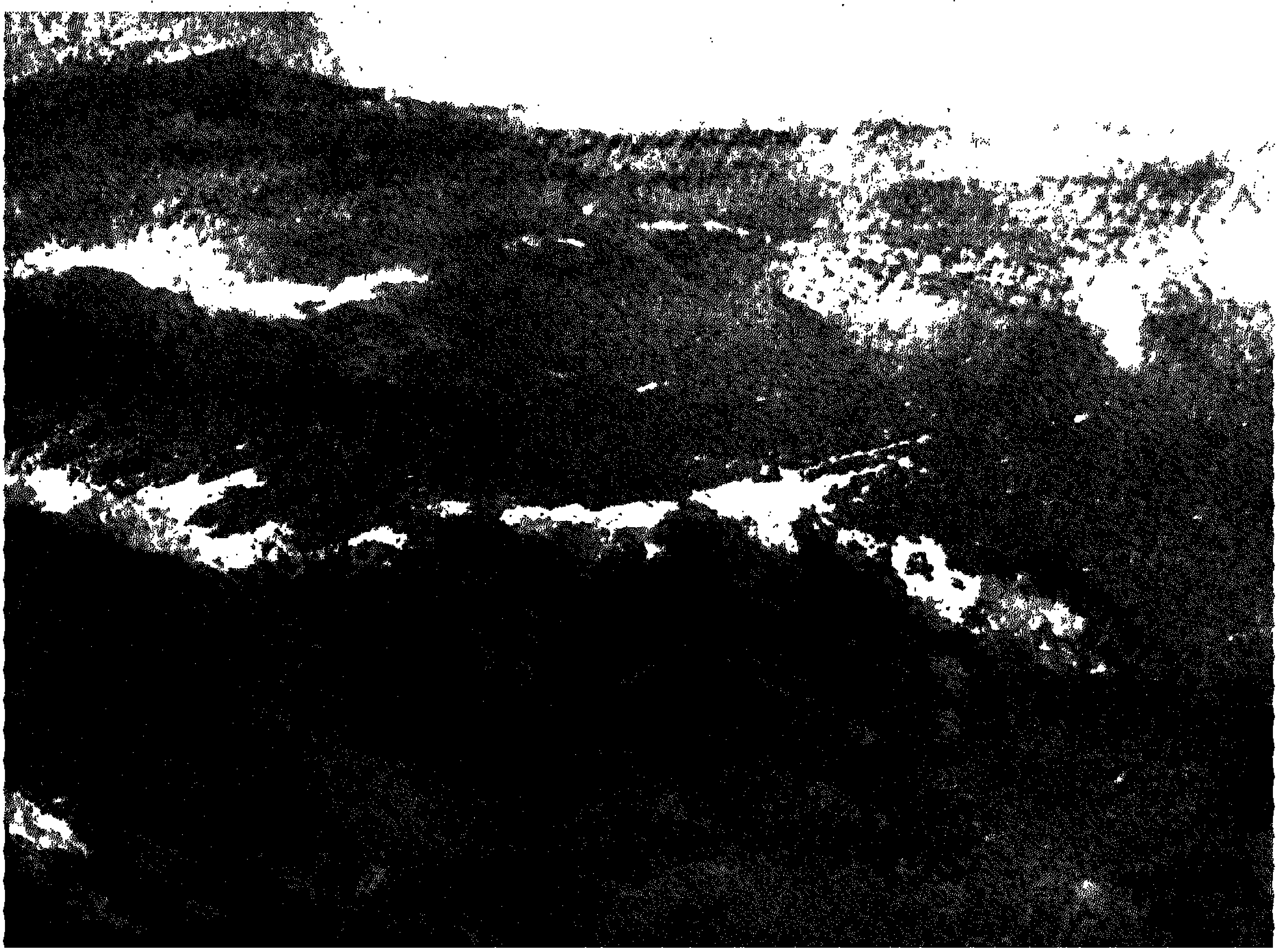
٨

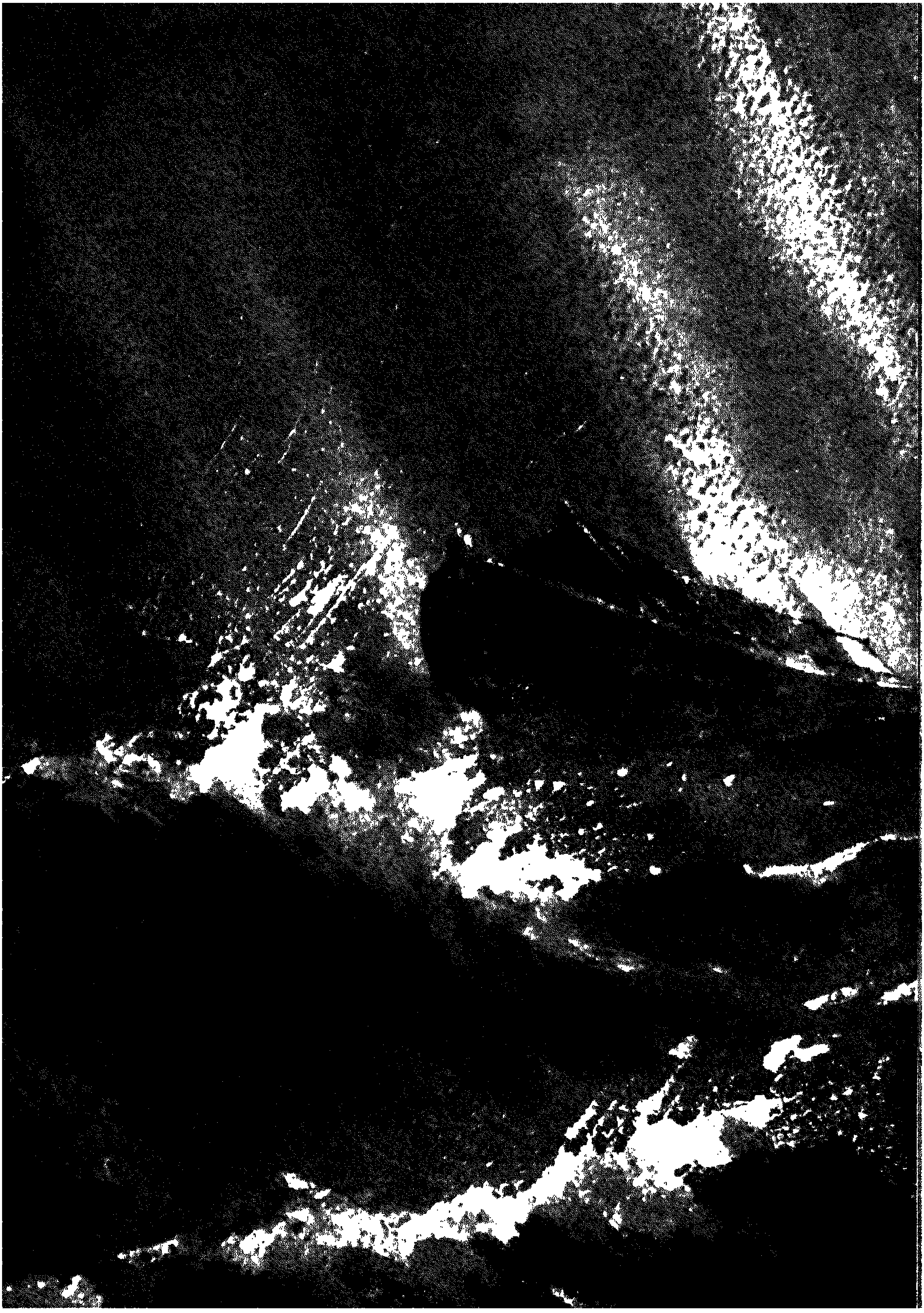
مطر، مطر، مطر

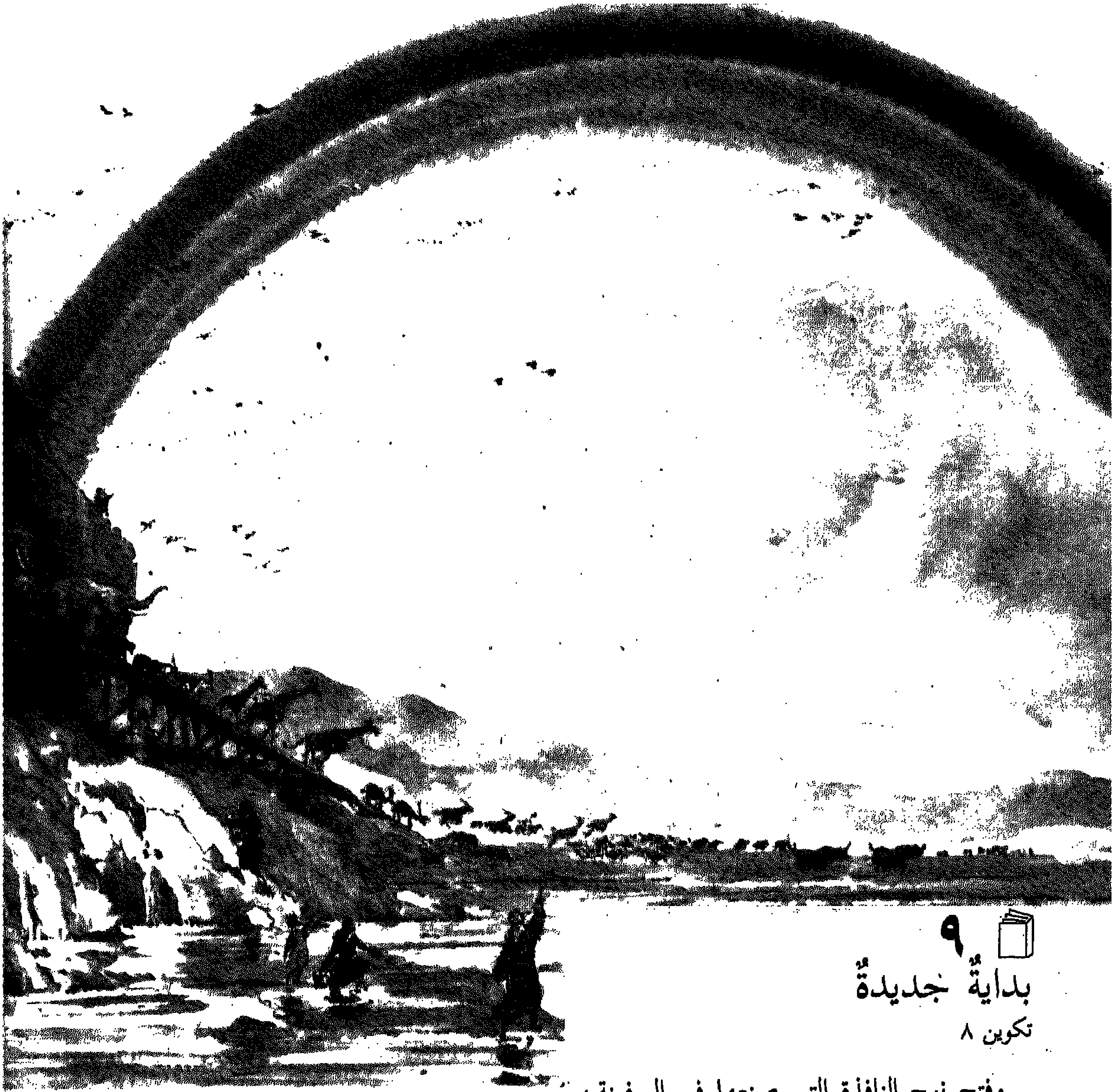
تكوين ٧ - ٨

ودَخل نوحٌ السفينة مع أبنائه وامرأته وزوجات أبنائه، ومعه اثنان، اثنان: ذكوراً وإناثاً، من البهائم والوحوش والطيور والزحّافات. وبعد سبعة أيّام نزلَ المطر على الأرض واستمرَّ ليلاً ونهاراً مُدَّة أربعينَ يوماً، فكَثر الماء. وحملَ الماء السفينةَ فارتفعت عن الأرض. وزادت المياه وتكاثرت، فسارت السفينة على وجه المياه. ونزل المطر أكثر، فأكثر، وتعاظمتِ المياه على الأرض، فارتفعت وغطّت جميع الجبال العالية، فمات كلُّ جسدٍ حيٍّ من الطير والحيوان والوحوشِ والزحّافات وجميع النّاس. وظلّت المياه على الأرض مدّة مئةٍ وخمسين يوماً.

ولم ينسَ الله نوحاً وجميع الوحوش والحيوانات التي معه في السفينة، فأرسل ريحاً على الأرض فتوقّف سقوط المطر وتراجعت المياه شيئاً فشيئاً حتّى استقرّت السفينة في الشهر السابع من الطوفان على جبال أراراط. ثم أخذت المياه تنقص يوماً بعد يوم حتّى ظهرت رؤوس الجبال كلّها.







٩

بدايةٌ جديدةٌ

تكوين ٨

وفتح نوح النافذة التي صنعها في السفينة ، وأطلق منها غُراباً ليرى إذا نقصت المياه عن وجه الأرض وتراجعت . فخرجَ الغراب وطار ، لكنّه عاد بعد قليل إلى السفينةِ لأنّه لم يجد مكاناً يحطّ عليه بسبب المياه التي كانت تغطّي وجه الأرض . ثمّ أرسل نوح حمامةً ، فطارت ، لكنّها عادت إليه بعد قليل لأنّها لم تجد مكاناً تحطّ عليه بسبب المياه التي كانت تغطّي الأرض . وبعد سبعة أيّام عاد نوح فأرسل الحمامة من السفينة ، فرجعت إليه في المساء وفي منقارها ورقة زيتون خضراء ، فَعَلم نوح أنّ المياه نقصت عن الأرض وتراجعت . وانتظر أيضاً سبعةَ أيّامٍ أخر وأرسل الحمامة ، فلم ترجع إليه هذه المرّة . فرفع نوح غطاء السفينة ونظر حوله فرأى وجه الأرض ناشِفاً .

وهنا نادى الله نوحاً وأمره أن يخرج من السفينة مع امرأته وأبنائه وزوجات أبنائه ،



وكذلك مع الطيور والحيوانات وكل ما يزحف على الأرض. وهكذا فَعل نوح، فخرج مع بنيه وامرأته وزوجات أبنائه، ومع كل حيوانٍ وطيرٍ ومخلوق حي يزحفُ على الأرض.

وبنى نوح مذبحاً للرّب، وقدّم عليه ذبائح من البهائم والطيور الطاهرة حسب الشريعة. ولمّا رأى الرّبّ هذه الذّبائح قال في نفسهِ: «لن أُرسلَ الطوفان إلى الأرض مرّةً ثانيةً، ولن أهلِكَ كلّ حيٍّ كما فعلت.»

١٠ قوس قزح في السماء

تكوين ٩

وبارك الله نوحاً وأبناءه، وقال لهم: «تكاثروا واملأوا الأرض. سيخاف منكم جميع الحيوانات والطيور والأسماك وكل ما يزحفُ على الأرض. وكل هذه المخلوقات أعطيها لكم وأجعلها تحتَ تصرّفكم.»

وتابع الله كلامه لنوح وأبنائه، فقال: «الآن سأعمل اتفاقاً معكم ومع أبنائكم من بعدكم، ومع كل ما خرج معكم من السفينة من حيوان الأرض، وبحسب هذا الاتفاق لن يموت بالطوفان بعد الآن جسد حيّ، ولن يكون طوفان آخر يخرب الأرض.» وقال الله: «هذه هي علامة الاتفاق الذي بيني وبينكم وبين المخلوقات الحيّةِ من جيل إلى جيل: العلامةُ هي قَوسُ قُزَحٍ في الغيم. فكلّما غيّمت وظهر القوس في الغيم اذكروا هذا الاتفاق، فلا يسقط المطر بكثرةٍ ولا يحدثُ طوفاناً يقضي على كلّ شيءٍ حيٍّ على هذه الأرض.»

برج بابل

١١

السّماء هي الحدود

تكوين ١١

وفي ذلك الزّمان كان لسكّان الأرض لغةٌ واحدةٌ. وكانوا يرحلون من مكانٍ إلى آخر حتى وصلوا إلى بقعةٍ من الأرض أعجبتهم، فنزلوا فيها وسكنوها. وفي يومٍ من الأيّام قال بعضُهم لبعض: «تعالوا نبني لنا مدينةً وبرجاً رأسه في أعالي السّماء، ونسكن هنا ونستقرّ، فلا نتبعثر على وجه الأرض كلّها.»

ولكن نزل الرّبُّ مرّةً ورأى المدينة والبرج اللّذَيْن كانوا يبنونهما، فقال الرّبّ: «هؤلاء جميعهم شعبٌ واحد، يتكلّمون لغةً واحدةً، وما يعملونه الآن ما هو إلاّ بداية، وفيما بعد لن يصعب عليهم شيء، فيتكبّرون عليّ ويفعلون الشّر. لهذا سأجعل لكلٍّ واحدٍ منهم لغةً لا يفهمها الآخر وأبعثرهم على وجه الأرض كلّها. ولمّا صار لكلٍّ واحدٍ لغة لا يفهمها الآخر توقّفوا عن بناء مدينة بابل، لأن الرّبّ بَلبَلَ لغة النّاس جميعاً، ومن هناك بعثرهم على وجه الأرض.

قصّة إبراهيم

١٢

الرّبّ يدعو أبرام

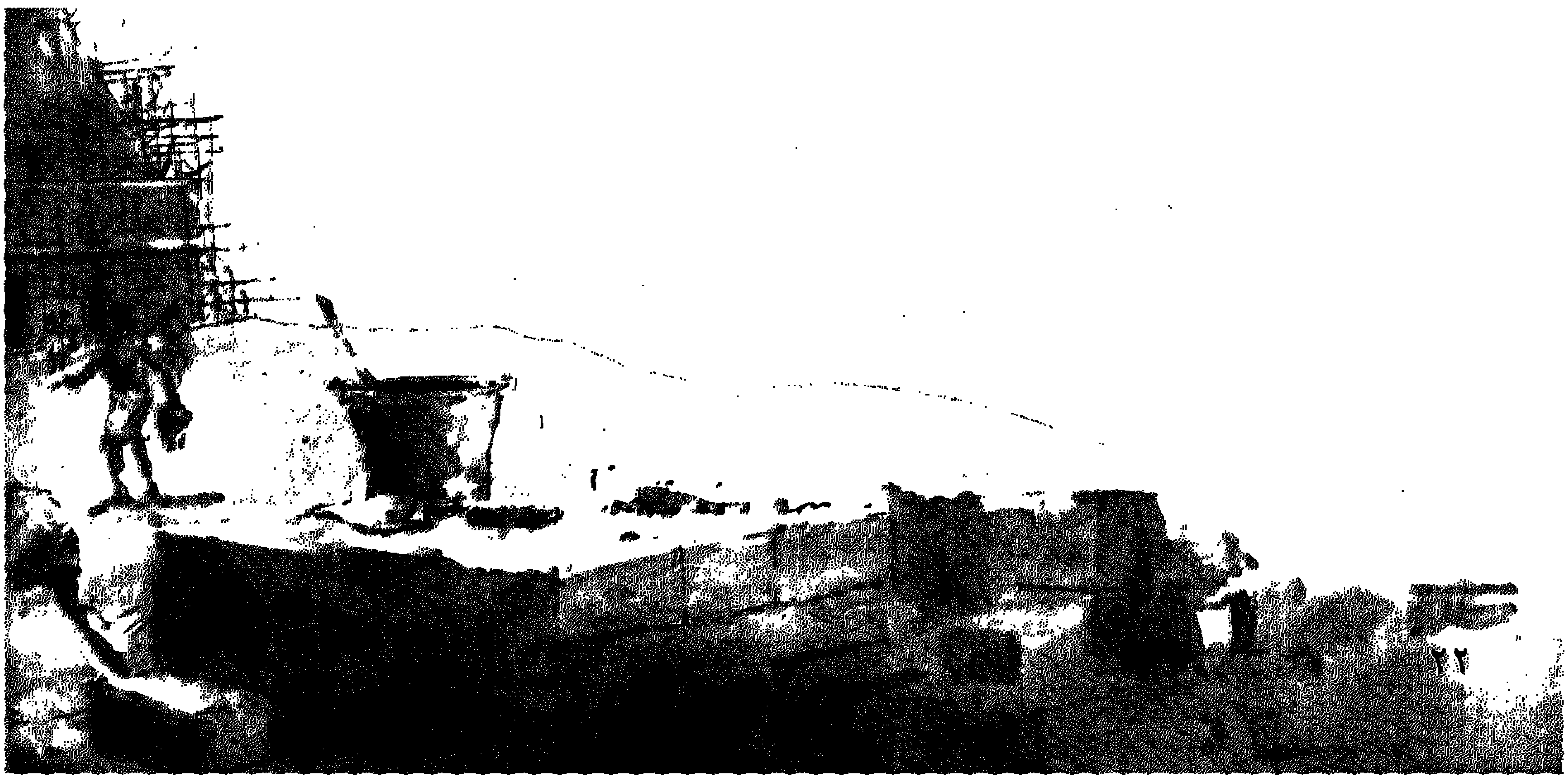
تكوين ١١-١٢

وكان لنوح ثلاثة أبناء: سام وحام ويافث. وكان أبرام من نسل سام، وكان يسكن في أرض أور، وله زوجه آسمها ساراي، وكانت ساراي عاقراً، لا تلد أبناء.

وفي يومٍ من الأيّام قال له الرّبّ: «ارحل من أرضك أور واترك عشيرتك واذهب إلى أرضٍ أدُلُّكَ عليها، فأنا سأجعل نسلك أمّة عظيمةً، سأباركك وأجعلُ آسمكَ عظيماً وتكون نعمةً وبركةً لجميع شعوب الأرض.»

وفعل أبرام كما قال له الرّبّ. فقام ورحل من أرض أور مع زوجته ساراي وآبن أخيه لوط، رحلوا جميعهم أوّلاً إلى بلدةِ حاران، وبعد أن سكنوا في حاران سنوات عديدةً، رحلوا منها واتجهوا نحو أرض كنعان، وكان عمر أبرام في ذلك الوقت خمساً وسبعينَ سنةً.

وبعد رحيلٍ طويلٍ دام سنواتٍ وصلوا إلى أرض كنعان، ولمّا وصلوا إلى هذه الأرض،



ظهر الرّبّ لأبرام وقال له: «هذه الأرض كلُّها أعطيها لك ولأبنائك جيلاً بعدَ جيل.» وبعدما سمع أبرام هذا الكلام بنى للرّبّ مذبحاً في المكان الذي ظهر فيه.

وفي تلك الأيّام حدث جوعٌ في أرض كنعان، فذهب أبرام إلى مصر هرباً من الجوع، ولمّا اقترب من مصر قال لامرأته ساراي: «أنت امرأةٌ جميلةٌ، فإذا رآك المصريّون سيُعْجَبون بكِ، فيقتلونني ويأخذونك. فلا تقولي أنّكِ زوجتي بل قولي لهم إنّكِ أختي، فيعاملوني معاملةً حسنةً بسببك، ولا يقتلوني ويأخذوك مني.»

ولمّا وصل أبرام إلى مصْر، رأى سكّانها أن زوجتهُ جميلةٌ جدّاً. فأخذوها إلى الملك فرعون، فعامل هذا الملك أبرام معاملةً حسنةً بسبب زوجته ساراي، وأعطاه كثيراً من الغنم والبقر والحمير والعبيد والخادمات والجمال. أمّا الرّبّ فغضب على الملكِ فرعون لأنّه تزوّج ساراي، فأنزل به وبأهله مصائب عظيمةً، وهنا عَرَف فرعون سبب هذه المصائب، ولمّا عرف ذلك طلب أبرام إليه وقال له: «لماذا أخفيت الحقيقةَ عنّي ولم تقل لي أن ساراي هي زوجتك؟ لماذا قلت لي إنّها أختك، فأخَذتُها زوجةً لي؟ والآن، خذْ زوجتَك واذهب.» وأمر فرعونُ رجاله أن يصرفوا أبرام من البلادِ مع زوجته وكلِّ أملاكه.



١٣
لوط له أفضليّة الاختيار
تكوين ١٣

ورحل أبرام من مصر مع زوجته وآبن أخيه لوط وكل ما يملك. وكان أبرام غنيّاً بالمواشي والفضّة والذهب. وكان لوط أيضاً غنيّاً بالغنم والبقر والخيام، فما عادت الأرض كافية لهما معاً، لأن مواشيهما كانت كثيرةً. فوقع خصام بين رعاة مواشي أبرام ورعاة مواشي لوط، فقال أبرام للوط: «نحن أخَوان، فلا يجب أن يتخاصم رُعاتي مع رُعاتك فها هي الأرض كلّها أمامك، فخذ منها ما تريد واترك لي الباقي.»

فرفع لوط عينيه وتطلّع، فرأى وادي الأردن أخضر كجنّة الرّبّ، فاختار لنفسه وادي الأردن ورحل إليه، وهكذا انفصل لوط عن أبرام الذي أقام في أرض كنعان.





١٤
وعد الرّبّ
تكوين ١٥

وفي يوم من الأيّام ظهر الرّبّ لأبرام وقال له: «لا تخف يا أبرام، أجرك عندي عظيم جدّاً.» فأجابه أبرام: «يا سيّدي الرّبّ، ما نفع كل عطائك لي وأنا سأموت بلا ولد يرث أملاكي. فأنت لم ترزقني ولداً يرثني.» فأجابه الرّبّ: «سيكون لك ولد، وهو الذي يرثك.» ثمّ قاده إلى الخارج، وقال له: «تطلّعْ إلى السماء وعُدَّ نجومها إذا قدرت أن تعدّها.» وتابع يقول: «هكذا يكون نسلك. سيكون بعدد هذه النجوم.» وقال له الرّبّ أيضاً: «أنا الرّبّ الذي أخرجك من أرض أور أعدك أنّي سأعطيك هذه الأرض كلّها لك ولأبنائك.» ولمّا مالت الشمس إلى المغيب نام أبرام نوماً عميقاً، فأصابه خوف شديد، فقال له الرّبّ: «يجب أن تعرف أن نسلك سيتشرّدون في أرضٍ غريبة، وفي هذه الأرض يتعذّبون لمدّة أربع مئة سنة، لكنّي سأحاكم الأمّة التي تستعبدهم وتعذّبهم، فيعودون بعد ذلك حاملي ثروةٍ كبيرةٍ. أمّا أنت، فتموت بسلام، وتكون نهايتك صالحة.» وآمن أبرام بكلّ كلمةٍ قالها الرّبّ له



٢٥

هاجر تهرب

تكوين ١٦ و ١٧

وصارت ساراي عجوزاً دون أن تلد لإبرام ولداً. وكانت لها خادمةٌ آسمها هاجر. فقالت ساراي لأبرام: «الرّبّ حرمني من ولادةِ الأبناء، فتزوّج خادمتي هاجر، لعلّها تلد، ويرزقني الله منها بنين.»

وتزوّج أبرام هاجر، خادمة ساراي. فحبلت. ولمّا حبلت هاجر صارت تحتقر سيّدتها ساراي وتتكبّر عليها. فغضبت ساراي وقالت لأبرام: «تزوّجتَ خادمتي، ولمّا حبلت صارت تحتقرني وتتكبّر عليّ.» فقال لها أبرام: «هذه خادمتك تحت تصرُّفِكِ. فافعلي بها ما تريدين.» ولمّا سمعت ساراي هذا الكلام أخذت تذلُّ خادمتها هاجر وتهينها حتى هربت في الصحراء.

ورأى ملاك الرّبّ هاجر عند عين ماء في الصحراء. فقال لها: «يا هاجر، من أين جئت، وإلى أين تذهبين؟» فأجابته: «أنا هاربة من سيّدتي ساراي.» فقال لها ملاك الرّبّ: «ارجعي إلى سيّدتك ساراي وأطيعيها بكلّ ما تأمرك به.» ثمّ قال لها: «سأجعل نسلك كثيراً، فلا يقدر أحد أن يعّده لكثرته، والآن، أنت حبلى، ستلدين آبناً تسمّينه إسماعيل.»
وعادت هاجر إلى سيّدتها ساراي، كما أمرها ملاك الرّبّ، وولدت لأبرام آبناً سمّاه إسماعيل، وكان أبرام وقتها آبن ستٍّ وثمانين سنةً. ولمّا صار عمر أبرام تسعاً وتسعين سنة، ظهر له الرّبّ وقال له: «أنا هو الرّبّ القدير، أقيم عهدي معك، فيتكاثر نسلك، ويكون آسمك من الآن إبراهيم (أي أبٌ لجمهورٍ كثير)، وآسم زوجتك سارة (أي أميرة).»



١٦
الزّائرون الثلاثة
تكوين ١٨

وفي ذات يوم كان إبراهيم أمام خيمته، وكان النهار شديد الحرارة، فرفع عينيه ونظرَ، فرأى ثلاثة رجال واقفين أمامه، فأسرع إلى لقائهم من باب الخيمة وانحنى إلى الأرض وقال لهم: «تفضّلوا عندنا، ودعوني أقدّم لكم قليلاً من الماء، فتغسلون أرجلكم وتستريحونَ تحت الشجرةِ، ثمَّ أقدّمُ لكم طعاماً، فتأكلونَ وتتابعون السفر.» فلبّوا دعوته لهم في الحال.

فأسرع إبراهيم إلى سارة في الخيمة، وطلب منها أن تَعْجِنَ الدقيق (الطحين) وتخبزَهُ. أمّا هو، فأسرعَ إلى البقر، فأخذ عجلاً صغيراً إلى الخادم وطلب منهُ أن يذبحهُ ويهيّئهُ طعاماً للضيوف. ثمَّ أخذ زبدةً ولبناً والعجل الذي هيَّأهُ الخادم ووضَعَ هذا كلّهُ أمامهم فأكلوا حتى شبعوا وهو واقف أمامهم تحت الشجرة.

وبعد أن أكلوا وشبعوا، ٱلتفتوا إليه وسألوه: «أين سارة زوجتُكَ.» فأجابهم: «هي في الخيمةِ.» فقال واحد منهم: «في مثل هذا الوقت من السنة القادمة سيكون لها ٱبن.» وكانت سارة واقفةً وراء باب الخيمةِ، فسمعت هذا الكلام وضحكت في نفسها وقالت: «كيف يكون هذا؟ فأنا عجوز وزوجي شيخ.» وسمع الرّبّ سارة تضحك، فقال لإبراهيم: «لا شيءَ صعبٌ على الرّبّ. أقول لك، في مثل هذا الوقت من السنةِ القادمةِ سيكون لسارة ٱبنٌ.»



١٧ في الطريق إلى سدوم

تكوين ١٨

وبعدما أكلوا وآستراحوا قام الرّجال الثلاثة وذهبوا إلى سدوم، فخرج إبراهيم حتى يودِّعَهم، وهنا تطلّع الرّبّ إلى إبراهيم وقال في نفسه: «سأخبر إبراهيم ما أنوي أنْ أفعله، فأنا الذي آخترته ليقول لأبنائه ونسله من بعده أن يسلكوا حسب إرادتي.» ثمّ نادى إبراهيمَ وقال له: «كثُر فساد أهل سدوم وعمورة وعظمت خطاياهم، سأقضي عليهم جميعاً وأهلكهم.»

ولمّا سمع إبراهيم هذا الكلام توقّف وآقترب من الرّبّ وسأله: «هل تريد أن تقضي على الصالح والشرير معاً؟ ربما في المدينة خمسون صالحاً، فهل تريد أن تُهلكها كلّها ولا تسامحها من أجل الخمسين صالحاً فيها؟ وهل تُهلِكُ الصالح مع الشرير وتساوي بينهما؟» فأجابه الرّبّ: «إذا كان في سدوم خمسون صالحاً سأعفو عن المدينة إكراماً لهم.» فأجابه إبراهيم: «ربما كان عدد الصالحين أقلّ من ذلك، ربّما كان عددهم عشرة فقط.» فقال له الرّبّ: «أعدك أنّي لن أخرب المدينة إذا كان فيها عشرة صالحين.» وكان الرّبّ يعرف أن جميع أهل سدوم أشراراً، ما عدا لوط.

١٨ إنقاذ لوط

تكوين ١٩

وعندَ غروب الشمسِ وصل الملاكان إلى سدوم، وكان لوط في ذلك الوقتِ جالساً عندَ باب المدينةِ، فلمّا رآهما قام وأسرع يستقبلهما، وآنحنى بوجهه إلى الأرض، وقال: «تفضّلا إلى بيتي واغسلا أرجلكما وناما الليلةَ عندي، وفي الصباح تُتابعان السفر.» فقالا: «لا، نُفَضّل أن ننام في الساحة لا أن ننام عنْدَك.» فألحَّ عليهما كثيراً أن يأتيا إليه، فقبلا ودخلا بيته، فعملَ لهما وليمةً فاخرةً فأكلا حتى شبعا.

وقبل أن يناما جاء رجالُ سدوم، شبّاناً وشيوخاً، وأحاطوا بالبيت من كلِّ جهةٍ، ونادوا لوطاً وقالوا له: «أين الرّجلان اللذان دخلا بيتكَ الليلة؟ دعهُما يخرجانِ حتى نعتدي عليهما.» فخرجَ لوط إليهم وأغلق الباب وراءه وقال: «لا تسيئوا إلى الرّجلين، فهما في ضيافتي.» ولمّا سمعوا هذا الكلام من لوط، دفعوه إلى الوراء وتقدّموا إلى الباب حتى يكسروه. فمدّ الرّجُلان الضّيفان أيديهما وجذبا لوطاً إلى داخل البيت وأغلقا الباب خلفهُ. ثمّ ضربا الرّجالَ المهاجمين بالعمى، فلم يقدروا أن يجدوا الباب ويدخلوا منه.



وفي الحال قال الرّجلان للوط: «هل لك أقرباء في هذه المدينة، أصهار وأبناء وبنات؟ أخرجهم من هنا، لأن الرّبّ أرسلنا حتى نقضي على سُكّانِ هذه المدينة بسبب خطاياهم.» فذهب لوط إلى أصهاره وأخبرهم بما سيحدث للمدينة، فظنّوه يمزح معهم. ولمّا طلَع الصّبح كان الملاكان يطلبان من لوط أن يسرع ويخرج مع امرأتِهِ وٱبنتيهِ حتى لا يموتوا مع بقيّة سكّان المدينة. لكنّ لوط لم يسرع، فأمسكَ الرّجُلان بيدهِ وبيدِ زوجتِهِ وٱبنتيه، وأخرجاه من المدينة.

وبينما هما يخرجانه من المدينة، قال له واحدٌ من الرّجلين: «لا تلتفت إلى الوراء، ولا تتوقّفْ في السّهل، واهرب إلى الجبل حتى لا تموت.» فقال لوط: «لا، يا سيّدي. لا أريد أن أذهب إلى الجبل فربّما أصابني سوء هناك فأموت، فدعني أذهب إلى تلك المدينة التي أمامنا، فهي صغيرةٌ وقريبةٌ، وفيها أنجو بحياتي.» فقال له الملاك: «إكراماً لك لن أدمّر المدينة التي أنت ذاهب اليها، فأَسرِع بالهرب إلى هناك.»

ولمّا طلعت الشمس ووصل لوط إلى المدينة التي كان ذاهباً إليها أمطرَ الرّبّ على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من السماء. فدمرّها مع الوادي وجميع سكّان المدن التي حولها ونبات الأرض. ولمّا حدث هذا التفتت زوجةُ لوط إلى الوراء فصارت عمودَ ملح. وفي اليوم التالي نهض إبراهيم وذهب إلى المكان الذي وقف فيه امام الرّبّ، وتطلّع إلى جهة سدوم وعمورة والوادي، فرأى دخاناً كثيفاً يتصاعد من الأرض هناك.



قصّة إسحق

١٩
ولادة إسحق
تكوين ٢١

وذكر الرّبّ سارة، وفعل لها كما وعدَها، فحَبِلت وولدت لإبراهيمَ آبناً سمّاه إسحق، وتمّت الولادةُ في الوقت الذي تكلّمَ الله عنهُ، وكان عمر إبراهيم في ذلك الحين مئةَ سنة. ولمّا صارَ إسحق آبن ثمانيةِ أيّامٍ أخذه إبراهيم وطهّرهُ، تماماً كما أوصاهُ الله.

وفرحت سارة كثيراً بولادة آبنها إسحق، وقالت: «الله جعلني أفرح، وكل من سمع بهذه الولادةِ يفرح لي أيضاً. من كان يصدِّق أنّي سألد لإبراهيم آبناً. وها أنا ولدت له آبناً في شيخوختهِ.»

وكبرَ الصبيّ إسحق وصار يلعب مع إسماعيل، آبن الخادمة المصريّة هاجر. وفي يوم من الأيّام تطلّعت سارة، فرأت إسماعيل آبن خادمتها هاجر يسخر من آبنها إسحق. فأسرعت إلى إبراهيم وطلبت منه أن يطرد إسماعيل مع أمّه هاجر حتى لا يشارك آبنها إسحق في الإرث. فحزن إبراهيم لهذا الطلب، لأن إسماعيل كان آبنه أيضاً. فقال له الله: «آسمعْ لكلِّ ما تقوله لك سارة، ولا تحزن على إسماعيل وأمّه هاجر، فأنا سأجعل نسلك من إسحق وإسماعيل يتكاثر كالنجوم.»

٢٠
إسماعيل في الصحراء
تكوين ٢١

وبكّر إبراهيم عندَ الفجر وأخذَ خبزاً وقربةَ ماءٍ، ووضعهما على كَتِفَي هاجر، ثمَّ أعطاها الصَّبيّ إسماعيل وصرفها من خيمتهِ، فتاهت هاجر في الصحراء من غير أن تعرف إلى أين. وبعدَ أيّام آنتهى الماء من القربةِ، وعطشَ الصَّبيّ كثيراً وأخذَ يبكي من شدّة العطش، فتركته أمّه تحت شجرةٍ وآبتعدت عنه قليلاً وهي تقول في نفسها: «لا أريد أن أرى ولدي يموت من العطش.» وفيما هي جالسة تنظرُ إليه من بعيد، صارت تبكي بصوتٍ عالٍ. وسمعَ الله صوت الصبّي إسماعيل، سمعه يبكي من العطش، فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: «ما لكِ، يا هاجر؟ لا تخافي، فالله سمع الصبيّ يبكي، قومي احمليه وخذيه بيده، فسأجعل منه أمّةً عظيمةً.»

ولمّا سمعتْ هاجر هذا الكلام نهضت وتطلعت حولها، فرأت بئر ماءٍ، فمضت إلى البئر، وملأت القربة بالماء وسقت الصَّبيّ، وخلّصته من الموت.

٢١

الإمتحان

تكوين ٢٢

ومرّةً أراد الله أن يمتحن إبراهيم، فقال له: «يا إبراهيم!» فأجابه: «نعم، ها أنا.» قال: «خذْ آبنكَ الوحيد إسحق الذي تُحبُّه كثيراً، واذهب إلى أرض المُرِيّا، وهناك قدّمه ذبيحةً لي على جبلٍ أدلُّكَ عليه.»

وفي صباح اليوم التّالي قام إبراهيم باكراً وجهّزَ حماره وحمّله حطباً للذبيحة، ثمّ أخذ آبنه إسحق واثنين من خدّامه وسار إلى الموضع الذي عيّنه الله له. وفي اليومِ الثالث من المسير رفع إبراهيم عينيه، فرأى المكان الذي عيّنه الله له من بعيد. فقال للخادمين اللّذين معه: «انتظرا أنتما هنا مع الحمار، بينما أنا والصّبيُّ نصعد إلى هناك، فنصلّي ونرجع إليكما.»

وأخذ إبراهيم حطب الذّبيحة ووضعه على آبنه إسحق، بينما هو حمل النار والسّكين بيده، وسارا معاً. وهنا التفت إسحق إلى أبيه وسأله: «يا أبي! معنا النار والحطب، فأين الخروف للذبيحة؟» فأجابه إبراهيم: «الله يُدبِّر الخروف يا آبني.» وتابعا المسير. ولمّا وصلا الى المكان الذي عيّنه له الله، بنى إبراهيم مذبحاً، ورتّب الحطب عليه ثمّ مدّ يده إلى آبنه إسحق، أمسك به، رَبَطهُ، ووضعه على المذبح فوق الحطب، وتناول السكّين ليذبحه. وفي هذه اللّحظة ناداه ملاك الرّبّ من السماء وقال: «إبراهيم، إبراهيم!» فأجابه: «نعم، ها أنا.» قال: «لا تَمُدَّ يدك إلى الصّبيّ ولا تفعل به شيئاً. الآن عرفت أنّك تخاف الله وتؤمن به، فلم تمنع عليّ آبنكَ الوحيد.» ولمّا سمع إبراهيم



هذا الكلام، رفع عينيه ونظر، فرأى وراءه خروفاً مربوطاً بِقَرْنَيْهِ، فتقدّم نحوه، وأخذه وقدّمه بدل آبنه ذبيحةً إلى الله.

وبعد أن قدّم إبراهيم ذبيحةً إلى الله ناداه ملاك الرّبّ ثانيةً من السماء وقال: «هكذا يقول الرّبّ لك، أنت لم تمنع آبنك الوحيد عليّ، بل كنت مستعداً أن تقدّمه ذبيحةً لي، لهذا سأباركك وأجعل نسلك كثيراً كنجوم السماء ورمال الشواطيء.»

وبعدما سمع إبراهيم هذا الكلام قام ورجع إلى خادميه ثمّ رجعوا كلّهم معاً إلى البيت.

٢٢
إختيار زوجة

تكوين ٢٤

وصار إبراهيم شيخاً، وتقدّم في السّن. فنادى أكبر خادم عنده وقال له: «أريدك أن تحلف لي بالرّبّ إلّه السماء وإلّه الأرض أن لا تجعل آبني إسحق يتزوّج امرأة من الكنعانيّين الذين أعيش معهم الآن، بل أن تذهب إلى أرضي التي جئتُ منها وإلى عشيرتي وتأتي بآمرأة من أهلي وتُزَوِّجُهُ إيّاها.» فقال له الخادم: «وماذا أفعل إذا رفضت المرأة التي أختارُها أن تأتي معي إلى هذه الأرض؟» فأجابه إبراهيم: «إذا رفضت المرأة التي تختارها أن تجيء معكَ، فأنا أعفيكَ من هذا الأمر. المهم أن لا تأخذ إسحق من هنا وتعودَ به إلى الأرض التي جئتُ أنا منها، فالرّبّ الذي أخرجني من بيت أبي وعدني بهذه الأرض التي أعيشُ فيها الآن.» فحلف الخادم لإبراهيم سيّده بتنفيذ ما أمره به.

وفي اليوم التالي أخذ الخادم عشرة من الجمال وسارَ إلى مدينة آسمها ناحور. وعندَ غروب الشمس، وصل إلى مكانٍ قريبٍ من ناحور، فأناخ جمالهُ عند بئرٍ من الماء هناك، وقال في نفسه: «يا ربُّ، وفّقني اليوم. ها أنا واقفٌ على عين الماء، وفي هذا الوقت تخرج بنات المدينة لتملأن الجرار بالماء، فالفتاة التي أطلب منها أن تسقيني من جرّتها، فتسقيني، وتسقي جمالي فيما بعد، هذه المرأة بالذّات تكون الفتاة التي أنت عيّنتها لعبدك إسحق.»

٢٣
رفقة زوجة لإسحق
تكوين ٢٤

ولمّا آنتهى من كلامه هذا، كانت رفقة تخرج من بيتها إلى عين الماء، وجرّتها على كتفها، وهي آبنة ناحور أخي إبراهيم. وكانت رفقة صبيّةً، جميلةَ المنظر، فنزلت إلى العين وملأت جرّتها وصعدت. وفيما هي تصعد لترجع إلى بيتها تقدّم الخادم إليها وطلب منها أن تسقيه ماءً من جرّتها. فأسرعت وأنزلت جرّتها عن كتِفها وسقته. ولمّا آنتهت من سقايته، قالت له إنّها تريد أن تسقي جماله أيضاً. فأسرعت وأفرغتْ ماء جرّتها في حوض الجمال وعادت إلى البئر لتملأ جرّتها ثانيةً وتفرغ الماء في الحوض. وهكذا ظلّت تعمل حتى شربت الجمال كلّها وشبعت. وفيما هي تسقي الجمال كان الخادم يتطلّع إليها ويتأمّلها صامتاً ليعرفَ إذا كان الله وفّقه في مهمّتِهِ أم لا.

ولمّا شبعت الجمال من شرب الماء وضع الرَّجُل في يديها سوارين من الذّهب وسألها: «بنتُ مَنْ أنتِ؟ أخبريني، هل في بيتكم مكان لأنام فيه؟» فأجابته: «أنا بنتُ ناحور.» وتابعت تقول: «عندنا كثير من التبن والعلف، أكلٌ للجمال، وعندنا مكان للنوم أيضاً.» فسجد الرَّجُل وقال: «تبارك الرّبّ، فهو قادني إلى بيت ناحور، أخي إبراهيم.»

وبعد ذلك أسرعت رفقة إلى أمّها وحكت لها ما جرى. وسمع أخوها لابان كلامها، فأسرع إلى الرّجل، ووجده عند العين مع جماله، فقال له: «لماذا تقف هنا في الخارج، فأنا جهَّزْتُ لك البيت ومكاناً للجمال.» فجاء بالرَّجل وأدخله البيت، وأعطاه ماء لغسل رجليه وأرجل الذين معه. ثمّ قدّم للجمال أكْلَها من التّبن.

ولمّا جاء وقت العشاء قال الرّجل: «لا آكل حتى أحكي لكم قِصّتي، ولماذا أنا عندكم هذه

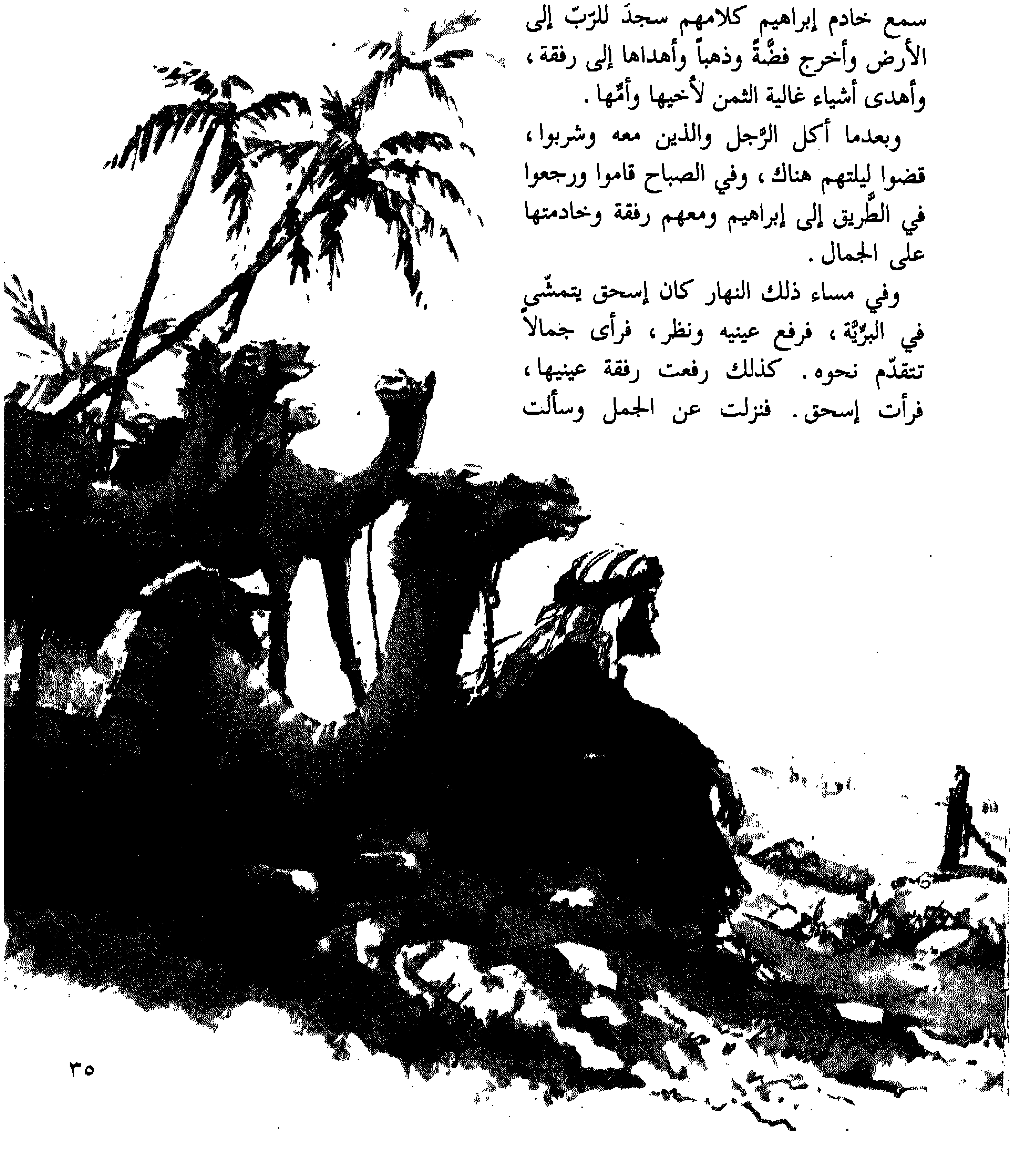


الليلة.» فقال له لابان أخو رفقة الذي جاء به من العين: «تكلّم.» وهنا حكى لهم الرَّجل حكايته من أوّلها إلى آخرها. وبعدما أنتهى من قصَّته، وقف لابان أخو رفقة، وقال له: «هذه رفقة أمامك. خذها واذهب وزوِّجها لإسحق، آبن سيِّدك إبراهيم، فيتمَّ ما قاله الرَّبّ.» فلمّا سمع خادم إبراهيم كلامهم سجدَ للرَّبّ إلى الأرض وأخرج فضَّةً وذهباً وأهداها إلى رفقة، وأهدى أشياء غالية الثمن لأخيها وأمِّها.

وبعدما أكل الرَّجل والذين معه وشربوا، قضوا ليلتهم هناك، وفي الصباح قاموا ورجعوا في الطَّريق إلى إبراهيم ومعهم رفقة وخادمتها على الجمال.

وفي مساء ذلك النهار كان إسحق يتمشّى في البرِّيَّة، فرفع عينيه ونظر، فرأى جمالاً تتقدّم نحوه. كذلك رفعت رفقة عينيها، فرأت إسحق. فنزلت عن الجمل وسألت الخادم: «من هذا الرَّجل القادم في البرِّيَّة نحونا؟» فأجابها: «هو سيّدي إسحق.» وتقدَّم الخادم إلى إسحق وحكى له كلَّ ما جرى له.

وبعدما استمع إسحق إلى كلام خادمه، تقدَّم إلى رفقة، وقادها إلى خيمة أمِّه سارة، ثمَّ تزوّجها وأحبّها كثيراً.



قصّة الحق بالوراثة

٢٤
مساومة يعقوب
تكوين ٢٥

كان إسحق آبن أربعين سنة حين تزوّج رفقة. وكانت رفقة عاقراً، لم تلد أبناء. فصلّى إسحق إلى الرّبّ حتى تلد زوجته رفقة أبناء. فآستجاب له الرّبّ. فحبلت رفقة بولدين فقال لها الرّبّ: «في بطنكِ ولدان، والولد الذي تلدين في الأوّل سيحكمه الولد الذي يأتي بعده، أي الولد الصغير سيحكم الولد الكبير.» ولمّا آكتملت أيّام حَبَلها، ولدت توأمين فكان الصبيُّ الأوّل، كثير الشّعر، فسمّوه عيسو، بينما الصبيُّ الثاني الذي وُلدَ بعدهُ، سمّوه يعقوب. وفي ذلك الوقت، كان إسحق آبن ستّين سنة.

وكبُر الصبيّان، فكان عيسو صيّاداً ماهراً ورجلاً يحبُّ البرّية، بينما يعقوب كان رجلاً هادئاً في طبعه، يُفضّلُ البقاء في الخيام. وكان إسحق يحب آبنه عيسو لأنّه كان يلتذّ بصيده، أمّا رفقة فكانت تفضّل يعقوب على أخيه عيسو.

ومرّةً طبخ يعقوب طعاماً طيّباً، فقال له عيسو العائدُ من الحقل، وكان شديد الجوع: «أطعمني، فأنا مَيّتٌ من الجوع.» فقال له يعقوب: «أنا أطعمكَ إذا تنازلت لي عن حقّك في الإرث.» فأجابه عيسو: «ما دمت سأموت فأنا لا أهتمّ بهذا الإرث.» فقال يعقوب: «آحلف لي أنّكَ ستعطيني هذا الحق.» فحلف له عيسو بذلك. وهنا أعطى يعقوب أخاه عيسو خبزاً وطبيخاً من العدس، فأكل وشرب، ثمّ قام وذهب، وهو لا يهتمّ بحقّه في الإرث.

٢٥
خدعة يعقوب
تكوين ٢٧

ولمّا صار إسحق شيخاً وضَعُفَ نظره دعا عيسو آبنه الأكبر وقال له: «يا آبني.» فأجاب: «نعم، أنا هنا.» فقال له: «صرتُ شيخاً كما ترى أنت، ولا أعرف متى أموت. فخذ عدّة الصّيد وآخرج إلى البرّيّة وتصيّد لي صَيْداً، وجهِّز لي طعاماً أحبّه، فآكل منه وأُباركك قبل أن أموت.»

وكانت رفقة تستمع في السرّ إلى هذا الكلام. فلمّا خرج عيسو إلى البرّيّة ليصطاد صيداً ويجيء به إلى أبيه، نادت رفقة آبنها يعقوب وقالت له: «سمعتُ أباك يطلب من عيسو أخيك أن يأتي له بصيدٍ يأكل منه، وبعد ذلك يباركه أمام الرّبّ ويعطيه إرث العائلة قبل موته. والآن، يا آبني، آسمع لكلامي واعملْ بما أوصيكَ به: اذهب إلى الماشية وارجع لي بجَدْيَيْن من الماعز، فأجهّزهما له طعاماً، فتأتي أنت وتحمل الطعام إلى أبيك، فيأكل ويباركك ويعطيكَ الإرث قبل موته.»

فقال يعقوب لرفقة أمّه: لكنّ عيسو كثيف الشعر وأنا رَجُل أملس خفيفُ الشّعر. ماذا لو لمسني أبي وآكتشف حقيقة الأمر وعرف أنّي يعقوب، لا عيسو؟» فقالت له أمّه: «ما عليك. اذهب وجئني بالجديين.» فذهب وجاء بهما إلى أمّه. فهيّأت طعاماً يحبّه أبوه. ثمّ أخذت رفقة ثياب عيسو آبنها الأكبر وجعلت يعقوب آبنها الأصغر يلبسُها، ثمّ غطّت يديه والجانب الأملس



من رقبته بجلد الماعز الكثيف الشّعْر، وناولته ما طبخت من الطعام حتى يقدِّمه إلى والده إسحق.

٢٦

رجوع عيسو

تكوين ٢٧

فحمل يعقوب الطعام وجاء إلى أبيه إسحق وقال: «يا أبي.» فأجابه والده: «نَعَم، مَنْ أنت يا ٱبني.» فقال له يعقوب: «أنا عيسو، أنا ٱبنك الأوّل وبكرُكَ. عملتُ كما أمرتني، قمْ ٱجلس، وكلْ من صيدي، وٱعطني بركتَكَ وٱجعلني رئيس العائلة ووريثها.» فتعجَّبَ إسحق وقال له: «وجدتَ صيدك بسرعة يا ٱبني!» فقال يعقوب: «الرّبّ إلٰهك وفَّقني.» وهنا قال والده: «تعال حتى أحسّكَ بأصابعي، يا ٱبني! فأعرف إذا كنت ٱبني عيسو أم لا.» فتقدَّم يعقوب إلى أبيه إسحق، فَجَسَّهُ بأصابعه، ثمَّ قال: «صوتُك مثلُ صوت يعقوب لكن يديك مثلُ يَدَي عيسو.» ثمَّ عاد

وسأله : «هل أنت حقّاً آبني عيسو؟» فأجابه : «أنا هو عيسو يا أبي .» فقال له أبوه : «قدّم لي من صَيدكَ ، يا آبني ، حتى آكل وأعطيك بركتي .» فقدّم له يعقوب ما طلب ، فأكل .

وجاءه بخمرٍ فشرب . ولمّا آنتهى من الأكل والخمر ، قال له إسحق : «تقدّم وقبّلني ، يا آبني .» فتقدّم يعقوب وقبّله ، وبعدما شمَّ رائحة ثيابه باركه وقال : «رائحتك ، يا آبني مثلُ رائحة حقل باركه الرّبّ . أرجو من الله أن يجعل أرضك خصبةً ، تشرب من ندى السماء ، فتفيض بالحنطة والثّمر . وحالما آنتهى إسحق من كلامه وخرج يعقوب من عنده ، رجع عيسو من الصَّيد فهيّأ الطعام ، وجاء به إلى أبيه وقال له : «قمْ ، يا أبي وكل من صيدي وباركني .» فسأله أبوه : «مَنْ أنت؟» فأجابه عيسو : «أنا آبنك الأكبر عيسو.» فآرتجف إسحق بشدّةٍ وقال : «مَنْ هو الذي صاد صيداً وجاء لي به ، فأكلت منه قبل أن تجيء وباركته؟» فلمّا سمع عيسو هذا الكلام ، صرخ عالياً صُراخاً مرّاً ، وعرف ما فعله أخوه يعقوب به ، وقال في نفسه : «سأقتل أخي يعقوب .» فعلمت رفقة بالأمر ، فدعت يعقوب وقالت له : «أخوك يريد أن يقتلك ، فقمْ وآهربْ إلى أخي لابان في أرض حاران ، وآبق عنده أيّاماً قليلةً حتى يهدأ غضبُ أخيكَ ، فأبعث وراءك وتعودَ إليّ .»



قصّة يعقوب

٢٧
حُلم يعقوب
تكوين ٢٨-٢٩

وخرج يعقوبُ إلى حاران، فوصل عند غياب الشمس إلى مكان أراد أن يقضي ليلته فيه. فأخذ حجراً، ووضعه تحت رأسه ونام. فحلم أنّه رأى سُلَّماً منصوباً بين الأرض والسماء، وملائكة الله تصعد وتنزل عليه. ورأى الله واقفاً على السلّم يقول له: «كلُّ هذه الأرض التي أنت نائم عليها أعطيها لك ولأبنائك. سأجعل أبناءك كثيرين كتراب الأرض، وها أنا سأبقى معك، أحرسُك في كلِّ مكانٍ تكون فيه، فأنا لا أتركك حتى أُحقِّق كل شيء وعدتُك به.»

وأفاق يعقوب من حُلمه وقال في نفسه: «الرّبُّ في هذا المكان، وأنا لا أعرف!» فنهض وأخذ الحجر الذي كان تحت رأسه ونصبه عموداً، وصبّ عليه زيتاً وقدّمه للرّبّ. ثمّ قال: «إذا كان الله في الحقيقة معي، يحفظني في هذه الطّريق إلى حاران، ويرجعني سالماً إلى بيت أبي يكون الرّبُّ لي إلّهاً.» ونهض يعقوب ومضى في طريقه إلى حاران، ونظر فرأى في البرّيّة بئراً وثلاثة قطعان من الغنم عندها لأن الرعاة كانوا يسقون القطعان من تلك البئر. ولمّا آقترب منهم يعقوب سألهم: «من أين أنتم، يا إخوتي؟» فقالوا: «من حاران.» ثمّ عاد وسألهم: «هل تعرفون لابان بن ناحور؟» فقالوا: «نعرفه، وهو بخير. وها راحيل آبنته مقبلةٌ مع الغنم.» وبينما هو يحادثهم وصلت راحيل مع غنم لابان أبيها، فلمّا رآها يعقوب عرف أنّها آتية لتسقي الغنم، فتقدّم إلى البئر ودحرج حجراً كبيراً كان يغطّيه وسقى الغنم، ثمّ اقترب من راحيل، وأخبرها أنّه قريب أبيها وأنّه آبن رفقة، فأسرعت راحيل إلى أبيها لابان وأخبرته بالأمر فلمّا سمع لابان بمجيء آبن أخته يعقوب أسرع إلى لقائه، قبّله وجاء به إلى بيته.

٢٨ خداع المُخادع

تكوين ٢٩ - ٣٠

وكان للابان آبنتان : آسمُ الكبرى ليئة وآسمُ الصُغرى راحيل. وكانت ليئة ضعيفة البصر، فلا ترى الأشياء واضحةً ، بينما كانت راحيل جميلةً . وبعد مدَّةٍ من الزّمن أحبّ يعقوب راحيلَ، فقال لأبيها لابان : «أنا مستعِدٌّ أن أخدمك سبع سنين إذا جعلتني بعد هذه المدَّة أن أتزوّج راحيل آبنتك .» فقال لابان : «أن تتزوّجها أنت أحسن من أن يتزوّجها غيرُكَ . فآبق عندي وآخدمني .» فبقيَ يعقوب عنده سبع سنين يخدمهُ ، وفي نهاية هذه المدَّة قال يعقوب للابان: «ها هي السّبع سنوات آنتهت ، فزوِّجني راحيل .» فتظاهر لابان أنَّه قبل طلب يعقوب ، فجمع أهل حاران ودعاهم إلى حفلة الزّواج المليئة بالطّعام اللّذيذ . لكن عند الغروب أخذ ليئة بدل راحيل إلى يعقوب . ولم يقدر يعقوب أن يعرف من هي . فلمّا طلع الصُّبح عرف يعقوب أنَّها ليئة ، لا راحيل . فسأل لابان : «ماذا عملت معك ؟ أما خدمتُكَ لأتزوّج راحيل ، فلماذا خدعتني ؟» فأجابه لابان : «في بلادنا لا تتزوّج البنت الصغرى قبل البنت الكُبرى ، أكملِ أُسبوع زواجك من ليئة ، فأعطيك راحيل أيضاً ، لكن شرط أن تخدمني سبع سنين أخرى .» فقبل يعقوب بهذا الشرط وتزوّج راحيل التي أحبّها أكثر من ليئة .

وعرف الرّبّ أن ليئة كانت مكروهة ، فجعلها تلد عدداً كبيراً من الأبناء أمّا راحيل فجعلها الله عاقراً ، لا تلد أبناء . ولمّا رأت راحيل أنَّها لم تلد أبناء ، غارت وحسدت



أُختها، فقالت ليعقوب: «أريد منكَ ولداً، وإلّا أموت!» فأجابها: «هل أنا قادر مثل الله؟ هو الذي حرمَكِ من الأبناء.» لكن أخيراً، وبعد انتظارٍ طويلٍ، سمع الله صلاةَ راحيل وجعلها تلد آبناً سمّته يوسف.

ولمّا ولدت راحيل يوسف قال يعقوب للابان: «أريد أن أعود إلى أرضي.» فقال له لابان: «إذا بقيت عندي، أعطيكَ ما تريد، فالرّبّ باركني بسببكَ.» فقال له يعقوب: «أبْقى شرط أن تعطيني كلّ ما هو مرقّط بالأبيض والأسود من الغنم والماعز عندَكَ.» فقبل لابان بهذا الشرط.

وصارت الغنم والماعز تلد كثيراً مما هو مرقط بالأبيض والأسود. فاغتنى يعقوب كثيراً. فقال له الرّبّ: «ارجع إلى أرض آبائك وأنا أكون معكَ.» فأرسل يعقوب ودعا راحيل وليئة إلى البرّيّة حيث كان يرعى الغنم، وقال لهما: «أرى أباكما تغيّر من جهتي، فلم يعد طيّباً معي كما كان في السابق، وأنتما تعرفان أنّي خدمته من كلّ قلبي، ورغم هذا، هو غدَر بي وغيّر اتفاقي معه مرّات عديدة. فقال لي ملاك الله في الحلم: «يا يعقوب! قمْ اخرج من هذه الأرض وارجع إلى الأرض التي ولدت فيها.» فأجابته راحيل وليئة: «اعمل ما قاله الله لك.» فقام يعقوب وحمل أبناءه وزوجاته على الجمال وساق كلّ ماشيته وقطعانه، وعاد إلى إسحق أبيه في أرض كنعان.

٢٩ المصارعة الغريبة

تكوين ٣٢

ومضى يعقوب في طريقه. ولمّا اقترب من أرض كنعان أرسل جماعةً يسبقونه إلى أخيه عيسو، وقال لهم: «قولوا لأخي عيسو: يقول لك أخوك يعقوب: عشتُ عند لابان حتى الآن، وصرت غنيّاً، فصار عندي غنم وخدّام وخادمات. فرأيت أن أرسل من يخبرك برجوعي راجياً أن أنال رضاكَ.»

فرجعت الجماعة إلى يعقوب وقالت له: «ذهبنا إلى أخيك عيسو، وأخبرناه بكلّ ما قلته لنا، فلم يرضَ عليك، بل هو قادم إليك ومعه أربع مئة رجل.»

ولمّا سمع يعقوب هذا الكلام خاف كثيراً، وقال: «أيّها الرّبّ، نجّني من يد أخي عيسو، فأنا أخاف أن يجيء فيقتلنا، أنا والأمّهات والأبناء. وأنت وعدتني أن تكون طيّباً معي وتجعل نسلي كثيراً كرمل البحر.» وقضى هناك ليلته. وفي الليل قام وأخذ زوجتيه وخادمتيه وأبناءه الأحد عشر وأرسلهم عبر الوادي مع كلّ ما كانَ يملك. أمّا يعقوب نفسه فبقي وحدَهُ في المكانِ ولم يذهب معهم، وبغتةً ظهر له رَجُل في الظُّلمةِ وبدأ يصارعه حتى طلوعِ الصبح. ولمّا رأى الرّجل أنّه لا يقدر أن يغلبَ يعقوب، ضربه على فخذه فخلعها، وعند الفجر قال له الرّجل: «دعني اذهب.» فأجابه يعقوب: «لا أدعك تذهب حتى تباركني.» فسأله: «ما آسمُكَ؟» أجابه: «آسمي يعقوب.» فقال له الرّجل: «من الآن يصير آسمكَ إسرائيل لأنّكَ غلبت الله والنّاس وبقيت صامداً، ولم تُغْلَب.» فسأله يعقوب: «وأنت؟ أخبرني من تكون!» فأجابه: «لماذا تسأل عن آسمي؟» ثمّ باركه ومضى من هناك.

وسمّى يعقوب ذلك المكان فَنيئيلَ، لأنّه رأى فيه الله وجهاً إلى وجه ونجا بحياته. وعند شروق الشمس كان يعقوب يعبر ذلك المكان وهو يعرج من فخذه.

٣٠ يعقوب يُلاقي عيسو ثانيةً

تكوين ٣٣

وبينما كان يعقوب في طريقه ، رفع عينيه ونظر ، فرأى عيسو آتياً على رأس أربع مئة رَجُل ، فخاف ، وبسرعة وزّع أولاده على ليئة وراحيل والخادمتين ، وضع الخادمتين وأولادهما في الصَّف الأمامي ، ثمَّ ليئة وأولادها في الصَّف الثاني ، وأخيراً راحيل ويوسف . أمّا يعقوب ، فتقدّم الجميع وسجد إلى الأرض سبع مرّات حتى اقترب من أخيه . فلمّا رآه عيسو أسرع إلى لقائه وضمّه إليه وبكيا معاً . ثمَّ التفت عيسو حوله فرأى النساء والأولاد ، فسأل أخاه يعقوب : «من هم هؤلاء؟» فأجابه : «هم أبنائي أعطاهم الله لي .» فتقدَّمت الخادمتان وأولادهما نحو عيسو وسجدوا . وهكذا فعلت ليئة وأولادها وأخيراً راحيل ويوسف .

وقال عيسو لأخيه يعقوب : «هناك ، في طريقي إليك ، صادفت كثيراً من الماشية ، وبين كلْ قطيع وقطيعٍ منها مسافة ، فماذا أردت من ذلك ؟» فأجابه : «أردت أن أهديها لك ، فأنال رضاك ، يا أخي .» فقال له عيسو : «عندي كثيرٌ منها يا أخي ، وما أنا بحاجةٍ إليها .» فردّ عليه يعقوب : «لا ، أرجو أن تقبل هديَّتي من يدي . فأنا رأيت وجهك وشعرتُ أنّي رأيت وجه الله ، خصوصاً أنّك رضيتَ عنّي .» فقبل عيسو هديَّة أخيه يعقوب .

وهنا أراد عيسو أن يرجع إلى أرضه ، فقال لأخيه يعقوب : «لِنعدْ معاً إلى أرضنا .» فأجابه يعقوب : «أولادي ضعاف ، والغنم والبقر في موسم الرّضاعة ، فإذا أتعبتها في السَّير هلكت كلّها وماتت . فاذهب أمامي يا أخي ، وأنا أمشي وراءك وألحق بك في أرض سعير .» فرجع عيسو في ذلك اليوم إلى سَعير ، وتبعه أخوه يعقوب فيما بعد ، ونزل في أرض آسمها سَكّوت حيث بنى له بيتاً ونصب لماشيته زرائب تبيتُ فيها .



الصّبيّ يوسف

٣١

مشاكل في البيت

تكوين ٣٧

وسكن يعقوب في أرض كنعان، وفي ذلك الوقت صار آبنهُ يوسف في السابعة عشرة من عُمره، وكان يوسف يذهب مع إخوته ليرعى الغنم، ويخبر أباه يعقوب عن مساوئهم. وكان يعقوب يحب يوسف أكثر من جميع أبنائه لأنّه وُلدَ في شيخوخته. فصنع له قميصاً ملوّناً وألبسه إيّاه. فلمّا شعرَ إخوته أنّ أباهم يحبّه أكثر منهم جميعاً، أبغضوه حتى أنّهم لم يعودوا يتكلّمون معه بلطفٍ ومحبّة. وما زادَ في بغضهم له هو حلم رآه يوسف مرّةً. فدعا إخوته وقال لهم: «آسمعوا هذا الحلم الذي رأيته. رأيت أننا نحزمُ الحصيد في الحقل، وبينما نحن نفعل ذلك، وقفت حزمتي فجأةً وآنتصبَت ثم تجمَّعَت حولها حُزَمَكُم وسجدت لها.» ولمّا سمع إخوته هذا الحلم فسّروه على أنّه سيتسلّط عليهم في يومٍ من الأيّام. فسألوه في غضب: «أتظنّ أنّك ستحكمنا وتتسلّط علينا في يومٍ من الأيّام؟» وزاد بغضهم له بسبب أحلامه وكلامه.





٣٢
حلم آخر
تكوين ٣٧

وبعد أيّام رأى يوسُف حُلماً آخرَ، فقصّه على إخوته وأبيه، فقال: «رأيت حلماً آخر، رأيت الشمس والقمر وأحدَ عشرَ كوكباً ساجدين لي.» فلمّا سمع إخوته وأبوه هذا الحلم، غضب عليه أبوه وانتهره وقال له: «ما هذا الحلُم الذي رأيته؟ أتظن أنّنا جميعاً أنا وأمُّكَ وإخوتكَ سنجيء ونسجد لك إلى الأرض؟» هذا الحلم أيضاً جعلَ إخوته يحسدونه ويبغضونه أكثر. أمّا أبوه يعقوب، فكان يحفظ هذه الأحلام في قلبه ويتأمّلها.

٣٣

في البئر

تكوين ٣٧

ومرّةً ذهب إخوةُ يوسف ليرعوا غنم أبيهم، لكنّهم تأخَّروا في العودة إلى البيت. ولمّا تأخّروا في العودة نادى يعقوب ابنه يوسف وقال له: «آذهبْ وفتّشْ عن إخوتكَ، وانظر كيف حالهم وحال الغنم، وارجع وخبّرني.» وذهبَ يوسف يُفتّش عن إخوته. وفيما هو تائه في الطَّريق التقى به رَجُلٌ وسأله: «عن أيّ شيء تُفتّش؟» أجابه يوسف: «أفتّش عن إخوتي، فهل تَعْرِفُ أين يرعون الغنم؟» فقال له الرَّجل: «راحوا من هنا، سمعتهم يقولون إنَّهم يذهبون إلى أرض دوثان.» ولمّا سمع يوسف كلامه أسرع وراءهم فوجدهم في دوثان.

وبينما كان يوسف يقترب من إخوتهِ شاهَدوه عنْ بُعدٍ، فأخذوا يتآمرون عليه ويفكّرون كيف يقتلونه. فقال بعضهم لبعض: «ها هو قادمٌ إلينا. تعالوا نقتله ونرميه في بئرٍ ونقولُ لأبينا إنّ وحشاً شرِساً هجمَ عليه وأكله.» لكن أخوه الأكبر رأوبين لم يوافق على هذا الرأي، فقال: «لا نقتله، بل نرميه في هذه البئر التي في البرّيَّة.» قال رأوبين هذا الكلام حتى يخلّصه ويردّه إلى أبيه.

فلمّا وصل يوسف إلى إخوته خلعوا عنه القميص الملوّن الذي صنعه له أبوه، وأخذوه ورموه في البئر، وكانت البئر فارغةً وخاليةً من الماء. ثمَّ جلسوا يأكلون طعامهم وهم يتلذّذون.



٣٤
في الطريق إلى مصر
تكوين ٣٧

وبينما هم يأكلون بشهيّة، رفعوا عيونهم فرأوا قافلةً طويلةً من الجمال مُحَمَّلَةً بالطِّيب والبلسم والمُرّ، وهي في طريقها إلى مصر، فقال يهوذا لإخوته: «ماذا نستفيد إذا قتلنا أخانا يوسف؟ بدّل أن نقتله، تعالوا نبيعه لهذه القافلة، فهو أخونا من لحمنا ودمنا.» فسمع له إخوته وعملوا كما قال لهم.

فأمسكوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوه لأصحاب القافلة بعشرين من الفضّة، وكان أصحاب القافلة من أبناء إسماعيل، فأخذوه وجاؤوا به إلى مصر.

أمّا الإخوة، فأخذوا قميص يوسف، وذبحوا تيساً من الماعز وغمسوا القميص بدم التّيس وأرسلوه إلى أبيهم وقالوا: «وجدنا هذا



القميص الملوّن ملطّخاً بالدّم، فهل هو قميص ٱبنكَ يُوسف؟» فنظرَ يعقوب إلى القميص، تفحّصَهُ وقال: «هذا قميص ٱبني. وحش شرسٌ هجم عليه وأكله. وحشٌ شرس هجمَ عليه ومزّقه تمزيقاً.»

ومزّق يعقوبُ ثيابهُ من الحزنِ، ولبسَ ثيابَ الحِداد حُزناً على ٱبنه أيّاماً عديدةً.

يوسُف العبد

٣٥

عبدٌ مسؤول

تكوين ٣٩

وبعد أن ٱشترى أبناء إسماعيل يوسفَ أخذوه معهم إلى مصر، وفي مصر باعوه إلى رجلٍ ٱسمه فوطيفار، وكان هذا الرّجل خادماً عندَ الملك فرعون وكان رئيس حرس القصر.

وكان الرّبّ مع يوسف، فجعله ينجح في كلِّ ما يعملُ. ورأى سيّده المصريّ أيضاً أن الرّبّ مع يوسف، وأن الرّبّ ينجّحه في كلِّ شيءٍ يعملُ، فأوكله على بيته، وجعلهُ مسؤولاً عنْ كلِّ شيءٍ يملكه، ومن ذلك الوقت باركَ الرّبّ بيت فوطيفار إكراماً ليوسف، وشملت بركةُ الرّبّ بيت فوطيفار وكلْ حقوله.

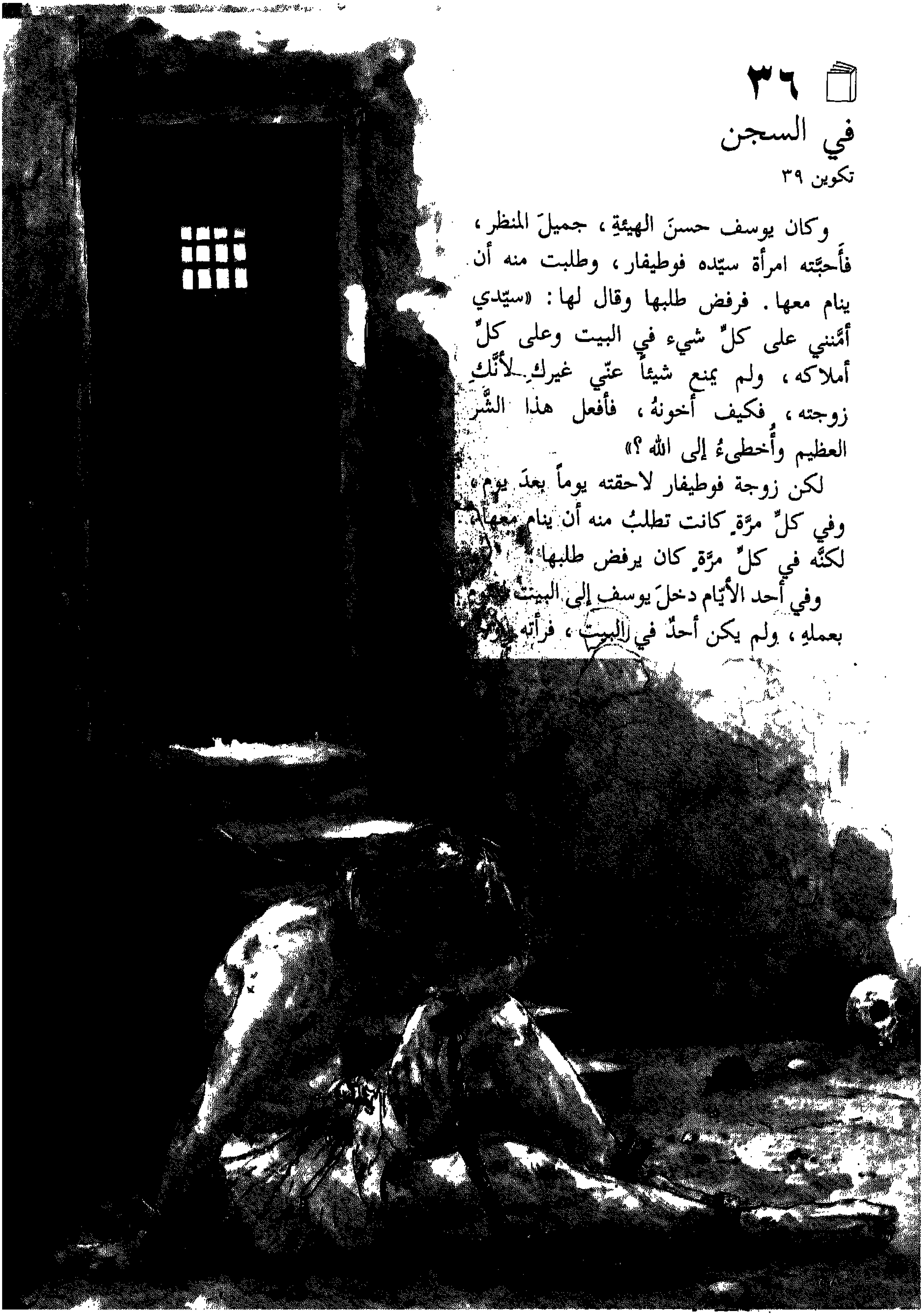


٣٦
في السجن
تكوين ٣٩

وكان يوسف حسنَ الهيئةِ ، جميلَ المنظر ، فأَحبَّته امرأة سيّده فوطيفار ، وطلبت منه أن ينام معها . فرفض طلبها وقال لها : «سيّدي أمَّنني على كلّ شيء في البيت وعلى كلّ أملاكه ، ولم يمنع شيئاً عنّي غيركِ لأنَّكِ زوجته ، فكيف أخونهُ ، فأفعل هذا الشَّر العظيم وأُخطىءُ إلى الله ؟»

لكن زوجة فوطيفار لاحقته يوماً بعدَ يوم ، وفي كلّ مرّةٍ كانت تطلبُ منه أن ينام معها ، لكنَّه في كلّ مرّةٍ كان يرفض طلبها .

وفي أحد الأيّام دخلَ يوسف إلى البيت [illegible] بعملهِ ، ولم يكن أحدٌ في البيت ، فرأته [illegible]



فوطيفار وعرَفتْ أنّه وحده، فتقدَّمت إليه وأمسكته بثوبه وأمرته أن ينامَ معها. فهربَ يوسف إلى الخارج بينما ثوبه ظلَّ في يدها. ولمّا حدث هذا، غضبتْ وصرختْ بأعلى صوتها: «انظروا! دخلَ هذا الرَّجل العبراني لينامَ معي، فصرختُ بأعلى صوتي، ولمّا سمعني أصرخُ بأعلى صوتي تركَ ثوبه عندي وهربَ.»

وأبقت المرأة ثوبَ يوسف بجانبها حتى جاء زوجها إلى بيته فحكت له الحكايةَ ذاتها، وكذبت عليه. فلمّا سمعَ زوجها كلامها غضبَ كثيراً، فألقى القبضَ على يوسف، وأخذه ورماه في الحصن المخصّص لمساجين الملك.

وفي السّجن كان الرّبّ مع يوسف، فجعل قائدَ السّجن راضياً عنه، فوكّله بجميع السُّجناء وأمورهم. وكان قائد السّجن لا يتدخّل بأيِّ شيء تحت إمرةِ يوسف، لأنّ الرّبّ كان معه، وكان ينجّحه في كلّ شيء يعمله.

٣٧ معنى الأحلام

تكوين ٤٠

وفي يومٍ من الأيّام أساء كلٌّ من رئيس السّقاة ورئيسِ الخبّازين إلى سيّدهما فرعون ملك مصر. فغضب عليهما وحبسهما في الحصن المخصَّصِ لمساجين الملك، حيث كان يوسف مسجوناً. فطلبَ رئيس الحرس من يوسف أن يعتني بهما، فاعتنى بهما مدَّة وجودهما في السّجن. ومرَّةً في ذات ليلة رأى كلٌّ من ساقي ملك مصر وخبّازه المحبوسين في السِّجنِ حُلماً. ولمّا دخلَ عليهما يوسف عندَ الصّبح رآهما حزينَيْنِ، فسألهما: «لماذا أنتما حزينان اليوم؟» فأجابا: «رأينا حُلُماً، ولا أحد يُفسّره لنا.» فقال لهما يوسف: «الله وحده قادر على تفسير الأحلام. فما هو الحلُم؟»

فحكى رئيس السُّقاةِ حلمه على يوسف، قال: «حلمتُ بكرمةٍ بين يديٍ، وفي الكرمةِ ثلاثةُ قضبانٍ، وحالما آخضرَّت، طلع زهرها وآستوت عناقيدها وصارت عنباً. وكانت كأس الملك فرعون في يدي فأخذتُ العنب الذي في الكرمةِ وعصرتُه في كأس فرعون وناولته إيّاها.» فقال له يوسف: «هذا تفسيرُ حلمكَ: الثلاثةُ قضبانٍ تعني ثلاثة أيّام. وبعد ثلاثة أيّام يُعيدك الملك إلى مركزك الذي كنت فيه وتُناولُ فرعون كأسه كعادتك في السّابق. لكنْ، متى عُدتَ إليه وحسُنَتْ حالتك عندَه تذَكّرني، وآذكرني له، فيُخرجُني من هذا السِّجن، لأنّي أنا هنا مرميّ في السِّجن من غير أن أفعل شيئاً.»

ولمّا رأى رئيس الخبّازين أن تفسير الحلم كان خيراً، تجرّأ وقال ليوسف: «حلمتُ أنا أيضاً بثلاث سلاّت ملآنةٍ بالخبز الأبيض، وحلمت أنّ في السلّة العليا طعاماً يحبّه فرعون، لكنَّ الطير يأكل هذا الطعام.» ولمّا آنتهى من حكايةِ حلمه قال له يوسف: «الثلاث سلاّت تعني ثلاثةَ أيّامٍ. بعد ثلاثةِ أيّام يرفع فرعون رأسك ويعلّق جسدَك على خشبةٍ، فيأتي الطَّيرُ ويأكل لحمك.»

وحدث كلّ ما قاله يوسف، إذ في اليومِ الثالثِ كان عيد مولدِ فرعون، فعملَ حفلةً لجميعِ خُدّامه، ودعا إليها رئيس السّقاة ورئيس الخبّازين. فردَّ رئيسَ السُّقاة إلى وظيفتهِ السّابقة، أمّا رئيسُ الخبّازين فأمر فرعون بشنقه وتعليقهِ على خشبةٍ، تماماً كما قال يوسف.

٣٨
السجين والملك
تكوين ٤١

وبعد مرور سنتين من الزّمان رأى فرعون



حلماً، رأى نفسه واقفاً على ضِفَّةِ النهر، فطلعت من النَّهر سبعُ بقراتٍ جميلةٌ سمينةٌ، وأخذت ترعى في المرج. ثمَّ طلعت وراءها من النَّهر ذاته سبع بقراتٍ بشعةٌ وضعيفةٌ، ووقفت إلى جانب البقرات الجميلة والسمينة وأكلتها. وبعدما رأى فرعون هذا الحلم فتح عينيه وآستفاق. لكن بعد وقتٍ قصيرٍ نعسَ ونام. وفي نومه رأى حلماً آخر، رأى سبعَ سنابل ممتلئةٍ بالقمح، ثمَّ رأى سبعَ سنابل نبتت بعدها، وكانت هذه السنابل التي نبتت بعدها ضعيفةً يابسة، فتقدّمت من السنابل الممتلئة وآبتلعتها.

وفي الصّباح قام فرعون من نومه، وكانت نفسه منزعجة بسبب الحلمين اللَّذين رآهما. فأرسل يطلب من يفسّرهما له، فلم يقدر أحد على ذلك. وهنا تذكّر رئيسُ السُّقاة يوسف. فتقدّم من الملك وقال له: «حين غضِبتَ عليَّ وعلى رئيس الخبّازينَ، حبستنا في سجن بيت رئيس الحرس. وفي ذلك السجن رأينا، أنا ورئيس الخبّازين حُلماً في ذات الليلة، وكان معنا هناك فتى من العبرانيّين يشتغلُ عند رئيس الحرس، فحكينا له ما حلمنا به، وللحال فسّر لكلٍّ واحدٍ منّا حُلمه، وتحقّق ما فسّره لنا بالفعل، فأرجعتني إلى وظيفتي وشنقت رئيسَ الخبّازين.»

ولمّا سمع فرعون هذا الكلام، أرسل وراء يوسف، فأسرعوا وجاؤوا به من السّجن، وبعدما حلق يوسف ذقنه ولبس ثياباً نظيفةً دخلَ على فرعون، وما إن رآه فرعون حتى قال له: «رأيتُ حلماً، وما من أحدٍ يقدر أن يفسّره، وسمعتُ أنّك أنت تفسّر الأحلام. فتعال، وفسّر هذا الحلم الذي رأيت.» فأجاب يوسف: «الله وحده يقدر أن يعطي القدرة على تفسير الأحلام.» ثمَّ حكى له فرعون قصّة الحُلمين.

ولمّا آنتهى فرعون من قصّة الحلمين، قال له يوسف: «الحلمان في الحقيقة حلمٌ واحد، فالسّبع البقرات الجيّدةُ والسّبعُ السّنابلُ الجيّدة، تعني سبع سنين من الشّبع، بينما السبع البقرات الضعيفة والسّبع السّنابلُ اليابسة تعني سبعَ سنينَ من الجوعِ الكبير.» ثمَّ تابع يوسف: «ستجيء سبعُ سنينَ من الشّبعِ العظيم في مصر، ثمَّ بعدَها تجيء سبعُ سنين من الجوع الكبير تُنسي المصريّين كلَّ ذلك الشّبعِ الذي كان في أرضهم. وهذا سيفعلُه الله عاجلاً وبسرعة.»



يوسف الحاكم

٣٩

رئيس الوزراء الجديد

تكوين ٤١

ولمّا انتهى يوسف من تفسير الحلم الذي رآه الملك فرعون، أراد أن يقدّم للملك نصيحةً تُجَنِّبُهُ الوقوع في الجوع، فقال يوسف: «على سيّدي الملك فرعون أن يعيِّن رجلاً فهيماً على أرض مصر، فيجمع خيرات السنين الآتية ويخزن القمح في المدن ويحفظه، فيكون الطَّعام متوفِّراً لسبع سنوات الجوع التي ستصيب أرض مصر، فلا يموت أهلُها من الجوع.»

ولمّا سمع فرعونُ هذه النَّصيحة، فرح كثيراً، فقال ليوسف: «لا أحد فهيمٌ مِثْلُك. وها أنا أجعلُك حاكماً على كلِّ أرض مصر.» وأخذ فرعون خاتمه من يده ووضعه في يد يوسف، ثمّ ألبسه ثياباً فخمةً، ووضع في عنقه سلسلة من ذهبٍ ووضع مركبته الملكيَّة تحت تصرّفه، يستعملها كما يريد وسلَّطه على كلِّ أرض مصر.

وأثمرت الأرض في سبع سنين الشّبع خيراً كثيراً. فجمعَ يوسف كلَّ محاصيلِ هذه السّنين وخزنها في المدن. فكان ما خزنه من المحاصيل بكثرةِ رمال البحر.

وانتهت سنوات الخير والشّبع في أرض مصر، وبدأت سنوات الجوع. فوقع جوعٌ في جميعِ البلدان إلّا في مصر، لأنَّه كان فيها كثيرٌ من الطَّعام المخزون. لكن عندما بدأ أهل مصر يجوعون صرخوا إلى فرعون يطلبون الخبز. فقال لهم فرعون: «اذهبوا إلى يوسف وافعلوا ما يقول لكم.» ولمّا اشتدَّ الجوعُ في مصر كلِّها فتح يوسف جميع المخازن وباع قمحاً للمصريّين. ثمَّ جاء النّاس من جميع البلدان إلى مصر حتى يشتروا قمحاً من يوسف، لأن الجوعَ كان شديداً في كلِّ مكان.



٤٠
طعام في مصر
تكوين ٤٢

وانتشر الجوع في أرض كنعان ، فلمّا عرف يعقوب أن القمح موجود في مصر ، قال لأبنائه : «سمعتُ أن القمح موجودٌ في أرض مصر ، فاذهبوا إلى هناك وآشتروا لنا قمحاً ، فنعيش ولا نموت من الجوع .»

فجاء أبناء يعقوب إلى مصر ليشتروا قمحاً ، لأنَّ الجوع كان شديداً لجميع الشعوب . ولمَّا وصلوا ، تقدّموا نحو يوسف وآنحنوا أمامه إلى الأرض من غير أن يعرفوه . أمّا يوسف فعرفهم . لكنّه تظاهر أنّه لا يعرفهم ، فسألهم بطريقةٍ جدّيَّةٍ : «من أين جئتم ؟» فأجابوه : «من أرض كنعان .» وتوقَّف يوسف قليلاً ، ثمَّ قال لهم : «أنتم جواسيس ، جئتم لتكتشفوا أماكن الضَّعف في بلادنا .» فقالوا له : «لا يا سيّدي ، نحن كلّنا إخوة ، نحنُ شرفاء ، لا جواسيس .» ثمَّ تابعوا : «نحن يا سيّدي آثنا عشر أخاً ، وأبناء رجلٍ واحد في أرض كنعان . أصغر واحدٍ فينا ظَلَّ عند أبينا ، أمّا الآخر فمات .» ولمّا سمع يوسف كلامهم ، قال لهم : «بل أنتم جواسيس .» وحبسهم ثلاثةَ أيّام .

وفي اليومِ الثالثِ قال لهم يوسف : «أنا رجلٌ أخافُ الله . افعلوا ما أقوله لكم ، فتبقوا أحياء ولا تموتون . اتركوا واحداً منكم في هذا الحبس أمّا أنتم الآخرون فآذهبوا ومعكم قمح يسدّ جوعكم ، ثمَّ ارجعوا مع أخيكم الصَّغير إليّ لأرى إذا كان كلامكم صحيحاً .» فوافق الإخوة على هذا الشَّرط .

وبعد أن وافقوا على هذا الشَّرط أمر يوسف رجاله أن يملأوا أكياس إخوته قمحاً ، ويردّوا مالَ كلِّ واحدٍ منهم إلى كيسه ، وأن يعطوهم زاداً للطَّريق يأكلونه ، ففعل الرِّجال كما أمرهم يوسف . وبعد هذا ، حملَ الإخوةُ قمحهم على حميرهم وساروا من هناك .

ولمّا وصلوا إلى أبيهم يعقوب في أرض كنعان أخبروه بكلِّ ما جرى لهم . ثمَّ أخذوا يفرغون أكياسهم . وبينما هم يفعلون ذلك ، وجد كلُّ واحدٍ منهم ماله في كيسه . ولمّا رأوا مالهم في أكياسهم ، هم وأبوهم يعقوب ، خافوا ، وقالوا فيما بينهم : «سيتَّهموننا أنّنا لصوص .»



٤١ رحلة بنيامين

تكوين ٤٣

واشتدَّ الجوع في أرض كنعان. فلمّا انتهى يعقوب وأبناؤه من القمح الذي جاؤوا به من مصر، قال لهم أبوهم: «ارجعوا إلى مصر واشتروا لنا طعاماً.» فأجابه ابنه يهوذا: «إذا أرسلتَ أخانا بنيامين معنا نزلنا واشترينا لك طعاماً، وإذا رفضت أن ترسله لا ننزل، لأن الرَّجل هناك قال لنا: «لا ترون وجهي إلّا إذا عدتم وأخوكم الصغير معكم.» وتابع يهوذا في كلامه لأبيه: «أرسل الصبيَّ معنا وأنا أتكفَّل بسلامته.»

فقال لهم أبوهم: «إذا كان لابدَّ من ذلك فافعلوا ما ترونه مناسباً. خذوا معكم أطيب الفاكهة، وشيئاً من البلسم، وشيئاً من العسل، ومسكاً وفستقاً ولوزاً، وأهدوها كلّها إلى الرَّجل. وخذوا فضّة، والفضَّة التي وجدتموها في أكياسكم ردّوها معكم، فربّما وقعت في أكياسكم بالخطأ. وخذوا أخاكم بنيامين وقوموا وارجعوا إلى الرَّجل.»

فأخذَ الإخوة هداياهم، وأخذوا الفضّةَ وبنيامين وقاموا ونزلوا إلى مصر وذهبوا إلى يوسف، فلمّا رأى يوسف بنيامين معهم قال لوكيل بيته: «أدخل هؤلاء الرِّجال إلى البيت واطبخ لهم طعاماً ليأكلوا معي عندَ الظهر.» فأدخلهم الرَّجل إلى البيت كما أمره يوسف. ولمّا دخلوا إلى البيت خافوا، وقالوا بعضُهم لبعض: «أدخلنا إلى بيته بسبب الفضَّة التي وجدناها في أكياسنا، فهو سيجعلنا عبيده وسيأخذ حميرنا.» فتقدّموا إلى وكيل بيت يوسف وحكوا له قصّة الفضَّة التي وجدوها في أكياسهم، وقالوا إنَّهم لا يعرفون من وضعها فيها. فأجابهم وكيل بيت يوسف: «لا تخافوا، إلٰهكم أعطاكم كنزاً في أكياسكم.» ثمَّ أخرج لهم أخاهم شمعون الذي أبقاه يوسف عنده وأدخلهم جميعاً إلى البيت وأعطاهم ماءً ليغسلوا أرجلهم وعلفاً لحميرهم.

ولمّا جاء يوسف إلى البيت قدّموا له الهدايا التي حملوها. فسألهم عن سلامتهم وسلامة أبيهم الشيخ. فقالوا له: «أبونا يا سيّدي في سلام وهو لا يزال حيّاً.»

ورفع عينيه إلى بنيامين أخيه الأصغر، وسألهم: «هل هذا أخوكم الصغير الذي ذكرتموه لي؟» ثمّ أسرع إلى الخارج، دخل غُرفَتَهُ وبكى. وبعد ذلك غسل وجهه وعاد إليهم وطلبَ من رجاله أن يقدّموا الطعام، وأجلس الإخوة قدّامه، كلّ واحدٍ حسب عمره، فتعجَّبوا كيف أنّه عرف أعمارهم. فأكلوا وشربوا معه.



٤٢
الكأس المفقود
تكوين ٤٤

وبعد أن أكلوا وشربوا، أمر يوسف وكيل بيته قائلاً: «املأ أكياسَ هؤلاء النّاس طعاماً وضعْ فضّة كلّ واحدٍ منهم في كيسه، هذا بالإضافة إلى فضّته التي جاء بها ثمناً للقمح، وَضَعْ كأسي الفضّية في كيس أصغرهم.» ففعل كما أمره يوسف.

ولمّا طلع الصبح انصرف الرّجال بحميرهم، وعندما ابتعدوا قليلاً عن المدينة، قال يوسف لوكيل بيته: «قمْ اذهب وراء هؤلاء الرّجال، وحين تلحق بهم، قلْ لهم: «لماذا سرقتم كأس الفضّة التي يشرب بها سيّدي؟»

فذهب الوكيل وراءهم، وعندما لحق بهم سألهم عن كأس سيّده، فأجابوه: «لماذا تتكلّم يا سيّدي هذا الكلام. فالفضّة التي وجدناها في أكياسنا حملناها ورددناها إليك من أرض كنعان، فكيف يمكننا أن نسرق من بيت سيّدك فضّةً أو ذهباً؟ إذا وجدت الكأس مع واحدٍ منّا فاقتله، ونحن نصير عبيداً عندك.» فقال لهم الوكيل: «حسناً، اتفقنا فليكن كما تقولون.» فأسرع كلّ واحدٍ منهم وأنزل كيسه إلى الأرض وفتحه. ففتّش الوكيل الأكياس كلّها مبتدئاً بالأخ الأكبر نزولاً حتى الأصغر، فإذا به يجد الكأس في كيس أصغرهم، بنيامين. فمزّقوا ثيابهم حزناً ووضع كل واحدٍ كيسه على حماره، ورجعوا إلى المدينة.



٤٣
اجتماع العائلة
تكوين ٤٥ - ٤٦

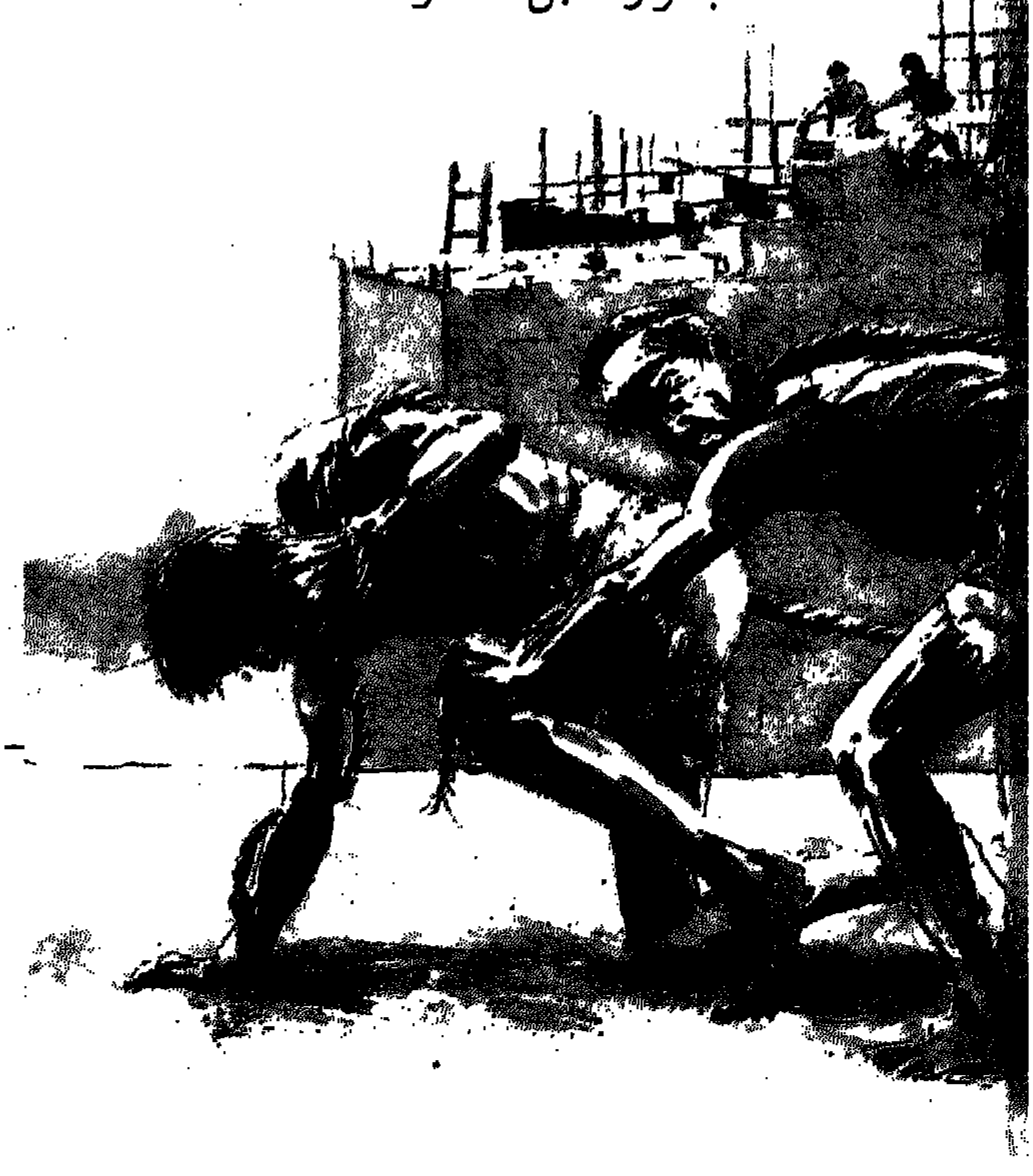
وفزع الإخوة عندما عرفوا أن الرَّجل الذي أمامهم هو أخوهم يوسف، فلم يقدروا أن يجيبوه من الفزع. فقال لهم يوسف: «لا تتأسَّفوا لأنّكم بعتموني، فالله أرسلني إلى هنا حتى أحفظ حياتكم من الجوع. والآن مضت سنتان من الجوع في الأرض، وبقي خمسُ سنواتٍ لا نفلح الأرض فيها ولا نحصدها. وها أنا اليوم جعلني الله عند فرعون مسؤولاً عن بيته وعن أرض مصرَ كلّها. فأسرعوا وارجعوا إلى أبي وقولوا له: «يوسف ما زال حيّاً، وهو يطلب منك أن تأتي إليه ولا تتأخر، وحين تأتي إليه تسكن أرض جاسان، فتكون قريباً منه أنت وأبناؤك وبنو أبنائك وغنمكَ وكلّ ما تملك، وهو يتكفَّل بمعيشتكَ هناك، لأنَّه ما زال هناك خمسُ سنواتٍ من الجوع، فلا تحتاج أثناءها إلى شيء، أنت وأهل بيتك وكلّ ما هو لك.»

وسمع فرعون بمجيء إخوة يوسف، فسرَّهُ الخبر. فدعا يوسف وقال له: «دع إخوتك يحمّلون حميرهم قمحاً ويذهبون إلى أرض كنعان، وبعد أن يصلوا إلى أرض كنعان دعهم يرجعون إلى هنا مع أبيهم وأهل بيوتهم، فأنا سأعطيهم أخصب أرضٍ في مصر حتى يأكلوا خيراتها.»



ففعل بنو يعقوب كما أمرهم فرعون، وأعطاهم يوسف مركباتٍ وطعاماً للطّريق، وأعطى كلّ واحدٍ منهم ثياباً فاخرةً، وأعطى بنيامين ثلاث مئة قطعةٍ من الفضّة وخمسة أثواب، كما أنّه أرسل إلى أبيه عشرة حمير محمّلةٍ من خيرات مصر، وعشرة حمير محمّلةٍ قمحاً وخبزاً وطعاماً يأكلها في طريقه إلى مصر. ثمّ صرف إخوته وطلب منهم أن يسرعوا، وألّا يتخاصموا في الطّريق.

فصعد إخوته من مصر وجاؤوا إلى أبيهم يعقوب في أرض كنعان، وقالوا له: «يوسف ما زال حيّاً، وهو مسؤول عن محاصيل أرض مصر كلّها.» فلمّا سمع يعقوب هذا الكلام جمد قلبه ولم يصدّقهم. لكن بعدما أخبروه بكلٍّ ما قاله يوسف، وبعدما رأى المركبات التي أرسلها يوسف لتنقله إلى مصر، فرح وانتعشت روحه، فقال لهم: «يكفيني أنّ ابني يوسف ما زال حيّاً، سأذهب وأراه قبل أن أموت.»



ورحل يعقوب إلى مصر بكلٍّ ما كان عنده. وفي الطّريق إلى مصر قال له الله: «لا تخف يا يعقوب، أن تنزل إلى أرض مصر، فسأجعلك أمّةً عظيمةً هناك.» ولمّا وصل يعقوب إلى مصر كان معه ماشيتُه وجميعُ أبنائه ونسله.

٤٤ مشاكل في مصر

خروج ١

وبعد سنواتٍ من الإقامةِ في مصر، مات يعقوب، ومات يوسف وإخوته. لكن بنو إسرائيل نموا وكثروا حتى امتلأت بهم أرض مصر.

ثمّ حكم مصر ملكٌ جديد، لا يعرف شيئاً عن يوسف، فقال لشعبه: «تطلّعوا صارَ بنو إسرائيل أكثر منّا، فإذا وقعت حرب ينضمّون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويأخذون أرضنا. فتعالوا نفتّش عن طريقةٍ تمنعهم من التكاثر.» فطلبوا من المشرفين على العمل والعمّال أن يحمّلوهم فوق قدرتهم من الأثقال. ولكنّهم كُلّما حمّلوهم فوق قدرتهم كانوا يتكاثرون وينتشرون حتى خاف المصريّون منهم.

فدعا ملكُ مصر امرأتين قابلتين تولّدان نساء العبرانيّين، وقال لهما: «عندما تولّدان نساء العبرانيّين عليكما أن تقتلا الطفل إذا كان ذكراً، وتبقيا على حياته إذا كان أنثى!»

وكانت المرأتان القابلتان تخافان الله، فلم تفعلا كما أمرهما ملك مصر، بل أبقيتا على حياة الذّكور. فكثُر بنو إسرائيل وزادوا أهميّةً وعظمةً. فأمر فرعون جميع شعبه أن يرموا في النّهر كل ذكرٍ يولد لبني إسرائيل ويبقوا على حياة كلٍّ أنثى تولد لهم.

حكاية موسى

٤٥

الطفل الذي عاش

خروج ٢

وفي تلك الأيّام عاش رجل آسمه عمرام، فتزوّج هذا الرّجل امرأة آسمها يوكابد، فحبلت يوكابد وولدت آبناً. ولمّا تطلّعت إليه ورأته حسن المنظر أخفته ثلاثة أشهر.

وحين شعرت أنّها لا تقدر أن تخفيه أطول من هذه المدّة، أخذت سلّة من القصب ودهنتها بمادة القطران والزّفت ووضعت الولد فيها وتركتها بين نبات الخيزران على حافة النهر. وفي هذا الحين ظلّت أخت الطفل تراقبه من بعيد لترى ما يحدث له. وفيما هي تراقبه رأت آبنة فرعون تنزل إلى النهر لتغتسل فيه، بينما خادماتها يتمشّين جانب النهر. وتلفّتت بنت



فرعون ، فرأت السّلة بين نبات الخيزران ، فأرسلت خادماتها لتأخذها . ولمّا فتحت خادماتها السّلة رأت فيها صبيّاً يبكي . فأشفقت عليه وقالت : «هذا الطفل من أبناء العبرانيّين .» ولمّا رأت أخته ما يجري تقدّمت من بنت فرعون وسألتها : «هل تريدين أن أذهب وأدعو لك امرأة عبرانيّة لترضع الطفل ؟»

فأجابتها بنت فرعون : «اذهبي» . فذهبت ودعت أمّها يوكابد ، أي أمَّ الطفل . وحالما وصلت أمّ الطفل قالت لها بنت فرعون : «خذي هذا الطفل وأرضعيه ، وأنا أعطيك أجرتك .» فأخذت المرأة الطفل إلى بيتها وبدأت ترضعه . ولمّا كبر جاءت به أمّه إلى بنت فرعون ، فتبنّته وسمّته موسى .



٤٦

أمير مصر

خروج ٢

ومضت سنوات، صار موسى شاباً، فخرج يوماً من الأيّام يتجوّل بين بني قومه العبرانيّين ليطّلع على أحوالهم. وبينما هو يتجوّلُ رأى رجلاً مصريّاً يضرب رجلاً عبرانيّاً من بني قومه. فتوقّف، والتفت يميناً وشمالاً، فلم يرَ أحداً، فهجم على المصريِّ وقتله ودفنه في الرمل.

وخرج موسى في اليوم الثاني يتجوّلُ فرأى رجلين عبرانيَّين يتقاتلانِ فقال للمعتدي: «لماذا تضرب واحداً من قومِك؟» فأجابه: «من عيّنك حاكماً علينا؟ هل تريد أن تقتلني كما قتلت المصري؟» ولمّا سمع موسى ما قاله الرّجل خاف، وعرف أن خبر قتله الرّجل المصريّ صار منتشراً. وسمع الملك فرعون بهذا الخبر، فغضب وحاول أن يقتل موسى، لكن موسى هرب من وجه فرعون وذهب إلى أرض مديان، وفي أرض مديان وجد بئراً، فجلس عندها.

٤٧

موسى يساعد بنات الراعي

خروج ٢

وكان في مديان كاهنٌ له سبعُ بنات. فجئْنَ في ذلك الوقت إلى البئر التي جلس عندها موسى وبدأنَ يأخذن منها ماء ويملأن الأحواض حتى يسقين غنم أبيهنّ. وبينما هنّ يفعلن ذلك، جاء الرّعاة وطردوهنّ، فقام موسى إلى مساعدتهنّ وسقى غنمهنّ. فلمّا انتهين، رَجَعْنَ إلى أبيهنّ، فسألهن: «لماذا رجعتنّ اليوم باكراً؟» فقلْنَ له: «هاجمنا



الرعاة، فأنقذنا رجلٌ مصريّ منهم، وفوق ذلك، ملأ لنا الأحواض وسقى لنا الغنم.» فسأل بناته: «وأين هذا المصريّ؟ اذهبن وادعوَنّه إلى العشاء ليأكل معنا.»

وقَبِلَ موسى الدّعوة فجاء وأقام عند الكاهن وتزوّج آبنته صفّوره. فولدت له آبناً سمّاه جرشُوم.

وبعد ذلك بأيّام كثيرةٍ مات ملك مصر. وكان بنو إسرائيل في ضيقٍ عظيم، فصرخوا إلى الله حتى يخلّصهم من عبوديّتهم. فسمع الله إليهم وتذكّر وعده لإبراهيم وإسحق ويعقوب.

٤٨
الله يدعو موسى

خروج ٣ - ٤

وفي يومٍ من الأيّام كان موسى يرعى غنم كاهن مديان، فساق الغنم في البرّيّة حتى وصل إلى جبلِ الله وآسمه حوريب. فظهر له ملاك الرّبّ في نارٍ تصعدُ من وسطِ علّيقةٍ. وتطلّع موسى، فرأى العلّيقة تشتعلُ في النّار وهي لا تحترق. فقال في نفسه: «سأقترب من هذه العلّيقة لأرى هذا المنظر العظيم. ما بال العلّيقة لا تحترقْ؟» ولمّا آقترب منها ناداه الرّبّ من وسطها: «موسى، موسى.» فأجاب: «نعمْ.» فقال له الرّبّ: «لا تقترب إلى هنا. اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدّسةٌ.» وأضاف الرّبّ: «أنا إلّه آبائك: إلّه إبراهيم وإسحق ويعقوب. نظرت إلى آلام شعبي بني إسرائيل في مصر، وسمعتُ صراخهم وعلمتُ بعذابهم فنزلت لأخلّصهم من أيدي المصريّين وأخرجهم من تلك الأرض إلى أرض جيّدة وسيعة تعطي لبناً وعسلاً. فتعال، أرسلك إلى الملك فرعون لتخرج بني إسرائيل من مصر.»

ولمّا سمع موسى كلام الرّبّ، قال له: «ومن أنا حتى أذهب إلى فرعون وأخرج بني إسرائيل



من مصر؟» فأجابه الرّبّ: «أنا معكَ، وها أنا أعطيكَ علامةً. عندما تخرج شعبي من مصر تجيئون وتعبدونني هنا على هذا الجبل.» فقال موسى للرّبّ: «إذا ذهبتُ إلى الشعب وقلت لهم إن إله آبائكم أرسلني إليكم، ولم يصدّقوني، فماذا أفعل؟» أجابه الرّبّ: «ما هذه التي في يدكَ؟» قال: «عصاً.» قال له الرّبّ: «ألقها على الأرض.» فألقاها موسى على الأرض فصارت حيّة. فهرب منها. فقال له الرّبّ: «أعطيكَ القدرة على أن تصنع أمامهم العجائب، فيصدّقوك.» فعاد موسى وسأله: «لكن يا ربّ، أنا بطيء الكلام وثقيل اللسان. فلماذا لا ترسل واحداً غيري.» فغضب الرّبّ على موسى وقال له: «أرسل أخاك هرون معك، فهو فصيح اللسان وأنا أعينكما على ما تقولان وتفعلان. ولا تنسَ أن تأخذ معك هذه العصا، فَبِها تصنع العجائب.»

فرجع موسى إلى كاهن مديان وقال له: «دعني أرجع إلى بني قومي في مصر لأرى إذا كانوا أحياء.» فأجابه الكاهن: «اذهب بسلام.» وفي مديان قال الرّبّ لموسى: «ارجع إلى مصر، لأن الذين يريدون قتلك هناك ماتوا.» فأخذ موسى امرأته وولديه وأركبهم الحمير ورجع إلى مصر، ومعه عصا الله.

وفي مصر جمع موسى وهرون شيوخ بني إسرائيل كلّهم وقال لهم هرون كل ما قاله الرّبّ لموسى. ثمّ صنع موسى العجائب أمام عيونهم، فآمنوا أن إله آبائهم أرسله إليهم. ولمّا سمعوا أن إله آبائهم تذكّرهم ورأى عذابهم ركعوا وسجدوا.



موسى وملك مصر

٤٩

الملك يقول «لا»

خروج ٥

وبعد ذلك دخل موسى وهرون على الملك فرعون وقالا له: «إن الرّبّ إلٰهك يطلب منك أن تجعل شعبه يذهب إلى البرّيّة حتى يعيّدوا له.» فأجابهم فرعون: «ومن هو هذا الرّبّ حتى أطيعه؟ أنا لا أعرفه ولا أطيعه، ولا



أدع بني إسرائيل يذهبون إلى البرّيّة ليعيّدوا له.» فقالا: «إلٰه العبرانيّين قابَلَنا، وطلب منّا أن نسير في البرّيّة مدّة ثلاثة أيّام، ثمّ نقدّم له الذبيحة، وإلّا فإنه سيعاقبنا بالمرض أو بالموت.» فقال لهم ملك مصر: «لماذا تعطّلان شعبكما عن العمل؟ اذهبا وأعيداهم إلى أشغالهم.»

وفي ذلك اليوم أمر فرعون المشرفين على العمّال أن يعاملوا بني إسرائيل بقساوة، فقال لهم: «لا تعطوا بني إسرائيل بعد اليوم تبناً ليصنعوا اللّبن، بل دعوهم يذهبون بأنفسهم ليجمعوا التبن. وأجبروهم أن يصنعوا الكميّة ذاتها من اللّبن التي كانوا يصنعونها من قبل عندما كنتم تقدّمون لهم التّبن.

وعمل المشرفون على العمّال ما أمرهم به فرعون. وكانوا يضربونهم ويقولون لهم: «ما بالكم قصّرتم البارحة واليوم في صناعة اللّبن؟» وجاءت جماعة من عمّال بني إسرائيل إلى فرعون واشتكوا وقالوا: «لماذا تفعل بنا هكذا؟» فأجابهم فرعون: «أنتم كسالى، لا تحبّون العمل. فانصرفوا إلى أشغالكم.» وفيما هم يخرجون من عند فرعون، صادفوا موسى وهرون وقالوا لهما: «الرّبّ يجازيكما على ما فعلتما. أفسدتما سُمْعَتَنا عند فرعون ورجاله، وأعطيتما لهم الحجّة ليقتلونا.»

ولمّا سمع موسى هذا الكلام، رجع إلى الرّبّ وقال: «يا ربّ، لماذا أسأت إلى شعبكَ؟ فمنذ دخلتُ على فرعون لأتكلّم بآسمك، بدأ يسيء إليهم، وأنت لا تعمل شيئاً لإنقاذهم.» فقال الرّبّ لموسى: «سترى الآن ما أفعل بفرعون. بيدي القويّة سأجعله يخرجهم إلى البرّيّة ويطردهم من أرضه.»

٥٠

ضفادع، ذباب وبرد

خروج ٧ - ١٠

وقال الرّبّ لموسى وهرون: «اذهبا إلى فرعون وآطلبا منه أن يسمح لبني إسرائيل بالخروج من أرضه. وإذا قال لكما إنّه يريد عجيبةً، يأخذ هرون عصاه ويلقيها أمام فرعون، فتصير حيّة.» فدخل موسى وهرون على فرعون. ولمّا طلب فرعون منهما عجيبة ألقى هرون عصاه أمام رجاله، فصارت حيّة. فدعا فرعون جميع السّحرة في مصر وطلب منهم أن يعملوا كما عمل هرون فجاء السّحرة وألقى كلٌّ واحدٍ منهم عصاه، فصارت كلّ عصاً حيّة عظيمة. ولكن عصا هرون هجمت على بقيّة العصي وبلعتها، فزاد قلب فرعون قسوة على بني إسرائيل. وقال الرّبّ لموسى: «قلْ لهرون أن يأخذ عصاه ويمدّها فوق مياه المصريّين وأنهارهم وسواقيهم وبركهم وأحواضهم فتصير دماً كلّها.» ففعل موسى وهرون كما أمر الرّبّ: رفع هرون العصا وضرب الماء الذي في النهر أمام فرعون وجميع رجاله، فانقلب ماء النهر دماً، فلم يقدر المصريّون أن يشربوا من مائه. ولمّا رأى فرعون ما حدث أمام عينيه زاد قلبه قساوة على بني إسرائيل. وقال الرّبّ لموسى: «قلْ لهرون أنْ يمدّ عصاه على الأنهار والسواقي والبرك ويطلّع الضفادع منها على أرض مصر.» فمدّ هرون عصاه إلى مياه مصر، فطلعت الضفادع وغطّت وجه الأرض. وبعد هذه العجيبة دعا فرعون إليه موسى وهرون وقال: «اطلبا من الله أن يرفع الضفادع عنّي وعن شعبي، فأُطلِق شعبكما إلى البرّيّة ليقدّموا ذبائح للرّبّ.»

ولمّا خرج موسى وهرون من عند فرعون طلبا من الرّبّ أن يزيل الضفادع التي أنزلها على فرعون. فاستجاب الله لهما، وماتت الضفادع من البيوت والدّور والحقول. وعندما رأى فرعون أن الضفادع كلّها ماتت، قسّى قلبه، وتراجع عن وعده لهما.

وقال الرّبّ لموسى: «قلْ لهرون أن يمدَّ عصاه ويضرب بها تراب الأرض، فيصير التراب كلّه بعوضاً في كلّ مصر.» وفعل هرون ذلك، فصار كلّ تراب الأرض بعوضاً. وحاول السحرة في مصر أن يقضوا على البعوض، فلم يقدروا. فقالوا: «هذا كلّه من الله.» واشتدّ قلب فرعون قساوةً على بني إسرائيل.

وهكذا أنزل الرّبّ الإله ضرباته على فرعون وشعبه، الواحدة بعد الأخرى، فأرسل عليهم الذّباب، وضرب مواشيهم، وأصاب بالدمامل أجسادهم، وأنزلَ البَرَد على الأرض ونشرَ الجراد، والظلام مدّة ثلاثة أيّام، ولمّا رأى



فرعونِ هذه الضربات كلّها ، دعا إليه موسى وقال له : «آذهبوا إلى البرّيّة واعبدوا الرّب إلٰهكم أنتم ونساؤكم وأطفالكم ، أمّا مواشيكم ، فتتركوها هنا في مصر .» فقال له موسى : «كلاّ ، لا نرضى بذلك ، بل نأخذ كلّ مواشينا معنا ، ولا يبقى منها هنا رأس واحد ، لأنّنا نقدّم منها ذبائح للرّبّ إلٰهنا .» فغضب فرعون وقال لموسى : «اذهب عنّي ، إيّاك أن ترى وجهي بعد اليوم .» فقال له موسى : «حسناً قلت . لن أرى وجهك بعد اليوم .»

٥١
القصاص الأخير
خروج ١١

وقال الرّبّ لموسى : «بقيت ضربة أخيرة أنزلها على فرعون والمصريّين ، وبعد ذلك يطلقكم ، بلْ يطردكم ولا يبقى واحد منكم هنا .» وجاء موسى إلى فرعون وقال له : «قال الرّبّ : سأمرّ عند نصف الليل على أرض مصر ، فيموت كل مخلوق بكرٍ فيها ، من بكرِ فرعون الجالس على العرش إلى بكر الخادمة الجالسة وراء حجر الطحن . ويموت أيضاً جميع أبكار البهائم والمواشي ، ويرتفع في أرض مصر كلّها صراخ عظيم ، لم يكن مثله من قبل ولا يكون مثله من بعدُ ، أمّا في بني إسرائيل فلن يحدُثَ شيء من هذا ، لتعرفوا أنّ الرّبّ يميّز بين المصريّين وبين بني إسرائيل .»

وختم موسى كلامه إلى فرعون بقوله : «هكذا يقول الرّبّ : سوف يجيء إليَّ جميع رجالك ويسجدون لي ويرجونني أن أخرج مع جميع شعبي .» قال موسى هذا الكلام وخرج من عند فرعون بغضبٍ شديدٍ.



٥٢
عيدُ الفصْح
خروج ١٢

وقال الرّبّ لموسى وهرون وهما في أرض مصر : «هذا الشهر يكون أوّلَ شهرٍ عندكم في السنة . فأخبرا جميعَ بني إسرائيل أن يأخذ كلّ واحدٍ منهم في العاشر من هذا الشهر خروفاً أو جدياً كلٌّ واحدٍ حسب قدرته ، ويذبحه عند المساء ، ويأخذ من دمه ويرشّه على جانبي الباب وعتبته العليا ، وحين ينتهي من أكله ، عليه أن يكون حاضراً للرحيل عن هذه الأرض ، فيكون حزامه مشدوداً ، وحذاؤه في رجله وعصاه في يده فهذا هو فصحُ الرّبّ . فأنا سأعبر أرض مصر في تلك الليلة وأقتل فيها كلّ مولودٍ بكرٍ من النّاس والبهائم ، وأنزل قصاصي بجميع آلهة المصريّين . والدّم الذي على بيوتكم يكون لي علامةً ، فأراه وأعبر عنكم ولا أقضي عليكم حين أنزل الضربات والمصائب بأرض مصر . فيبقى هذا اليوم في ذاكرتكم ولا تنسونه ، وتعيّدونه للرّبّ مدى الأجيال .»



الهرب من مصر

٥٣

الوداع !

خروج ١٢

ودعا موسى جميع شيوخ الشعب وطلب منهم أن يعملوا كما أمره الرّبّ ، فعملوا ذلك . وعند نصفِ الليل قام الرّبّ وقضى على كلِّ مولودٍ بكرٍ في أرض مصر ، قضى على بكرِ فرعون الجالس على العرش نزولاً حتى بكرِ الرَّجل الأسير في السجن ، كما أنَّه ضرب جميع أبكار البهائم والمواشي ، فأفاق فرعون من النّوم هو وجميع رجاله وبقيَّة المصريّين ، وارتفع صراخٌ عظيمٌ في مصر ، فكان في كلِّ بيت مَيْتٌ . فدعا فرعون إليه موسى وهرون في الليلة ذاتها ، وقال لهما : «قوما اخرجا من هذه الأرض ، أنتما وبنو إسرائيل ، وآذهبوا وآعبدوا الرّبّ كما تريدون . ولا تنسوا أن تأخذوا غنمكم وبقركم ، ولا تبقوا عندي أبداً .»

وطلب المصريُّون من بني إسرائيل أن يسرعوا في الرَّحيل حتى لا يموتوا كلّهم . فحمل بنو إسرائيل عجينهم قبل أن يتخمَّر ويصير صالحاً للخبز ، فكانت معاجنهم مصرورة في ثيابهم وعلى أكتافهم . كما أنَّهم طلبوا من المصريّين فضَّةً وذهباً وثياباً ، فأعطاهم المصريُّون كما طلبوا حتى يتخلَّصوا منهم بأسرع ما يمكن .

ورحل بنو إسرائيل من أرض مصر ، وكان عددهم حوالى ست مئة ألف رَجُل ، ما عدا النساء والأطفال . ورحل معهم كثيرٌ من الغرباء ، وكثير من الغنم والبقر والمواشي . وكانت مدَّة إقامة بني إسرائيل في مصر أربع مئة وثلاثين سنة .



٥٤

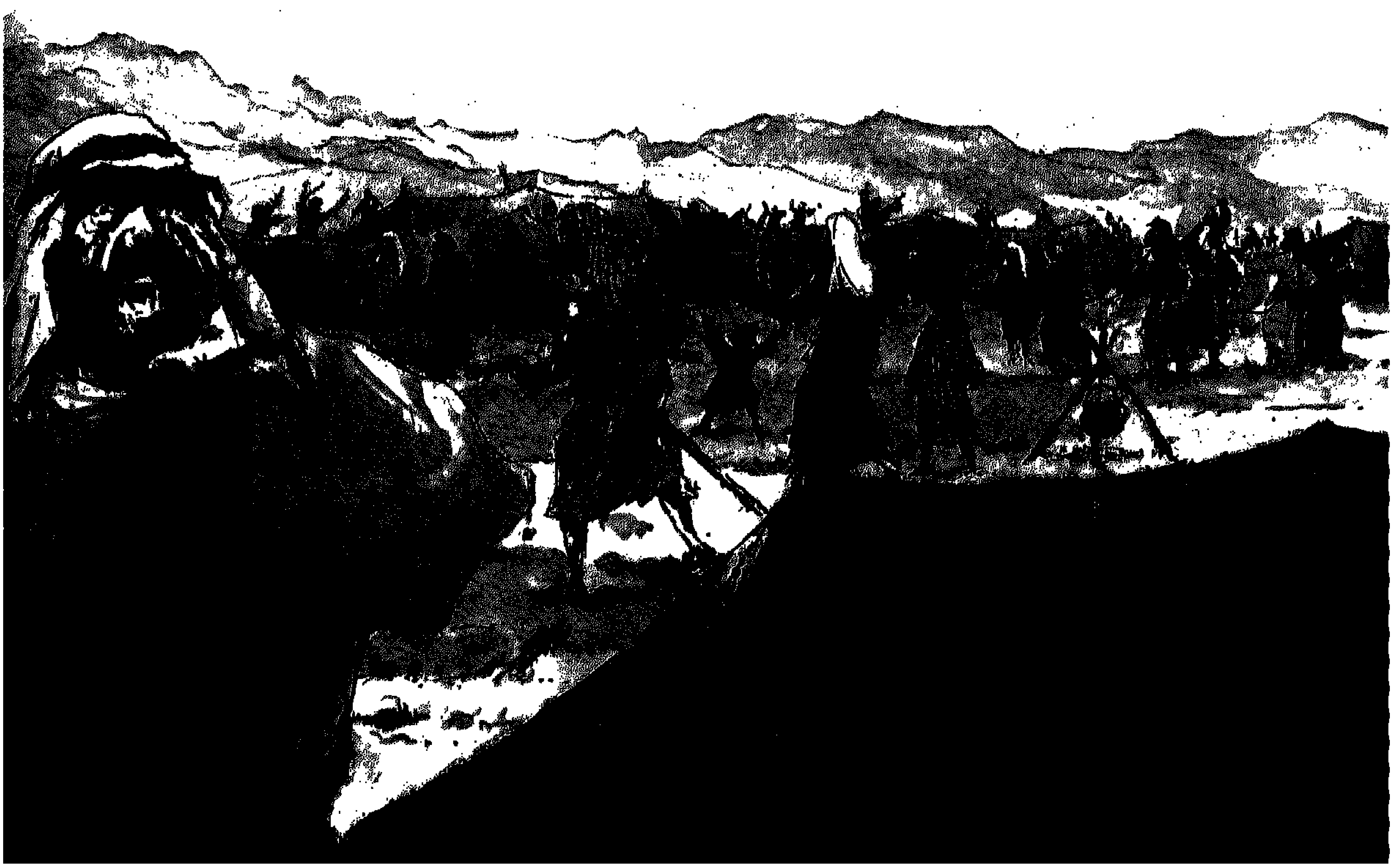
الرّبّ يقودهم

خروج ١٣ - ١٤

ولمّا ترك فرعون الشعب يرحلون ، رأى الله أن لا يقودهم في طريق أرض الفلسطيّين (وهم شعب قدموا من جزيرة كريت ،) لأنّه خاف أن يتحاربوا معهم فيرجعون إلى مصر .

وفي رحيلهم كان الرّبّ يسير معهم نهاراً في عمود من السحاب ليدلّهم على الطّريق ، وليلاً في عمود من نار ليضيء لهم . واستمرّوا في الرّحيل نهاراً وليلاً . وكان عمود السحاب في النّهار وعمود النّار في الليل لا يختفيان من أمامهم .

وقال الرّبّ لموسى : «قلْ لبني إسرائيل أن يتّجهوا نحو البحر . فيظنّ فرعون أنّهم تائهون في البرّيّة ، فأقسّي قلبه وأجعله يتبعهم ، وحين يتبعهم أقضي نهائيّاً عليه وعلى جنوده ، فيعلم المصريّون أنّي أنا هو الرّبّ .» ففعل بنو إسرائيل كما قال الرّبّ لهم .



٥٥
«عودوا أيها العبيد!»
خروج ١٤

ولمّا سمع فرعون ملك مصر بأن بني إسرائيل رحلوا عن أرض مصر، تغيّر رأيه ورأي رجاله وقالوا: «ماذا عملنا؟ لماذا تركنا بني إسرائيل يرحلون؟ فمنْ يخدِمنا بعدهم؟» فجهّز فرعون مركبته وقاد جيشه ومعه ست مئة مركبة بجميع قادتها وتبع بني إسرائيل ولحق بهم عند البحر. ولمّا اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم، فرأوه يتبعهم فخافوا جدّاً وصرخوا إلى الرّبّ، وقالوا لموسى: «ألا يوجد في مصر قبور حتى جئت بنا إلى هذه البرّيّة لنموت فيها؟ ماذا عملت بنا، فأخرجتنا من مصر؟ أما قلنا لك في مصر أن تتركنا هناك نخدم المصريّين، لأن خدمتنا لهم أحسن من أن نموت في هذه البرّيّة؟» فقال لهم موسى: «لا تخافوا قفوا وانتظروا اليوم خلاص الرّبّ لكم. سترون المصريّين اليوم لآخر مرّة، ولن تعودوا ترونهم إلى الأبد، فالرّبّ سيحارب عنكم، أمّا أنتم فلن تفعلوا شيئاً.»



٥٦
عبور البحر الأحمر
خروج ١٤ - ١٥

وقال الرّبّ لموسى: «لماذا تصرخُ اليّ؟ قلْ لبني إسرائيل أن يتابعوا الرّحيل. أمّا أنت فارفع عصاكَ ومدّ يدكَ على البحر فينشقّ، وحين ينشقّ البحر يدخل بنو إسرائيل ويسيرون في وسطه حتى يصلوا إلى الأرض اليابسة. وعندما يصلون إلى الأرض اليابسة أجعل المصريّين يدخلون وراءهم، فأقضي على فرعون وجميع جنوده ومركباته وفرسانه. فيعلم المصريّون أنيّ أنا هو الرّبّ.»

وانتقل ملاك الله من أمام بني إسرائيل وسار وراءهم، فانتقل معه عمود السحاب وارتفع وراءهم أيضاً، بحيث أنّه وقف بينهم وبين المصريّين فلم يتمكّن المصريّون من رؤيتهم طول الليل. ثمّ فعل موسى كما أمره الرّبّ، فمدّ يده بعصاه على البحر، فانشقّت المياه. وعندما انشقّت المياه دخل بنو إسرائيل في وسط



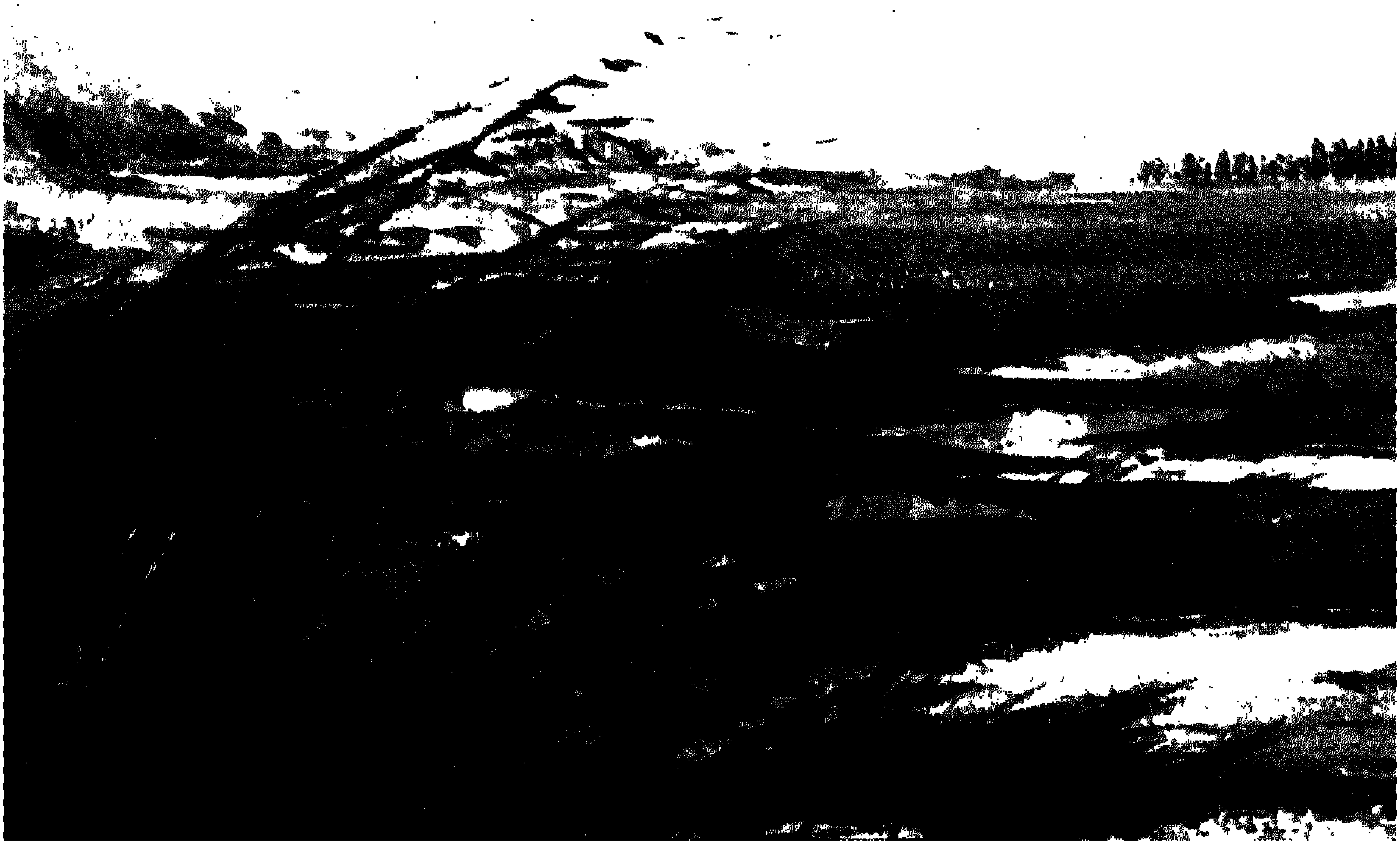
البحر، ومشوا على الأرض اليابسة، والماء لهم سورٌ عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريّون بجميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه، ودخلوا وراءهم إلى وسط البحر. ولمّا دخلوا إلى وسط البحر رآهم الرّبّ عند طلوع الصبح فدبّ الفوضى في صفوفهم، وعطّل عجلات مركباتهم ودواليبها فساقوها بصعوبة. وهنا قال الرّبّ لموسى: «مدّ يدك إلى البحر فيرتدّ الماء على المصريّين وعلى مركباتهم وفرسانهم.» وفعل موسى ما أمره الرّبّ، فمدّ يده إلى البحر، فعاد البحر، إلى ما كان عليه، ورجعت المياه فغطّت المركبات والفرسان وجميع جيش فرعون الذين دخلوا وراء بني إسرائيل في البحر. وخلّص الرّبّ في ذلك اليوم الشعب من أيدي المصريّين. وحين شاهد بنو إسرائيل الفعل العظيم الذي فعله الرّبّ بالمصريّين، خافوا الرّبّ وآمنوا به وبموسى.

وبعد خلاصهم أنشد موسى والشعب هذا النّشيد للرّب:

«أُنْشدُ للرّب العظيم
الرّبّ قوّتي ونشيدي
أمدَحُهُ، فهو إلّهي.
مركبات فرعون وجنودُه
أخفاهم في البحر،
أحسن قوّاده أغرقهم
في البحر الأحمر،
غطّتهم المياه
فغرقوا في الأعماق كالحجارة.»

ثمَّ أخذت مريم، أخت هرون، دُفّاً في يدها، وخلفها خرجت النساء كلّهن يرقصن، فأنشدت لهنَّ مريم:

«أَنْشِدُوا للرّب العظيم
رمى الخيل وفرسانها،
رماهم في البحر.»



٥٧
طعامٌ في الصحراء
خروج ١٦

وتابع بنو إسرائيل رحيلهم في البرِّيَّة ، وفي يوم من الأيّام لم يكن لديهم طعام ، فألقوا اللّوم على موسى وهرون وقالوا لهما : «ليتنا متنا في أرض مصر . فهناك كنّا نجلس عند قدور اللحم ونأكل حتى نشبع ، فلماذا جئتما بنا إلى هذه البرِّيَّة فنموت من الجوع .»

وسمع الرّبّ بني إسرائيل يلومون موسى وهرون ، فقال لموسى : «سأمطر لكم خبزاً من السّماء وعلى الشعب أن يخرج ويلتقط منه طعامه ، كلٌّ واحدٍ حسب حاجته اليوميّة ، ويكون ما يلتقطونه في اليوم السادس ضعف ما يلتقطونه في يومٍ واحدٍ.»

ولمّا سمع موسى هذا الكلام ، نادى بني إسرائيل وقال لهم : «سيعطيكم الرّبّ عند الغروب لحماً تأكلونه ، وفي الصباح خبزاً تشبعون منه ، فهو سمعَ لومكم له ، فأنتم حين تلوموننا فإنّما تلومون الرّبّ .»

وعند الغروب ظهرَ طيرُ السّلوى فغطّى مخيّم بني إسرائيل ، وفي الصباح سقط الندى حواليه . ولمّا تبخّر الندى ترك على وجه البرِّيَّة شيئاً ناعماً جامداً كالجليد على الأرض . فرآه بنو إسرائيل ، وحين رأوه تساءلوا : «ما هذا ؟» غير عارفين ما هو . فأجابهم موسى : «هو الخبز الذي وعدكم به الرّبّ لتأكلوا ، هو الذي أمر الرّبّ أن تلتقطوا منه ، كلٌّ واحدٍ يلتقط منه حسب حاجته .»



وعمل بنو إسرائيل ذلك، فكانوا يلتقطون الخبز في كلّ صباح، كلّ واحدٍ كان يلتقطُ حسبَ حاجته. ولمّا كان اليوم السادس التقطوا طعاماً عن يومين. فجاء رؤساء الجماعة وأخبروا موسى بذلك، فقال لهم: «غداً يومُ السبت يوم راحة، يقول الرّبّ: إنّه سبتٌ مُقدّس له. فاخبزوا ما تريدون أن تخبزوا، واطبخوا ما تريدون أن تطبخوا. وآحفظوا إلى غدٍ، يوم السبت، كلّ ما يفضل عندكم.»

ثمّ تابع موسى يقول: «ستّة أيّام تلتقطون الخبز، وفي اليوم السابع أي يوم السبت لا تجدونه.» ولمّا جاء اليوم السابع، خرج بعضهم ليلتقطوا الندى، فلم يجدوا شيئاً. وعرف الرّبّ ذلك فقال لموسى: «إلى متى تعصون أوامري، أما تعرفون أنّي أنا هو الرّبّ وجعلت لكم السبت يوماً مُقدّساً فأعطيكم في اليوم السادس طعاماً عن يومين؟ فكلّ واحدٍ منكم يجب أن يبقى في مكانه ولا يخرج منه في هذا اليوم.» ومن ذلك الوقت، آمتنع الشعب عن العمل أيّام السبت.



٥٨
ماء في الصحراء

خروج ١٥ - ١٧

وبعد أن عبر بنو إسرائيل البحر الأحمر ساروا مدّةَ ثلاثةِ أيّام في البرّيّة، وفي هذه المدّة كلّها لم يجدوا ماء يشربونه، فعطشوا كثيراً. ولمّا وصلوا إلى مكان آسمه مارّةَ وجدوا ماء، لكنّهم حين ذاقوه وجدوه مرّاً، فلم يقدروا أن يشربوا منه. فألقى الشّعب كلّ اللّوم على موسى، وسألوه: «ماذا نشرب؟» فصرخ موسى إلى الرّبّ وطلب العون منه، فأراه الرّبّ شجرةً. فتقدّم نحوها ورماها في الماء، فصار الماء عذباً، صالحاً للشرب.

وبعد ذلك تابع بنو إسرائيل رحيلهم في البرّيّة من مكان إلى آخر، كما أمرهم الرّبّ، حتى خيّموا أخيراً في مكان آسمه رفيديم، لا ماء فيه يشربونه. وعطشوا هناك كثيراً، فألقوا اللّوم على موسى وقالوا له: «أعطنا ماء نشربه. هل أخرجتنا من مصر لتقضي علينا وعلى أبنائنا ومواشينا بالعطش؟» فصرخ موسى إلى الرّبّ يطلب العون، وقال: «ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يرجمني بالحجارة.» فقال له الرّبّ: «تقدّم هذا الشعب أنت وبعض شيوخ إسرائيل. وخذ بيدك عصاك التي ضربت بها النهر وآذهب إلى مكان آسمه حوريب، وحين تصل إلى هذا المكان أُريكَ صخرة فتضربها بالعصا وعندما تضربها يخرج منها ماء يشرب منه الشعب.» ففعل موسى كذلك، فمضى إلى حوريب، ووصل الى الصخرة، ضربها بالعصا، فانفجرت منها المياه وسقت بني إسرائيل.

٥٩

«ارفع يديك يا موسى!»

خروج ١٧

وفيما بنو إسرائيل مخيّمون في منطقة رفيديم هاجمهم قومٌ من بني العماليق وكان واحد من بني إسرائيل آسمه يشوع، وكان معروفاً بقدرتة وشجاعته، فدعاه موسى إليه وقال له: «خذْ أحسن رجالك وآذهب لمحاربة العماليق. وغداً أقف على رأس التلّة وعصا الله في يدي» ففعل يشوع كما قال له موسى، وحارب العماليق، بينما وقف موسى وهرون ورجل آخر آسمه حور على رأس التلّة. فكان إذا رفع موسى عصاه ينتصر بنو إسرائيل، وإذا أخفضها ينتصر العماليق. ولمّا تعبت يد موسى من رفع العصا وخفضها، أقعده هرون وحور على حجر وسندا يديه، واحد من هنا وآخر من هناك، فظلّت يدا موسى مرفوعتين إلى غروب الشمس. فهزم يشوع بني العماليق في القتال.

وبنى موسى مذبحاً للرّب هناك وقال: «خاصم بنو عماليق الرّبّ، والرّبّ سيحاربهم جيلاً بعد جيل.»



٦٠

مشاركة في العمل

خروج ١٨

وكانت لموسى زوجة آسمها صفّورة. وكان آسم والدها يثرون، وكان يثرون كاهن بلدة مديان وسمع يثرون بكلّ ما عمل الرّبّ لموسى والشعب حين أخرجهم من أرض مصر. فجاء إلى موسى في البرّيّة، وكان موسى مخيّماً عند جبلِ الله. ولمّا سمع أن والد زوجته يثرون قادمٌ إليه، خرج للقائه وسجد أمامه وقبّله. وسأل كلٌّ واحدٍ منهما عن صحّة الآخر، ودخلا إلى الخيمة، ثمّ حكى موسى له كلّ ما فعله الرّبّ بفرعون والمصريّين من أجل بني إسرائيل وكلّ ما وقعوا فيه من مصاعب في الطّريق، وكيف خلّصهم الله. ففرح يثرون بما عمله الرّبّ لبني إسرائيل وقال: «تبارك الرّبّ الذي خلّصكم من أيدي المصريّين ومن أيدي فرعون. الآن علمت أن الرّبّ أعظم من جميع الآلهة، لأنّه صنع كلّ هذا بالمصريّين حين ظلموكم.»

وفي اليوم الثاني جلس موسى ليحكم بين أفراد الشعب، فوقفوا أمامه من الصباح إلى المساء ينتظرون دَورَهم. فلمّا رأى يثرون كلّ ما كان على موسى أن يفعله قال له: «ما هذا؟ ما بالك تحكم وحدك بين أفراد الشعب وهم أمامك واقفون من الصبح حتى المساء؟» فأجابه موسى: «يجيئون إليّ حتى أحكم بينهم وأعلّمهم إرادة الله.» فقال له يثرون: «لكن هذا مُتعِبٌ كثيراً، فأنت تُتعبُ نفسك وتُتعبُ هذا الشعب معك، لأنّك لا تقدر أن تحمل المسؤوليّة وحدكَ.



والآن، نصيحتي لك هي أن تكون أنت وسيطاً للشعب عند الله، فتعلّمه ما يطلبه الله منهم، وفي الوقت ذاته تعيّن من الشعب رجالاً يخافون الله وأمناء يكرهون الرشوة، فيحكمون بين أفراد الشعب في كلّ الأوقات في الأمور الصغيرة، أمّا الأمور الكبيرة فيحوّلونها إليك، وبهذا تخفّف عنك التعب.

فسمع موسى من يثرون، وعملَ بكلّ ما قاله له. فآختار رجالاً من جميع بني إسرائيل وطلب منهم أن يحكموا بين أفراد الشعب. فكانوا يعالجون المشاكل البسيطة، أمّا المشاكل الصعبة، فكانوا يتركون حلّها إلى موسى.

شريعة الله

٦١

جبل الله

خروج ١٩

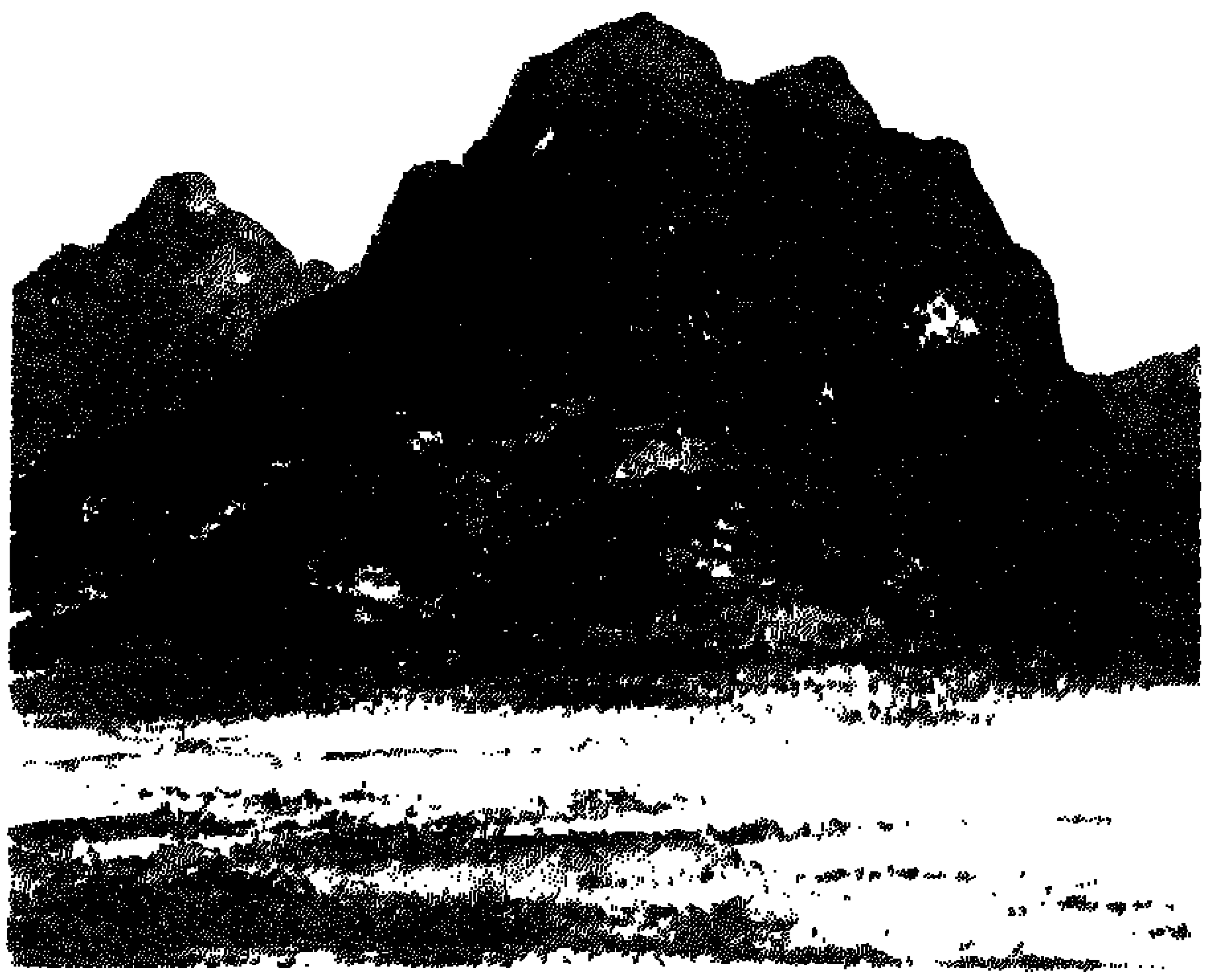
وبعد ثلاثة شهور من خروجهم من أرض مصر، وصل بنو إسرائيل إلى بريّة سيناء، وخيّموا هناك عند الجبل، وفي يوم من الأيّام صعد موسى إلى الجبل حتى يكلّمه الله. ولمّا صعد إلى الجبل ناداه الرّبّ وقال له: «قلْ للشعب: رأيتم ما فعلتُ بالمصريّين، وكيف خلّصتكم منهم وجئتُ بكم إلى هنا. والآن إذا سمعتم منّي وحفظتم وصاياي، فإنّكمْ تصيرونَ شعبيَ من بين جميع الشّعوب.»

فدعا موسى شعبَ إسرائيل ونقل إليهم كلام الرّبّ. فأجابوه كلّهم: «جميع ما تكلّم به الرّبّ نعملُ به.» ولمّا نقل موسى للربّ هذا الجواب، قال له الرّبّ: «ها أنا أجيء إليك في سحابةٍ كثيفةٍ وأتكلّم معك، فيسمعني الشعب حين أتكلّم معك، فيصدّقوك إلى الأبد.» ثمّ قال له: «اذهب إلى الشعب واطلب منهم أن ينظّفوا أنفسهم اليوم وغداً ويغسلوا ثيابهم، ويستعدّوا لليوم الثالث، ففي اليوم الثالث أظهر لهم على جبل سيناء، وآطلبْ منهم أن لا يصعدوا الجبل أو يلمسوا طرفه فكلّ من يلمسهُ يموت.» وفي اليوم الثالث حدثَ عندَ الصبح رعدٌ وبرقٌ وغيمٌ كثيفٌ على جبل سيناء وعلَا صوت بوقٍ بشدّةٍ، فارتجف جميع الّذين في المخيّم، فأخرجهم موسى من المخيّم ليسمعوا الله، فوقفوا عند أسفلِ جبل سيناء، وكان الدخّان يلفّه فيهتزّ اهتزازاً شديداً، لأن الرّبّ نزل عليه بالنّار. وكان صوت البوق يرتفع جدًّا.

٦٢
الوصايا العشر – محبة الله

خروج ٢٠

ورجع موسى مع أخيه هرون إلى رأس الجبل، فتكلّم الرّبّ وقال:
«أنا هو الرّبّ إلٰهك، أخرجتكَ من أرض مصر، وخلّصتكَ من القهر والاستعباد.
لا تعبد إلٰهاً غيري،
لا تصنع لك تمثالاً وتسجد له، لا في السماء ولا على الأرض ولا تحت الماء.
لا تحلف بآسمي كذباً، فأنا لا أسامح كلّ من يحلف بي كذباً.
وآذكر يوم السبت وآجعله مُقدّساً لي، فأنت تعمل ستّة أيّام في الأسبوع، أمّا اليوم السابع فهو للرّبّ إلٰهك، فلا تعمل فيه أبداً.
فالرّبّ خلق السماوات والأرض والبحر في ستّة أيّام، وآستراح في اليوم السابع.
لذلك بارك الرّبّ يوم السبت وجعله مُقدّساً له.»



فلمّا نزلَ الرّبّ على رأس جبل سيناء نادى موسى، فصعدَ إليه، ولمّا صعد موسى إليه قال له الرّبّ: «انزل وآرجع إليَّ مع هرون، لكن لا تدع الكهنة والشعب يصعدون إليَّ حتى لا أقضي عليهم.» فنزل موسى إليهم وكلّمهم بهذا الكلام.



٦٣ الوصايا العشر – محبة الآخرين

خروج ٢٠

وتابع الرّبّ وصاياه، فقال:

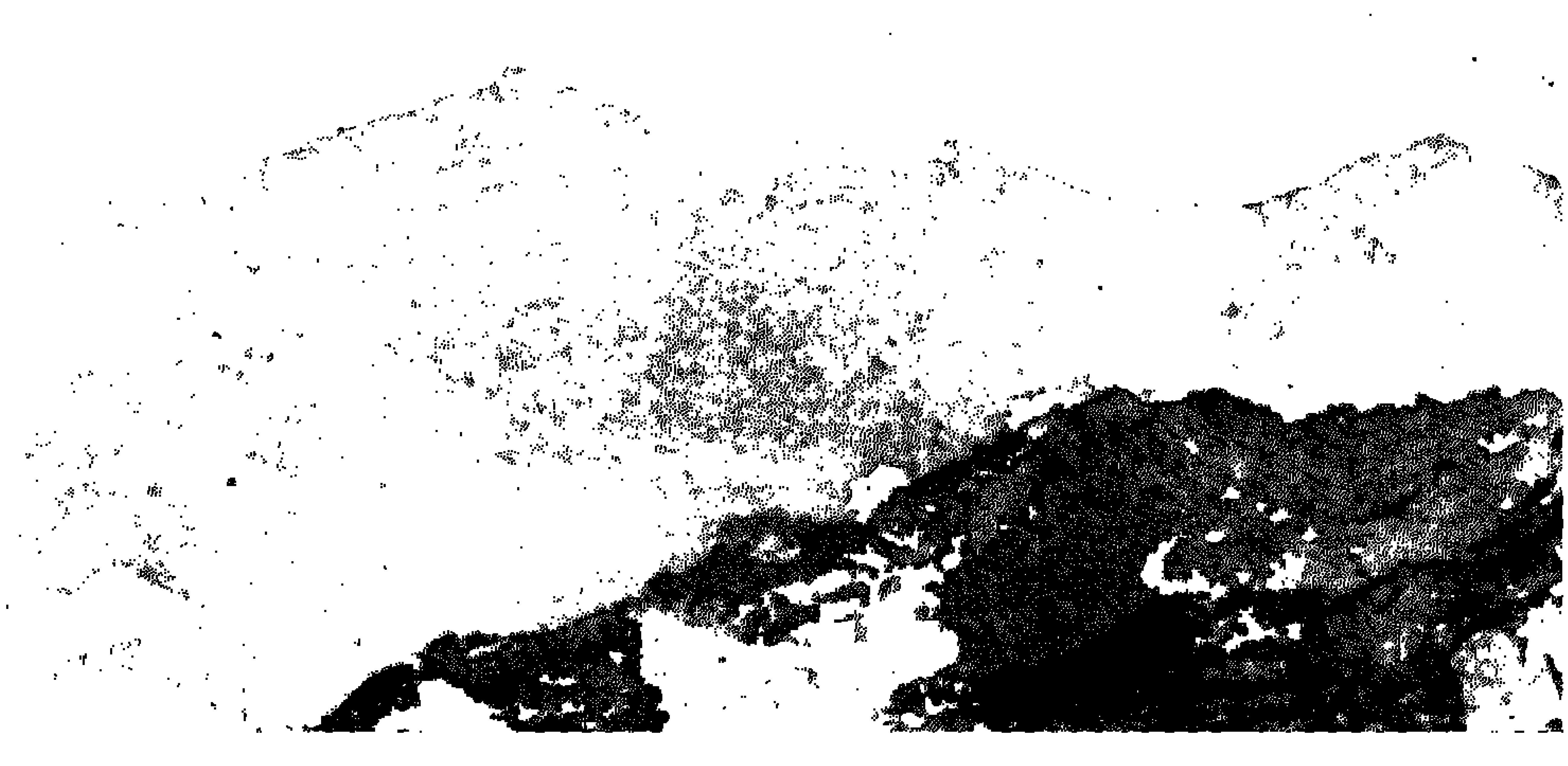
«أكرمْ أباك وأمّك فيطول عمرك على هذه الأرض.

لا تقتل لا تزنِ لا تسرق، لا تشهد على غيرك بالكذب،

لا تشتهِ ما عند غيرك وتحسده على ذلك.»

وفي هذا الوقت كان الشعب يسمعون الرعد وصوت البوق ويشاهدون البروق والجبل يصعد منه الدُخّان، فخافوا وآبتعدوا وقالوا لموسى: «كلّمنا أنت فنسمع، ولا تدع الله يكلّمنا حتى لا نموت!» فقال لهم موسى: «لا تخافوا. جاء الله حتى يمتحنكم فأطيعوه ولا تخطأوا.»

فوقف الشعب على بعدٍ وتقدّم موسى إلى الضباب الذي كان فيه الله. فقال له الله: «قلْ لبني إسرائيل أن لا يصنعوا لهم آلهة من فِضّة أو ذهب ليعبدوها، واطلب منهم أن يبنوا لي مذبحاً من تراب ويقدّموا لي الذبائح من غنمهم وبقرهم، فأنا أجيء إلى كلّ موضع يُذكر فيه آسمي وأباركه.»



٦٤
الرّبّ يهتم
خروج ٢١ -٢٣

وبعدما طلب الرّبّ من بني إسرائيل أن يعبدوه ويحبّوا الآخرين أعطاهم وصايا تساعدهم في حياتهم اليوميّة، ومن هذه الوصايا ما يتعلّق بمعاملة العبيد. وفي خصوص هذه المعاملة قال الرّبّ: «إذا كان عندك عبد عبرانيّ، فاْجعله في خدمتك ستّ سنين، وفي السنة السابعة دعْه يتحرّر منك بلا ثمن.»

وفي خصوص القتل والضرب قال الرّبّ: «كلٌّ من ضرب إنساناً وقتله عن قصد يجب أن يُقتَل، وكلّ من ضرب أباه أو أمّه، يجب أن يُقتل. وكلٌّ من خطف أحداً فباعه أو أبقاه عنده، يجب أن يُقتل. وكلٌّ من لعن أباه أو أمّه، يجب أن يُقتل. وكلٌّ من أوقع ضرراً بآخر عن غير حق، يجب أن يصيبه الضرر ذاته، فعينٌ بعينٍ وسنٌّ بسنٍّ.»

وفي خصوص السّرقة قال الرّبّ: «إذا سرق أحدٌ ثوراً أو خروفاً، وذبحه أو باعه فعلى السارق أن يعطي بَدل الثور خمسة، وبدل الخروف أربعة.»

وفي الأخلاق والعبادة قال الرّبّ: «لا تقدّموا ذبائح إلاّ للربّ. لا تظلموا الغريب ولاتضايقوه لأنكم أنتم كنتم غرباء في مصر. لا تسيئوا إلى أرملة ولا إلى يتيم، فإن أسأتم إليهما وصرخا إليّ يطلبان العون أسمع صراخهما، فأغضب وأقتلكم، وأجعل نساءكم أرامل بلا أزواج وأبناءكم يتامى بلا والِدين. وإذا ديّنتم الفقير مالاً فلا تأخذوا منه فائدة على الدّين، وإذا رهن عندكم أحد ثوبه، فردّوه إليه عند مغيب الشمس، فهو ما عنده غير هذا الثوب، ففي أيّ شيء ينام؟»



وختم الرّبّ وصيّته في الأخلاق والعبادة، فقال: «لا تلعنوا الله، ولا تسبّوا رئيس شعبكم.»

وفي خصوص العدل، قال الرّبّ: «لا تكذبوا ولا تتعاونوا مع الأشرار ولا تشهدوا زوراً وكذباً، ولا تأكلوا حقّ المسكين وتظلموه. لا تحكموا بالموت على البريء ولا تصدّقوا الأشرار. ولا تأخذوا رشوة ولا تضايقوا الغريب.»

وفي خصوص الأرض قال: «ازرعوا أرضكم واْجمعوا غلّتها ست سنين، وفي السنة السابعة لا تزرعوها فيجيء فقراء الشعب ويأكلون منها، وما تبقّى تأكله طيور البريّة.»

وأخيراً قال الرّبّ: «في ستّةِ أيّام تشتغلون، وفي اليوم السابع تستريحون، ليستريح الثّور والحمار والعبد والغريب الذي يشتغلَ عندكم.»

٦٥
الإتفاق
خروج ٢٤

وبعدما آنتهى الله من وصاياه لبني إسرائيل أمر موسى أن يصعد إليه . ولمّا صعد موسى إليه وآقترب منه قال الرّبّ له أنّه يريد أن يعمل آتفاقاً أو عهداً ، مع بني إسرائيل فهو يعينهم ويكون دائماً معهم وهم يطيعون أوامره .

فنزل موسى من الجبل وأخبر الشعب بهذا العهد ، فأجابه الجميع بصوتٍ واحدٍ: «كلُّ ما تكلّم به الرّبّ نعمله .» فكتب موسى وصايا الرّبّ وجمعها في كتابٍ سمّاه كتاب العهد ، وفي الصباح بكّر وبنى مذبحاً في أسفل الجبل .

ونصب آثنتي عشر عموداً يمثّل كلُّ عمود سبطاً من أسباط بني إسرائيل . ثمّ أرسل شبّاناً ليقدّموا ذبائح للربّ . فأخذ موسى نصف دم الذبائح وصبّه في أجران ورشَّ النّصف الآخر على المذبح . ثمّ أخذ كتاب العهد وقرأه على مسامع الشعب ، فقالوا : «كلُّ ما تكلّم به الرّبّ نطيعه ونعمل به .» فأخذ موسى الدَّمَ من الأجران ورشّه على الشعب ، وقال : «ليكنْ هذا الدَّمَ ذكرى عهدكم وآتفاقكم مع الرّبّ .»



٦٦

خيمة الله الخاصة

خروج ٢٥ - ٣١

وقال الرّبّ لموسى: «قلْ لبني إسرائيل أن يقدّم كلٌّ واحدٍ منهم هديّةً لي، والهديّة التي تقبلها منهم هي: ذهب وفضّة ونحاس، ونسيج بنفسجيّ وأرجوانيّ وقُرمزيّ اللّون وخشب من أحسنِ الأنواعِ وغير ذلك. فيصنعون لي مسكناً مقدّساً لأسكن فيما بينهم. ويكون المسكن وجميع مفروشاته مُقَدَّسَةً لي مثلما أقول لك. تصنع من هذا الخشب صندوقاً تغلّفه بذهبٍ نقيٍّ من الدّاخل ومن الخارج، وتزيّنه بالذّهب من جميع جهاته، وتضع فيه الوصايا التي أعطيتك إيّاها مكتوبة على لوحين، وتصنع للصندوق غطاءً من ذهبٍ خالص، وتجعل الغطاء على الصُّندوق، فألتقي بك هناك وأكلّمك من فوق الغطاء بكلِّ ما أوصيك به للشعب.

ثمّ تصنع مائدة من أحسن الخشب، تغلّفها بذهب نقي وتعمل لها زينة من ذهب تحيط بها من جميع الجهات. وبعد ذلك تصنع للمائدة صحوناً ومجامر وكؤوساً من ذهبٍ نقيٍّ. وتقدّم على المائدة دائماً خبزاً لي.

أمّا المسكن فتصنعه من كتّانٍ ونسيج بنفسجيّ وأرجوانيّ وقرمزيّ اللّون. وعلى المسكن تصنع خيمةً من شعر الماعز، وتصنع غطاء الخيمة من جلود الغنم مصبوغة بالحمرة، وغطاءً آخر من جلودٍ بنفسجيّةٍ تَنْشُرُهُ فوقَه.

وتصنع حجاباً من نسيج بنفسجيّ وأرجوانيّ وقرمزيّ اللّون، وتُعلّقه وتضع الصُّندوق هناك خلف الحجاب، وتمدّ غطاء الصُّندوق الموضوع في أقدس الأمكنة، وتضع ستاراً لباب الخيمةِ من نسيجٍ بنفسجيّ وأرجوانيّ وقرمزيّ اللّون.

وتصنعُ مذبحاً من أحسن الخشب، ثمّ تأمر بني إسرائيل أن يجيئوك بزيت زيتونٍ لإنارة السّراج ويبقى السّراج مضيئاً أمام الرّبّ من المساء إلى الصباح في الخيمة خارج الحجاب الذي أمام صندوق العهد.

وخذْ من بني إسرائيل أخاك هرون وبنيه ليكونوا كهنة لي، واصنعْ ثياباً مقدّسةً لهم. أمّا أنا فأقدّس خيمة الاجتماع والمذبح وهرون وأبناءه، وأسكن في وسط بني إسرائيل وأكون لهم إلّهاً، فيعلمون أني أنا هو الرّبّ إلّههم الذي أخرجهم من أرض مصر ليسكن فيما بينهم.»

ولمّا فرغ الله من التكلّم مع موسى على جبل سيناء أعطاه الوصايا مكتوبةً بإصبع الله على لوحين من حجر.



٦٧ العجل المصنوع من ذهب

خروج ٣٢

ولمّا رأى الشعب أنّ موسى أقام مدّةً طويلةً على الجبل تجمّعوا حول هرون، وقالوا له: «قمْ، آصنع لنا آلهةً تقودنا. فهذا الرّجُل موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعرف ماذا أصابه.» فقال لهم هرون: «هاتوا لي حلقات الذّهب التي في آذان نسائكم وأبنائكم وبناتكم.» فنزع الشعب حلقات الذّهب التي في آذان نسائِهم وناولوها إلى هرون. فأخذها هرون منهم وحوّلها إلى صنمٍ على صورة عجل. ثمّ بنى أمام الصنم مذبحاً ونادى الشعب وقال لهم: «غداً هو عيد الرّبّ.» فبكّروا في الصباح وقدّموا الذبائح وجلسوا وأكلوا وشربوا ورقصوا.

ورأى الرّبّ ما يجري، فقال لموسى: «قمْ



آنزل. فَسَدَ شعبك الذين أخرجتهم منْ أرض مصْر. فصنَعوا لهم عجلاً مِنْ ذهبٍ وعبدوه وقدّموا له الذبائح. سأُنزل عليهم غضبي وأفنيهم.»

فانصرف موسى ونزل من الجبل وهو يحمل في يديه لوحين من حجرٍ نقش الله عليهما وصاياه لبني إسرائيل. وبينما هو نازل مع مساعدهِ يشوع سمعا صياح الشعب وصراخهم. فقال يشوع: «أسمَعُ صراخَ حربٍ في المخيّم.» فأجابه موسى: «لا، بل هذا غناء.» فلمّا اقترب موسى من المخيّم رأى العجل والشعب يرقصونَ حوله، فغضِبَ كثيراً ورمى اللّوحَيْن من يديه وكسّرهما في أسفل الجبل. ثمّ أخذ العجل الذي صنعوه، فأحرقه بالنّار وطحنه حتى صار ناعماً، وذرّاه على وجه الماء وأجبر بني إسرائيل أن يشربوا منه.

وآلتفت موسى إلى هرون وسأله: «ماذا صنع بك هؤلاء الشعب حتى جعلتهم يفعلون خطيئةً عظيمةً؟» فأجابه هرون: «لا تغضبْ، يا سيّدي. أنت تعرف أن هذا الشعب من الأشرار ولا يفهمون شيئاً. طلبوا مني أن أصنعَ لهم آلهةً تقودهم لأنّهم انتظروكَ طويلاً وأنت على الجبل دون أن يعرفوا ماذا أصابك. فأمرتهم أن يعطوني كلّ ما عندهم من الذّهب. فجاؤوني به، فأخذته ووضعته في النّار فخرج منه هذا العجل.» وفي اليوم الثاني قال موسى للشعب: «عملتمْ خطيئةً كبيرةً، والآن أصعدُ إلى الجبل حتى أطلبَ من الرّبّ أن يسامحكم ويغفرَ لكم خطيئتكم.»

ورجع موسى إلى الرّبّ وقال: «يا ربّ، أخطأ هذا الشعب خطيئةً عظيمةً وصنعوا لهم آلهةً من ذهب وعبدوها، فإمّا أن تسامحهم أو أن تلومَني وتعاقبني على ذلك.» فقال الرّبّ

له: «لا أعاقب إلاّ الذي أخطأ إليّ. والآن تذهب وتقود الشعب إلى المكان الذي قلت لك عنه، وملاكي يسير أمامك. ولكن سيأتي يوم أعاقبهم فيه على خطيئتهم.»

٦٨
تصحيح الأمور

خروج ٣٣ - ٣٤

وقال الرّبّ لموسى: «قمْ، أنت والشعب الّذين أخرجتهم من أرض مصر وارحل من هنا إلى الأرض التي حلفت أن أعطيها لكم. وفي رحيلكم أسير أمامكم وأطرد أعداءكم من تلك الأرض الملآنة باللّبن والعسل.» فقام موسى ورحل مع الشعب إلى الأرض التي وعدهم بها الرّبّ. وكلمّا خيّموا في مكان كانوا يأخذونَ الخيمةَ المقدّسةَ وينصبونها خارج المخيّم. وكان آسم هذه الخيمةِ المقدّسةِ خيمةَ الاجتماع، كان يأتي إليها كلُّ واحدٍ أراد أن يستشير الرّبّ. وكان موسى يدخل إلى الخيمة كلّما أراد أن يتكلّم مع الرّبّ، وكلّما دخلها كان ينزل عمود مِنَ السحاب ويقف عند بابها. وكان الرّبّ فيها يكلّم موسى وجهاً إلى وجه كما يكلّم الإنسان صاحبهُ.

ومرّةً قال الرّبّ لموسى: «انحتْ لوحَين من الحجر وأنا أكتب عليهما الوصايا التي كانت على اللّوحين الأوّلين اللّذين كسّرتهما، وفي الصباح كنْ مستعدّاً وآصعد إلى جبل سيناء وقفْ أمامي هناك على رأس الجبل.»

فنحتَ موسى لوحين من حجر كاللّوحَين اللّذين نحتهما من قبل، وفيما هو على الجبل نزل الرّبّ في السحاب ووقف عنده فأسرع موسى وأحنى رأسه إلى الأرض ساجداً وقال:

«يا ربّ، إذا كنت راضياً عليّ فَسِرْ بيننا، واغفر لنا خطايانا وآجعلنا شعباً لك.»

فقال الرّبّ لموسى: «ها أنا أعدك أن أصنع أمام شعبكَ عجائبَ لم يشاهد أحدٌ مثلها في كلِّ الأرض بين جميع الأمم، فيرى كلُّ الشعب فِعْلَ الرّبّ.»

وبقيَ موسى هناكَ عندَ الرّبّ أربعين يوماً وأربعينَ ليلةً، لا يأكل خبزاً، ولا يشربُ ماءً. وفي هذه المدَّة كتب موسى على اللّوحَين الوصايا العشر التي أعطاها له الرّبّ.

ونزل موسى بعدَ ذلك من جبل سيناء ولَوحا الوصايا في يده، وكان لا يعرف أن وجهه صار مضيئاً من مخاطبة الرّبّ له. ولمّا وصل إلى المخيّم جمع موسى بني إسرائيل وأخبرهم بجميع ما كلّمه الرّبّ به في جبلِ سيناء، وبالوصايا التي أمرَ الرّبّ أن يُطيعوها.



على حدود أرض كنعان

٦٩

رؤية الأرض الموعود بها

عدد ١٣ - ١٤

ولمّا آقترب شعب إسرائيل من أرض كنعان كلّم الرّبّ موسى فقال: «أرسلْ رجالاً يتفحّصونَ أرض كنعان التي أعطيتها لبني إسرائيل، أرسلْ رجلاً من كلِّ سبط، ويكون الرّجل الذي ترسله رئيسَ سبطه.»



وعملَ موسى كما أمرهُ الرّبّ، فأرسل رؤساء الأسباط عنده حتى يتفحّصوا أرض كنعان، وقال لهم: اطلعوا من هناك، من الجهّة الجنوبية، وآصعدوا الجبل وآنظروا إلى الأرض وتفحّصوها، وآعرفوا كيفَ هي، وإذا كان شعبها قويّاً أم ضعيفاً، قليلاً أم كثيراً، واكتشفوا إذا كانت الأرض جيّدةً أم رديئةً، خصبةً أم قاحلةً، مشجّرةً أم بلا شجر. وإذا كانت مثمرةً، تشجّعوا وخذوا من ثمرها. كذلك تفحّصوا المدن، وآعرفوا إذا كانت مُحصّنةً أم هي عبارة عن خيام.»

وعملَ رؤساء الأسباط كما أمرهم موسى. فصعدوا وتفحّصوا الأرض، وظلّوا يتفحّصونها أربعينَ يوماً، ثمّ رجعوا إلى موسى وهرون وكل جماعةِ بني إسرائيل وحكوا لهم كلَّ ما شاهدوا، فقالوا: «ذهبنا إلى أرض كنعان، فوجدناها ملأى باللّبن والعسلِ، وها ثمرٌ منها حملناه إليكم، غيرَ أن شعبهاَ أقوياء ومُدُنها مُحصّنةٌ.»



٧٠ خوف كبير

عدد ١٣ - ١٤

ولمّا سمعَ الشعبُ أن سكّان أرض كنعان أقوياء، وأن مُدُن تلك الأرض مُحصَّنةٌ، أصابهم خوفٌ شديد، فرفعوا أصواتهم وصرخوا وبكوا في تلك اللّيلة، ولاموا موسى وهرون وقالوا لهما: «يا ليتنا بقينا في أرض مصر ومتنا هناك أو في هذه البريّة. لماذا جاء بنا الرّبّ إلى هذه الأرض، فنموت بالسّيف، ويأخذ العدوُّ نساءنا وأطفالنا؟» ثمّ قال بعضهم لبعض: «دعونا نعيّن لنا رئيساً ونرجع إلى مصر.»

ورأى يشوع وكالب كلّ ما يجري، وهما من الّذين تفحصّوا الأرض، فمزّقا ثيابهما وقالا للشعب: «الأرض التي رأيناها جيّدةٌ جدّاً، فإذا كان الرّبّ راضياً علينا، فهو يقودنا إليها ويعطيها لنا، لأنّها مليئةٌ باللّبن والعسل. فلا تتمرّدوا وتثوروا على الرّبّ، ولا تخافوا سكّان تلك الأرض، سنغلبهم، لأن إلهم تركهم بينما إلهنا معنا، فلا تفزعوا منهم.»

ورأى الرّبّ كلّ ما يجري، فكلّم موسى وقال له: «إلى متى لا يؤمن بي هذا الشعب رغم كلّ العجائب التي صنعتها فيما بينهم، سأضربهم بالمرض وأقضي عليهم.» فأجابه موسى: «أنت يا ربيّ أخرجتهم من بين المصريّين بقدرتكَ، فإذا قتلتهم تقول بقيّة الأمم إنّك لم تقدر أن تُدخِلَ شعبكَ إلى الأرض التي حلفت أنّك ستقودهم إليها، فقتلتهم في البريّة. والآن، سامح يا ربّ هؤلاء الشعب، كما سامحتهم في مصر.»

فقال الرّبّ: «سأسامحهم، ولكنّي أحلف أنّهم لن يدخلوا الأرض التي وعدتُ بها أباءهم. وحدهما كالب ويشوع يدخلانها أمّا أبناؤهم الّذين أعمارهم من عشرين سنة وصاعداً فلن يدخلوها ويسكنوها إلاّ بعد أن يقضوا أربعينَ سنةً أخرى في البريّة.»

٧١

موسى يفقد أعصابه

عدد ٢٠



وبدأ بنو إسرائيل يتنقّلون في البريّة من مكانٍ إلى مكانٍ حتى وصلوا إلى أرض قادش وخيّموا فيها. لكن لم يكن ماء في هذه الأرض، فآجتمعوا وأحاطوا بموسى وهرون وصرخوا عليهما وقالوا: «يا ليتنا متنا من زمان. لماذا جئتما بنا إلى هذه البرّيّة؟ هل جئتما بنا إلى هنا حتى نموت مع مواشينا؟ ولماذا أخرجتمانا من مصر إلى هذا الموضع الرّديء الذي لا زرعَ فيه ولا تين ولا كروم ولا رمّان، ولا ماء للشرب؟»

فذهب موسى وهرون إلى باب خيمةِ الاجتماع وسجدا، فظهرَ لهما الرّبّ، وقال لموسى: «خذ العصا واجمع الشعب، أنت وهرون أخوكَ، وكلِّما الصَّخرةَ أمام عيونهم، فتعطي الصَّخرة ماءً فيشربون هم ومواشيهم.»

وعملَ موسى كما أمره الرّبّ، فجمعَ الشعب أمام الصّخرة التي عيّنها له الرّبّ وقال لهم: «اسمعوا أيُّها المتمرّدون، أتريدون أن نُخرجَ لكم ماءً من هذه الصَّخرة؟» فرفع موسى يده وضرب الصَّخرة بعصاه مرّتين، فخرج منها ماءٌ كثير فشربوا منه جميعهم مع مواشيهم حتى شبعوا. وهنا لامَ الرّبّ موسى وهرون وقال لهما: «بما أنّكما لم تسمعوا كلامي ولم تُكلّما الصّخرة كما قلت لكما، فتظهر قداستي لبني إسرائيل، لذلك لن تُدخِلا أنتما هذا الشعب إلى الأرض التي أعطيتها لهم.»

٧٢
الحيّة النحاسيّة
عدد ٢١

وتابع بنو إسرائيل رحيلهم في البريّة حتى أصابهم التعب الشديد، وأخذوا يلهثون في الطّريق. ومرّةً أخرى احتجّوا على الله وعلى موسى وقالوا له: «لماذا أخرجتنا من مصر؟ هل أخرجتنا منها حتى نموت في هذه البرّيّة؟ لا خبز عندنا ولا ماء، ونحنُ نوشكُ أن نموت جوعاً من هذا الطعام القليل.»

وسمع الرّبّ احتجاجهم عليه، فأراد أن يعاقبهم، فأرسل عليهم حيّات سامّة من نار، فعقصت ولدغت الشعب، فمات كثيرون منهم، عند ذلك جاؤوا إلى موسى وقالوا له: «أخطأنا حين تذمّرنا على الرّبّ وعليك. فصلِّ إلى الرّبّ حتى يبعد عنّا الحيّات.» فصلّى موسى وبعدما صلّى قال له الرّبّ: «اصنع لك حيّةً من نحاسٍ وارفعها على عمودٍ، فيراها كلّ من لَدَغَتْهُ حيّةٌ ويُشفى.»

وعمل موسى كما أمره الرّبّ، صنع حيّةً من نحاسٍ ورفعها على عمود، فكان كلٌّ واحدٍ لدغته حيّةٌ ينظر إلى الحيّةِ النحاسيّة، فيُشفى.

٧٣
بلعام وحماره
عدد ٢٢ - ٢٤

وتابع بنو إسرائيل رحيلهم، فنزلوا سهول بني موآب، عندَ مدينة أريحا، وخيّموا فيها، ورأى بالاق ملك الموآبيّين ما فعل بنو إسرائيل بأعدائهم الآموريّين، فطلب المساعدة من رَجُل معروف بحكمته آسمه بلعام. فأرسل بالاق



رُسُلاً إليه يقولون له: «ها شعبٌ خرج من مصر فغطّى وجه الأرض لكثرةِ عدده وهذا الشعب مُخيّمٌ في مكانٍ قريبٍ منّا، فتعال الآن، والعن هذا الشعب لأنّه أقوى منّا، فنضربه ونطرده من الأرض، فنحنُ نعلم أنّ كلّ من تُبارِكه يكون مباركاً، وكلّ من تلعنه يكون ملعوناً.»

فذهب الرّسل حاملين الهدايا في أيديهم وجاؤوا إلى بلعام وأخبروه بكلام بالاق. فقال لهم بلعام: «ناموا اللّيلة عندي، فأردّ عليكم جواباً حسب ما يريد الرّبّ.» فقال الرّبّ له: «لا تذهب معهم ولا تلعنِ الشعب، فهو مُباركٌ منّي.» فقام بلعام في الصباح وقال للرسل: «عودوا إلى أرضكم، فالرّب رفض أن يسمح لي بالذهاب معكم.» فقام رؤساء موآب وعادوا إلى بالاق وقالوا له: «رفض بلعام أن يجيء معنا.»

وعاد الملك بالاق، وأرسل إلى بلعام رؤساء كثيرين أعظم من الّذين أرسلهم في السّابق. وكان بلعام يجيبهم دائماً: «لو أعطاني بالاق ملءَ بيته فِضّةً وذهباً لا أقدر أن أخالف كلام

الرّبّ إلّهي في أمرٍ، لكن ناموا اللّيلة عندي، وأنا أرى ما يطلب الرّب منّي.» فأتى الله إلى بلعام في اللّيل وقال له: «قمْ واذهبْ مع هؤلاء القوم، لكن لا تفعل إلاّ ما أقوله لك.»

فقام بلعام في الصباح وركب جحشة وذهب سريعاً مع رؤساء موآب. فغضب الله عليه لذهابه، فأرسل ملاكه وأوقفه في الطّريق، فرأته الجحشة واقفاً في الطّريق. فعاد ملاك الرّبّ ووقف في ممرٍّ ضيّقٍ بين الكروم، ولمّا رأته الجحشة صدمت الحائط وحشرت رَجُل بلعام بالحائط، فتوجّع وزاد في ضربها. ثمّ عاد ملاك الرّبّ وتقدّم إلى الأمام ووقف في موضع ضيّق، حيث أن لا قدرة للجحشة أن تحيد شمّالاً أو يميناً. فلمّا رأت الجحشة الملاك استلقت على بطنها تحت بلعام، فاشتدّ غضبه وضربها بالعصا وبينما هو يضربها فتح الرّبّ فمَ الجحشة فسألت بلعام: «ماذا عملت لك حتى ضربتني ثلاث مرّات؟ أما أنا جحشتكَ التي ركِبْتَها طول حياتك إلى اليوم؟ وهل عَوَّدْتُكَ أن أفعل هذا بك؟»

وبغتةً فتح الرّبّ عيني بلعام وجعله يرى ملاك الرّبّ واقفاً في الطّريق وسيفه مرفوع بيده، فانحنى وسجد له. فسأله ملاك الرّبّ: «لماذا ضربت جحشتكَ ثلاث مرّات؟ لو لم تحد جحشتك عنّي لقتلتكَ وأبقيتها حيّة.» فأجابه بلعام: «أخطأت لأنّي لم أعرف أنّكَ وقفت في طريقي، والآن إذا غضبت لأنّي ذاهبٌ مع هؤلاء القوم، فإنّي أرجع.» فأجابه الملاك: «اذهب معهم، لكن لا تقل إلاّ ما أقوله لك.» فذهب بلعام مع القوم إلى بالاق.

ولمّا سمع بالاق بمجيء بلعام خرج للقائه. وعندما اقترب منه سأله: «بعثت وراءك قبل



هذه المرّة، فلماذا رفضتَ المجيء؟ أتظنُّ أنّي لا أقدر أن أكون كريماً معك فأعطيكَ ما تريد؟» فأجابه بلعام: «والآن، بعد أن جئت إليك، أتعتقد أنّي أقول غير ما يطلبه منّي الرّبّ؟» وآبتعد بلعام قليلاً وذهب إلى رأس التّلة، فأتاه الله وأمره أن يرجع إلى بالاق ويقول له: «كيف ألعن من لا يلعنه الله، وكيف أسبّ من لا يسبّه الرّبّ؟» ولمّا سمع بالاق هذا الجواب، قال له: «ماذا فعلتَ بي؟ طلبتُ منك أن تجيء وتلعن أعدائي، فإذا بك تباركهم؟» فأجابه بلعام: «أما قلتُ إنّي لا أقول إلاّ الكلام الذي يقوله الرّبّ لي.»

٧٤ موسى يودّع شعبه

تثنية

ولمّا صار موسى شيخاً، دعا إليه جميع بني إسرائيل، وقال لهم: «صار عمري مئة وعشرين سنة، فلا أقدر بعد الآن أن أقودكم، يشوع هو الذي يقودكم، والرّبّ إلهكم يمشي أمامكم، وهو يقضي على أعدائكم. فتشجّعوا ولا تخافوا منهم، لأن الرّبّ سائر معكم، لا يهملكم ولا يترككم.»

ثمّ دعا موسى يشوع وقال له أمام عيون الشعب: «تشجّعْ وكنْ قويّاً، فأنت تقود هذا الشعب إلى الأرض التي حلف الرّبّ لآبائكم أنّه يعطيها لهم، وأنت تجعلهم يملكونها. والرّبّ سائر معك، وهو لا يهملك، فلا تخفْ شيئاً.»

ثمّ كتب موسى الشريعة التي أنزلها الرّبّ عليه وناولها إلى حاملي تابوت عهد الرّبّ وسائر شيوخ بني إسرائيل. وبعد ذلك ناداه الرّبّ وقال: «قَرُبَ يوم موتك، فآصعد إلى رأس الجبل المُطِلّ على مدينة أريحا، فأجعلك ترى جميع الأرض التي وعدت أن أعطيها لنسل إبراهيم وإسحق ويعقوب.»

فصعد موسى إلى رأس الجبل، وفيما هو على رأس الجبل، قال له الرّبّ: «تطلّع، هذه هي الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحق ويعقوب أنّي سأعطيها لأبنائهم. أنا أجعلك تراها، لكنّك لن تدخلها لأنّك لم تسمع لي، فضربتَ الصخرة بالعصا بدَل أن تُكلِّمَها، كما أمرتك.»



ومات موسى هناك ، ولا أحد يعرف أين قبره إلى هذا اليوم . ولمّا مات كان عمره مئة وعشرين سنةً ، فبكى عليه الشعب ثلاثين يوماً .

وبعد موته ، لم يظهر بين بني إسرائيل نبيّ مثله ، يعرف الرّبّ ورآه وجهاً لوجه ، نبيّ أرسله الرّبّ ليصنع جميع تلك العجائب في أرض مصر .



قصّة يشوع

٧٥

القائد الجديد

يشوع ١

وبعد وفاة موسى قال الرّبّ ليشوع : «مات موسى ، فقمْ أنت الآن واعبر الأردن مع جميع بني إسرائيل إلى الأرض التي أعطيتها لهم . وكلّ مكان تصلون إليه أعطيه لكم ، كما قلت لموسى . لا يقوى أحد عليك طول أيّام حياتك . مثلما كنت مع موسى أكونُ معك ، لا أهمِلُك ولا أتركك . تشجّع ، فأنت تُملّك هذا الشعب كلّ الأرض التي حلفت لآبائهم أنّي سأعطيها لهم . كذلك تشجّع وآحفظ الشريعة التي أمرك بها موسى وآعمل بها ، ولا تحدْ عنها ، فتنجح طول أيّام حياتك في جميع أعمالك . لا تنسَ هذه الشريعة أبداً ، بل فكّر بها نهاراً وليلاً حتى تحفظها وتطبّق كلّ ما فيها ، فتنجح في حياتك ، ها أنا أمرتك ، فتشجّع ولا تخف شيئاً فأنا الرّبّ إلٰهك معك .»

وبعدما سمع يشوع هذا الكلام من الرّبّ ، نادى القادة وطلب منهم أن يتجوّلوا وسط المخيّم ويقولوا للشعب أن يستعدّوا ويجهّزوا لهم مؤونة ، لأنّهم بعد ثلاثة أيّام سيعبرون الأردن ويدخلون الأرض التي أعطاها الرّبّ لهم . ثمّ التفت إلى رجال من بني إسرائيل وقال لهم : «إنّ الرّبّ إلٰهكم أعطاكم هذه الأرض لتسكنوا فيها ، أنتم ونساؤكم وأطفالكم ومواشيكم . لكن على كلّ واحدٍ قويّ فيكم أن يعبر الأردن قدّام إخوته بني إسرائيل حتى تساعدوهم في القتال ضدّ أعدائهم .» فأجابوا يشوع : «كلّ ما أمرتنا به نفعله ، ومثلما أطعنا موسى نُطيعُك ، وليكن الرّبّ إلٰهك معك كما كان مع موسى .»



٧٦
مهمة سرّية
يشوع ٢

في البداية أرسل يشوع رجلين في السرّ حتى يتفحّصا الأرض ومدينة أريحا. فذهب الرّجُلان إلى مدينة أريحا، ودخلا بيت آمرأة آسمها راحاب وناما عندها. فعرف ملك أريحا أنّ رَجُلين من بني إسرائيل قدِما إلى المدينة حتى يتفحّصا الأرض، وإنّهما ينامان عند المرأة راحاب. فأرسل إليها من يطلب منها أن تُخرج الرّجُلين اللذين عندها لأنّهما قدِما حتى يتفحّصا المدينة والأرض.

وعلمت المرأه راحاب بالأمر فخبّأت الرّجُلين عندها وأخفتهما بين عيدان من الكتّان على السّطح، ولمّا قَدِم رُسُل الملك وطلبوا منها أن تُخرج الرّجلين من عندها قالت لهم: «نعم، جاءني الرّجلان، لكنّي لم أعلم من أين هما. وعند إغلاق باب المدينة أوّل الليل خرجا من

هنا ولا أعرف أين ذهبا. فأسرعوا وآلحقوا بهما.» فذهب رجال الملك وراءهما في اتجاه الأردن وحالما خرجوا من المدينة أغلق الحرس بابها خلفهم.

٧٧
الحبل الأحمر
يشوع ٢

وقبل أن ينام الرّجلان على السطح صعدت راحاب إليهما وقالت: «نحن سمعنا كيف شقّ الرّبّ مياه البحر الأحمر قدّامكم عند خروجكم من مصر، وكيف قضيتم على أعدائكم في طريقكم إلى هنا، وسمعنا أن الرّبّ أعطاكم هذه الأرض، سمعنا هذا كلّه ولم يبقَ عندنا شجاعة لقتالكم. والآن احلفا لي بالرّبّ أن تعاملاني وتعاملا أهلي معاملةً حسنةً كما عاملتكما أنا، وأن تُخلّصا من الموت أبي وأمّي وإخوتي وأخواتي وجميع ما عندهم.» فحلف لها الرَّجُلان بذلك شرط أن لا تُذيع خَبرهما، وقالا: «إذا أعطانا الرّبّ هذه الأرض سنعاملك معاملة حسنةً.»

وكان بيت راحاب في حائط سور المدينة، فمدَّت حَبْلاً من الشبّاك إلى الأرض وأنزلتهما وقالت لهما أن يذهبا صوب الجبل ويختبئا فيه ثلاثة أيّام حتى لا يعثُرَ عليهما رجال الملك، وعندما لا يعثرون عليهما يعودون إلى المدينة، فيتابعان هما طريقهما. وهنا قال لها الرَّجُلانِ: «نحن لا نُنفّذ ما حلفنا به إلاّ إذا فعلتِ هذا: عندما ندخُل هذه الأرض اعقدي هذا الحبل الأحمر في الشبّاك الذي نزلنا منه، وآجمعي أباك وأمّك وإخوتك وجميع أهلك في بيتك. فكلّ من يخرج منه يكون الحقّ عليه إذا قتلناه ولكن من يبقى معك نكون نحن المسؤولين عنه، فلا يُصيبه شرّ.»

وسار الرَّجُلان إلى الجبل، وبقيا هناك ثلاثة أيّام إلى أن عاد إلى المدينة رجال الملك الذين فتّشوا عنهما في كلّ مكانٍ فلم يجدوهما. ولمّا عاد رجال الملك إلى المدينة نزل الرَّجُلان من الجبل وذهبا إلى يشوع وأخبراه بكلّ ما جرى لهما.

٧٨ عبور نهر الأردن

يشوع ٣

وفي صباح اليوم الثاني بكّر يشوع ورحل مع الشعب إلى نهر الأردن ، ولمّا وصلوا إلى النهر قضوا الليل هناك قبل أن يعبروه . وبعد ثلاثة أيّام من الانتظار تجوّل القادة في المُخيّم وقالوا للشعب : «إذا رأيتم الكهنة يحملونَ تابوت عهد الرّبّ ويسيرون ، فسيروا وراءهم واتبعوهم . فأنتم لا تعرفون الطّريق لأنّكم لم تمشوا عليها من قبل !» ثمّ التفت يشوع إلى الكهنة وأمرهم أن يحملوا تابوت العهد ويسيروا قدّام الشعب . ففعلوا كما أمرهم .

وخرج الشعب مِن خيامهم ورحلوا صوبَ النهر حتى يعبروه ، بينما الكهنة يحملون تابوت العهد قدّامهم . فلمّا داس الكهنة المياه والنهر يفيض على جانبيه ، توقّف الماء المنحدر من فوق إلى تحت ، فعبر الشعب وظلّ الكهنة واقفين على أرض النهر إلى أن عَبر الشعب كلّه . ولمّا آنتهى الشعب من عبور نهر الأردن ، قال الرّبّ ليشوع : «خذْ من كلّ سبط في بني إسرائيل رجلاً ، وآطلب منهم أن يرفع كلّ واحدٍ منهم حجراً من النهر ويحمله إلى المكان الذي يقضونَ ليلتهم فيه .» فدعا يشوع آثني عشرَ رجلاً ، من كلّ سبط رجلاً واحداً ، وطلب منهم أن يسيروا قدّام تابوت العهد إلى وسط النهر ويرفع كلّ واحدٍ منهم حجراً على كتفه من النهر ويحمله إلى المخيّم ويضعه هناك ، فإذا سألهم أبناؤهم فيما بعدُ عن هذه الحجارة ، أجابوهم أن مياه الأردن توقّفت أمام



تابوت العهد عندما كانوا يعبرونه ، فتكون هذه الحجارةُ علامةً وتذكاراً لبني إسرائيل بتلك الحادثة إلى الأبد .



أرض الموعد

٧٩

دخول أريحا

يشوع ٥ - ٦

وعَبر يشوع نهر الأردن مع شعب إسرائيل واتجهوا نحو مدينة أريحا . ولمّا اقتربوا من هذه المدينة رفع يشوع عينيه وتطلّع ، فرأى رجلاً واقفاً وفي يده سيف . فسأله يشوع : «هل أنت معنا أم مع أعدائِنا ؟» فأجابه الرَّجل : «أنا رئيس جند الرّبّ » وهنا وقع يشوع على وجهه وسأل الرَّجل : «أَيَّ رسالةٍ تحملُ إليَّ ؟» فقال رئيس جند الرّب : «آخلعْ نعليك لأنَّ هذا المكان مقدَّسٌ .»

وفي ذلك الوقت كانت أبواب أريحا مغلقة بوجه بني إسرائيل ، فلم يكن أحدٌ يخرج منها أو يدخُلها . فأمر الرّبّ يشوع أن يدوروا حول المدينة كلّ يوم مرَّةً واحدةً وهذا لِمُدَّةٍ ستّة أيّام . وفي كلّ مرَّةٍ يدورون ، يحمل سبعة كهنة سبعة أبواق أمام تابوت العهد ، لكن في اليوم السابع عليهم أن يدوروا حولَ المدينة سبعَ مرّاتٍ فيما ينفخ الكهنة في الأبواق وحالما يسمع الشعب أبواق الكهنة يهتفون هتافاً عظيماً وحين يفعلون ذلك يسقط سور المدينة ، ويدخلها كلٌّ واحدٍ منهم .



٨٠
سقوط الأسوار
يشوع ٦

وفي الصّباح بكّر يشوع، وحملَ الكهنة تابوت العهد، وقدّام التابوت سار الكهنة السّبعة يحملون أبواقهم وينفخون فيها. ثمّ عادوا في آخر النهار إلى المُخيّم وقضوا الليل فيه. وهكذا فعلوا الشيء ذاته مُدَّة ستّة أيّام.

ولمّا جاء اليوم السابع بكّروا عند طلوع الصبح وداروا حول المدينة سبع مرّاتٍ. وفي المرّة السابعة نفخ الكهنة في الأبواق، فهتف الشعب هتافاً عظيماً عندما سمعوا صوتها، فسقط سور المدينة في مكانه. فهجم الشعب عليها واحتلّوها، وقتلوا بالسيف جميع من فيها من رجالٍ ونساءٍ وأطفال وشيوخ، حتى أنّهم قتلوا البقر والغنم والحمير.

وبعدما احتلّ الشعب مدينة أريحا وقتلوا كلّ من فيها، طلب يشوع من الرّجلين اللذين تفحّصا الأرض أن يدخلا بيت راحاب ويُخرجاها من هناك مع جميع ما هو لها، كما حلفا لها حين خلّصَتْهما من رجال الملك. فدخل الرّجُلان وأخرجاها مع أبيها وأمّها وإخوتها وأقاربها وأسكنوهم بجوار المُخيّم. وبعد ذلك أحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنّار، أمّا الذهب والفضّة وأوعية النحاس والحديد فحملوها وأخذوها إلى خزانة بيت الرّبّ.





٨١
الخبز اليابس

يشوع ٩

وسمع أهالي جبعون بما فعله يشوع بمدينة أريحا. فخافوا ولجأوا إلى الحيلة في محاربته. فحمّلوا حميرهم أكياساً عتيقة، وزقاقاً جلديّةً من الخمر مشقّقةً، ولبسوا أحذية مُرقّعة وثياباً عتيقةً، وذهبوا إلى يشوع. ولمّا وصلوا إليه قالوا له: «نحن قادمون إليكم من أرض بعيدة، فأعطونا وعداً أنّكم تحموننا.» فسألهم يشوع: «من أنتم، ومن أينَ جئتم؟» فأجابوه: «نحن جئنا من أرضٍ بعيدةٍ جدّاً، لأنّنا سمعنا بآسم الرّبّ إلهك، وبجميع ما صنع في مصر، وما فعل بأعدائك الأموريّين. وعندما سمعنا بكلّ هذا، طلب منّا شيوخنا وباقي سكّان أرضنا أن نحمل مؤونة للطّريق ونجيء إليكم حتّى تحمونا. ودليلنا على أنّنا من أرض بعيدة هو خبزنا الّذي كان ساخناً في بيوتنا يوم خرجنا إليكم، وهو الآن يابس عَفِنٌ. وزقاق خمرنا كانت جديدة حين ملأناها، وها هي اليوم مُشقّقةٌ. وهذه ثيابنا ونعالنا عتقت وآهترأت من طول الطّريق.» ولمّا سمع يشوع هذا الكلام صدّقهم، ووعدهم أن يبقي على حياتهم ويحميهم، وهكذا وعدهم رؤساء الشعب.

لكن بعد ثلاثة أيّام من هذا الوعد، سمع رجال إسرائيل أن هؤلاء الغرباء الّذين نزلوا عندهم كانوا من جبعون، وكانوا جيراناً لهم، ولم يكونوا من أرض بعيدة. فسار بنو إسرائيل مدّة ثلاثة أيّام إلى مدينة جبعون والقرى هناك وحين وصلوا إليها أخذوها. لكنّهم لم يقتلوا سكّانها. فتذمّر شعب إسرائيل على رؤسائهم من أجل هذا. فقال لهم رؤساؤهم: «حلفنا لهم بالرّبّ أن نُبقي على حياتهم، والآن لا يجوز أن نُسيء إليهم فإذا أسأنا إليهم يغضب علينا الرّبّ لأنّنا نكون نقضنا اليمين التي حلفناها لهم.»

ثمّ دعا يشوع أهالي جبعون وسألهم: «لماذ[ا] خدعتمونا وكذبتم علينا وقلتم أنّكم من أرض بعيدة، بينما أنتم تسكنون هنا في مناطقنا؟» فأجابوه: «سمعنا أن الرّبّ إلهك يُعطيك هذه الأرض ويقضي على سُكّانها من أجلكم: فخفنا على أنفسنا، وفعلنا ما فعلناه، والآن ه[ا] نحن بين يديك، فآفعل بنا ما تراه مناسباً.»

ولمّا سمع يشوع كلامهم، منع بني إسرائيل أن يقتلوهم، لكنّه جعلهم من ذلك اليوم يحملون الحطب والماء لبني إسرائيل ولمذبح الرّبّ



٨٢

توقفي ، أيتها الشمس !

يشوع ١٠

وسمع ملك أورشليم أن يشوع احتلَّ مدينة عاي وهدمها وفعل بها وبملكها كما فعل بمدينة أريحا وملكها ، وسمع أن أهل جبعون تصالحوا مع بني إسرائيل وسكنوا بينهم ، ولمّا سمع هذا كلّه خاف خوفاً شديداً . فأرسل إلى ملوك الأموريّين يقول لهم : «تعالوا إليَّ وساعدوني فنهاجم أهالي جبعون لأنّهم تصالحوا مع بني إسرائيل .» فآجتمع ملوك الأموريّين وتقدّموا بجميع جيوشهم وطوّقوا جبعون وهاجموها من جميع الجهات .

ولمّا رأى أهالي جبعون ما يجري أرسلوا إلى يشوع يطلبون العَون ويقولون : «لا تتركنا في الضيق ، تعال إلينا سريعاً وخلّصنا وساعدنا على أعدائنا الَّذين اتفقوا علينا وهاجمونا .» فلبّى يشوع طلبهم وأسرع لمساعدتهم مع جميع المحاربين وكلّ الأقوياء من بني إسرائيل . وفيما هم يتقدّمون ، قال الرّبّ ليشوع : «لا تخفْ منهم ، فأنا هزمتهم وسلّمتهم إليك ، فلا يصمد أحد أمامك .» فقضى يشوع كلّ اللّيل وهو يصعد إليهم ، وحين اقترب منهم هاجمهم بغتةً ، فهزمهم وضربهم ضربةً عظيمةً . وفيما هم ينهزمون أمام بني إسرائيل رماهم الرّبّ من السماء بحجارةٍ عظيمةٍ من البَرَد ، فماتوا .



وكان الّذين ماتوا بحجارة البَرَد أكثر من الّذين قتلهم الشعب بالسيف.

وفيما كان يشوع يُقاتل أعداءه رأى الشمس تنحدر إلى المَغيب قبل أن يقضي عليهم، فتطلّع إلى الشمس وأمرها بالتّوقّف قائلاً: «توقّفي يا شمس فوق جبعون، وفوق وادي أيلون توقّف يا قمر.» فتوقّفت الشمس والقمر يوماً كاملاً إلى أن قضى بنو إسرائيل على جميع أعدائهم في ذلك النهار.

٨٣
قسمة الأراضي
يشوع ١٣ - ٢٤

وكبُر يشوع في السّن وصار شيخاً، فقال له الرّبّ: «كبُرت في السّن يا يشوع، وصرت شيخاً، وبقيت أراضٍ كثيرة للامتلاك. هذه الأراضي كلّها تُقسّمها لبني إسرائيل، تقسمها بين الأسباط التّسعة. أمّا سبط لاوي فليس له حصّة لأنّ الذبائح التي يقدّمها الشعب للربّ تكون حصّته، كما قال الرّب لموسى. فأخذ يشوع كل الأراضي الّتي وعد الرّبّ بها موسى ووزّعها على بني إسرائيل بحسب أسباطهم، وآستراحت الأرض بعد ذلك من الحروب.

وأعطى الرّبّ لبني إسرائيل جميع الأراضي الّتي حلف أنّه يعطيها لآبائهم، فتملّكوها وسكنوا فيها، وأراحهم الله فلم يهاجمهم أحدٌ من جميع أعدائهم، بل سلّم الرّبُّ جميع أعدائهم إلى أيديهم، ولم يُخْلِ بوعدٍ من جميع الوعود التي قالها لهم، بلْ نفّذها كلّها.

وبعدما أراح الرّبّ بني إسرائيل من جميع أعدائهم، كبر يشوع في السّن وصار شيخاً، فدعى إليه جميع شيوخ بني إسرائيل ورؤساءهم وقضاتهم وقادتهم وقال لهم: «ها أنا صرتُ شيخاً وكبيراً في السّن. وأنتم رأيتم ما فعل الرّبّ إلٰهكم بأعدائِكمْ فالرّبّ إلٰهكم هو الذي يهزمهم ويطردهم من أمامكم، فتملكون أرضهم. فتشدّدوا في أن تحفظوا جميع ما هو مكتوب في شريعة موسى وآعملوا به ولا تحيدوا عنه يميناً ولا شمالاً.»

وبعد ذلك مات يشوع وعمره مئة وعشر سنين، فدفنوه في أرضه.



أيام القضاة

٨٤

تمرد

قضاة ٢

في البداية عبد الشعب الرّبّ في أيّام يشوع وأيّام الّذين عاشوا في زمن يشوع وبعده، فهم شاهدوا أعمال الرّبّ العظيمة التي عملها لهم. لكن بعدما مات يشوع والّذين عاشوا في أيّامه وعرفوه، ظهر جيلٌ آخر في الشعب لا يعرفُ الرّبّ ولا ما عمله لهم. ففعلوا الشرّ وتركوا الرّبّ إلّه آبائهم الّذي أخرجهم من أرض مصر وعبدوا آلهة أخرى من آلهة الشعوب الغرباء الّذين حولهم، وسجدوا لها، فأغضبوا الرّبّ بهذا العمل. فتركهم الرّبّ وسلّمهم إلى الغزاة الّذين هاجموهم ونهبوا كلّ ما عندهم، وتخلّى عنهم إلى أعدائهم الغرباء، فلم يقدروا أن يصمدوا أمام هجماتهم. وكلّما حاربوا كان الرّبّ يهملهم بسبب شرورهم، فتضايقوا جدّاً من الحالة التي وصلوا إليها.

ورأى الرّبّ ضيقهم، فعيّن عليهم قضاة حتّى يخلّصوهم من أيدي الناهبين. وكلّما عيّن الرّبُّ قاضياً عليهم كان يساعده حتى يُخلّصهم من أعدائهم لأنّه تحنّن عليهم وعلى أوجاعهم بسبب الذين كانوا يظلمونهم، لكنّهم بعد موت القاضي كانوا يرجعون إلى شرورهم، فيعبدون آلهة غريبة ويسجدون لها.

واشتدّ غضب الرّبّ عليهم وقال: «هذا الشعب خالف الاتفاق الذي عقدته مع آبائهم ولم يسمع أحد منهم للوصايا التي أعطيتها لهم. لذلك لن أساعدهم في حروبهم ضدّ أعدائهم.» وترك الرّبّ تلك الأمم الغريبة تهاجمهم دون أن يتدخّل ويطردها عنهم.



٨٥

إهود العسراوي

قضاة ٣

ولمّا عاد بنو إسرائيل إلى الشرّ سلّط الرّبّ عليهم ملكَ موآب وكان آسمه عجلون فجمع جيشاً كبيراً وحاربهم وآحتلّ مدينة أريحا المعروفة بمدينة النخيل، وجعلهم الملك عجلون عبيداً له مدّة ثماني عشرة سنة.

فصرخ بنو إسرائيل إلى الرّبّ يطلبون منه أن يُخلّصهم فأرسل لهم رجلاً يُخلّصهم وكان آسم هذا الرَّجُل إهود البنيامّيني، وكان هذا الرَّجُل أعسر يستخدم يده اليسرى بدل يده اليمنى في قضاء أعماله وحاجاته.

وفي أحد الأيّام طلب الشعب من إهود أن يذهب إلى الملك عجلون ويأخذ معه جزية، فصنع إهود لنفسه سيفاً خبّأه تحت ثيابه على جنبه الأيمن وذهب إلى الملك عجلون، وكان هذا الملك سميناً جدّاً. ولمّا وصل إهود إليه قدّم له الجزية، وخرج مع الجماعة التي كانت ترافقه. وبعدما قطع مسافة قصيرة مع جماعته رجع وحده إلى الملك وقال له:



«أُحبُّ أن أحكي لك كلمة في السرّ.» فطلب الملك من الحاضرين أن يخرجوا، فخرجوا. ولمّا خرج الحاضرون تقدّم إهود نحوه، مدّ يده اليُسرى إلى سيفه على جنبه الأيمن، سحبه وضربه في بطن الملك عجلون وقتله. ثمَّ خرج إهود وأغلق باب الغرفة وراءه، ومضى.

ولمّا خرج إهود جاء عبيد الملك فرأوا أبواب الغرفة مقفولة، فظنّوا أن الملك مشغول في الداخل، وانتظروا وحين طال انتظارهم دون أن يفتح الملك باب غرفته قلقوا، فأخذوا المفاتيح وفتحوا الأبواب، فإذا بالملك ميت على الأرض. فوقعوا في حيرة كبيرة، وبينما هم في حيرتهم هرب إهود وعاد إلى الشعب. وعند وصوله إليهم نفخ في البوق، فتجمّع الشعب حوله ونزلوا معه من الجبل وهو يقودهم، وهاجموا المؤابيّين، فقتلوا منهم في ذلك الوقت حوالي عشرة الآف رجلٍ من الأبطال الأقوياء ولم يفلت منهم أحد.

٨٦
دبورة وباراق
قضاة ٤

وبعد سنوات عديدة مات إهود، فعاد بنو إسرائيل بعد موته وعملوا الشرّ أمام الرّبّ، فسلّط الرّبّ عليهم ملك كنعان وآسمه يابين، فصرخ بنو إسرائيل إلى الرّبّ يطلبون العون منه، لأن يابين الملك ظلّ يضايقهم ويتحكّم بهم مدّة عشرين سنةً.

وفي ذلك الزمان عاشت آمرأة نبيّة آسمها دبورة. وكانت هذه المرأة تجلس تحت نخلةٍ، وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها لتقضي لهم وتحلّ خلافاتهم لأن الرّبّ كان عيّنها قاضيةً عليهم.

وفي يوم من الأيّام دعت دبورة إليها رَجُلاً آسمه باراق وقالت له: «الرّبّ إلّه إلّهك يأمركَ بأن تجمع عشرة آلاف رجل وتذهب إلى جبل تابور، وأنا آتي إليك بسيسرا قائد جيش يابين وأجعلك تقضي عليه وعلى جيشه.» فقال لها باراق إنَّه مستعد أن يفعل هذا شرط أن تذهب هي معه، فقبلت دبورة أن تذهب معه. فجمع باراق عشرة آلاف رَجُلٍ وقادهم بصحبة دبورة.

وعلم سيسرا قائد يابين بالأمر، فجمع تسع مئة مركبة من حديد وسار في آتجاه باراق. ولمّا رآه باراق نزل من جبل تابور ووراءه عشرة آلاف رَجُلٍ فآرتعب سيسرا وجميع مركباته عندما رآه، ونزل من مركبته وهرب على قدميه. أمّا باراقُ فطارد عسكر سيسرا وقتلهم جميعاً بحدّ السيف ولم يبقَ أحد منهم.

٨٧ مطرقة ووتد

قضاة ٤

وبينما كان سيسرا يسرع في الهرب على قدميه مرّ بخيمة آمرأةٍ آسمها ياعيل. وكانت ياعيل من قبيلة تسالم الملك يابين. فلمّا رأته هارباً خرجت من خيمتها حتى تستقبله وهي تقول له: «تفضّلْ، ياسيّدي، تفضّلْ ولا تخفْ.» فدخل خيمتها، وبعدما دخلها غطّته ببساط فطلب منها أن تَسقيه قليلاً من الماء لأنَّه عطشان. فأتت بوعاء من لبن، سقته منه ثمّ غطّته ثانيةً. وبعدما شرب وتغطّى طلب منها أن تقف على باب الخيمة وتنكر أنَّه موجود عندها في الداخل إذا جاء أحد وسأل عنه. وما آنتهى من كلامه حتى نام نوماً عميقاً. وفيما هو نائم تناولت ياعيل وتداً يثبّت الخيمة إلى الأرض، ثمّ تناولت مطرقة بيدها وآقتربت منه بهدوء وصوّبت رأس الوتد إلى رأسه وضربته بالمطرقة، فخرق الوتد رأسه وغرز في الأرض، فمات سيسرا.

وفي هذه اللّحظة جاء باراق يبحث عن سيسرا، فرأته ياعيل وخرجت تستقبله وتقول له: «تعالَ، هنا الرّجل الذي تُفتّش عنه.» فدخل باراق وإذا به يرى سيسرا ساقطاً ميتاً والوتد في رأسه.

وهكذا أعانَ الله بني إسرائيل في ذلك اليوم على الملك يابين. ومن ذلك الوقت أخذ بنو إسرائيل يزدادون قوّة حتى تمكّنوا في النهاية من القضاء على يابين.



قصّة جدعون

٨٨
البطل المتمرد
قضاة ٦

وكما هي العادة، رجع بنو إسرائيل إلى عمل الشرّ. فسلّط الرّبّ عليهم قبيلة مديان، فضايقتهم هذه القبيلة وآضطهدتهم مدّة سبع سنين. فكانوا إذا زرعوا أرضهم يصعد إليهم



المديانيّون ويهاجمونهم، ويُخيّمون على أرضهم ويقضون على المزروعات ولا يتركون لبني إسرائيل شيئاً من الغنم والبقر والحمير. فأذلّ بنو إسرائيل جدّاً أمام بني مديان وصرخوا إلى الرّبّ يطلبون العون. ولمّا صرخوا إليه يطلبون العون جاء ملاك الرّبّ وجلس تحت شجرة البطمة. وكان هناك في ذلك الوقت رَجُل آسمه جدعون آبن يوآش يدقّ سنابل الحنطة في المعصرة هرباً من بني مديان. فظهر له الملاك. وحين ظهر له الملاك قال له: «الرّبّ معك أيّها الجبّار.» فقال له جدعون: «إذا كان الرّبّ معنا فلماذا كلّ هذا الظلم علينا أين عجائبه التي حكى لنا أباؤنا عنها وقالوا لنا إنّه أخرجنا من أرض مصر! والآن، ها هو يجعلنا تحت سيطرة المديانيّين.» فآلتفت إليه الرّبّ وقال له: «ها أنا جئت لأرسلك حتى تُخلّص بني إسرائيل من سيطرة بني مديان.» وهنا أجابه جدعون: «لكنْ بماذا أخلّص بني إسرائيل، وجماعتي أضعف جماعة وأنا أصغر واحدٍ في بيتنا؟» فقال له الرّبّ: «أنا معك، وستضرب بني مديان دفعةً واحدةً كما لو كانوا رجلاً واحداً.»

٨٩

جدعون يتأكد

قضاة ٦

وأراد جدعون أن يتأكّد بعلامة أنّ الذي يكلّمه هو الرّبّ، فطلبَ منه أن يبقى في مكانه حتى يذهب ويعود إليه بتقدمة. فوعده الرّبّ أن يبقى في مكانه حتى يعود.

فدخلَ جدعون إلى بيته، وبعد وقت قصير عاد بسلّة فيها لحم وخبز، وبقدرٍ فيها مرق، وتقدّم إلى شجرة البطم ووضع تحتها كلّ ما يحمله. فأمره ملاك الرّبّ أن يأخذ اللّحم والخبز ويضعهما على صخرة هناك ويصبّ عليهما المرق. ففعل جدعون كما أمره الرّبّ. وهنا مدّ ملاك الرّبّ طرف العصا التي في يده ولامس اللّحم والخبز، فصعدت نار من الصخرة وأكلتهما. وفي الحال غاب ملاك الرّبّ عن عينيه، عند ذلك تأكّد جدعون أن الذي يحكي معه كان ملاك الرّبّ. لكنّه أراد أن يزيد تأكيده، فقال جدعون لله: «إذا كنت بالفعل تريدني أن أخلّص بني إسرائيل كما تقول، فاعطني برهاناً على ذلك: «دعني أضع جزّة صوف على البيدر، فإذا سقط النّدى على الجزّة وحدها وكانت الأرض حولها ناشفةً، أعرف أنّك بالفعل تريدني أن أخلّص الشعب.» فكان كذلك. بكر جدعون في الغد وذهب إلى الجزّة وعصرها، فخرج منها ماء يملأ وعاءً، وبينما الأرض حولها ناشفةً. وهنا قال جدعون لله: «لا تغضب عليّ، دعني أجرّب هذه المرّة أيضاً بجزّة الصوف، دع الجزّة وحدها ناشفةً وعلى الأرض حولها ندى.» ففعل الرّبّ كذلك في تلك الليلة، كانت الجزّة وحدها ناشفةً وحولها على الأرض كان النّدى.



٩٠

مهمة سريّة

قضاة ٦

بعدما تأكّد جدعون أن الله يريده أن يُخلّصَ الشعب أمره الرّبّ في تلك اللّيلة أن يذهب إلى مذبح البعل الذي لأبيه ويهدمه ويقطع الشجرة القريبة منه ، وأن يبني مكانه للربّ مذبحاً على رأس الصخرة . فأخذ جدعون عشرة رجالٍ من خدّامه وفعل كما أمره الرّبّ . لكنّه فعل هذا في اللّيل لأنّه خاف من أقربائه ورجال المدينة الذين كانوا يعبدون البعل .

وبكّر رجال المدينة صباحاً فوجدوا مذبح البعل مَهدوماً ، والشجرة القريبة منه مقطوعة ، فتسأل بعضهم بعضاً : «مَنْ فعل هذا ؟» وحين سألوا وبحثوا عن الفاعل عرفوا أنّ جدعون بن يوآش هو الذي فعل هذا ، فقال أهل المدينة لأبيه : «هاتِ آبنك لنقتله لأنّه هدم مذبح البعل وقطع الشجرة القريبة منه .» فقال يوآش لجميع الحاضرين : «هل جئتم تدافعون عن البعل ؟ كلُّ من يدافع عنه يموت قبل طلوع الصّبح . إذا كان البعل بالفعل إلّهاً فدعوه ينتقمْ هو لنفسه من الذي هدم مذبحه .»



٩١

جدعون يختار عسكره

قضاة ٧

وبعدما هدم جدعون مذبح البعل أمره الرّبّ أن يهاجم بني مديان. فبكّر هو وجميع القوم الذين معه وخيّموا في مكان آسمه عَين حرود، بينما خيّم بنو مديان إلى الشمال نحو تلٍّ آسمه تلْ مورة وكان هذا التّلْ واقعاً في الوادي.

وقبل الهجوم على المديانيّين قال الرّبّ لجدعون: «رجالك كثيرون، فإذا انتصروا في المعركة سيفتخرون عليّ لأنّهم يظنّون أنّهم هم الذين خلّصوا أنفسهم. فآذهب وقلْ لهم: «مَنْ كان خائفاً، عليه أن يرجع إلى بيته ويترك هذا المكان.» وهكذا كان، فرجع من الشعب آثنان وعشرون ألفاً، وبقي معه عشرة آلاف مقاتل. ورغم هذا، بقي رجال جدعون كثيرين في عيني الرّبّ، فقال له: «ما زال رجالك كثيرين، دعهم ينزلون إلى الماء وأنا



أفحصهم هناك. ضعْ في جهةٍ كلَّ واحدٍ يشربُ بلسانه كما يشرب الكلب، وضع في الجهة الثانية كلَّ واحد يشرب الماء براحة كفّيه.» فعمل جدعون كما أمره الرّبّ، فكان الّذين شربوا الماء براحة الكفّ ثلاث مئة رجل، أمّا البقيّة فركعوا على رُكَبِهم ليشربوا كما يشرب الكلب. فقال الرّبّ لجدعون: «بهؤلاء الثلاث مئة رَجُل الذين شربوا بأيديهم تحارب بني مديان وتغلبهم، وأمّا الآخرون فدعْهم يرجعون إلى بيوتهم.» وهكذا كان، حمل كلّ واحدٍ من الثلاث مئة رَجُل زاده في يده وساروا وراء جدعون لمقاتلة المديانيّين، بينما آنصرف الآخرون إلى بيوتهم.

٩٢

همس في الليل

قضاة ٧

وفي تلك اللّيلة قال الرّبّ لجدعون: «هاجمْ خيام المديانيّين لأنّي سأجعلك تتغلّب عليهم، فإذا كنت تخاف أن تهجم فآقتربْ منهم سرّاً مع خادمك فورة وآسمع ما يقولون، وبعد أن تسمع ما يقولون تتجرّأ وتهاجم.» فسار جدعون مع خادمه فورة مُتخفّياً إلى طرف المُعسكر. وكان المديانيّون مختفين في الوادي وكان عددهم كثيراً كالجراد وعدد جِمالهم كالرّمل على شاطىء البحر. فلمّا آقترب جدعون من المُخيّم سمع رجلاً يقصّ على رفيقه حُلماً رآه، قال: «حلمتُ برغيفِ خبزٍ من شعير يتدحرج، وظلّ هذا الرغيف يتدحرج حتى دخل معسكرنا وصدم خيمةً فقلبها وأسقطها.» فأجابه صاحبه: «تفسير هذا الحُلم هو أنّ هذا الرغيف هو سيف جدعون بن يوآش، جبّار بني إسرائيل، الذي سيدفعه الله إلينا وإلى مُعسكرنا.»

وسمع جدعون قصّة هذا الحُلم وتفسيره، فسجد للربّ وأسرع إلى مُخيّم بني إسرائيل وقال لهم: «قوموا، فالرّبّ سيجعلكم تتغلّبون على بني مديان.»

٩٣
أبواق ومشاعل
قضاة ٧

وقبل أن يهجم جدعون على المديانيّين قسّمَ الثلاث مئة رَجُل الذين معه إلى ثلاث فرق، ثمّ جعل في أيديهم أبواقاً وجراراً فيها مشاعل، وقال لهم: «سأتقدّم مع فرقتي إلى أطراف مُخيّم المديانيّين، فخلّوا عيونكم عليّ وراقبوني وآفعلوا تماماً كما أفعل. متى نفختُ في البوق أنا وجميعُ من معي، تنفُخون في الأبواق أنتم أيضاً حول مُخيّمهم كلّه وتصرخون: للربّ ولجدعون.»

وقبل منتصف اللّيل تقدّم جدعون نحو أطراف المخيّم، وكان حرّاس المخيّم وقتها يتبدّلون، فنفخ هو والّذين معه في الأبواق وكسروا الجرار التي بأيديهم. ولمّا رأى رجال الفرقتين الباقيتين ما فعل جدعون وفرقته نفخوا



هم أيضاً في الأبواق وكسروا الجرار، ورفعوا المشاعل بأيديهم اليسرى وأخذوا الأبواق بأيديهم اليمنى ونفخوا فيها، وصرخوا: «نُحارب من أجل الرّبّ وجدعون.» ووقف كلّ واحد منهم في موضعه حول مُخيّم المديانيّين، ولمّا رأى بنو مديان كلّ هذا صاروا يركضون ويضجّون بالصراخ ويهربون في كلّ اتجاه. فتجمّع رجال بني إسرائيل وأخذوا يطاردون بني مديان حتى تغلّبوا عليهم وأبادوهم.



قصّة يفتاح

٩٤
وعدُ يفتاح
قضاة ١١

وعاش في ذلك الزمان رَجل آسمه يفتاح، وكان يفتاح آبن امرأة خاطئة، وكان والده رجلاً آسمه جلعاد، وكانت لجلعاد زوجة، فولدت له أبناء. ولمّا كبُر هؤلاء الأبناء، طردوا يفتاح وقالوا له: «لا إرث لك في بيت أبينا لأنّك آبن امرأة خاطئة.» فهرب يفتاح من البيت وسكن في مكان يُعرف بأرض طوب، وهنا آنضمّ إليه قوم بطّالون لا يعملون شيئاً، وأخذوا يقومون بأعمال الغزو والنهب.

وبعد مدّةٍ من الزمن وقعت حرب بين بني عمّون وبني إسرائيل، فقام شيوخ بني إسرائيل الساكنون في أرض جلعاد وذهبوا إلى يفتاح في أرض طوب وقالوا له: «هناك حرب بيننا وبين العمّونيّين، ونحن نريدك أن تكون قائداً لنا في هذه الحرب.» فأجابهم يفتاح: «أنتم كرهتموني وطردتموني من بيت أبي، والآن تجيئون إليّ حتى أخلّصكم من ضيقكم؟» ثمّ سألهم: «هل أصير رئيساً عليكم إذا رجعتُ معكم وحاربت بني عمّون وانتصرت؟» فأجابوه أنّهم سيجعلونه رئيساً عليهم إذا هو جاء معهم وحارب بني عمّون. وعند سماعه هذا الكلام قام يفتاح ورجع مع شيوخ جلعاد وصارَ رئيساً على الشعب وقائداً لهم. في البداية، أرسل يفتاح رُسُلاً إلى ملك بني عمّون يسأله: «لماذا تفعل هذا؟ أنت جئت إلى أرضي حتى تحاربني.» فأجابه ملك العمّونيّين: «جئتُ إلى هنا لأن هذه الأرض أرضي، وبنو إسرائيل أخذوها حين صعدوا من أرض مصر. فردّوا أرضي لي إذا أردتم أن تعيشوا في سلام.» وعاد يفتاح وأرسل إليه رُسُلاً يقولون له أنّ بني إسرائيل لم يأخذوا أرض بني عمّون، لكن ملك بني عمّون لم يسمع أبداً لهذا الكلام.



ولمّا رأى يفتاح أن ملك العمّونيّين ينوي الحرب، سار إليه يقود المحاربين الذين عنده.

وبينما هو سائر في آتّجاه العمّونيّين وعد الرّبَّ وقال له: «إذا جعلتني أغلب بني عمّون سأقدّم ذبيحةً لله، وهذه الذبيحة تكون أوّل شخص أراه يخرج من باب بيتي للقائي عندما أعودُ سالماً من الحرب.»

وعبر يفتاح إلى بني عمّون ليحاربهم، فتغلّبَ عليهم وضربهم ضربةً عظيمةً، وآنهزم بنو عمّون أمام بني إسرائيل.

ولمّا آنتهى القتال عاد يفتاح إلى بيته، فرأى آبنته خارجة للقائه بالدّفوف والرقص، وكانت آبنته وحيدةً له، فلم يكن عنده آبن أو آبنة غيرها. فلمّا رآها مزّق ثيابه وقال: «آه يا آبنتي، جلبتِ عليّ الحزن الشديد وسبّبتِ لي التعاسة، فأنا وعدت الرّبّ وعداً، ولا أقدر أن أتراجع عنه.» فقالت له آبنته: «اصنع بي ما وعدت الرّبّ به، المهم هو أن الرّبّ انتقم لك من أعدائك.» ثمّ طلبت منه أن يتركها شهرين في الجبال تقضيهما مع رفيقاتها في البكاء. وهكذا كان. فذهبت هي ورفيقاتها للبكاء في الجبال، وعند نهاية الشهرين رجعت إلى أبيها، فقدّمها ذبيحةً للربّ.

٩٥
قل شبّولت
قضاة ١٢

وبعدما آنتصر يفتاح على بني عمّون، تجمّع رجال من سبط أفرايم، وذهبوا إلى يفتاح وسألوه في غضب: «لماذا ذهبتَ لمحاربة بني عمّون ولم تطلب منّا أن نذهب معك؟ سنحرق البيت بالنار على رأسك.» فأجابهم يفتاح: «كان لي ولشعبي خلاف شديد مع بني عمّون، ودعوتكم مرّاتٍ عديدة حتى تساعدوني وتخلّصوني منهم. وحين رأيت أنّكم لم تخلّصوني منهم، خاطرت بروحي وهجمتُ على بني عمّون، وغلَبْتُهم بِعَون الرّبّ. فلماذا تجيئون إليّ اليوم لتحاربوني؟»

وعندما رأى يفتاح أن لا مهرب من محاربة بني أفرايم، جمع رجاله وهجم عليهم وهزمهم. وفيما هم ينهزمون، قطع رجال يفتاح الطّريق عليهم فسدّوا معابر الأردن. فكان إذا أرادَ أحد العبور يسأله الجلعاديّون وهم رجال يفتاح إذا كان من سبط أفرايم، فيجيبهم أنّه لا يعرف شيئاً عن هذا السّبط، عند ذلك يطلبون منه أن يقول كلمة «شبّولت» وتعني هذه الكلمة (عرنوس ذره) وكان بنو أفرايم لا يحسنون لفظة حرف ش، فيقولون س. فإذا قال العابر «سبّولت» بدل «شبّولت» يقبضون عليه ويذبحونه على معابر الأردن. فقتلوا في ذلك الوقت آثنين وأربعينَ ألفاً من سبط أفرايم.

شمشون القوي

٩٦

طفل متميّز عن غيره

قضاة ١٣

وبعدما خلّص يفتاح شعبه من بني أفرايم، عاد هذا الشعب وعمل الشرّ فسلّمهم الرّبّ إلى أيدي الفلسطيّين مدّة أربعين سنة.

وفي تلك الأيّام عاش رجل من بني إسرائيل آسمه منوح. وكانت لهذا الرَّجُل زوجة عاقر لا تلد أبناء. فظهر الرّبّ لهذه الزّوجة وقال لها: «أنت آمرأة عاقر، لكنّك ستحملين وتلدين آبناً. فآنتبهي! لا تشربي خمراً ولا تأكلي شيئاً حرَّمَتْه الشَّريعة ولا تَقُصّي شعر آبنك أبداً، لأنّه سيكون نذيراً لله، (أي مكرَّساً)، وهو في بطنك. وهو يبدأ بتخليص بني إسرائيل من سلطة الفلسطيّين.»

فجاءت المرأة إلى زوجها منوح وآخبرته بكلّ ما قال لها الرّبّ. ولمّا سمع زوجها منوح كلامها صلّى إلى الرّبّ وقال: «أرجوك يا ربّي أن ترسل إلينا رجل الله ثانيةً حتى يُعلّمنا ما نعمل بالصَّبي حين يولد.» فآستجاب الله لصلاة منوح وأرسل الملاك ثانيةً إلى زوجته، وكانت في ذلك الوقت تعمل في الحقل وحدها، لم يكن زوجها معها. ولمّا رأته أسرعت الزّوجة إلى زوجها وأعلمته أنّ الملاك ظهر لها مرّة ثانية. فقام منوح وتبع زوجته إلى الملاك وسأله إذا كان هو الذي تكلّم مع زوجته البارحة. فأجابه الملاك: «أنا هو.» فسأله منوح: «والآن إذا حدث ما تقول بأنَّ زوجتي ستلد آبناً قلْ لنا كيف عليه أن يعيش.» فأجابه الملاك: «على زوجتك أن تمتنع عن جميع ما ذكرته لها: فلا تشرب خمراً ولا تأكل شيئاً حرَّمَتْهُ الشّريعة.»

وحدث كلُّ ما قاله الرّبّ للزّوجة، فولدت آبناً سمّته شمشون. وكبر الصّبي وحلّ روح الرّبّ عليه وباركه وملأه قوّة.



٩٧
تحضير عرس
قضاة ١٤

ولمّا كَبُرَ شمشون نزل مرّةً إلى بلدة آسمها تِمنة ، وبينما هو في تِمنة شاهد صبيّة من صبايا الفلسطيّين ، فأعجبته وأراد أن يتزوّجها . فرجع إلى أبيه وأمّه وقال لهما أنّه شاهد في تِمنة صبيّة من صبايا الفلسطيّين ، وأنّ هذه الصبيّة أعجبته



وأنّه يريد أن يتزوّجها . فقالا له : «أما في عشيرتك وفي شعبِكَ صبيّة غيرها تُعجِبُكَ ؟ فلماذا تذهب إلى الفلسطيّين وتتزوّجها ؟» فأجاب شمشون : «لا أريد أن أتزوّج غيرها . هي وحدها تعجبني .»

وعندما أصرّ شمشون على أن يتزوّج الصبيّة الفلسطيّة نزل مع أمِّهِ وأبيه إلى تِمنة حتى يطلبوا البنت من أهلها للزواج . وحين آقتربوا من هذه البلدة ووصلوا إلى كرومها ظهر أسد قوي أمام شمشون وزأر في وجهه . وهنا حلّ روح الله على شمشون وتقوّى ، فهجم على الأسد القوي وفسخه كما لو كان جدياً ، وهذا دون أن يكون في يده عصى أو شيء آخر . وبعدما فسخ شمشون الأسدَ لحق أمّه وأباه ولم يخبرهما بما فعل . ثمّ تابعوا المسير حتى وصلوا إلى بيت الصبيّة التي أعجبته وطلبوها من أهلها للزّواج ورجعوا بعد ذلك إلى بيتهم .

وبعد أيّامٍ رجع شمشون مع أبيه وأمّه إلى بلدة تِمنة حتى يتزوّج الصبيّة التي أحبّها ، وفي طريقه إلى تِمنة توقّف في المكان الذي فسخ فيه الأسد ، فرأى في جوف الأسد عسلاً وسرباً من النّحل ، فأخذ من العسل كمّيّةً ، وضعها في كفَّيْه ومضى وهو يأكله . ولمّا وصل إلى أبيه وأمّه أعطاهما عسلاً فأكلا ، دون أن يُخبرهما أنّه أخذ العسل من جوف الأسد .

٩٨
أجيبوا على اللّغز
قضاة ١٤

ولمّا وصل شمشون إلى بيت الصّبيّة الفلسطيّة أقام حفلةً كبيرةً كما هي العادة عند جميع الشباب الّذين يتزوّجون، ودعي إلى هذه الحفلة شبّانٌ فلسطيّون. وعندما حضروا قال لهم شمشون: «سألقي عليكم لغزاً، فإذا حللتموه في سبعة أيّام الحفلة وكان جوابكم صحيحاً أعطيكم ثلاثين قميصاً وثلاثين حُلّة ثياب، وإذا لم تقدروا أن تحلّوه تعطوني ثلاثين قميصاً وثلاثين حُلّة من الثياب.» ثمّ أخبرهم هذه الحزّوره: «خرج من الآكل أُكْلٌ، ومن القوّي شيء طعمُه حلوٌ.»

ومرّت ثلاثة أيّام، ولا أحد من الشباب الفلسطيّين قدرَ أن يحلّ اللّغز. وفي اليوم الرابع جاء الشبّان الفلسطيّون إلى زوجة شمشون وقالوا لها: «حاولي أن تخدعي زوجك وتجعليه يحلّ اللّغز لك. ومتى حلّه لكِ تقولين لنا الجواب وإذا لم تفعلي ذلك نحرقك ونحرق أهلك بالنار. فهل دعوتمونا إلى هنا حتى تسرقونا؟»

وبعدما سمعت زوجة شمشون هذا الكلام آقتربت من زوجها وهي تبكي وتقول: «أنتَ تكرهني ولا تُحبّني. ولو كنت تُحبّني لكنت كشفت لي اللّغز الذي ألقيته على بني شعبي.» فأجابها أنّه لم يكشف السّر لأبيه وأمّه، فكيف يكشفه لها؟ لكنّها ظلّت تبكي مدّة أيّام حفلة العرس، فلمّا جاء اليوم السابع كشف اللّغز لها بعد أن ضايقته كثيراً، وحين آكتشفت اللّغز نادت بني شعبها وأطلعتهم على سرّه. ولمّا آطّلعوا عليه جاؤوا إلى شمشون قبل غروب الشمس وقالوا له: «الحلو الذي خرج من القوي هو العسل، أمّا القوي ذاته فهو الأسد.»

وعندما رأى شمشون أنّهم حلّوا اللّغز قال لهم: «لولا زوجتي لما قدرتم أن تحلّوا هذا اللّغز.» وغضب كثيراً، وحلَّ عليه روح الرّبّ، فنزل إلى بلدة أشقلون وقتل ثلاثين رجلاً من الفلسطيّين وأخذ ثيابهم وأعطاها للرّجال الذين كشفوا اللّغز. وبعد ذلك رجع إلى بيت أبيه وهو في غضبٍ شديدٍ ممّا حدثَ. ثم ترك زوجته، فتزوّجت رجلاً آخر.

٩٩
شمشون ودليلة
قضاة ١٦

وبعد ذلك أَحَبَّ شمشون آمرأة آسمها دليله. فجاء إليها زعماء الفلسطيّين ورؤساؤهم وطلبوا منها أن تكشف لهم سرّ قوّته العظيمة حتى يتغلّبوا عليه، وعندما تفعل ذلك يدفع لها كلٌّ واحدٍ منهم ألفاً ومئة قطعةٍ من الفضّة. ولمّا سمعت دليلة بهذه الكمّيّة من المال جاءت إلى شمشون وسألته: «أخبرني، ما هو سبب قوّتك العظيمة وكيف يتمّ التغلّب عليك؟» فأجابها شمشون: «أنغَلِبُ إذا قيّدوني بسبعة أوتار طريّة لم تنشف بعد، عند ذاك أصير مثل بقيّة النّاس.» ولمّا أخبرت دليلة الفلسطيّين بهذا الجواب أعطوها سبعة أوتارٍ طريّةٍ لم تنشف بعد، فأخذتها وقيّدته بها بينما هم آختبأوا عندها في الغرفة المجاورة، وبعد أن قيّدته قالت له: «هجم عليك الفلسطيّون يا شمشون.» وحين سمع شمشون كلامها قطع الأوتار كما ينقطع الخيط بالنار.

ولمّا رأت دليلة ما فعل شمشون سألته: «لماذا كذبت عليّ؟ لماذا لا تقول لي ما يجعلك أقوى من الآخرين؟» فأجابها: «إذا قيّدوني بحبالٍ جديدةٍ لم يستعملها أحد من قبل، فإنّي أصير مثل بقيّة النّاس.» فأخذت دليلة حبالاً جديدة وقيّدته بها، وصرخت: «هجم عليك الفلسطيّون يا شمشون!» وحين سمعها تقول ذلك، قطع شمشون الحبال عنْ ذراعيه كما ينقطع الخيط. فعادت دليلة إليه وسألته: «إلى متى تكذب عليّ؟ قلْ لي هذه المرّة ما يُضعف قوّتك ويجعلك مثل باقي الناس.» فأجابها: «في رأسي سبع خصلات من الشعر، شدّيها إلى وتدٍ مغروز في الأرض فأضعف وأصير مثلَ بقيّة الناس.» وفيما هو نائم أخذت دليلة الخصلات السبّع في رأسه وشدّتها إلى وتد وصرخت: «هجم عليك الفلسطيّون يا شمشون.» فأفاق من نومه، وشد الوتد وقلعه من الأرض.



١٠٠

هزيمة البطل

قضاة ١٦

وبعدما كذب شمشون عليها مرّة ثانية تظاهرت دليلة بالغضب وقالت له: «كيف تقول إنّك تُحبّني وأنت تكذب عليّ ولا تُخبرني عن سبب قوّتك العظيمة؟» وأخذت تُضايقه يوماً بعد يوم حتى أنّه في النّهاية قرّر أن يتخلّص من مُضايقاتها فأخبرها كلّ ما في قلبه وقال لها: «أنا نذير، أي مكّرس لله منذ أن كنت في بطن أمي، لهذا أنا لم أقصّ شعري يوماً من الأيّام في الماضي، والآن إذا قصصتُ شعري تتركني قوّتي وأضعف وأصير مثل باقي النّاس.»

وشعرت دليلة أن شمشون أخبرها الحقيقة هذه المرّة ولم يكذب عليها، فدعت زعماء الفلسطيّين ورؤساءهم وقالت لهم: «تعالوا إليّ فهذه المرّة حكى لي الحقيقة كلّها.» فأتوا إليها وهم يحملون في أيديهم الفضّة التي وعدوها بها. وفيما هم عندها مختبئون تقدّمت دليلة إلى شمشون ونوّمته على ركبتيها، وبينما هو نائم دعت رجلاً وطلبت منه أن يقصّ السبعُ خصلاتِ من الشعر في رأس شمشون. فجاء الرّجل وفعل ما أمرته دليلة. وهنا صرخت دليلة وقالت له: «هجم عليك الفلسطيّون يا شمشون.» فأفاق من نومه وظنّ أنّه، كما هي العاده، سينهض في وجههم ويُخلّص نفسه. لكنّه لم يعرف أن الرّبّ فارقه، فقبض عليه الفلسطيّون وقلعوا عينيه وقيّدوه بسلسلتين من نُحاس وقادوه إلى السجن. وفي السجن جعلوه يطحن الحبوب، وبدأ شعر رأسه ينمو.



١٠١
قويّ في موته
قضاة ١٦

وبعدما قبض زعماء الفلسطيّين على شمشون تجمّعوا ليقدّموا ذبيحةً لإلههم داجون حتى يعبّروا عن فرحهم وشكرهم له، فهم اعتقدوا أنّه هو الذي سلّم عدوّهم شمشون إليهم، فلمّا قدّموا الذبيحة وامتلأت قلوبهم بالفرح طلبوا أن يحضر شمشون ليضحكوا عليه. فأرسلوا صبيّاً إلى السجن حتى يقوده إليهم بيده، وفيما كان الصبيّ يمسكه ويقوده قال له شمشون: «دعني ألمس الأعمده التي تسندْ هذا البيت حتى أستند عليها.» وكان البيت ملآناً بالرّجال والنساء، وكان هناك جميع زعماء الفلسطيّين، وعلى السطح حوالي ثلاثة آلاف شخص، وكانوا جميعهم يتفرّجون على شمشون ويضحكون عليه.

فدعا شمشون الرّبّ وقال: «يا سيّدي الرّبّ أعطني القوّة حتى أنتقم هذه المرّة عن اقتلاع عيني من جميع الفلسطيّين دفعةً واحدةً وأقضي عليهم.» ثمّ مدّ شمشون يده وقبض على العمودين اللّذين يسندان البيت، قبض على عمود بيده اليمنى وعلى عمود آخر بيده اليسرى وقال: «سأهدم البيت عليّ وعلى الفلسطيّين.» وشدّ العمودين بقوّة فسقط





البيت عليه وعلى الزُعماء وعلى جميع الحاضرين في البيت . فكان الذين قتلهم هنا في موته أكثر بكثير من الّذين قتلهم طولَ حياته .

وبعدما مات شمشون نزل إخوته وجميع أهله وحملوه ودفنوه في قبر أبيه منوح ، بعد أن حكم بني إسرائيل مدّة عشرين سنةً .



قصّة راعوث

١٠٢

أيّام تعيسة

راعوث ١

وحدث جوعٌ كبير في أيّام حكم القضاة ، فهرب من هذا الجوع رجلٌ من بيت لحم وذهب هو وزوجته وإبناه ، إلى أرض موآب . وكان آسم هذا الرّجل أليمالك وآسم زوجته نُعمي ، وآبنيه محلون وكليون . وبعد مَسيرٍ طويلٍ دخلوا أرض موآب وسكنوا فيها . وبعد مدّة من الزمن توفّيَ أليمالك زوجُ نعمي ، فبقيت نعمي تعيش مع آبنيها ، وكان كلّ واحد منهما تزوّج امرأة موآبيّة ، آسم واحدة منهما عرفة وآسم الثانية راعوث ، وأقاما هناك حوالي عشر سنين . وبعد ذلك مات الزوجان محلون وكليون ، ففقدت المرأة نعمي بذلك زوجها وآبنيها .

وبعد انتظارٍ ، سمعت نعمي أن الرّبّ بارك شعبه ورزقهم طَعاماً وفيراً ، فقرّرت أن تعود من موآب إلى بيت لحم ، فخرجت معها كنّتاها ، أي عرفة وراعوث ، وقطعن معاً مسافة في الطّريق . ولمّا آبتعدن قليلاً في الطّريق ، توقّفت نعمي وقالت لهما : «أرى أنّه من الأفضل أن ترجع كلّ واحدةٍ منكما إلى بيت أمّها . وأرجو من الرّبّ أن يحسن إليكما كما أحسنتما إليّ وإلى ولديّ اللّذين ماتا ، وأرجو من الرّبّ أن تجد كلّ واحدةٍ منكما زوجاً لها يُريحها .» ثمّ قبّلتهما ، وأرادت أن تمضي وحدها في طريقها . فبكت عرفة وراعوث وقالتا لها إنّهما تريدان أن ترجعا معها إلى بيت لحم . فأجابتهما نعمي أنّها حزينةٌ جدّاً لفراقهما ، ورغم هذا هي تريدهما أن ترجعا إلى موآب . فآستجابت عرفة لرغبة حماتها نعمي ، فودّعتها ورجعت إلى أهلها ، أمّا راعوث فظلّت معها ولم تفارقها . وهنا قالت لها حماتها نعمي : «هذه عرفة رجعت إلى شعبها وآلهتها ، فآعملي مثلها وآرجعي أنتِ معها .» فأجابت راعوث : «لا تصرّي عليّ أن أتركك وأفارقك ، فأنا أذهب أينما ذهبت ، وأعيش أينما تعيشين ، فشعبك يكون شعبي وإلهك يكون إلهي ، وحيث تموتين أموت ، ولن يفرّقني عنك غير الموت .» فلمّا رأتها نعمي مصرّة على الذّهاب معها سكتت عن الكلام .



١٠٣ راعوث تجد عملاً

راعوث ٢

وعندما وصلت نعمي وكنّتها راعوث إلى أرض بيت لحم كان الوقت وقتَ حصاد. فقالت راعوث لِنعمي: «دعيني أذهب إلى الحقل لألتقط السّنابل وراء الحصّادين.» فقالت لها نعمي: «آذهبي، يا آبنتي.» فذهبت ودخلت حقلاً لرجل آسمه بوعز، وكان بوعز رجلاً غنيّاً وأحد أقرباء أليمالك، زوج نعمي. وحدث أن بوعز جاء في ذلك اليوم إلى حقله، فرأى راعوث تلتقط السنابل، فسأل الوكيل الذي عيّنه على الحصّادين: «مَنْ هي هذه الفتاة؟» فأجابه: «هي فتاة موآبية رجعت مع نعمي من أرض موآب. وهي تشتغلُ من الصباح إلى الآن وما آستراحت إلاّ قليلاً.»



ولمّا عرف بوعز من هي هذه الفتاة دعاها وقال لها: «آسمعي، يا آبنتي، لا تتركي هذا الحقل وتذهبي إلى حقلٍ آخر لتلتقطي السنابل، بلْ ابقي هنا مع هؤلاء الحصّادين والتقطي السنابل خلفهم، وإذا عطشتِ فآذهبي وآشربي من الأوعية التي يشربون منها، فأنا أمرت الجميع أن لا يزعجك أحد.»

فانحنت راعوث إلى الأرض وسألته: «لماذا تتحنّن عليّ وأنا غريبة.» فأجابها بوعز: «سمعت أنّكِ أحسنتِ كثيراً إلى حماتك نعمي بعد وفاة زوجك، وأنّكِ تركت أباكِ وأمّكِ وبلادكِ وجئتِ إلى شعبٍ غريبٍ عنكِ. والرّبّ الإله يجازيكِ خيراً على عملكِ.» ولمّا جاء وقت الأكل دعاها بوعز إلى الطعام فجلست مع الحصّادين وأكلت حتى شبعَت وآحتفظَت بما فضل عنها. وبعد ذلك، قامت لتلتقط السنابل، وظلّت راعوث تلتقط السنابل في الحقل حتى المساء، وكان ما جمعته من سنابل الشعير يملأُ قفّةً. فحملت قفّة الشعير وعادت إلى المدينة وأرت نعمي حماتها ما آلتقطت، ثمّ مدّت يدها وأعطتها ما فضلَ عنها من الطعام.

ولمّا رأت نعمي كلّ هذا سألتها: «أين آلتقطتِ كلّ هذا الشعير؟ وأين آشتغلتِ؟» فأخبرتها أنّها آلتقطت هذا الشعير كلّه من حقلٍ يملكه رجل آسمه بوعز. وعندما سمعت نعمي هذا الاسم هتفت: «مُباركٌ هو الرّبّ، فهذا الرّجل واحدٌ من أقربائنا.» ثمّ قالت: «من الأحسن لكِ، يا آبنتي أن تلتقطي السنابل وراء حصّادي بوعز من أن تشتغلي في حقلٍ آخر ويضايقوكِ!» وهكذا كان، فظلّت راعوث تلتقطُ السّنابل في حقول بوعز حتى آنتهى موسمُ الحصاد.

١٠٤
نهايات سعيدة
راعوث ٣ - ٤

وفي يوم من الأيّام قالت نعمي لراعوث: «يا ابنتي أبحثُ لك عن بيتٍ تجدين فيه الرّاحة والخير، فها هو بوعز قريبنا يُذرّي سنابل الشعير في البيدر هذه اللّيلة، فتحمّمي ورشّي الطيب عليك والبسي ثيابكِ وانزلي إلى البيدر، ولا تظهري له حتى ينتهي من الأكل والشرب، ومتى نام، ادخلي ونامي عند قدميه وهو يخبرك ماذا تفعلين.»

ونزلت راعوث إلى البيدر وفعلت كما أمرتها حماتُها، وعند نصف الليل قلق بوعز، ولم يقدر أن ينام، ففتح عينيه والتفتَ، فرأى امرأةً نائمة عند قدميه. فسألها: «مَنْ أنتِ؟» فأجابته: «أنا راعوث، جئتُ أطلب منك أن تكون مسؤولاً عنّي. لأنّك أنت قريبي.» فقال لها: «باركك الرّبّ، يا ابنتي يعرف كلّ واحد في المدينة أنّك امرأة فاضلة. نعم، أنا قريبُكِ، لكن عندك واحدٌ أقرب منّي إليك، فاقضي ليلتك هنا، وفي الصّباح نسأله ونرى إذا كان يريد أن يكون هو وليّ أمرك والمسؤول عنك. فإذا أراد كان خيراً، وإذا رفض ذلك، أكون أنا الوليّ والمسؤول.»

ونامت عنده إلى الصباح، لكنّها نهضت من الفراش قبل أن يطلع الضوء ورجعت إلى حماتها نعمي. فقالت لها حماتُها: «ما الخبر يا ابنتي؟» فأخبرتها راعوث بكل ما جرى لها. وفي صباح اليوم التالي صعد بوعز إلى مدخل المدينة وجلس هناك. وفيما هو جالسٌ هناك مرّ الوليّ القريب الذي تحدّث عنه لراعوث. فدعاه بوعز إليه، فجاء وجلس.

فقال بوعز للوليّ: «رجعت نعمي من موآب، وهي تريد أن تبيع حصّة قريبنا أليمالك من الحقل، فرأيتُ أن أخبركَ بذلك وأطلبُ منكَ أن تشتريها لأنَّ حقَّ الشراءِ يعود إليكَ، وإذا كنت لا تريد أن تشتري، فالحقُّ يعودُ إليّ. ولكن يجب أن تعرفَ أنّكَ يومَ تشتري الحقل من نعمي عليك أن تتزوّج أيضاً راعوث الموآبيّة.» فرفض الوليّ أن يشتري الحقل لأنّه لم يرِدْ أن يشتري راعوث مع الحقل. فأخذ بوعز حقَّ الشراء، فاشترى الحقل من نعمي، كما أنّه تزوّج راعوث الموآبيّة.

وصارت راعوث زوجة لبوعز، فحبلت وولدت ابناً أسمته عوبيد. وهو أبو يسّى والد الملك داود. فجاءت النساء إلى نعمي وقلن لها: «تبارك الرّبّ الذي أعطاك اليوم وليّاً يهتمّ بأمرك ويُفرح قلبك ويعينكِ في شيخوختكِ. فزوجة ابنك راعوث التي أحبّتكِ وولدت الصبيّ خيرٌ لكِ من سبعةِ بنين.»



قصّة صموئيل

١٠٥

طفل لحنّة

١ صموئيل ١

كان رجلٌ آسمه ألقانة، وكان هذا الرّجل من بلدة تُدعى الرّامة. وكانت له زوجتان إحداهما حَنَّة والأخرى فِنِنَّة. فولدت فِنِنَّة أبناء، أمّا حَنَّة فكانت عاقراً، ولم تلد له أحداً. وكان ألقانة يصعد من بلدته كلّ سنةٍ إلى



مكانٍ آسمه شيلوه ليعبد الرّبّ هناك ويقدّم له الذبائح. وكلّما قدّم ذبيحةً للربّ كان يُعطي زوجته فِنِنَّة وأبناءها وبناتها حصصاً من الذبيحة، أمّا حَنَّة فيعطيها حصّتين لأنّها كانت عاقراً، ولم يكن لها أبناء. وبين وقت وآخر كانت فِنِنَّة تنتقدها بسبب ذلك، فتغضبها وتُهينها، وهكذا كان يحدث كلّ سنةٍ عند صعودهم إلى بيت الرّبّ في شيلوه، فتبكي حَنَّة ولا تأكل. فقال لها زوجها ألقانة: «يا حَنَّة، لماذا تبكين ولا تأكلين، ولماذا أنت حزينة؟ أما أنا خيرٌ لكِ من عشرة بنين؟»

ومرّة بعد أن أكلوا وشربوا في شيلوه، قامت حَنَّة ووقفت تُصلّي في خيمة الرّبّ، فصلّت إلى الرّبّ بمرارةٍ وبكت، ونذرت نذراً وقالت: «أيّها الرّبّ، إذا رزقتني آبناً، فأنا أكرّسه لكَ، وأجعله يخدمكَ كلّ حياته.»

وصلّت حَنَّة مدّةً طويلة للربّ، وكانت تُصلّي في قلبها، وشفتاها تتحرّكان ولا تُخرجان صوتاً، فظنّها الكاهن عالي الذي هناك أنّها سكرانة. فسألها: «إلى متى تظلّين سكرانة؟ هيّا أفيقي وعودي إلى صحوكِ.» فأجابته حَنَّة: «لا يا سيّدي، لست أنا سكرانة، فلم أشرب خمراً ولا مُسكراً، أنا أطلت الصّلاة من شدّة الحُزن.» فأجابها الكاهن: «اذهبي بسلامٍ، وإلّه بني إسرائيل يعطيكِ ما طلبتِ منه.»

وبعدما سمعت هذا الكلام من عالي الكاهن، ذهبت حَنَّة في طريقها وعادت إلى ألقانة فأكلت بشهيّةٍ، واختفى الحزنُ من وجهها.

١٠٦
الولد الصّغير يترك البيت
١ صموئيل ١ و ٢

وفي صباح اليوم التّالي بكّر ألقانة مع أهل بيته إلى الصّلاة، وصلّوا ثمّ رجعوا إلى البيت في بلدة الرّامة. وبعدما رجعوا إلى الرّامة آستجاب الرّبّ لصلاة حَنَّة، فحبلت في تلك السّنه وولدت آبناً دَعَتْهُ صموئيل.

وبعد ذلك أراد ألقانة أن يصعد مرّةً ثانيةً مع جميع أهل بيته إلى شيلوه ليقدّم الذبيحة السنويّة للربّ كما هي العادة. لكنّ حنّة رفضت أن تصعد معهم، وقالت لزوجها: «عندما أفطم الصبيّ عن الرّضاعة آخذه إلى شيلوه، فيبقى هناك كلّ حياته.» فقال لها ألقانة: «آفعلي ما يحلو لكِ.» وبَقِيَت حَنَّة في البيت تُرضِعُ آبنها حتى فطمته. ولمّا فطمته أخذته إلى الرّبّ في شيلوه وقدّمت ذبيحة للرّبّ، ثمّ قدّمت الصبيَّ إلى كاهن بيت الرّبّ وآسمه عالي، وقالت له: «أتذكُرني، يا سيّدي؟ أنا هي المرأة التي وقفت هنا من شهور تُصلّي إلى الرّبّ. طلبت منه هذا الصبيّ فأعطاني ما طلبت. وها أنا أُكرّسه للربّ وأُنذره له كلّ حياته.»

وصلّت حَنَّة وقالت:

«فرَّحْتَ قلبي، يا ربّ،
ورفَعْتَ رأسي عالياً،
وجعلتني أضحك أمام أعدائي.
فالعاقر ولدت سبعة بنين،
وكثيرةُ البنين ذَبُلتْ.»

وبعدما آنتهت من صلاتها، رجعت حَنَّة مع زوجها ألقانة إلى البيت في الرّامة، أمّا الصبيّ فظلّ يخدم الرّبّ مع الكاهن عالي.





١٠٧ «ها أنا أستمع، يا رب»

١ صموئيل ٣

وفي إحدى الليالي كان الكاهن عالي نائماً في غرفته، بينما صموئيل نائماً في الهيكل، وفيما هو نائم في الهيكل دعاه الرّبّ، فظنَّ أن الكاهن يدعوه، فأسرع إلى الكاهن وقال له: «دعوتني، فها أنا. ماذا تريد؟» فقال له الكاهن: «أنا لم أدعُ، فآرجع ونمْ في فراشكَ.» فرجع صموئيل إلى فراشه ونام. ودعا الرّبّ صموئيل مرّةً ثانيةً، فظنَّ أن الكاهن يدعوه، فقام وأسرع إليه، وقال له: «دعوتني، فها أنا. ماذا تُريد؟» فأجابه الكاهن: «أنا لم أدعُ، فآرجع ونمْ في فراشكَ.» فرجع صموئيل إلى فراشه ونام.

فعاد الرّبّ ودعا صموئيل مرّةً ثالثة. وللمرّةِ الثالثة ظنّ أن الكاهن يدعوه. فقام وأسرع إليه وسأله: «دعوتني، فها أنا. ماذا تُريد؟» وهنا عرف الكاهن أن الرّبّ يدعو الصبيّ صموئيل، فقال له: «آذهب ونمْ في فراشك، وإذا سمعت الصوت مرّة أخرى قلْ: تكلّم، يا ربّ، فأنا أستمع.» فذهب صموئيل إلى فراشه ونام.

وبينما هو نائم، جاء الرّبّ وآقترب منه ودعاه كالمرّات السّابقة: «صموئيل، صموئيل.» فأجابه صموئيل: «تكلّم يا ربّ، فأنا أستمع.» فقال له الرّبّ: «سأُنفِّذ بنسل عالي كلّ ما أنذرْتُه به. فأنا أنذَرْته بأنّي سأقضي على نسله للأبد، لأنّه علم أن أبناءه عملوا الخطايا، ولم يردّهم عنها.»

وبقي صموئيل نائماً حتى الصّباح، ثمّ فتح أبواب خيمة الرّبّ وخاف أن يكشف للكاهن عالي ما قاله الرّبّ. فدعاه عالي وسأله: «يا صموئيل، ماذا قال الرّبّ لك؟» فأخبره صموئيل بكلِّ شيء قاله الرّبّ، ولم يخفِ عنه كلمةً واحدةً. ولمّا سمع الكاهن كلام الرّبّ، قال: «هو الرّبّ! ليعمل ما يراه حسناً.» وكبُرَ صموئيل، وعملَ بجميع وصايا الرّبّ، وكان الرّبّ معه، فآختاره نبيّاً على بني إسرائيل.

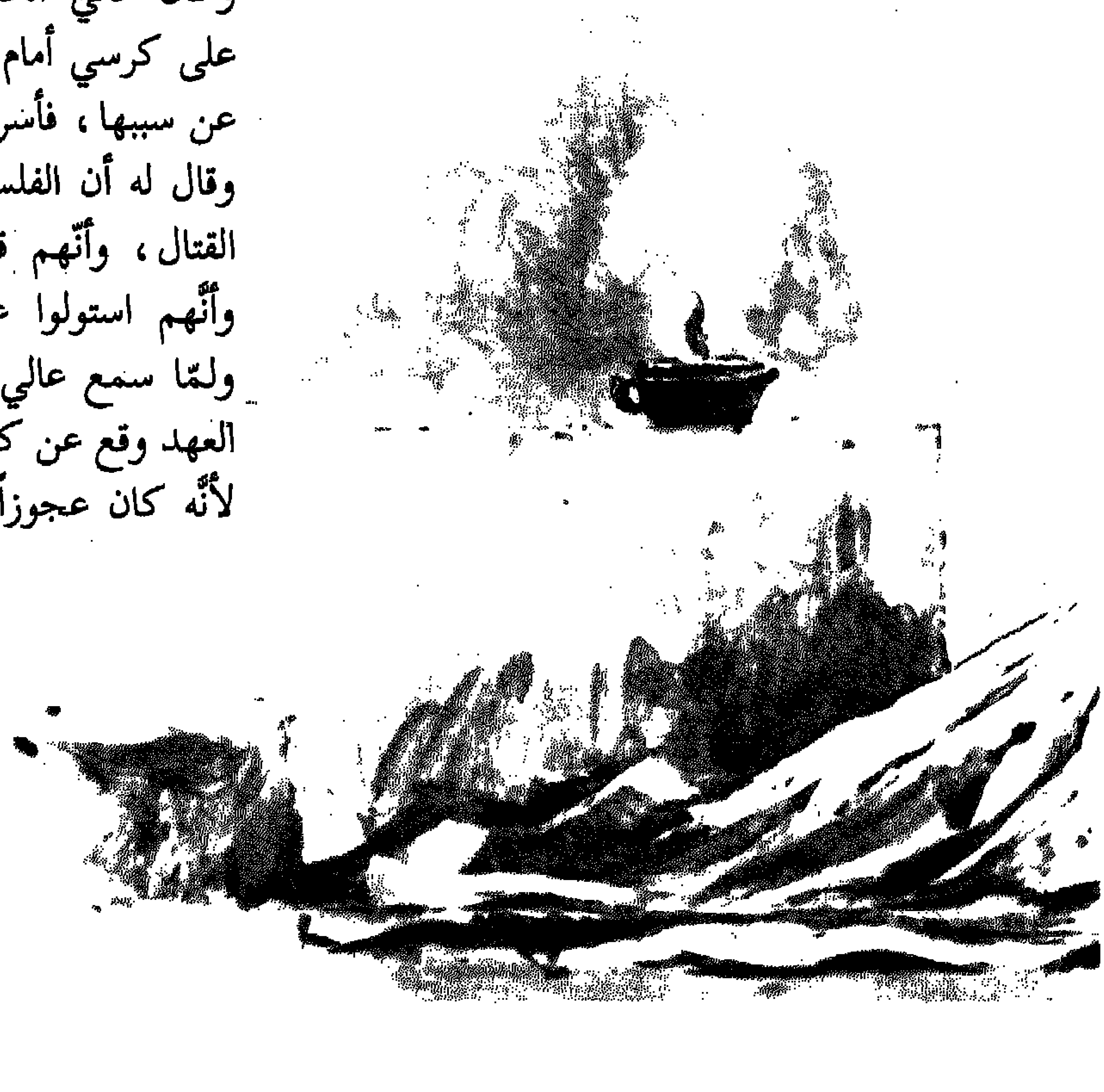


١٠٨
الدّمار

١ صموئيل ٤

وفي تلك الأيّام وقعت حربٌ بين بني إسرائيل والفلسطيّين، فآنهزم بنو إسرائيل ومات منهم في ساحة المعركة حوالي أربعة آلاف رجل. وهنا قال شيوخ الشعب: «عندما نخرج مرّةً ثانيةً إلى قتال الفلسطيّين سنأخذ معنا تابوت العهد، فيُخلّصنا من أعدائنا.»

فأرسلوا إلى شيلوه جماعةً حملت من هناك تابوت العهد، وكان من بين هذه الجماعة حفني وفنحاس، وهما آبنا الكاهن عالي.



وبعدما حملوا تابوت العهد من شيلوه وجاؤوا به إلى بني إسرائيل، صرخ جميع الشعب هناك صراخاً عظيماً وهتفوا حتى آهتزّت الأرض. وسمع الفلسطيّون هذا الهتاف، فتساءلوا عن أسبابه، فأخبرهم البعض أن بني إسرائيل جاؤوا بتابوت العهد إلى المُعسكر. وعندما سمع الفلسطيّون هذا الخبر خافوا خوفاً شديداً، وقالوا: «جاء الله إلى المُعسكر، فالويل لنا، مَنْ يُنقذنا من هذا الإلٓه القويّ القادر؟» ثمّ آلتفت بعضهم إلى بعض وقالوا: «تشجّعوا أيّها الفلسطيّون، كونوا رجالاً وقاتلوا!»

ونزل الفلسطيّون إلى المعركة فهزموا بني إسرائيل وأخذوا تابوت العهد وقتلوا حفني وفنحاس، آبني الكاهن عالي. وفي ذلك اليوم هرب رجلٌ من بني إسرائيل من ساحة المعركة إلى شيلوه، وكان مزّق ثيابه ورشّ التراب على رأسه من شدّة الحزن. ولمّا وصل إلى شيلوه نشر فيها خبر الهزيمة في القتال.

فضجّت المدينة كلّها وآرتفع الصّراخ فيها. وكان عالي الكاهن جالساً في ذلك الوقت على كرسي أمام الباب، فسمع الضجّة وسأل عن سببها، فأسرع الرّجل إليه وأخبره بالأمر، وقال له أن الفلسطيّين هزموا بني إسرائيل في القتال، وأنّهم قتلوا وَلَديه حفني وفنحاس، وأنّهم استولوا على تابوت العهد وأخذوه. ولمّا سمع عالي أن الفلسطيّين أخذوا تابوت العهد وقع عن كرسيّه، فانكسرت رقبته ومات لأنّه كان عجوزاً وثقيل الجسم.

١٠٩
أحداث غريبة
١ صموئيل ٥ - ٦

وأخذَ الفلسطيّون تابوت العهد وجاؤوا به إلى بيت إلّههم داجون ووضعوه بقربه. وفي الصّباح بكّروا ودخلوا بيت الإلّه داجون، فوجدوا داجون مرمياً على وجهه على الأرض أمام تابوت العهد، فحملوه وردّوه إلى مكانه. ثمّ بكّروا في اليوم الثّاني، فوجدوا داجون مرمياً على وجهه على الأرض أمام تابوت العهد، ورأسه ويداه مقطوعة وملقاة عند عتبة الباب وجسده وحده في مكانه.

كذلك انتقم الرّبّ من الفلسطيّين، فرمى الرعبَ فيهم وضربهم بالأمراض، فلمّا رأوا ذلك كلّه، قالوا: «لن نُبقي تابوت العهد عندنا، فالله يعاقبنا ويعاقب داجون إلّهنا.»



وآجتمع ملوك الفلسطيّين وقرّروا أن يُعيدوا تابوت العهد إلى بني إسرائيل، فأخذوا بقرتين مُرضعتين وشدّوهما إلى مركبة، وأبقوا عجليهما في الزّريبة، ثمّ وضعوا تابوت العهد على المركبة، وتركوا البقرتين تسيران في الطّريق وحدهما. فإذا سارت البقرتان وحدهما في آتجاهٍ واحدٍ إلى أرض بني إسرائيل، يكون الله سبب هذه الضربات والمصائب.

وسارت البقرتان في طريقهما باتجاهٍ واحدٍ، لا تميلان يميناً ولا شمالاً، حتّى وصلتا إلى حدودِ بني إسرائيل، فعلم الفلسطيّون أن الله هو الذي أنزل بهم جميع المصائب التي أصابتهم.

وفي ذلك الوقت كان بنو إسرائيل يحصدون الحنطة في السّهل، فلمّا رفعوا عيونهم وتطلّعوا، أبصروا تابوت العهد، ففرحوا كثيراً. وأسرعوا، فأنزلوه من المركبة ووضعوه على حجر كبير، ثمّ قدّموا الذبائح للربّ.

١١٠
نريد لنا ملكاً
١ صموئيل ٧ - ٨

وبعدما رجع تابوت العهد إلى بني إسرائيل، قال لهم صموئيل: «أزيلوا الآلهة الغريبة من بينكم وآتركوها، واعبدوا الرّبّ وحده من كلِّ قلوبكم، فيُخلّصكم من ظلم الفلسطيّين.» وهكذا فعلوا، أنزلوا الآلهة الغريبة من بينهم وعبدوا الله وحده.



وبقي صموئيل يحكم بني إسرائيل كلّ حياته. ولمّا صار شيخاً طلب من ابنيه الاثنين أن يحكما عنه. فحكم ابنه الأكبر يوئيل، وابنه الثاني أبيّا، لكنّهما لم يحكما مثل أبيهما، فاهتمّا بالمكاسب المادّيّة، وقبلا الرشوة وأهملا العدالة.

ولمّا حدث كلّ هذا، اجتمع شيوخ بني إسرائيل وجاؤوا إلى صموئيل وقالوا له: «أنت صرت شيخاً، وأبناؤك لا يحكمون بالعدل مثلك، فعيّنْ لنا ملكاً يحكم بيننا، كما هو الحال في جميع الأمم.» فغضب صموئيل من هذا الطلب. فقال له الرّبّ: «لا تغضبْ وافعلْ كما يقولون لك، فهم في الحقيقة لا يرفضونك أنت، بل يرفضونني أنا كملك عليهم، فكما عاملوني منذ أن أخرجتهم من أرض مصر إلى هذا اليوم، فتركوني وعبدوا آلهةً غريبة، هكذا يعاملونك أنت أيضاً. فاسمعْ لقولهم، لكن أنذرهم وأخبرهم بكلّ ما سيطلبه الملك منهم.»

فأخبر صموئيل شيوخ الشعب بجميع ما كلّمه به الرّبّ، وقال لهم: «هذا ما سيفعله الملك: يأخذ أبناءكم ويجنّدهم في جيشه، يأخذ بناتكم ويجعلهنّ عنده طبّاخات وخبّازات، ويأخذ أفضل حقولكم وكرومكم وزيتونكم ويعطيها لرجاله، ويأخذ ضريبة من زرعكم وكرومكم ويعطيها لعائلته وأقربائه، ويأخذ عبيدكم وخادماتكم وأفضل بقركم وحميركم ويستعملها لمنفعته الشخصيّة، وتصيرون أنتم عبيداً له، فتصرخون إلى الرّبّ في ذلك اليوم ليُخلّصكم من الملك، فلا يُجيبكم الرّبّ.»

وسمع شيوخ الشعب ما قاله صموئيل، لكنّهم رفضوا كلامه وقالوا: «نُريد ملكاً علينا، يحكم بيننا، ويقودنا ويحارب حروبنا.» فسمع صموئيل هذا الكلام وأخبر الرّبّ به فقال له الرّبّ: «اسمعْ لهم، وأقمْ عليهم ملكاً.» وهنا قال صموئيل لشيوخ الشعب: «انصرفوا الآن، سيكون لكم ملك.»

أوّل ملك على بني إسرائيل

١١١

الحمير الضائعة

١ صموئيل ٩

وفي تلك الأيّام عاش رجلٌ غني آسمه قيس. وكان له آبنٌ جميلٌ في عزّ شبابه آسمه شاول، في كلّ بني إسرائيل لم يكن رجلٌ أحلى منه. فكان أطول من كلّ شعب بني إسرائيل.

وحدث في يوم من الأيّام أن حميراً لقيس ضاعت. فنادى آبنه شاول وقال له: «خذْ معك واحداً من الخدم واذهب وفتّش عن الحمير.» فعمل شاول كما قال له أبوه. أخذ واحداً من خدّامه وراح يُفتّش عن الحمير الضائعة. ومضت ثلاثة أيّام وهما يُفتّشان عن الحمير دون أن يعثرا عليها. وهنا آلتفت شاول إلى خادمه وقال: «تعال نرجع لأن أبي سيقلق علينا بدل أن يقلق على الحمير.» فأجابه الخادم: «هناك رجل من رجال الله في هذه المدينة آسمه صموئيل، يحترمه الناس، وكلّ ما يقوله يتمّ، فتعال نذهب إليه.» فذهبا معاً إلى المدينة التي فيها رَجُل الله وبينما هما يصعدان إلى المدينة، صادفا فتياتٍ ذاهبات إلى النّبع طلباً للماء، فسألهنّ شاول إذا كان رَجُل الله في المدينة. فأجبنَ: «نعم، إنّه في المدينة. جاءها من وقت قصير لأنّه سيُبارك الذّبيحة التي يقدّمها الشعب للرّبّ على التلّة فأسرعا إليه، فأنتما تجدانه حالما تدخلان المدينة.»

وفيما هما يدخلان المدينة كان صموئيل يخرج منها ليصعد إلى التلّة. ولمّا رأى صموئيل شاول قال له الرّبّ: «ها هو الرّجل الذي كلّمتك عنه، وطلبتُ منك أن تجعله رئيساً على شعبي إسرائيل، فيُخلّصهم من ظلم الفلسطيّين.» فآقترب شاول من صموئيل وهو في مدخل المدينة وسأله: «أين هو رَجُل الله ؟» فأجابه صموئيل: «أنا هو رَجُل الله، أقول لك، إنّهم وجدوا الحمير الضائعة. فلا ينشغل بالك ولا تقلق. والآن تفضّلا إلى التلّة لتأكُلا معي، وغداً أخبركما عن كلّ شيء تريدان معرفته، ثمّ أصرفكما.

فأخذ صموئيل شاول وخادمه وأجلسهما على رأس مائدة الأكل. فأكلوا جميعاً، وبعدما آنتهوا من الطّعام، نزل شاول وخادمه مع صموئيل إلى المدينة.

١١٢

السرّ المدهش

١ صموئيل ٩ - ١٠

وفي تلك اللّيلة نام شاول في فراشٍ على السطح. وعند طلوع الصبح ناداه صموئيل وقال له: «انهض، حان الوقت للذّهاب، سأرافقك مسافةً قصيرةً.» فقام شاول وخرج مع صموئيل. وبينما هما ينزلان عند طرف المدينة طلب منه صموئيل أن يقول لخادمه أن يسبقهما قليلاً، فسبقهما الخادم.

وبعدما سبقهما الخادم أخذ صموئيل زجاجةً من الزيت وصبّها على رأس شاول وقال له: «إنّ الرّبّ آختارك رئيساً على الشعب. والدّليل أنّ الله آختارك رئيساً على شعبه هو أنّك ستمّر

بثلاثةِ أشياء . فبعدَ أن تتركني اليوم سيلتقي بك رجلان يقولان لك ، إنَّهم وجدوا الحمير التي تُفتّش عنها ، وإنّ أباك لم يعد يهتمُّ بها ، بل هو الآن قلق عليك . ثمّ تتقدّم في مسيرك ، فتلتقي بثلاثة رجال ، يسلّمون عليك ويعطونك رغيفين ، فتأخذهما منهم ، ثمّ تتابع مسيرك ، فتصادف جماعةً من الأنبياء ، وأمامهم تعزف آلات موسيقيّة ، وهنا ينزل عليك روح الرّبّ ، وتتنبّأ معهم وتصير رَجُلاً آخر .»

وبعدما أتمّ صموئيل هذا الكلام رجع إلى بيته ، بينما تابع شاول مسيره مع خادمه . وفي الطّريق حدث كلّ ما قاله صموئيل له . فصدّق أنّ الله آختاره رئيساً على شعبه . وفي هذا الوقت رآه عمّه ، فسأله مع خادمه : «أين ذهبتما ؟» فأجابا : «ذهبنا نُفتّش عن الحمير ، فلم نجدها . فذهبنا إلى صموئيل نطلب مساعدته ، فقال لنا ، إنَّهم وجدوا الحمير .» لكنّه لم يخبر عمّه أن صموئيل آختاره ملكاً على شعبه .





١١٣
شاول ، الملك المُتردّد
١ صموئيل ١٠ - ١١

ودعا صموئيل الشعب إلى الاجتماع ، وقال لهم : «أنتم اليوم رفضتم إلهكم الّذي خلّصكم من جميع مصائبكم وقلتم له ، إنّكم تريدون ملكاً يحكمكم كما هو الحال عند بقيّة الأمم ، فتقدّموا الآن أمام الرّبّ حسب أسباطكم .»

وأخذ صموئيل يستعرض أسباط بني إسرائيل فآختار منها سبط بنيامّين ، ومن هذا السبط وقع الخيار على عائلة مَطْري ، ومن هذه العائلة وقع الخيار على شاول . فبحثوا عن شاول فلم يجدوه . فسألوا الرّبّ : «هل شاول هنا ؟» فأجابهم : «ها هو يختبىء بين الأمتعة هناك .» فأسرعوا إليه وأخذوه . فلمّا وقف بين أفراد الشعب بدا شاول طويل القامَةِ ، رائع الجَمال والحُسن . فقال لهم صموئيل : «هل رأيتم أنّ الّذي آختاره الرّبّ أحسن واحدٍ فيكم جميعاً .» فهتفوا وصرخوا كلّهم : «يعيش الملك .»

وبعد ذلك أخبر صموئيل الشعب بحقوق الملك عليهم ، وسجّلها في كتاب ، ثمّ صرف الجميع ، فرجع كلّ واحد منهم إلى بيته . وكان بعض المشاغبين غير راضين عن آختيار شاول ملكاً عليهم ، فتساءلوا : «كيف يقدر رَجُل مثله أنْ يُخلّصنا ؟»

١١٤
بداية حسنة
١ صموئيل ١١

وبعدما صار شاول ملكاً، صعد ناحاش، قائد العمّونيّين، إلى مدينة يابيش وحاصر بني إسرائيل الّذين كانوا يعيشون فيها. فتقدّم أهالي مدينة يابيش من قائد العمّونيّين ناحاش ووعدوه أن يخضعوا له إذا هو عفا عنهم وتعهّد أنّه لا يقتلهم. فأجابهم أنّه سيتركهم أحياء شرط أن يقلع لكلٍّ واحدٍ عينه اليمنى. ولمّا سمع أهالي يابيش بهذا الشرط، طلبوا من العمّونيّين مهلة سبعة أيّام حتى يفكّروا بالأمر.

وأرسل أهل يابيش رُسُلاً إلى مدينة جبعة، حيث كان شاول يعيش، ووصفوا للشعب هناك حالتهم التعيسة، فرفع الجميع أصواتهم بالبكاء وكان وقتها شاول راجعاً وراء البقر من الحقل. فسمع النّاس يبكون، فسأل: «ما بالهم يبكون؟» فأخبروه بالكلام الّذي نقله رُسُل يابيش. ولمّا سمع شاول هذا الكلام، غضب جدّاً، فأخذ ثورين من البقر وفسخهما وقال: «هكذا يصير بأبقار كلّ واحدٍ من بني إسرائيل لا يخرج وراء شاول وصموئيل لمحاربة العمّونيّين.» فخاف جميع الشعب وخرجوا للقتال متّحدين كأنّهم رَجُلٌ واحد، وقالوا للرسل الّذين جاؤوا من يابيش: «غداً يكون خلاصكم.» فرجع الرُّسل إلى يابيش وأخبروا أهلها بما قال شاول، فآرتاحوا كثيراً. لكنّهم أبقوا كلام شاول سرّاً، فذهبوا إلى ناحاش وقالوا له: «غداً نخرج إليكم، نستسلم ونعلن الطّاعة، وأنتم تفعلون بنا ما يروق لكم.»

فلمّا طلع الصبح، قسّم شاول جيشه ثلاثة أقسام وهاجموا بني عمّون، فدخلوا معسكرهم وحاربوهم حتّى حميَت الشمس، فمات من مات من العمّونيّين، وتبعثر من بقيَ منهم حيّاً في كلّ جهة.

وبعدما آنتصر بنو إسرائيل على العمّونيّين جاؤوا إلى صموئيل، وقالوا: «من الّذين لم يوافقوا على تعيين شاول ملكاً علينا؟ سلّمهم لنا لنقتلهم!» فأجابهم شاول: «لا أحد يقتل أحداً في هذا اليوم، لأن الرّبّ في هذا اليوم خلّص بني إسرائيل.» ولمّا سمع الجميع هذا القولَ أعلنوا شاول من جديد ملكاً عليهم وقدّموا الذبائح. ففرح شاول ورجال بني إسرائيل فرحاً عظيماً.

١١٥
أفعال يوناثان الجريئة

١ صموئيل ١٤

وفي أحد الأيّام أراد يوناثان ابن شاول أن يعبر مع حامل سلاحه إلى مخفر الفلسطيّين في الجانب الآخر من الوادي ، دون أن يخبر أباه بالأمر . وكان بين المعابر التي أراد يوناثان أن يقطعها معبر بين صخرتين كبيرتين : صخرةٍ ثابتةٍ من هذه الجهة وصخرةٍ ثابتةٍ من تلك الجهة . فقال لمساعده وحامل سلاحه : «تعال نعبر إلى مخفر أولئك الفلسطيّين هناك ، لعلّ الرّبّ ينصرنا عليهم ، فلا شيء يمنع الرّبّ من أن ينصرنا عليهم ، حتى لو كان عددنا قليلاً .» فأجابه حامل سلاحه : «افعل ما تريد وأنا أتبعك .» فقال يوناثان : «نعبر إليهم ونجعلهم يَروْنَنا ، فإذا طلبوا منّا أن نتوقّف ، وقالوا أنّهم



هم يأتون إلينا ، نتوقّف ، ولا نصعد إليهم . وإذا طلبوا منّا أن نصعد إليهم ، نصعد وهذا يعني أنّ الرّبّ معنا ، وأنّه سيجعلنا نتغلّب عليهم .»

وبينما هما يتقدّمان جعلا الفلسطيّين يرونهما . وعندما رأوهما أمروا يوناثان وحامل سلاحه بالصعود إليهم . وصعد يوناثان زاحفاً على يديه ورجليه ، وحامل سلاحه وراءه . ولمّا وصلا إليهم هجما عليهم وقتلا منهم حوالي عشرين رجلاً . وعندما رأى الفلسطيّون في المعسكر ما حدث لحرّاس المخفر خافوا خوفاً شديداً ، كما لو وقع عليهم رعبٌ من الله ، وأخذوا يفرّون في كلّ جهة .

ورأى شاول ورجاله جموع الفلسطيّين يهربون في كلّ جهة . فطلب من رجاله أن يتفقّدوا الجنود ويعرفوا من هم الغائبون . فتفقّدوهم واكتشفوا أن آبنه يوناثان وحامل سلاحه غائبان . فعرف شاول أنّ يوناثان وحامل سلاحه يهاجمان الفلسطيّين فنزل مع رجاله إلى المعركة فآرتعب الفلسطيّون ودبّت الفوضى في صفوفهم ، وأخذوا يضربون بعضهم البعض بالسيّوف ، وهم يهربون . وهكذا خلّص الرّبّ بني إسرائيل في ذلك اليوم .

يرتعدون من الخوف . عند ذاك ، قرّر شاول أن يهاجم الفلسطيّين ويخلّص شعبه من هذا الخطر . لكنّ صموئيل قال له إنّه سيغيب مدّة أسبوع في إحدى المناطق ، وعليه أن يؤجّل الهجومَ حتّى يعود .

وآنتظر شاول سبعة أيّام دون أن يرجع صموئيل ، فبدأ رجال شاول يتفرّقون ويتركونه . ولمّا رأى شاول أن رجاله بدأوا يتركونه ، قدّم ذبيحةً للرّب ، وتهيّأ للهجوم . وعندما آنتهى من تقديم الذبيحة جاء صموئيل . فرآه شاول وخرج للقائه والتسليم عليه . فسأله صموئيل : «ماذا تفعل ؟» فأجابه شاول : «بدأ الشعب يتفرّق عنّي ، وأنت لم تحضر في الموعد الّذي عيّنته ، بينما كان الفلسطيّون يحتشدونَ للقتال . ولمّا رأيت هذا كلّه قلت في نفسي : الآن يهجمون عليّ ، فوجدت نفسي مضطرّاً إلى تقديم الذبيحة لأنال رضا الله .» فقال له صموئيل : «عَمَلُكَ هذا حماقةٌ وجهلٌ ، لأنّك لم تتصرّف حسب وصيّة الرّبّ إلهك . فلو عملت بها ، لكان الرّبّ جعل أبناءك يحكمون فيثبتُ ملكك على بني إسرائيل إلى الأبد . أمّا الآن ، فإنّ ملكك لن يدوم ، لأن الرّبّ آختار له رجلاً يرضيه ، وعيّنه رئيساً على شعبه .»

١١٦
خطيئة عدم الطاعة

١ صموئيل ١٣

وفي يوم من الأيّام ، احتشد الفلسطيّون لمحاربة بني إسرائيل . فلمّا رأى رجال بني إسرائيل أنّهم في خطر ، هربوا وآختبأوا في المغاور والكهوف والقبور ، وكانوا جميعاً

داود الفتى

١١٧
آختيار ملك جديد

١ صموئيل ١٦

وحزِنَ صموئيل كثيراً وتأسّف لأن شاول عصا إرادة الرّبّ. فقال له الرّبّ: «إلى متى تتأسّف على شاول؟ فأنا رفضته أن يبقى ملكاً على بني إسرائيل. فآذهب إلى بيت يسّى في بيت لحم وكرّس واحداً من بنيه ملكاً على الشعب.» فأجابه صموئيل: «كيف أقدر أن أذهب؟ إذا عرف شاول بالأمر يقتُلني.» فقال له الرّبّ: «خذْ معك عجلةً من البقر وقلْ إنّكَ ذاهبٌ إلى هناك حتّى تُقدّمها ذبيحةً ثمّ تدعو يسّى وأبناءه إلى هذه الذبيحة فيأتون، فتُكرّس من أسمّيه لك وتجعله ملكاً.» ففعل صموئيل كما أمره الرّبّ، وجاء إلى بيت لحم وقدّم الذبيحة ودعا إليها شيوخ المدينة ومن المدعوّين كان يسّى وأبناؤه.

ولمّا حضر يسّى مع بنيه نظر صموئيل إلى آبنه أليآب، وهو أكبر أبنائه وقال في نفسه: «هذا هو الملك الذي آختاره الرّبّ.» لكن الرّبّ قال لصموئيل: «لا تهتمّ بمنظره الجميل وقامته الطّويلة، فأنا أرفضه لأنّي لا أهتمّ بما يهتمّ به الإنسان. فالإنسان يهتمّ بالمظهر، أمّا أنا فأهتمّ بالقلب، وبما في داخل الإنسان وأعماقه.» ثمّ دعا يسّى أبناءه السبعة للمرور أمام صموئيل. وكلّما مرّ واحدٌ منهم قال صموئيل: «وهذا أيضاً لم يختره الرّبّ.»

وبعدما مرّ الابن السّابع قال صموئيل ليسّى: «هل هؤلاء كلّ ما عندك من أبناء؟» فأجاب: «بقي آبني الصّغير داود، وهو الآن يرعى الغنم.» فطلب منه صموئيل أن يبعث أحداً وراءه، فبعث وراءه وجاء به، وكان حسن العينين، جميل المنظر. ولمّا رآه صموئيل قال له الرّبّ: «هذا هو، فقمْ وكرّسه ملكاً.» فأخذ صموئيل زيتاً وصبّه على رأس داود وكرّسه ملكاً. وبعد ذلك نهض صموئيل وعاد إلى بلدة الرّامة.

١١٨
تحدّي جُليات الجبّار

١ صموئيل ١٧

وحشد الفلسطيّون جيوشهم لمحاربة بني إسرائيل. فكان الجيشان متقابلين: جيش الفلسطيّين على جبلٍ من هنا، ورجال إسرائيل على جبلٍ من هناك، وكان بينهما وادٍ عميق. فخرج رَجُل مُخيف من صفوف الفلسطيّين آسمه جُليات، طوله ستّ أذرعٍ وشبر، على رأسه خوذةٌ من نحاس، يلبس درعاً وزنه ربع قنطار، بين كتفيه رمح يزن رأسه رطلين، وكان معه رَجُلٌ يحمل ترْسه. فوقف ونادى رجال إسرائيل وقال لهم: «أنتم عبيد شاول، فآختاروا رجلاً يُحاربني. فإذا قتلني نصير عبيداً لكم، وإذا قتلته تصيرون أنتم عبيداً لنا وتخدموننا.»

وظلّ جليات يتحدّى بكلامه هذا رجال بني إسرائيل أربعين يوماً، صباحاً ومساءً.

وفي ذلك الوقت كان ثلاثة من أبناء يسّى الكبار مع شاول في الحرب، فقال يسّي لداود ابنه: «خذْ لإخوتك طعاماً إلى المُعسكر، واسأل عن صحّتهم وسلامتهم.» فبكّر داود في الصباح، وترك غنمه مع واحدٍ يرعاها ويحرسُها، وحمل الطعام ومضى كما أمره والده يسّى. ولمّا وصل إلى المُعسكر وبدأ يسأل عن صحّة إخوته وسلامتهم، خرج جليات من صفوف الفلسطيّين وأخذ يتكلّم كعادته. وحين رآه رجال بني إسرائيل هربوا من وجهه وخافوا خوفاً عظيماً. فسألهم داود: «ماذا ينال الّذي يقتل هذا الرّجل؟ ومن يكون هو حتى يتحدّى جيشنا، جيش الله الحيّ؟» فأجابوه: «كلُّ من يقتل هذا الرَّجل يُغنيه الملك، ويزوّجه ابنته ويعفيه من دفع الضرائب.»

وسمع شاول من بعض رجاله ما قاله داود عن جليات، فأرسل وراءه، فجاء إليه داود وقال له: «ولا واحدٌ منّا يجب أن يخاف. فأنا وحدي سأحاربه.» فقال له شاول: «لا تقدر أن تُحاربه وتغلبه فأنت فتىً وهو مُحاربٌ من زمن بعيد.» فأجابه داود: «أنا، ياسيّدي أرعى غنم أبي، في كلّ مرّةٍ يخطف أسدٌ أو دبٌّ غنمةً من القطيع أركض وراءه، وأضربه وأخلّص الغنمة من فمه. فالرّبّ الّذي ينقذني من الأسد والدب قادر أن ينقذني من هذا الرّجل.» وهنا قال له شاول: «اذهب وحاربه، فالرّبّ معك.»



١١٩

داود يقتل العملاق

١ صموئيل ١٧

فأخذ داود عصاه بيده والتقط خمسة أحجار صغيرة من الوادي ووضعها في الكيس الذي يحمله وتناول مقلاعه بيده وتقدّم نحو الرّجل الفلسطيّ جليات. فلمّا رآه جليات لم يهتم به ولا آكترث لأنّه كان فتيّاً، جميل المنظر. فقال له: «هل تحسب أنّي أنا كلب حتى تجيئني بالعصا؟ سأجعل لحمك طعاماً لطيور السّماء ووحوش البريّة.» فأجابه داود: «أنت تحاربني بالسّيف والرمح والترس، وأنا أحاربك بآسم الرّبّ القدير. في هذا اليوم أقتلك وأقطع رأسك وأجعل جنودك طعاماً لطيور السماء ووحوش البرّيّة، فتعلم الأرض كلّها أن لبني إسرائيل إلهاً، ويعلم جميع الّذين هنا أن الرّبّ لا يحتاج إلى السّيف والرّمح ليُخلّص شعبه.»

ولمّا هبّ جليات وأسرع لملاقاة داود، مدّ داود يده إلى كيسه وأخذ منه حجراً وقذفه بالمقلاع، فأصابه في جبينه، وآنغرز الحجر فيه فسقط جليات على وجهه إلى الأرض، فركض داود إليه وأخذ سيفه منه وضربه به، فقتله وقطع رأسه. فلمّا رأى الفلسطيّون أنّ جبّارهم قد مات، أداروا ظهورهم وهربوا.





١٢٠
الملك شاول الحسود
١ صموئيل ١٦ - ١٨

وفي يوم من الأيّام فارق روح الرّبّ شاول فهاجمه روح شرّير، فأخذ يهذي داخل بيته ويحكي كلاماً لا معنى له، فقال له خدّامه: «ها روح الشرّ من عند الرّبّ يضايقك. فدعنا نبحث عن رجلٍ يُحسن اللّعب بآلة العود الموسيقيّة، فنأتي به إلى هنا، وحين يجيء يلعب بالعود، فتنفرج وتنتعشُ.» وتابع واحدٌ آخر من خدمه يقول: «ليسّى ابنٌ اسمه داود، وهو يُحسن اللّعب بالعود، وهو بطل وجبّار ورَجُل حرب، والرّبّ معه.» وللحال أرسل شاول وراءه. فجاء داود وصار يلعب بالعود كلّما هاجم الرّوح الشرّير شاول.

ومرّةً رجع شاول الملك وجنوده من محاربة الفلسطيّين، وكان معهم داود الّذي انتصر على جُليات الجبّار. فخرجت النساء من جميع مدن إسرائيل للقائهم والترحيب بهم، وهنّ يغنّين فرحاتٍ ويرقصن بدفوف طرب، ويردّدن: «قتل شاول الألوف، لكن داود قتل عشرات الألوف.» ولمّا سمع شاول ما تردّده النساء غضب غضباً شديداً وقال: «جعلن داود يقتل عشرات الألوف، بينما جعلن لي أنا ألوفاً فقط. فلم يبقَ إلاّ أن يأخذ المملكة.» ومن ذلك اليوم بدأ شاول يحسد داود ونوى الشَّرّ له.

ويوماً من الأيّام هجم الرّوح الشرّير على شاول، فصار داود يعزف بالعود. وبينما هو يعزف، تناول شاول رمحاً ورماه به مرّتين



ليقتله ، لكنّه لم يُصِبْهُ . وكان الرّبّ مع داود ، وكان شاول يخاف داود لأن الرّبّ كان معه وفارق شاول .

١٢١
رفاق مدى الحياة

١ صموئيل ١٨ - ١٩

وكان لشاول آبنٌ آسمه يوناثان ، فتعرّف إلى داود وأحبّه كثيراً . ودليلاً على حبّه الكبير له أعطاه يوناثان سيفه وقوسه وحزامه وجبّته . كذلك أعطاه الملك شاول آبنته ميكال زوجةً له .

وعرف شاول أن الرّبّ مع داود وأن آبنته ميكال تحبّه ، فزاد حقده عليه مع الأيّام . فأخبر مرّةً آبنه يوناثان ومساعديه أنّه قرّر أن يقتل داود . وحالما عرف آبنه يوناثان بالأمر أسرع إلى داود وقال له : «أبي يريد أن يقتلكَ فآنتبه ، ومن صباح الغدْ اذهب إلى الحقلِ واختبىء فيه . أمّا أنا ، فأخرج مع أبي وأقف في الحقل الّذي أنت فيه ، وأكلّمه في أمرك ، وأخبرك بما يكون .»

وذهب يوناثان إلى أبيه وبدأ يمدح داود أمامه ويقول : «داود لم يُسِيءْ إليك طول عمره ، وكلّ أعماله كانت لخيركَ . خاطر بحياته وقتل جليات الجبّار ، فجلب الرّبّ نصراً عظيماً لجميع بني إسرائيل ، وأنت ، يا أبي شاهدت ذلك بعينيكَ وفرحت كثيراً ، فلماذا تريد أن تقتله بغير سبب ؟»

وسمع شاول لكلام آبنه يوناثان ، وحلف أنّه لن يقتل داود . فدعا يوناثان صديقه داود وأخبره بما جرى ، ثمّ أدخله إلى أبيه شاول ، فأخذ داود يخدمه ، كما كان يفعل في السّابق .



داود يختبئ

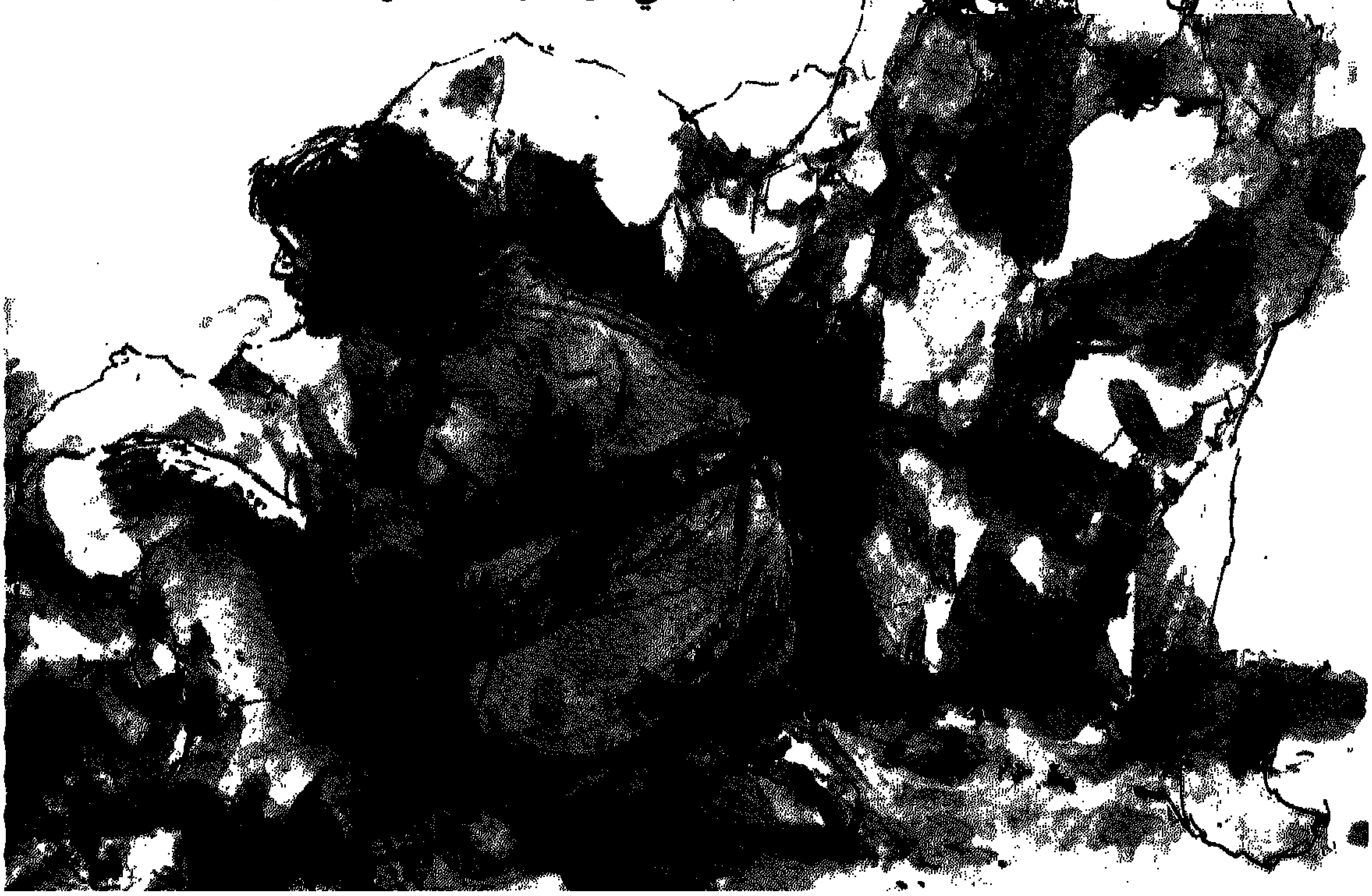
١٢٢

الهرب في الليل

١ صموئيل ١٩

وعادت الحرب وآشتعلت بين الفلسطيّين وبني إسرائيل. فخرج داود وقاد رجاله وحارب الفلسطيّين وأنزل بهم هزيمة عظيمة، فهربوا من وجهه. وبدلاً من أن يفرح شاول لانتصار داود، أصابه روح شرّير من عند الرّبّ. فبدأ داود يلعب بالعود حتى ينعشه ويفرّحه. وبينما هو يلعب بالعود، تناول شاول رمحه ورمى به داود، لكن لم يصِبْه، فغرز الرمح في الحائط وهرب داود ونجا بحياته في تلك اللّيلة.

وبعدما نجا داود بحياته، أرسل شاول رجالاً إلى بيته ليقتلوه عند الصبح. وعلمت ميكال زوجة داود بالأمر، وهي آبنة شاول، فقالت لداود: «إذا بقيتُ هنا هذه اللّيله سيقتلونك عند الصباح. فآهرب إذا أردت أن تنجو بحياتكَ.» فهرب داود ونجا بنفسه. وبعد ذلك، أخذت ميكال تمثالاً، ووضعته في الفراش، ووضعت تحت رأسه مخدّة من شعر الماعز وغطّته بلحاف. فلمّا وصل رجال شاول عند الصبح ليقبضوا على داود ويقتلوه، دلّتهم ميكال إلى الفراش وقالت لهم: «تطلّعوا، ها هو مريض.» فرجع الرّجال إلى شاول وقالوا له أن داود مريض. فأرسلهم شاول ثانيةً إليه وقال لهم: «آحملوه إليّ وهو في فراشه لأقتله.» فعاد رجال شاول ودخلوا بيت داود واكتشفوا أن النّائم على الفراش لم يكن داود بل تمثال تحت رأسه مخدّة. ولمّا عرف شاول بما جرى، دعا آبنته ميكال وسألها: «لماذا كذبتِ وخدعتِني، وجعلتِ عدوّي داود ينجو بحياته؟» فأجابته: «فعلت هذا، لأن داود هدّدني بالقتل إذا رفضت مساعدته على الهرب.» وبعدما هرب داود لجأ إلى صموئيل في الرّامة وأخبره بكلّ ما فعل به شاول.



١٢٣
إشارةُ خطر
١ صموئيل ٢٠

وعرف داود أن شاول قادمٌ إلى الرّامة، فهرب وجاء إلى يوناثان وشكا له أمره وقال: «ماذا فعلتُ؟ ما هو ذنبي؟ وبما أسأت إلى أبيك حتى يريد أن يقتلني؟» فأجابه يوناثان: «لا، لن تموت، فأبي لا يعمل شيئاً دون أن يستشيرني. فكيف يُخفي عليّ هذا الأمر؟ هذا مُستحيل.» فقال له داود: «أبوك يعرف أنّك صديقي، وهو يُفضّل أن لا يُعلمكَ بالأمر



حتى لا تحزن.» وهنا قال له يوناثان: «لا داعٍ للخوف. سأذهب إلى أبي لأعرف ما ينويّ أنْ يفعله بك.» فسأله داود: «وكيف أعرف ما ينوي أن يفعله بي؟» فأجابه يوناثان: «تعال نخرج إلى البرّيّة.» فخرجا وبينما هما يتمشّيان وصلا إلى كومة من الحجارة، فقال له يوناثان: «آختبىء وراء هذه الكومة من الحجارة، فبعدما أعرف من أبي ما ينوي أن يفعله بك أجيء إلى هنا مع خادمي وأرمي بثلاثة أسهم نحو الكومة التي أنت تختبىء وراءها. ثمّ أطلب من خادمي أن يذهب ويلتقط الأسهم. فإذا قلت له: «الأسهم إلى جانبك، فخذها.» تعرف أنت أنّكَ في أمانٍ، ولا خطر عليك، فتظهر وتجيء إليّ. أمّا إذا قلت للخادم: «الأسهم أمامك.» تهرب أنت وتنصرف من هنا، والرّبّ شاهد عليّ أن الصّداقة الّتي بيني وبينك باقية إلى الأبد.»

وبعد ذلك، رجع يوناثان إلى البيت وتكلّم مع أبيه شاول بموضوع داود. فغضب عليه أبوه وقال: «أتظن أنّي لا أعرف أنّك منحاز لداود. فما دام داود حيّاً على هذه الأرض، تبقى أنت ومملكتك في خطر. والآن، أرسل من يجيئني به، لأنّه يستحقُّ الموت.» فأجابه يوناثان: «لكن لماذا تنوي أن تقتله؟ ما الّذي فعل؟» ولمّا سمع شاول كلام آبنه، آشتدّ غضبه، فصوّب الرمح إلى آبنه، كما لو أراد أن يطعنه به، فعرف يوناثان أن أباه ينوي أن

يقتل داود، فقام عن الطّعام بغضبٍ شديد، ولم يأكل ذلك اليوم، لأن حزنه على داود كان كبيراً.

وفي صباح اليوم التالي خرج يوناثان إلى الحقل للقاء داود حسب الموعد، ومعه خادمه الصغير. فقال لخادمه: «كلّما أطلقتُ سهماً، تسرع أنت وتلتقطه.» ورمى يوناثان بسهمه الأوّل. فلمّا وصل الخادم إلى موضع السهم ناداه يوناثان وقال له: «السّهم أمامك.» ولمّا آنتهى يوناثان من إطلاق سهامه، أعطى خادمه سلاحه وصرفه إلى البيت.

فما أن انصرف الخادم حتى قام داود من جانب كومة الحجارة وسجد على وجهه إلى الأرض ثلاثَ مرّاتٍ. ثمّ عانق يوناثان وبكيا، وكان بكاء داود شديداً، وكان آخر شيء قاله يوناثان لداود: «اذهب بأمان. نحن حلفنا بآسم الرّبّ أنّ العهد الّذي بيني وبينكَ، وبين نسلي ونسلكَ، باقٍ إلى الأبد.» وبعد هذا الكلام، آفترقا: يوناثان إلى بيته وداود إلى البرّيّة.

١٢٤
طعامٌ وسيف
١ صموئيل ٢١

وفيما داود هارب من وجه شاول، توجّه إلى الكاهن أخيمالك في مدينة نوب. ولمّا رآه أخيمالك تعجّب وسأله: «لماذا أنت وحدك، ولم يكن معك أحد؟» فأجابه داود: «كلّفني الملك بمهمّة عاجلة وطلب منّي أن أُبقي هذه المهمّة سرّاً. وأمّا رجالي، فلي موعدٌ معهم في أحد الأمكنة. لكن الآن، ما عندك من طعام فأنا جائع؟ أعطني خمسة أرغفة، أو ما تيسّر منها.» فأعطاه الكاهن شيئاً من الخبز المُقدّس، لأنّه لم يكن عنده خبز عادي. ثمّ سأله داود: «هل عندك هنا رمحٌ أو سيف؟ فأنا لم أحمل سيفي، لأن المهمّة الّتي حمّلني إيّاها الملك كانت مُستعجلةً.» فأجابه الكاهن: «هنا سيف جليات الذي قتلته أنت، إذا أردت أن تأخذه، فخذه، فلا شيء غيره هنا.» فقال له داود: «جئني به، فلا سيف مثل هذا السّيف.» وبعدما أخذ داود طعاماً وسيفاً من الكاهن أخيمالك، قام وتابع هروبه من وجه شاول.

١٢٥
المُخبر
١ صموئيل ٢٢

وظلَّ داود يهرب من مكان إلى مكان، وفي النّهاية وصل إلى مغارة وآختبأ فيها. ولمّا عرف إخوته وأهله بالأمر نزلوا إلى المغارة وانضمّوا إليه. كذلك انضمّ إليه كلّ واحدٍ ضاقت معيشته، أو كثرت ديونه، أو شعر بمرارة ويأس، فتولّى داود قيادتهم، وصار معه حوالي أربع مئة رَجُل.

وسمع شاول أن داود بدأ يظهر مع رجاله في أحد الأماكن. فجمع رجاله وقال لهم: «آسمعوا، هل تظنّون أن داود يعطيكم حقولاً وكروماً، أو يجعلكم قادة، فتآمرتم كلّكم عليّ ولم يخبرني أحد منكم أين هو؟» وهنا تقدّم واحدٌ من رجاله آسمه دوّاغ الآدومي، وقال له: «رأيت داود عند الكاهن أخيمالك، فأطعمه وأعطاه سيف جليات الجبّار.»

ولمّا سمع شاول هذا الكلام، دعا إليه الكاهن أخيمالك وبقيّة الكهنة في عائلته، فحضروا إليه جميعهم. وعندما حضروا، تطلّع شاول إلى أخيمالك وسأله: «لماذا تآمرتما عليّ

أنت وداود، فأعطيته خبزاً وسيفاً وشجّعته أن يتمرّد عليّ؟» فأجابه أخيمالك: «أي رَجُل من جميع رجالك أمين لك مثل داود؟» ثمّ تابع يقول: «لا تتّهمني وتتّهم أهلي بالمؤامرة، يا سيّدي. فلا عِلمَ لي بهذا الأمر.» فقال له الملك شاول: «موتاً تموت، يا أخيمالك، أنت وجميع أهلك.» وأمر الحرس الواقفين حوله أن يتقدّموا ويقتلوا الكهنة جميعهم، فرفضوا ذلك. ولمّا رفض الحرس تنفيذ أوامره، نادى شاول دوّاغ الآدومي وأمره أن يقتل الكهنة. وتقدّم دوّاغ وقتلهم جميعاً إلاّ ابن أخيمالك الّذي نجا وهرب إلى داود، فأخبره بما جرى. فقال له داود: «حين رأيت دوّاغ الآدومي عند أليمالك في هيكل الرّبّ، عرفت أنّه سيخبر شاول. فأنا الّذي سبّبت موت أهلك كلّهم، فابقَ عندي ولا تخف، لأن شاول الّذي يريد أن يقتلك يريد أن يقتلني أيضاً. فأنت عندي في أمان، ولا خطر عليك.»



١٢٦
اختبئ وفتّش
١ صموئيل ٢٤ و ٢٦

ومرّةً جاء إلى شاول واحدٌ يقول له، إنّ داود يختبىء مع رجاله في بعض المغارات. ولمّا سمع شاول بهذا الخبر، أسرع مع رجاله إلى تلك المغارات، ودخل واحدة منها، وكان داود ورجاله مختبئين فيها. فقال له رجاله: «هذا هو اليوم الّذي يسلّم فيه الرّبّ عدوّكَ إلى يدك، فتفعل به ما تراه مناسباً.» فقام داود وتقدّم إلى شاول وقطع بسيفه طرف ردائه خفيةً. لكن، بعد ذلك، ندم على ما فعل، فقال لرجاله: «حرامٌ عليَّ أن أفعل هذا بسيّدي شاول.» ولمّا خرج شاول من المغارة، تبعه داود وناداه: «يا سيّدي الملك.» فالتفت شاول ورأى داود خلفه، فانحنى داود إلى الأرض وقال له: «لماذا تطاردني، يا سيّدي الملك؟ ما الّذي فعلت؟ ولماذا تصدّق الّذين يقولون لك إنّي أريد ضررك وأذيّتك. فأنت رأيت اليوم أن الرّبَّ أسلمك إليَّ في المغارة، فلم أقتلك. فانظر، يا أبي، ها طرف ردائك في يدي، قطعته خفيةً ولم أقتلك، فتعرف أنّي لا أنوي لك شرّاً ولا خيانةً أو غدراً.»

ولمّا انتهى داود من كلامه هذا، قال له شاول: «هذا أنت، يا ابني، داود؟» ثمّ رفع صوته وأخذَ يبكي. وتابع يقول: «أنت أحسن منّي، أنت عاملتني بالخير، وأنا عاملتك بالشر. كنتَ تقدر اليوم أن تقتلني، ولم تقتلني، فأيُّ رَجُلٍ يقدر أن يقتلَ عدُوَّهُ، ويعفو عنه؟ فالرّبّ يجازيك على الخير الّذي فعلته معي. والآن، أعرف أنّك ستصير ملكاً. فاحلف لي بالرّبّ أنّك لن تقضي على نسلي



من بعدي.» فحلف له داود بذلك. وبعد هذا، مضى شاول إلى بيته، أمّا داود فصعدَ مع رجاله إلى مخبأه في المغارة.

١٢٧
ماء من بئر بيت لحم
٢ صموئيل٢٣

وفي وقت الحصاد، جاء ثلاثة رجال شجعان إلى داود، وكان داود في ذلك الحين مختبئاً في إحدى المغارات، فتذكّر مدينة بيت لحم، وهي المدينة التي وُلِدَ فيها وقضى فيها طفولته، فتنهّد وقال: «آه، على شِرْبَة ماء من بئر بيت لحم الّتي عند مدخل المدينة.» فسمع الشجعان الثلاثة داود يتنهّد ويشتهي شِرْبَة ماء من بئر بيت لحم الّتي عند مدخل المدينة. وكانت مدينة بيت لحم في تلك الأيّام تحت سلطة أعدائهم الفلسطيّين. ورغم هذا، تسلّل هؤلاء الأبطال الثّلاثة إلى هذه المدينة واخترقوا معسكر الفلسطيّين وجاؤوا بماء من البئر إلى داود. ولمّا قدّموا له الماء رفض أن يشرب منه، بلْ قال: «يارب، حرامٌ عليَّ أن أشرب من هذا الماء. فإذا شربتُ منه أكون كمن يشرب دم هؤلاء الرّجال الّذين خاطروا بحياتهم من أجلي.» ثمّ أخذ الماء وقدّمه إلى الرّبّ.



١٢٨
نابال الأحمق
١ صموئيل ٢٥

وفي تلك الأيّام عاش رَجُل غني آسمه نابال وآسم زوجته أبيجايل. وكانت أبيجايل ذكيّة وجميلة، بينما كان زوجها نابال رَجُلاً خشناً سيّىء التصرّف والسّلوك، وكان لهذا الرّجل ثلاثة آلاف رأس من الغنم، وكلّما حان الوقت، كان يقصّ صوفها في منطقة الكرمل.

ومرّةً سمع داود وهو في البرّيّة أن نابال يقصّ صوف غنمه في الكرمل، فأرسل إليه عشرة من الفتيان وقال لهم: «آذهبوا إلى نابال في الكرمل، وسلّموا عليه بآسمي، وقولوا له، إن رعاته كانوا معنا، فلم نؤذيهم ولا أخذنا منهم شيئاً مدّة إقامتهم هنا. ثمّ قولوا له إنّكم تجيئون إليه لتطلبوا رضاه، وتطلبوا بآسمي ما تيسّر عنده من الطّعام.»

فجاء الفتيان إلى نابال ونقلوا إليه كلام داود، فأجابهم نابال: «من هو داود؟ من هو آبن يسّى؟ كيف أعطي خبزي ومائي وذبيحتي لقوم لا أعرف أصلهم من فصلهم؟» فرجع الفتيان إلى داود وأخبروه بما سمعوا، ولمّا سمع داود ما قاله نابال غضبَ وطلبَ من رجاله أن يتسلّحوا بسيوفهم، ففعلوا ذلك، وتناول داود سيفه أيضاً، وصعد إلى نابال على رأس أربع مئة رَجُل.

وحدث أن واحداً من الخدم رأى سيّده نابال يغضب على فتيان داود. فذهب إلى أبيجايل زوجة نابال وقال لها: «أرسل داود رسلاً في البرّيّة حتى يسلّموا على سيّدنا، فثار عليهم وغضب غضباً شديداً وآعلمي أن رجال داود أحسنوا إلينا، فلم يأذونا ولم يأخذوا منّا شيئاً مدّة أيّامنا معهم في البرّيّة، وكانوا يدافعون عنّا ليلاً نهاراً.

فتدبّري الأمر، وانظري الآن ماذا تعملين، فالشرّ الّذي سيفعله داود يهدّد سيّدنا وكلّ أهل



بيته.» وحالما سمعت أبيجايل بما جرى، أسرعت فجمعت خبزاً وخمراً وخرافاً مشويّة وفريكاً وزبيباً وتيناً، وحمّلتها على حمير، وتوجّهت إلى داود دون علم زوجها. وبينما هي راكبة على الحمار ونازلة من الجبل التقت بداود ورجاله.

فلمّا رأت أبيجايل داود، نزلت في الحال عن حمارها، وانحنت إلى الأرض أمامه، وقالت: «لا تهتم بهذا الرّجلِ اللّئيم نابال، فاسمه يعني الحماقة وأمّا أنا، فلم أرَ الّذين أرسلتهم أنت. والآن، تقبّلْ منّي هذه الهديّة وأعطها لرجالك.» فقال داود لأبيجايل: «مبارك هو الرّبّ الّذي أرسلكِ اليوم إليَّ. مباركَةٌ حكمتكِ، ومباركَةٌ أنتِ، لأنّكِ منعتني اليوم من الانتقام لنفسي بيدي.» وأخذ داود من يدها الهديّة وطلب منها أن تعود بسلام إلى بيتها.

وعادت أبيجايل إلى بيتها، فوجدت فيه حفلة كحفلات الملوك، وكان زوجها في حالة سكر شديد، فلم تخبره بشيء حتّى طلوع الصبح. وعندما صحا من سكره في الصباح، أخبرته بكلّ شيء عملته، فجمد نابال كالحجر، وكاد قلبه يتوقّف، وبعد حوالي عشرة أيّام ضرب الرّبّ نابال فمات.

١٢٩
«غداً تموت»

١ صموئيل ٢٨

وفي تلك الأيّام مات صموئيل، فبكى عليه الجميع. وبعد موته، جمع الفلسطيّون جيوشهم ليحاربوا بني إسرائيل. فلمّا رأى شاول جيوش الفلسطيّين، خاف وارتعب قلبه. فسأل الرّبّ ماذا يفعل، فلم يُجِبْهُ الرّبّ.

فطلب من معاونيه أن يفتّشوا له عن عرّافة تعرف المستقبل حتّى يذهب إليها ويستشيرها. فذهبوا وفتّشوا حتى وجدوا واحدة، فرجعوا، وقالوا له: «هناك عرّافة في بلدة عين دور.»

فتنكّر شاول، ولبس ثياباً غير ثيابه، فبدا شخصاً آخر، وسار مع رَجُلين إلى العرّافة ليلاً. وعندما وصلَ إليها قال: «دعيني أرى صموئيل فأتكلّم معه.» فقالت له دون أن تعرفه: «أما علمتَ ما الّذي فعله شاول، كيف اضطهدَ العرّافين وطردهم من البلاد؟ فلماذا تنصب لي فخّاً وتحاول أن تضرّني؟» فحلف لها أنّه لن يضرّها. فأحضرت صموئيل، ولمّا رأت صموئيل تطلّعت إلى شاول وعرفته، فصرخت خائفة وسألته: «لماذا خدعتني وكذبت عليّ، ولم تقل لي أنّك شاول؟» فقال لها شاول: «لا تخافي، ماذا رأيت؟» فقالت المرأة: «رأيتُ آلهة صاعدة من الأرض ومنظرها كرَجُل كبير في السّن.»

فعرف شاول أنّه صموئيل. فسأله صموئيل: «لماذا أزعجتني وطلبتني إليك؟» فأجابه شاول: «أنا في ضيقٍ شديد، الفلسطيّون يحاربونني والله تركني ولم يعد يجيبني، فدعوتك لتخبرني بما أفعل.» فقال صموئيل: «لماذا تسألني، والرّبّ أهملك وصار عدوّك، فهو أخذ المملكة منك وأعطاها لداود. كذلك سيجعل الفلسطيّين يتغلّبون على بني إسرائيل، أمّا أنت فتموت غداً مع جميع أبنائك.» ولمّا سمع شاول هذا الكلام، ارتعب وسقط في الحال على الأرض، وبقي كلَّ يومه وليله بلا طعام، فَضَعُفَ وفقد قوّتَهُ. فتقدّمت منه العرّافة فرأته في خوف شديد، وأرادت أن تعطيه طعاماً ليأكل، فرفض لكنّها ألحّت عليه فقبل في النّهاية، فأكل وانصرف إلى معسكره في تلك اللّيلة.

١٣٠

داود ينضمّ إلى العدّو

١ صموئيل ٢٧ - ٢٩

وظلّ شاول يطارد داود مدّةً طويلة، فقال داود في نفسه: «يوماً من الأيّام سيقتلني شاول، فالأحسن لي أن أهرب إلى الفلسطيّين وأختبىء عندهم، فييأس منّي ولا يعود يبحث عنّي في أرض إسرائيل، فأنجو بنفسي. فقام داود ومضى هو ورجاله إلى أخيش ملك الفلسطيّين في بلاد آسمها جتّ. ولمّا سمع شاول أنّ داود هرب إلى الملك أخيش في جتّ، توقّف عن مطاردته.

وفي أيّام وجوده في جتّ، كان داود يهاجم القبائل التي حوله، فيأخذ الغنم والبقر والحمير والجمال والثياب ويرجع بها إلى أخيش. وفي كلّ مرّةٍ كان يسأله أخيش: «من هاجمتم اليوم وغزوتم؟» فيجيبه داود: «هاجمنا أسباط بني إسرائيل وغزوناها.» وكان أخيش يصدّق داود ويقول في نفسه: «صار مكروهاً من شعبه، فهو سيبقى هنا ويكون عبداً لي إلى الأبد.»

وفي تلك الأيّام حشدَ الفلسطيّون جيوشهم ليحاربوا بني إسرائيل. فقال أخيش لداود: «ستنضمّ إلى جيشي أنت ورجالك.» فأجابه داود: «طبعاً، سأنضم إليك أنا ورجالي.»

وتظاهر أنّه مسرور لهذا الأمر، ورآه قادة الفلسطيّين يسير هو ورجاله مع أخيش، فتساءلوا: «ماذا يفعل بنو إسرائيل هنا؟» فأجابهم أخيش: «هذا هو داود، واحد من رجال شاول الملك، وهو عندي من زمان، فلم أجد فيه عيباً منذ قدومه إلينا حتى اليوم.» فغضبوا وطلبوا منه أن يردّ داود ورجاله إلى جتّ، خوفاً من أن يصير ضدّهم عندما يقاتلون بني إسرائيل.

فدعا أخيش داود وقال له: «أنت رجل مستقيم، لم أجد فيك عيباً منذ جئت إليّ. لكن بقيّة الملوك الّذين معي هنا لا يوافقونني على ذلك، ويطلبون أن ترجع مع رجالك إلى جتّ. فارجع الآن، وآذهب بسلام.»

فتظاهر داود بالحزن والأسف، بينما في قلبه كان مسروراً لأن الرّبّ أنقذه من محاربة شعبه بني إسرائيل. وفي اليوم التّالي بكّر داود هو ورجاله ورجعوا إلى أرض الفلسطيّين.



١٣١
كل شيء ضاع
١ صموئيل ٣٠

وبعد ثلاثة أيّام من المسير وصل داود ورجاله إلى بلدة آسمها صقلغ حيث تسكن عائلاتهم. فوجدوا أن العمالقة في غيابهم هاجموها وأحرقوها، وأخذوا من فيها من النّساء والصّغار والكبار وذهبوا في طريقهم. ولمّا شاهدوا المدينة محروقة، وليس فيها أحد، بدأ داود ورجاله يبكون. وظلّوا يبكون حتّى تعبوا ولم يعودوا قادرين على البكاء. وتضايق داود كثيراً لأنّ رجاله شعروا بالحزن الكبير على بنيهم وبناتهم، وبسبب هذا الحزن الكبير حاولوا أن يرجموه بالحجارة. لكنّه لم ييئس فالتجأ إلى الرّبّ وسأله هل يطارد الغزاة العمالقة ويلحق بهم. فأجابه الرّبّ: «طاردهم، فتلحق بهم وتخلّص الأسرى منهم.»

فسار داود ورجاله ووصلوا إلى مكان آسمه وادي البسور. فبقي منهم في الوادي مئتا رجل لأنّهم تعبوا، ولم يقدروا أن يعبروا الوادي، بينما تابع داود مسيره على رأس أربع مئة رجل، لا غير.



١٣٢
إلى الإنقاذ
١ صموئيل ٣٠

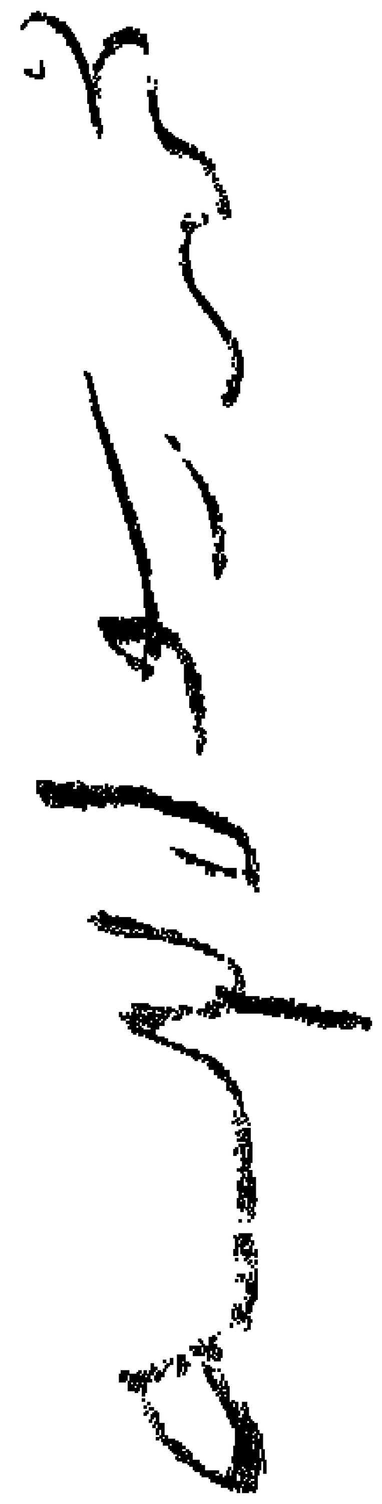
وفي طريقهم وراء العمالقة صادفوا رجلاً مصريّاً في البرّيّة يكاد يموت من الجوع والعطش. فأخذوه وأعطوه خبزاً وماءً، وأعطوه قرصاً من التّين وعنقودين من الزّبيب، فأكل وعادت إليه قوّته، بعدما ظلّ ثلاثة أيّام بلا طعام وماء. ولمّا عاد المصريّ إلى وعيه وقوّته، سأله داود: «من أنت، ومن أين جئت؟» فأجابه المصريّ: «أنا مصريّ وعبدٌ لرَجُلٍ من العمالقة، تركني هنا منذ ثلاثة أيّام لأنّي مرضتُ، بينما كنت راجعاً مع العمالقه الّذين غزوا بلدة صقلغ وأحرقوها. فسأله داود إذا كان مستعدّاً أن يقوده إليهم. فأجابه: «أقودك إليهم شرط أن لا تسلّمني إلى سيّدي وتعيدني إليه.» فوعده داود بذلك.

وبعدما وعده بذلك، قاده الرّجل المصْريّ إليهم. ولمّا آقترب منهم قليلاً رآهم داود منتشرين هنا وهناك، يأكلون ويشربون ويرقصون فرحاً بالغنائم الّتي سلبوها وأخذوها من أرض الفلسطيّين وغيرها. فهاجمهم داود، وقاتلهم من الصبح إلى المساء، وتغلّب عليهم، فركبوا جمالهم وهربوا. وهكذا آستردّ داود كلّ ما أخذه العمالقة وسلبوه.

وبعد ذلك، رجع داود مع رجاله إلى الّذين ظلّوا في وادي البسور، لأنّهم لم يقدروا أن يتابعوا المسير من التعب الشديد. ولمّا وصلَ إليهم خرجوا للقائه هو ورجاله الّذين معه. فتقدّم داود إليهم وسلّم عليهم. وهنا قال بعض الّذين ذهبوا مع داود للقتال: «بما أنّهم ظلّوا هنا في وادي البسور ولم يحاربوا معنا، فلن نعطيهم من الغنائم شيئاً، بل نرّد لكلٍّ واحد



منهم زوجته وأبناءه فقط. وسمع داود هذا الكلام، فقال: «لا تفعلوا هذا، يا إخوتي فالرّبّ أعطانا هذه الغنائم، وحمانا وجعلنا نتغلّب على أعدائنا، فلا أحد يوافقكم على هذا الأمر. فحصّة السّائرين إلى الحرب كحصّة الّذين يحرسون المؤونة والعتاد.»



١٣٣
معاً في الموت

١ صموئيل ٣١: ٢ صموئيل: ١

وبدأت الحرب من جديد بين الفلسطيّين وبني إسرائيل، فهاجمهم الفلسطيّون وتغلّبوا عليهم وقتلوا معظمهم في جبل جلبوع، ثمّ طاردوا شاول وأبناءه الثلاثة وقتلوهم جميعاً. ولمّا علم بنو إسرائيل الساكنون في بقيّة المناطق أن جنودهم هربوا، وأنّ شاول وبنيه ماتوا، تركوا مدنهم وهربوا هم أيضاً. فجاء الفلسطيّون إليها وسكنوها.

وبعد ثلاثة أيّام من هذه المعركة أتى رَجُل من معسكر شاول إلى داود، وهو في حزن شديد. وعندما رآه داود سأله: «من أين جئت؟» فأجابه: «من المعركة وأنا نجوت بنفسي من الفلسطيّين.» ثمّ تابع يقول: «آنهزم جيشنا في الحرب، وسقط منه كثيرون وماتوا، ومن بينهم شاول ويوناثان آبنه.» ولمّا سمع داود بموت شاول وآبنه يوناثان مزّق ثيابه حزناً، هو وجميع رجاله وبكوا وصاموا إلى المساء على شاول ويوناثان آبنه، وعلى بني إسرائيل لأنّهم سقطوا في الحرب وماتوا. ونظّم داود قصيدة يرثي بها شاول وآبنه يوناثان، تقول القصيدة:

شاول ويوناثان محبوبان، معاً في الحياة، معاً في الموت، أسرع من النسور هما، وأقوى من الأسود.

الجبابرة سقطوا في القتال، يوناثان قتيل على الجبال والتلال، يا أخي يوناثان، يا أعزّ صديق، أبكي عليك، وأنا مليء بالحزن والألم، لأنّ صداقتك لي أجمل من حُبّ النساء.

آه، سقط الجبابرة، إلى الأبد سقطوا.



١٣٤
يعيش الملك داود
٢ صموئيل ٢ – ٥

وبعد ذلك ، سأل داود الرّبّ ، هل يعود إلى بني إسرائيل ، ويصعد إلى أرض يهوذا ، فأجابه الرّبّ أنّه يقدر أن يصعد إلى مدينة حبرون في أرض يهوذا . فصعد داود إلى هناك مع رجاله وعائلاتهم . وبعدما صعد داود إلى هناك ، جاء رجال يهوذا إليه ونصّبوه ملكاً عليهم . وفي ذلك الوقت كان لشاول قائد آسمه أبنير . فأخذ هذا القائد إيشبوشث ، آبن شاول ، وعبر به الأردن إلى الشّمال ونصّبه ملكاً على جميع بيت إسرائيل . وكانت هناك عداوة بين بيت يهوذا وبيت إسرائيل .

وفي يوم من الأيّام ، سار أبنير وأتباع إيشبوشث آبن شاول إلى منطقة جبعون ، وسار أيضاً إلى تلك المنطقة داود مع قائد جيشه يوآب . فالتقوا جميعهم عند بركة جبعون . وعندما آلتقى الفريقان هناك ، قال أبنير ليوآب : «ماذا لو تقاتل رجال منّا ومنكم أمامنا ؟» فأجابه يوآب : «أنا موافق على ذلك .» فنهض للقتال رجال من أتباع إيشبوشث ورجال من أتباع داود . فانهزم أبنير ورجال بني إسرائيل أمام أتباع داود .

وطالت الحرب بين أتباع شاول وأتباع داود ، وكان أتباع داود يتقوّون وأتباع إيشبوشث يضعفون . لكن في الوقت ذاته كان أبنير يزداد قوّةً في جماعة إيشبوشث . فوقع خلاف بينه وبين إيشبوشث . وفي الحال أرسل أبنير رجالاً إلى داود يقولون له ، إنّ أبنير مستعدّ أن يساعده على آسترجاع جميع بيت إسرائيل ، فيصير ملكاً عليهم . فقبل داود هذا العرض بسرعة . وجاء أبنير إلى داود في مدينة حبرون ومعه عشرون رجلاً . فأقام لهم داود حفلة عظيمة . وبعدما آنتهت الحفلة ، قال أبنير لداود : «أقوم الآن وأذهب لأجمع لك يا سيّدي الملك جميع بيت إسرائيل وأجعلهم يقبلونك ملكاً عليهم .» وبعد هذا الكلام انصرف أبنير من عند الملك داود بسلام .

ولمّا رجع أتباع داود من الغزو ، سمع يوآب أن أبنير كان عند الملك ، ثمّ آنصرف بسلام . فغضب كثيراً ، ودخل على الملك داود وقال : «ماذا فعلت؟ أتى أبنير إليك ، فلماذا تركته يذهب بسلام ؟ ألا تعرف أنّه جاء ليخدعك ، ويكذب عليك ؟» وخرج يوآب من عند داود ، وأرسل رجاله يفتّشون عن أبنير . ولمّا رجع أبنير إلى حبرون آنفرد به يوآب جانباً وضربه بالسّيف وقتله . وعندما سمع داود بما جرى ، أمر يوآب وجميع الشعب أن يمزّقوا ثيابهم حزناً ويبكوا على أبنير . ومشى الملك داود وراء النعش ، ودفنوا أبنير في حبرون ، فرفع الملك صوته وبكى على القبر . فعلم الشعب كلّه أن الملك لم يشترك أبداً في مقتل القائد أبنير .

وسمع إيشبوشث ، آبن شاول ، بمقتل أبنير ، فخاف ، وخاف معه جميع بيت إسرائيل . وكان لإيشبوشث رَجُلان يقودان جماعته . فدخلا مرّةً بيته في حرّ النهار وكان نائماً يستريح ، فضرباه بالسيف ، وقطعا رأسه وأخذاه إلى داود الملك في حبرون . ولمّا رأى داود رأس إيشبوشث معهما ، غضب وأمر حرّاسه بقتلهما ، فقتلوهما . أمّا رأس إيشبوشث ، فأخذوه ودفنوه في حبرون مع أبنير .

وبعد هذا كلّه، جاء شيوخ إسرائيل إلى داود في حبرون، وعيّنوه ملكاً على بيت إسرائيل. وكان داود ابن ثلاثين سنة يوم صار ملكاً، وحكم مدّة أربعين سنة.

١٣٥
مدينة داود – مدينة الله
٢ صموئيل ٥ – ٦

وبعدما صار داود ملكاً على جميع بني اسرائيل، أراد أن يضمّ مدينة أورشليم إليه، وكانت هذه المدينة في ذلك الوقت تحت سيطرة اليبوسيّين.



فسار داود ورجاله إلى أورشليم لمحاربة اليبوسيّين، وظنّ هؤلاء أنّه لن يقدر أن يدخل مدينتهم لأنّها كانت محصّنةً جيّداً. لكن رجال داود دخلوها من خلال قناة مياه تحت الأرض، تبدأ خارج المدينة وتنتهي في وسطها. وبعدما دخلوها، حوّلها داود إلى حصن قويّ سمّاه مدينة داود. وكان داود يزداد عظمة، والرّبّ القدير معه.

وبعد ذلك، عاد داود ونخبة من رجال الشعب إلى أرض يهوذا ليأخذوا من هناك إلى أورشليم تابوت العهد الّذي يحمل اسم الرّبّ القدير. فحملوه على مركبة جديدة وجاؤوا به إلى المدينة. وفيما هم يسيرون به كان داود وجميع الشعب يرقصون بكلّ قواهم ويغنّون على ألحان القيثار والرّباب والدّفوف والصنوج وغير ذلك من الآلات الموسيقيّة.

ولمّا دخل التّابوت مدينة أورشليم كانت المرأة الّتي أحبّت داود وهي ميكال ابنة شاول تتفرّج من النّافذة، فرأت الملك داود يرقص ويقفز أمام الرّبّ، فاحتقرته في قلبها حين رأته يرقص على هذه الصورة. ولمّا رجع إلى بيته، خرجت ميكال للقائه وقالت له في سخرية وهزء: «كم كان الملك مُحترماً اليوم، حين تعرّى أمام جواري رجاله وخادماتهم كما يتعرّى رِجال السّوء والرّذيلة!» فأجابها داود: «كان ذلك كلّه من الفرح لأنّ الرّبّ اختارني وجعلني رئيساً على شعبي بني إسرائيل. ومن أجل الرّبّ سأرقص أكثر مما فعلت.»

١٣٦
مشاريع لبيت الله
٢ صموئيل ٧

وسكن الملك داود في قصره في مدينة أورشليم، وأراحه الرّبّ من جميع أعدائه. فقال للنّبي ناثان: «انظرْ. أنا ساكن في قصر خَشَبُهُ من شجرِ الأرز، بينما تابوت العهد في خيمة! فهذا لا يجوز.» فأجابه ناثان: «اذهبْ وافعلْ كلَّ ما في بالك لأنّ الرّبّ معك.» لكن في تلك اللّيلة قال الرّبّ لناثان: «اذهبْ وقلْ لداود أنّي لم أسكن بيتاً من يوم أخرجت بني إسرائيل من أرض مصر حتى الآن، بل كنت دائماً أتنقّل معهم في خيمة، وفي كلّ انتقالي معهم لم أسأل أحداً من رؤسائهم: لماذا لم تبنِ لي بيتاً من خشب الأرز؟» ثمّ تابع ناثان يقول: «هكذا يقول الرّبّ لك: «أنا أخذتك من وراء



الغنم لتكون رئيساً على شعبي، وكنت معك على الدّوام، وقضيت على جميع أعدائك وسأجعل لك آسماً عظيماً كأسماء العظماء في الأرض. وأنا الرّبّ أخبرك أنّي سأجعل بعد موتك واحداً من نسلك يبني لي بيتاً، فأثبّت عرشه إلى الأبد، ولن أعامله كما عاملت شاول وأزلته من أمام وجهك، بلْ يظلّ نسلك وملكك إلى الأبد.» ودخل داود خيمة الاجتماع وقال: «من أنا يا ربّ، ومن هي عائلتي حتّى رفعتني إلى هذا المقام، فتعطّفْ وباركْ بيت عبدك ليثبت أمامك إلى الأبد.»

١٣٧
داود يحافظ على وعده

٢ صموئيل ٩

وفي يوم من الأيّام، تذكّر داود صديقه يوناثان آبن شاول، وتذكّر وَعْده له، أنّه سيهتمّ بعائلته وأبنائه إذا صار ملكاً. فأرسل يبحث عن رجل آسمه صيبا، وكان صيبا خادماً عند شاول، فلمّا قدم إليه سأله داود: «هل أنت صيبا؟» فأجاب: «أنا هو يا سيّدي.» فقال له: «هل بقي أحد حيّاً من نسل شاول؟» فقال صيبا: «بقي آبن يوناثان حيّاً، لكنّه أعرج.» فقال له الملك: «أين هو؟» وعندما أخبره عن مكانه، أرسل الملك داود واحداً من رجاله ليجيء به.

وجاء مفيبوشث آبن يوناثان إلى داود وانحنى أمامه احتراماً. فقال له داود: «يا مفيبوشث، لا تخف، سأحسن إليك إكراماً لأبيك يوناثان، وسأطلب أن يعيدوا إليك جميع مزارع جدّك شاول، ومن الآن ستأكل معي دائماً. وبعدما سمع مفيبوشث هذا الكلام، قال لداود: «مَنْ أنا يا سيّدي حتى تهتمّ بي هكذا؟ فأنا لا أستحق ذلك.»

ثم دعا الملك داود صيبا وقال له: «أعدّ كلّ مزارع شاول وأهله إلى حفيده مفيبوشث. وأنت، تزرع له هذه المزارع وتعطي غلّتها لأهله. أمّا مفيبوشث نفسه، فيأكل معي دائماً على مائدتي.» ومن ذلك الوقت، بدأ مفيبوشث يأكل مع الملك كأنّه واحد من أبنائه.

أخطاء داود

١٣٨

بثشبع الجميلة

٢ صموئيل ١١

ولمّا جاء الرّبيع، أرسل داود القائد يوآب على رأس جيشه ليحارب بني عمّون، بينما هو نفسه بقي في أورشليم.

ومرّةً عند المساء قام داود عن سريره وبدأ يتمشّى على سطح القصر. وبينما هو يتمشّى رأى امرأة تستحمّ في البيت المقابل. وكانت هذه المرأة جميلة جدّاً. فسأل عنها، فقالوا له، إنّها بثشبع، زوجة أوريّا الحثّي. وكان أوريّا ضابطاً مخلصاً لداود، يحارب في ذلك الوقت في الجيش مع القائد يوآب.

ولمّا عرف داود من هي المرأة، أرسل يطلبها. فجاءت إليه، فنام معها، وبعد ذلك رجعت إلى بيتها. ومضت أسابيع، فشعرت بثشبع أنّها حبلى، فذهبت إلى داود وأعلمته بالأمر.

١٣٩

خطيئة تقود إلى خطيئة أخرى

٢ صموئيل ١١

وبدأ داود يفكّر كيف يخلّص نفسه من الفضيحة والعار. فطلب من القائد يوآب أن يرسل إليه أوريّا الحثّي زوج بثشبع. فأرسله يوآب. ولمّا جاء أوريّا سأله داود عن حالة يوآب والجيش وعن أمور الحرب. وبعد هذا، قال له: «انزلْ إلى بيتك واغسل رجليك واسترح عند زوجتك.» فخرج أوريّا من القصر ونام



عند بابه مع الحرس بَدَلَ أن ينام في بيته، كما قال له داود. ولمّا عرف داود أن أوريّا لم يقضِ اللّيل في بيته، دعاه إليه وسأله: «ما بالك لم تنزل إلى بيتك وأنت قادم من سفرٍ طويل؟» فأجابه أوريّا: «تابوت العهد ورجال الشعب المحاربون ينامون في الخيام، ويوآب وقادتك، يا سيّدي الملك، ينامون في البرّيّة، فكيف أفرح بدخول بيتي، فآكل وأشرب وأنام مع زوجتي؟» وفي اليوم التالي، دعاه داود، فأكل معه وشرب الخمرة حتى سكر، ثمّ خرج



ونام حيث ينام الحرس، ولم يذهب إلى بيته.

وهنا أراد داود أن يتخلّص من أوريّا، حتى لا يعرف أوريّا أن داود نام مع زوجته. فلمّا طلع الصبح بعث داود مع أوريّا برسالة إلى يوآب يقول فيها: «ضعوا أوريّا في مكان يكون القتال فيه شديداً، ثمّ تراجعوا من ورائه ولا تحموه، فيأتي العدو ويقتله.» وهكذا فعل يوآب. عيّن لأوريّا مكاناً خطراً، فخرج العدو وحاربوا يوآب، وقتلوا لداود بعض قادته ومنهم أوريّا. فأرسل يوآب واحداً من رجاله يخبر داود بكلّ ما جرى في المعركة. وقال يوآب للرّجل الّذي أرسله: «بعدما تخبر الملك بكلّ ما جرى في المعركة، تقول له إنّ أوريّا الحثّي مات أيضاً.»

وسمعت زوجة أوريّا أنّ زوجها مات، فحزنت عليه حزناً عظيماً، ولمّا انتهت أيّام حزنها عليه، ضمّها داود إلى بيته وتزوّجها. فولدت له ابناً.

١٤٠
النعجة الصغيرة
٢ صموئيل ١٢

وفي تلك الأيّام عاش رجل آسمه ناثان ، وكان ناثان نبيّاً يخبر الآخرين بكلام الرّبّ . ومرّةً أرسله الرّبّ إلى داود ليحكي له هذه القصّة : «عاش رجلان في إحدى المدن ، واحد منهما غني والآخر فقير. وكان للغني غنم وبقر كثيرة ، بينما كان للفقير نعجة واحدة صغيرة آشتراها وربّاها وكبرت معه ومع أبنائه ، تأكل من يده وتشرب من كأسه وتنام في حضنه ، وكانت هذه النعجة مثل آبنته . وفي أحد الأيّام جاء إلى الرّجل الغني ضيف ، فلم يرد هذا الغني أن يذبح من غنمه وبقره ويطعم ضيفه ، بل أخذ نعجة الرّجل الفقير ، وذبحها وأطعم ضيفه .»

ولمّا سمع داود هذه القصّة ، غضب غضباً شديداً ، وقال للنبيّ ناثان : «هذا الرّجل الغني يستحق الموت .» فأجابه ناثان : «أنت هو الرّجل الذي أقصده . فالرّب الإلّه يقول : جعلتك ملكاً على الشعب ، وخلّصتك من شاول ، وأعطيتك بيته وزوجاته . فلماذا آحتقرت إرادتي وكلامي ، فقتلت أوريّا الحثّي بالسيف وتزوّجت امرأته ؟ والآن ، أقول لك ، لن يموت واحد من نسلك إلاّ قتلاً ، لأنّك فعلت هذا .»

ولمّا سمع داود هذا الكلام ، قال للنّبي ناثان : «أخطأت إلى الرّبّ .» فأجابه ناثان : «الرّبّ سامحك على خطيئتك ، فلا تموت أنت ، لكن آبنك الذي تلده بشبع ، زوجة أوريّا ، سيموت .» قال ناثان هذا الكلام وآنصرف إلى بيته .



١٤١ مشاكل عائلية

٢ صموئيل ١٣

وكان لداود ولد آسمه أبشالوم. وكان لأبشالوم أخت جميلة آسمها ثامار. فأحبّها أمنون آبن داود حبّاً شديداً، وكان حصوله عليها صعباً. وفي أحد الأيّام تظاهر أمنون أنّه مريض. فقال لأبيه الملك: «دعْ ثامار تجيء إلى هنا وتعمل لي طعاماً، فآكل من يدها.» فأرسل داود وراء ثامار في القصر وطلب منها أن تجيء إلى بيت أمنون وتعمل له طعاماً. فجاءت إليه وعملت له طعاماً. لكنّه قبل أن



يأكل طلب من الّذين حوله أن يخرجوا. فخرجوا جميعاً. وبعدما خرج الجميع، طلب أمنون من ثامار أن تحمل الطعام إلى غرفته. فحملت ثامار الطعام إلى غرفته وقدّمته له. وما أن دخلت ثامار غرفته حتى هجم عليها أمنون وأراد أن ينام معها بالقوّة ويغتصبها. فقالت له: «لا يا أخي، لا تعمل معي هذا العمل القبيح.» لكن أمنون لم يصغ إليها، فاغتصبها بالقوّة، وبعد ذلك دعا خادمه وطلب منه أن يُخرجها ويغلق الباب وراءها. ففعل الخادم كما أمره سيّده. وخرجت ثامار وهي تبكي بكاءً مريراً.

ورآها أخوها أبشالوم تبكي، فسألها إذا كان أمنون عمل معها شيئاً عاطلاً. فحكت له كلّ ما جرى بينهما، فغضب على أمنون، لكنّه بقي ساكتاً، ولم يتكلّم بشيء حول الموضوع. وبعد سنتين من هذه الحادثة دعا أبشالوم الملك وأبناءه إلى حفلة، فاعتذر الملك عن قبول الدعوة، لكنّه أرسل معه أمنون وجميع أبنائه. فأقام أبشالوم حفلة مثل حفلات الملوك. ولمّا سكر أمنون أمر أبشالوم خدّامه أن يقتلوه، ولا يخافوا. فقتلوه، كما أمرهم. وعندما رأى أبناء الملك داود ما حدث، قاموا وركبوا على بغالهم وهربوا.

وبينما هم في الطّريق سمع داود أنّ أبشالوم قتل جميع أبنائه، ولم يترك واحداً منهم حيّاً، فقام ومزّق ثيابه من الحزن وآرتمى على الأرض. لكن، بعد هذا بوقت قصير، جاء رجل آسمه يوناداب وقال لداود، إنّ أبشالوم قتل أمنون وحده، لأن أمنون اغتصب أخته ثامار. وبعدما قتل أمنون، هرب أبشالوم واختبأ في منطقة جشور. أمّا داود فبقي يبكي على آبنه أيّاماً طويلة.

تمرّد أبشالوم

١٤٢

«ارجع يا أبشالوم!»

٢ صموئيل ١٤

وبدأ داود يتغلّب على حزنه ويشتاق لرؤية آبنه أبشالوم. وعرف قائده يوآب أنّه مشتاق لرؤية آبنه أبشالوم. فأرسل وراء امرأة فهيمة وقال لها: «تظاهري بالحزن، ولا تتزيّني، وكوني كامرأة تبكي من أيّام عديدة على ميت عزيز عليها، وآذهبي إلى الملك وكلّميه بما أقول لك. وقال لها يوآب ما يجب أن تقوله للملك.

فذهبت المرأة للملك وآنحنت إلى الأرض وقالت: «ساعدني، أيّها الملك.» فسألها: «وماذا تريدين؟» فأجابت: «أنا أرملة مات زوجي. وكان لي، يا سيّدي، آبنان. ومرّة خرجا معاً إلى البرّيّة وتقاتلا، ولم يكن هناك أحد يفصل بينهما. فضرب واحد منهما الآخر وقتله. ولمّا حدث هذا، هجم جميع الأقارب عليّ وطلبوا منّي أن أسلّمهم القاتل لينتقموا منه ويقتلوه. فإذا فعلوا ذلك، يقضون على كلّ أمل لي، ولا يتركون لزوجي آسماً ولا نسلاً على وجه الأرض.»

وبعدما سمع الملك كلام المرأة، قال لها: «عودي إلى بيتك، وأنا أعمل ما يجب عمله.» ثمّ تابع يقول: «لن تسقط شعرة من رأس آبنك على الأرض، ولن أدع أحداً يؤذيه.» وهنا آرتاحت المرأة وقالت له: «أنت، أيّها الملك، حكمت لي بالحق، لكن في الوقت ذاته حكمت على نفسك لأنّك لا تردّ آبنك الذي نفيته وأبعدته عنك.» فأجابها الملك: «لا تخفي عنّي شيئاً. هل يوآب هو الذي أرسلك إلى هنا لتقولي لي كلّ هذا الكلام؟»

فأجابته: «وحياتك، يا سيّدي، سأقول لك الحقيقة. نعم، يوآب، قائد جيشك، هو الذي أرسلني إليك بهذا الكلام. وهو لجأ إلى هذه الطّريقة حتى ينهي الأمر بينك وبين آبنك أبشالوم.» بعد ذلك، دعا الملك قائده يوآب وقال له: «ها أنا سأفعل ما تريد. فآذهب وردّ الفتى أبشالوم. لكن دعْه يذهب إلى بيته، ولا يرى وجهي.» فعمل يوآب كما أمره الملك، فأرسل يطلب أبشالوم وأعاده إلى أورشليم حيث سكن في بيته.

١٤٣

الخطّة تكبر

٢ صموئيل ١٤ – ١٥

وعاش أبشالوم سنتين في مدينة أورشليم دون أن يقابله الملك. فأرسل وراء القائد يوآب يطلب مساعدته في ذلك. وعندما جاء إليه، سأله أبشالوم: «لماذا سمح لي الملك بالعودة من جشور؟ كان خيراً لي لو بقيت هناك. والآن ساعدني حتى أقابل الملك. فإذا كنت مخطئاً في أي شيء، فالأحسن لي أن يقتلني، ولا يهملني هكذا.» فذهب يوآب إلى الملك وأخبره بالأمر. فتحنّن قلبه ودعا آبنه أبشالوم إليه.

وأخذ أبشالوم يفكّر بطريقة يصير بها ملكاً مكان أبيه داود. فوضع في خدمته مركبة

وخيلاً وخمسين رجلاً. وفي كلّ صباح كان يجلس عند باب المدينة، فيرى القادمين إلى الملك حتى يحلّوا مشاكلهم عنده. وكان أبشالوم يدعو كلّ واحد من هؤلاء القادمين ويقول له، إن قضيّته عادلة، لكن ما من أحد عند الملك يستمع له. ثمّ يقول: «يا ليتني كنت قاضياً في هذه البلاد، فأعامل بالعدل كلّ من له قضيّة.» وكان أبشالوم يفعل ذلك مع جميع الذين كانوا يأتون إلى الملك ليحلّوا مشاكلهم، فكسب ثقتهم بهذه الحيلة وجعلهم يحبّونه.

وبعد أربع سنوات جاء أبشالوم إلى الملك وقال: «دعني أذهب إلى مدينة حبرون فأوفي نذراً نذرته للرّب.» فقال له الملك: «اذهبْ بسلام.» فقام وذهب إلى حبرون. وبينما هو في حبرون، أرسل رجاله إلى جميع قبائل إسرائيل يقول: «عندما تسمعون صوت الأبواق، آهتفوا: الملك أبشالوم في حبرون.» وهكذا أخذت ثورة أبشالوم على الملك تقوى مع الأيّام، وأتباعه يتزايدون.



١٤٤
الملك داود يترك أورشليم
٢ صموئيل ١٥

وجاء من أخبر الملك داود أنّ رجال الشعب ينضمّون إلى آبنه أبشالوم. ولمّا سمع داود هذا الخبر قال لأهله ومعاونيه الذين معه في أورشليم: «قوموا نهرب من المدينة. أسرعوا في المسير قبل أن يصل أبشالوم، فيقبض علينا وينزل بنا الشّر.» فخرج الملك وجميع أهل بيته وراءه وكان جميع الشعب يبكون بصوت مرتفع.

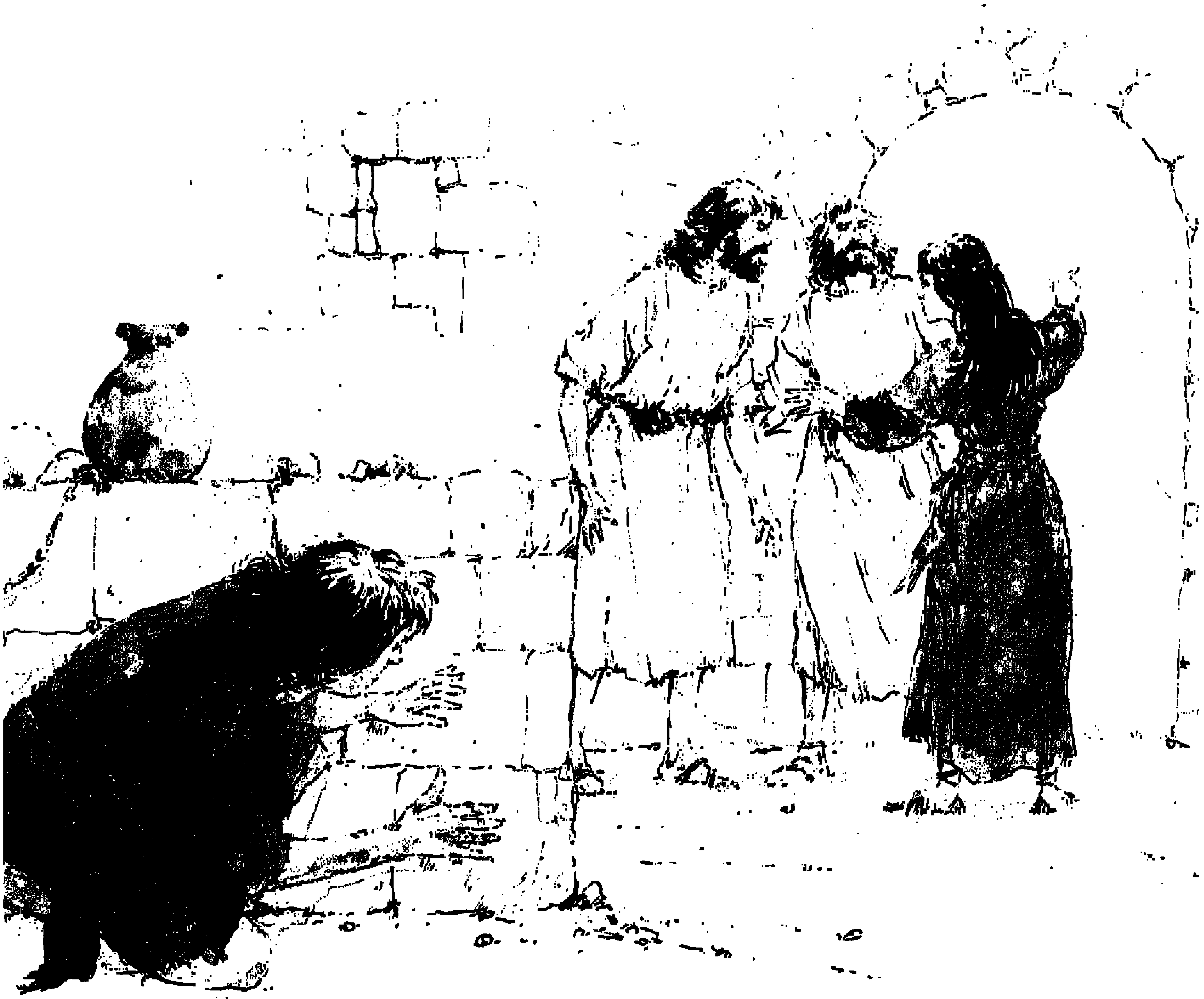
وفيما كان داود يترك المدينه مع أهل بيته شاهد صادوق الكاهن ومعه الكهنة اللّاويّون يحملون تابوت العهد، فقال داود لصادوق: «رُدَّ تابوت العهد إلى المدينة، فإذا رضي الرّبّ عنّي، يردّني إلى المدينة ويجعلني أراه في مسكنه، وإذا تخلّى عنّي وأهملني، فأنا أسلّم أمري له، فيفعل بي ما يريد.» ثمّ طلب منه أن يأخذ آبنه أخيمعص، فرجع صادوق مع اللّاويّين وأبياثار ويوناثان آبن أبياثار بسلام إلى المدينة ومعهم تابوت العهد إلى أورشليم.

وبعدما خرج داود من المدينة، صعد جبل الزيتون وهو يبكي، وجميع الذين معه يبكون. ولمّا وصل إلى رأس الجبل ليسجد للرّبّ لاقاه صديقه حوشاي، وهو أحد مستشاريه. فقال له داود: «لماذا تجيء معي؟ إذا جئت معي كُنْتَ حِمْلاً ثقيلاً عليّ. لكن إذا رجعت إلى المدينة وقلت لأبشالوم، أنّك تحب أن تخدمه كما خدمت أباه، حينها تكون لي عوناً، لأنّك في هذه الحالة تفشل نصائح مستشاره أخيتوفل، وتخبر صادوق وأبياثار بكلّ ما تسمعه في قصر الملك، ثمّ ترسلون إليّ مع آبنيهما أخيمعص ويوناثان، كلّ شيء تسمعه هناك.»

١٤٥
خطط وجواسيس
٢ صموئيل ١٧

وبعدما وصل أبشالوم إلى مدينة أورشليم قال له مستشاره أخيتوفل: «دعني أجمع آثني عشر ألف مقاتل، فأقوم وألاحق داود هذه اللّيلة، وأهجم عليه، لأنّه متعب هو الآن، فيهرب جميع الذين معه، وعند ذاك أقتله وأردّ جميع الشعب إليك. فآستحسن أبشالوم وشيوخ الشعب هذه النّصيحة. لكنّه فضّل أن يستشير حوشاي أيضاً في هذا الموضوع. فأرسل وراءه. ولمّا جاء حوشاي عرض له أبشالوم نصيحة أخيتوفل. فقال له حوشاي: «نصيحة أخيتوفل غير صالحة هذه المرّة. أمّا أنا، فأنصحك أن تدعو جميع بني إسرائيل لمقاتلة داود، فهم كثيرون كرمل البحر. ثمّ تقودهم أنت بنفسك، فتلاقيه في أحد الأماكن وتهاجمه بغتةً، وتقضي عليه وعلى رجاله.» ولمّا سمع أبشالوم وشيوخ الشعب هذه النّصيحة فضّلوها على نصيحة أخيتوفل وعملوا بها.

وبعد ذلك، جاء حوشاي إلى الكاهنين صادوق وأبياثار وأعلمهما بالخطّة. ثمّ طلب منهما أن يُخبرا داود بها. وفي الحال بعثا بهذه الرسالة إلى يوناثان وأخيمعص مع خادمةٍ عندهما، فذهبت الخادمة إليهما وسلّمتهما الرسالة، وفي هذه الأثناء رآهما فتى شكّ بأمرهما، فذهب إلى أبشالوم وأخبره. ولمّا



أحسّ يوناثان وأخيمعص أن أبشالوم آكتشف الأمر، أسرعا إلى بيت رَجُل في قرية بحوريم واختبأا في بئر موجودة في الدّار. فجاءت زوجة الرَّجل وفرشت على فم البئر غطاء ورشّت على الغطاء حبوباً حتى لا يلاحظ أحد شيئاً. فجاء رجال أبشالوم إلى المرأة في البيت وسألوها: «أين أخيمعص ويوناثان.» فأجابتهم أنَّها رأتهما يعبران النهر.

ففتّشوا عنهما في كلّ مكان، ولم يجدوهما، فرجعوا بعد ذلك إلى أورشليم. وبعد رجوعهم إلى أورشليم، خرج أخيمعص ويوناثان من البئر وذهبا إلى داود وأخبراه بنصيحة حوشاي له، وهي عبور الأردن بأسرع ما يمكن. وعمل داود بنصيحة حوشاي فما إن طلع الصبح حتّى عبر الأردن هو وجميع الذين معه.

١٤٦

موت في الغابة

٢ صموئيل ١٧ - ١٨

وبعدما عبر داود نهر الأردن ، وصل هو ورجاله إلى مدينة محنايم ، وعندما وصلوا إلى هذه المدينة قدّم لهم أهلها فرشاً وطناجر وصحوناً وحنطة وشعيراً وفريكاً وطحيناً (دقيقاً) وفولاً وعدساً وحمّصاً وعسلاً وسمناً وغنماً وجبناً ، قدّموا لهم كلّ هذا ، لأنّهم تعبوا وعطشوا بعد مسير طويل في البرّيّة .

وبعدما آستراحوا ، جهّز داود في اليوم التالي جيشه وقال لهم : «وأنا أيضاً أريد أن أنضمّ إليكم .» فقالوا له : «لا ، أنت تبقى هنا ، لأنّه إذا أصابنا شيء ، حتى لو مات نصفنا ، فهذا لن يكون مهمّاً ، أمّا أنت فتساوي عشرة آلاف رَجُل منّا .» فوافق الملك على قولهم ، ووقف عند باب المدينة وخرج الجيش كلّه . وبينما هم يخرجون ، طلب داود من قادته يوآب ، وأبيشاي وأتّاي أن يترفّقوا بأبشالوم ويحسنوا معاملته إذا قبضوا عليه . وسمع الجنود كلّهم ما أوصى به الملك قادته بشأن أبشالوم .

وخرج جيش داود إلى البرّيّة لقتال رجال إسرائيل ، فتلاقى الجيشان في غابة بني أفرايم . وجرى القتال بينهما ، فانكسر رجال إسرائيل أمام رجال داود ، وهرب أبشالوم . وكان أبشالوم راكباً على بغل ، فمّر البغل تحت شجرة بلّوط كثيفة الأغصان ، فعلق رأسه بها ، وتدلّى بين السماء والأرض . فرآه أحد الجنود متدلّياً من الشّجرة ، فركض إلى قائده يوآب وأخبره بما رأى . فلامه يوآب لأنّه لم يقتله ، فلو قتله لأعطاه جائزة كبيرة . فأجابه الجندي : «لو أعطيتني ألف قطعة من الفضّة لا أعتدي على آبن الملك ، فالملك نفسه طلب منكم : أنت وأبيشاي وأتّاي ، أن تحافظوا على حياته .» فأجابه يوآب : «لا أريد أن أضيّع وقتي مع واحد مثلك .»

فتناول بيده ثلاث حراب وأسرع إلى أبشالوم وغرزها في قلبه ، وهو حيّ يتدلّى من الشّجرة . ثمّ أحاط به عشرة من جنود يوآب وقتلوه .

ولمّا عرف أخيمعص بمقتل أبشالوم خرج وجاء إلى يوآب وقال : «دعْني أسرع وأبشّر الملك بأنّ الله انتقم له من أعدائه .» فلم يسمح له يوآب بذلك ، لأنّه خاف أن يقتل الملك أوّل رجل يحمل له هذا الخبر . فطلب يوآب من عبده الكوشي أن يذهب إلى الملك ويخبره بمقتل آبنه ، فآنحنى له الكوشي ومضى مسرعاً . وهنا عاد أخيمعص وطلب من يوآب أن يسمح له بالذهاب إلى الملك ليخبره بما جرى . ولمّا رآه يوآب مُصِرّاً على الذهاب ، قال له : «افعلْ كما تريد .» فأسرع أخيمعص وسبق الكوشي إلى الملك .



١٤٧
داود يعود منتصراً
٢ صموئيل ١٨ – ١٩

وفي ذلك الوقت ، كان داود جالساً عند باب المدينة ، فتطلّع الحارس الّذي على السّطح ورفع عينيه فرآى رَجُلاً من بعيد يركض نحوه . فنادى الملك وأخبره بما رأى . فقال الملك : «إذا كان وحده فهذا يعني أنّه يحمل بشارة طيّبة لي .» وبينما هو يقترب ، رأى الحارس رَجُلاً آخر يركض نحوه . فقال الملك : «وهذا أيضاً عنده بشارة طيّبة لي .»



ولمّا آقترب الرَّجل الأوَّل تبيَّن أنّه أخيمعص . فقال للملك : «تبارك الرّبّ إلٰهك الذي جعلك تتغلَّب على الذين ثاروا عليك ، يا سيّدي الملك .» وفي الحال ، سأله الملك عن سلامة آبنه أبشالوم . فأجابه أخيمعص : «سمعت ضجّة عظيمة حين أرسلني يوآب إليك ، يا سيّدي ، ولم أعلم ما كان يجري .» ثمّ وصل الكوشي وقال للملك : «أبشّرك ، يا سيّدي أنّ الرّبّ آنتقم لك من جميع الثائرين عليك .» فسأله الملك عن سلامة آبنه أبشالوم . فأجابه : «كان حظّه مثل حظّ أعدائك الذين ثاروا عليك ، يا سيّدي الملك .»

ولمّا عرف الملك بمقتل آبنه أبشالوم ، صعد إلى غرفته وصار يبكي ويقول وهو يتمشّى : «يا آبني أبشالوم ، ليتني متُّ بدلاً منك ، يا أبشالوم آبني ، يا آبني .» فجاء إلى يوآب من يخبره أن الملك يبكي على آبنه في غرفته . فصعد يوآب إليه وقال له : «رجالك أنقذوك وأنقذوا أبناءك وبناتك وزوجاتك وخادماتك . فلماذا تتصرّف هكذا ؟ لماذا تظهر أنّ لا قيمة عندك لقادتك وجنودك ؟ هل يعني ذلك أنّك كنت تفضّل لو متنا جميعنا وبقي أبشالوم حيّاً ؟ فقم الآن إلى رجالك واشكرهم وافرح معهم ، وإلاّ لن يبقى معك واحد منهم .» فقام الملك وجلس عند باب المدينة ، فسمع الجنود أنّه هناك ، فجاؤوا كلّهم إليه مسرعين . وبعد ذلك ، قال بنو إسرائيل بعضهم لبعض : «الملك داود خلّصنا من أعدائنا ، وخلّصنا من الفلسطيّين ، وها أبشالوم آبنه مات ، فلماذا لا نعيده ملكاً علينا ؟» وهكذا رجع داود إلى أورشليم وعاد ملكاً على جميع بني إسرائيل .

العصر الذهبي للملك سليمان

١٤٨
الملك الجديد
١ ملوك ١ – ٢

وشاخ الملك داود وكبر في السّن. فأخذ آبنه أدونيا يقول إنّه سيكون ملكاً بعد موت أبيه. وآتخذ له مركبات وخيلاً وخمسين رَجُلاً يخدمونه. ثمّ دعا إليه القائد يوآب والكاهن أبياثار ونال دعمهما وتأييدهما له. أمّا صادوق الكاهن وناثان النبي وكبار القادة، فلم يدعموه ولا أيّدوه.

ومرّةً ذبح أدونيا غنماً وبقراً وعجولاً ودعا جميع إخوته الأمراء لكنّه لم يدع أخاه سليمان وناثان النبي وصادوق الكاهن وقادة داود. وفي تلك الحفلة كان الاتفاق على أن ينادي الحاضرون بأدونيا ملكاً على بني إسرائيل.

وسمع ناثان النبي بالخطّة. فأسرع إلى زوجة داود بتشبع، وطلب منها أن تذهب إلى الملك [illegible]



وتطلب منه أن يفي بوعده ويعين آبنها سليمان خلفاً له بعد موته. وجاءت بتشبع إلى الملك ووقفت أمامه وأعلمته بخطّة أدونيا. فقال لها الملك: «أحلف لك اليوم بالرّبّ إلّهي كما حلفت لك من قبل، أنّ سليمان آبنك يملك بعدي ويجلس مكاني على عرشي.» ولمّا سمعت بتشبع هذا الكلام آنحنت حتّى الأرض وقالت: «يعيش سيّدي الملك داود إلى الأبد.» ثمّ دعا الملك داود صادوق الكاهن وناثان النبي وبنايا، فحضروا إليه. ولمّا حضروا إليه قال لهم: «خذوا معكم رجالي وآجعلوا سليمان آبني يركب على بغلتي وآنزلوا به إلى بلدة جيحون وعيّنوه ملكاً هناك، ثمّ اهتفوا بالبوق وقولوا: يعيش الملك سليمان. فيجيء سليمان بعد ذلك ويجلس على عرشي مكاني. فأنا أوصيت أن يكون هو رئيساً على بني إسرائيل.»

فنزل صادوق الكاهن وناثان النبي وبنايا ورجال الملك، وأركبوا سليمان على بغلة أبيه وساروا به إلى جيحون حيث عيّنه صادوق الكاهن ملكاً على الشعب. فهتف الشعب بالبوق ونادوا: «يعيش الملك سليمان.» وصعدوا جميعهم وراءه وهم يعزفون بالنّاي ويصفّقون من الفرح.

وسمع أدونيا وجميع المدعوّين هتاف البوق. وفيما كان القائد يوآب يتساءل عن سببه، أقبل يوناثان إليه وقال له: «سيّدنا الملك أعطى العرش لابنه سليمان.» ولمّا عرف المدعوّون حقيقة الأمر آرتعبوا، وذهب كلٌّ واحدٍ منهم في طريقه.

١٤٩
حلم سليمان
١ ملوك ٣

ولمّا آقترب داود من الموت، دعا إليه آبنه سليمان، وقال له: «أنا أقترب من الموت. لكنْ قبل أن أموت أوصيك أن تعمل حسب شريعة الرّبّ إلّهك، فتنجح في حياتك كلّها.» وبعد هذه الوصيّة، أغمض داود عينيه ومات، فجلس سليمان على العرش خلفاً لأبيه.

ومرّةً ذهب سليمان إلى بلدة جبعون ليقدّم الذّبائح هناك. فظهر له الرّبّ في الحلم وسأله: «ماذا تريد منّي؟» فأجابه: «أنتَ جعلتني ملكاً مكان داود أبي، وها أنا صغير ولا خبرة لي في الحكم. فأعطني العقل والحكمة لأحكم شعبك ولأعرف الخير من الشّرّ.»

فَحسن هذا الجواب في عيني الرّبّ، وقال له: «طلبتَ الحكمة منّي، ولم تطلب الغنى وطول العمر، ولا طلبت الموت لأعدائك، بلْ طلبت القدرة على معرفة الحق، لهذا أنا ألبّي طلبك، فأعطيك عقلاً حكيماً لم يكن مثله من قبلك، ولن يكون مثله من بعدك، وسأعطيك أيضاً شيئاً لم تطلبه: سأعطيك الغنى والمجد، فلا يكون مثلك ملك بين الملوك طول أيّامك، كما أنّي سأجعل عمرك طويلاً ما دمت تعمل حسب وصيّتي.» وحين أفاق سليمان من نومه، عرف أن كلَّ ما رآه كان حلماً. فجاء إلى أورشليم ووقف أمام تابوت العهد وقدّم آلذّبائح للرّبّ.

١٥٠ قرارات حكيمة

١ ملوك ٣

وفي يوم من الأيّام جاءت امرأتان إلى الملك سليمان ليحكم بينهما. فقالت المرأة الأولى: «يا سيّدي الملك، أنا أسكن مع هذه المرأة في بيت واحد، وفي هذا البيت ولدتُ أنا طفلاً. وبعد يومين ولدت هذه المرأة طفلاً لها. وكنّا معاً، ولا أحد في البيت غيرنا. لكن في إحدى اللّيالي غفت هذه المرأة ونامت على آبنها، فمات. ولمّا آستيقظت عند نصف اللّيل من نومها رأت آبنها ميتاً، فأخذت آبني خفيةً من جانبي ووضعت لي مكانه آبنها الميت. وقمت في الصباح لأرضّع آبني الذي بجانبي فوجدته ميتاً. لكن، عندما تطلّعت إليه جيّداً عرفت أنّه لم يكن آبني، بل آبن هذه المرأة.»

ولمّا انتهت المرأة الأولى من قصّتها، تقدمت المرأة الثّانية إلى الملك سليمان وقالت له: «لا، يا سيّدي. إن قصّة هذه المرأة غير صحيحة. فالطّفل الحيّ هو آبني، والميت هو آبنها.» فَرَدَّت عليها المرأة الأولى وقالت: «هذا غير صحيح، الميت هو آبنك، والحيّ هو آبني.» وهكذا تجادلتا أمام الملك وقتاً طويلاً. ولمّا سمع الملك قصّة كلّ واحدة منهما قال لمن حوله: «أعطني سيفاً.» فأعطوه سيفاً. ثمّ أمر: «اقطعوا الطفل إلى نصفين متساويَيْن وآعطوا لكلّ واحدة من هاتين المرأتين نصفاً. فصرخت والدة الطفل الحقيقيّة: «لا، ياسيّدي، أعطوها الطفل حيّاً ولا تقتلوه.» بينما قالت المرأة الثّانيه: «لا بأس! اقطعوا الطفل إلى نصفين. فتأخذ كلّ واحدة منّا نصفاً منه.» وهنا عرف الملك من هي أمّه الحقيقيّة، عرف أن أمّه الحقيقيّة هي التي أرادت أن يبقى الطفل حيّاً حتى لو أخذته المرأة الثّانية، ولمّا آكتشف الملك هذه الحقيقة أمر الذين حوله أن يعطوا الطفل إلى أمّه الحقيقيّة. وسمع الشعب بهذا الحكم، فاحترموا الملك وعرفوا أن الله أعطاه الحكمة حتى يحكم بالعدل.

١٥١
مجد سليمان

١ ملوك : ١٠،٩،٧،٤

وكان سليمان ملكاً على جميع بني إسرائيل . في أيّامه تزايد عدد الشعب حتى صاروا كثيرين مثل رمل البحر . وكانوا يعيشون في بحبوحة ، يأكلون ويشربون ويفرحون ، بعيدين عن الحروب . وفي أيّامه ، قرّر سليمان أن يبني قصراً له . فبناه في مدّة ثلاث عشرة سنة . وفي القصر صنع الملك عرشاً كبيراً ، وكان العرش من عاج يغطّيه الذّهب ، وكان للعرش ستُّ درجات وعلى جانبيه أسدان واقفان . وكانت جميع آنية الملك للشرب من ذهب . كذلك كانت آنية قاعة الضيوف اسمها غابة لبنان . فالآنية لم تكن من فضّة بلْ من ذهب ، إنَّ الفضّة في أيّام الملك سليمان لم تكن ذات قيمة . فسفنه العظيمة في البحر كانت مع سفن حيرام تأتي مرّة كلّ ثلاث سنين حاملة ذهباً وفضّةً وعاجاً وقروداً وطواويس .

وكان وزن الذهب الذي يستلمه سليمان في كلّ سنة مئة قنطار ، هذا عدا الذّهب الذي كان يستلمه من التّجار والملوك الغرباء ووكلاء أرض إسرائيل . وكان سليمان أكثر الملوك حكمةً وثروة . وكانت شعوب الأرض تتمنّى أن تلتقي به وتستمع إلى حكمته .



١٥٢
بناء هيكل الرّبّ
١ ملوك ٥،٧،٨

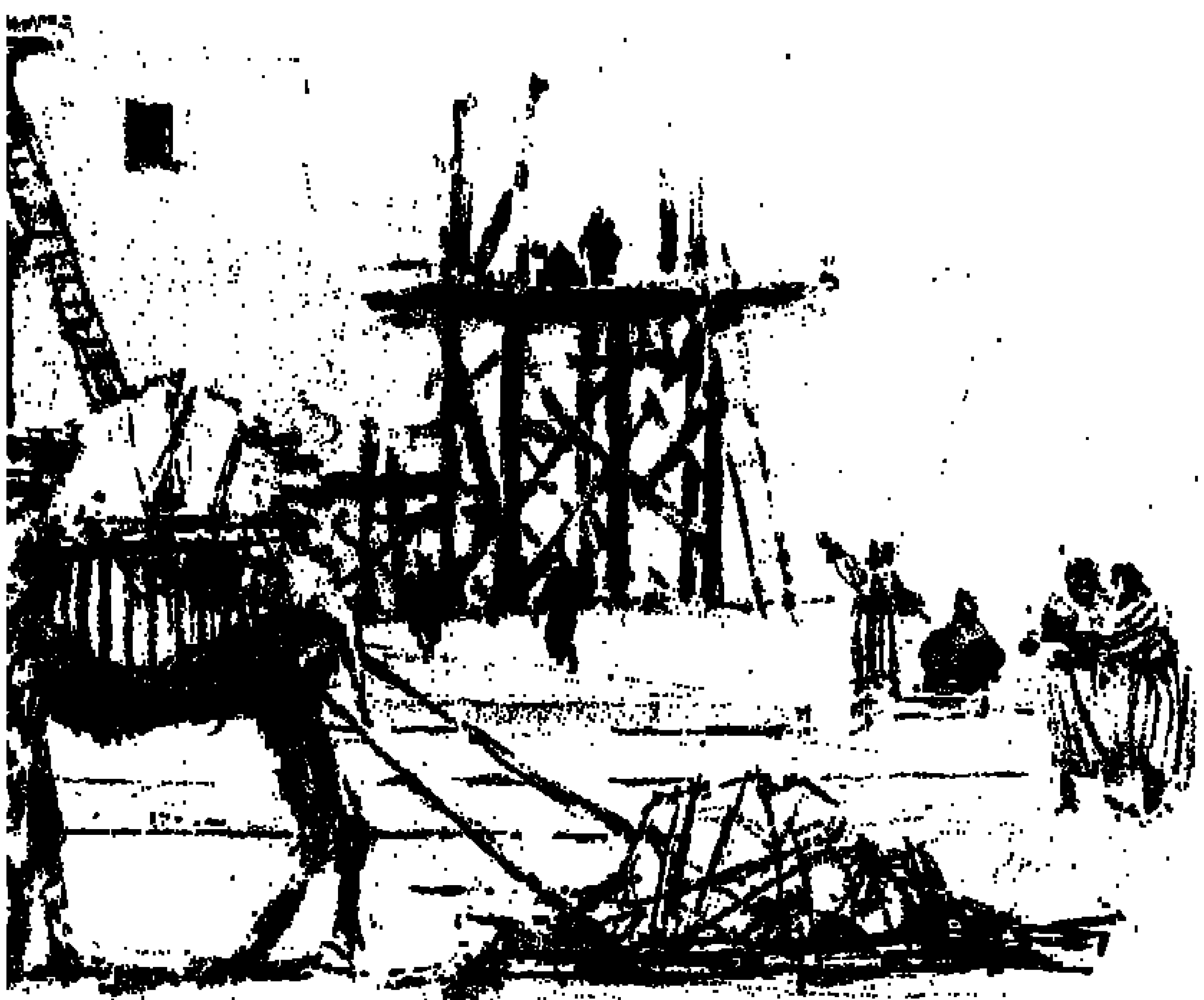
وتذكّر الملك سليمان كلام الرّبّ لأبيه داود حين قال: «آبنكَ الذي أعيّنه مكانك على العرش يبني لي هيكلاً.» ولمّا تذكّر سليمان هذا الكلام، أرسل إلى حيرام ملك صور يقول: «داود أبي لم يقدر ان يبني هيكلاً للرّبّ إلهه، لأنّه كان مشغولاً بالحروب ضدّ أعدائه، وظلّ يحاربهم حتى ساعده الرّبّ وغلبهم جميعاً. وها أنا الآن، أجد نفسي مرتاحاً من كلّ الحروب، فلا أحد يخاصمني ولا أحد يعاديني. وفي هذه الحالة من الراحة، أنوي أن أبني هيكلاً للرّبّ إلهي. فاطلبْ من رجالك أن يقطعوا لي شجر الأرز من لبنان، وأنا أدفع لهم أجرتهم قدر ما تريد. فلمّا سمع حيرام كلام سليمان فرح فرحاً عظيماً، فأمر رجاله أن يقطعوا خشب الأرز وخشب السّرو، ويأخذوه إلى البحر ويضعوه على عوّامة تحملها المياه إلى مكان معيّن، فيأتي رجال سليمان إلى هذا المكان ويأخذون الخشب المقطوع إلى أورشليم. وآختار سليمان ثلاثين ألف رَجُل من بني إسرائيل للقيام بهذه العمليّة. وكان له سبعون ألف رَجُل يحملون الحجارة وثمانون ألف يقطعونها، وثلاثة آلاف رَجُل يراقبون العمل.

وبعدما هيّأ سليمان كلّ شيء أمر ببناء هيكل الرّبّ. فطلب إليه رَجُلاً آسمه حيرام وكان حيرام من مدينة صور. وكان كثير الفهم والمعرفة في صناعة النّحاس. فجاء حيرام وصنع كلّ ما هو من اختصاصه. وبعد سبع سنوات من العمل المتواصل آنتهى بناء الهيكل، فدعا الملك سليمان شيوخ الشعب ورؤساء الأسباط حتى يحتفلوا بانتقال تابوت العهد إلى هيكل الرّبّ. فحمل الكهنة تابوت العهد وأدخلوه المكان المقدّس في الهيكل، بينما كان سليمان والذين معه يقدّمون الذبائح.

ولمّا خرج الكهنة من المكان المقدّس ملأ السّحاب هيكل الرّبّ. وحين رأى سليمان هذا المشهد قال:

«في السحّاب يسكن الرّبّ
وها أنا، يا ربّ،
بنيت بيتاً
لتسكنه إلى الأبد.»

وفي ذلك اليوم أقام سليمان عيداً دام سبعة أيّام، وفي اليوم الثامن عاد كلّ واحدٍ من الشعب إلى بيته وعمله.









١٥٣
زيارة ملكة سبأ
١ ملوك ١٠

وفي تلك الأيّام سمعت امرأة بسليمان وحكمته، وكانت هذه المرأة ملكةً على بلاد سبأ، وهي اليَمَنْ في وقتنا الحاضر. فجهَّزت نفسها وجاءت إليه تحمل في قلبها أسئلة صعبة، ومعها جِمال محمّلة بالعطور والذهب والحجارة الغالية الثمن. ولمّا وصلت إلى أورشليم في مشهد عظيم، ودخلت إلى القصر، سألت سليمان جميع الأسئلة التي في قلبها. فأجابها سليمان على جميع أسئلتها. ولمّا اكتشفت ملكة سبأ حكمته، ورأت القصر الذي بناه، والأطعمة التي يقدّمها، ومجلس مساعديه، وخدّامه وذبائحه التي كان يقدّمها في هيكل الربّ، لمّا رأت هذا كلّه، تعجّبت واندهشت، وقالت للملك: «كلّ ما سمعته في بلادي عن حكمتك هو صحيح. ولكنّي لم اصدّق حتى جئت بنفسي إلى هنا وشاهدت بعينيّ كلّ شيء. والآن أعرف أن ما سمعته عنك كان قليلاً. فحكمتك وغناك أكثر بكثير ممّا سمعته. فهنيئاً لنسائك، وهنيئاً لخدّامك الذين يسمعون حكمتك.»

وبعدما انتهت ملكة سبأ من هذا الكلام أهدت الملك عشرين قنطاراً من الذهب، وعطوراً كثيرة وحجارة غالية الثمن. ثمّ عادت إلى بلادها مملوءة بالدهشة والتعجُّب.





انقسام المملكة

١٥٤
خطايا سليمان
١ ملوك ١١

تزوّج الملك سليمان نساء كثيرات. فكان له سبع مئة زوجة وثلاث مئة خادمة. وكانت أكثر نسائه من الأمم الغريبة. وكان الرّبّ طلب من بني إسرائيل أن يبتعدوا عنهم ولا يختلطوا بهم خوفاً من أن يتركوه، ويتبعوا آلهة الشعوب الغريبة. وهذا ما حدث بالفعل. وفي شيخوخته أثّرت عليه زوجاته الغريبات وجعلنه يميل بقلبه إلى آلهة غريبة، فلم يظلّ مخلصاً للرّبّ إلهه كما كان أبوه داود. فبنى معابد لآلهة نسائه الغريبات حتى يحرقن البخور ويقدّمن الذّبائح لها.

وغضب الرّبّ على سليمان لأنّه ابتعد عن إلّه إسرائيل الذي ظهر له مرّتين وأمره أن لا يعبد آلهة أخرى، فلم يعمل سليمان بما أمره به. فقال له الرّبّ: «أنت لم تطِعْني، ولا عملت حسب أوامري، لهذا سآخذ منك المملكة وأعطيها لواحدٍ من رجالك. وأنا لا أفعل هذا في أيّامك إكراماً لداود أبيك، بل أفعله أيّام آبنك الذي يخلفك على العرش. لكنّي لا آخذ المملكة كلّها منه، بل سأبقي له سبطاً يحكمه، وهذا إكراماً لداود عبدي ولأورشليم التي آخترتها.»

١٥٥
أخبار مدهشة ليربعام
١ ملوك ١١

وفي أحد الأيّام خرج سليمان من قصره وتمشّى نحو سور المدينة. وفي ذلك الوقت كان العمّال يصلحون السّور ويرمّمونه. ومن بين هؤلاء العمّال كان فتى آسمه يربعام. فشاهده الملك سليمان ولاحظ نشاطه. فدعاه وعيّنه مراقباً على بقيّة العمّال.

وفي مساء ذلك اليوم خرج يربعام من أورشليم ورجع إلى بيته. وفي طريقه إلى البيت صادفه أخيّا النبي في البرّيّة، وكان أخيّا لابساً رداءً جديداً، فأمسك بردائه ومزّقه آثنتي عشرة قطعة، وأعطى يربعام عشر قطع منها وقال له: الرّبّ الإلّه يقول لك: «ها أنا آخذ المملكة من يد سليمان وأعطيك منها عشرة أسباط وأبقي له سبطاً واحداً لا غير، وهذا إكراماً لداود عبدي وأورشليم التي اخترتها لي من جميع أرض إسرائيل. وأنا أفعل ذلك لأنّ سليمان تركني وسجد لآلهة غريبة. ولكنّي لا آخذ الحكم منه، بل آخذه من آبنه الذي يخلفه ولا أبقي له غير سبط واحد يحكمه. أمّا أنت فتحكم الأسباط العشرة الباقية. وإذا أطعت كلّ ما آمرك به، وعملت بفرائضي ووصاياي مثل عبدي داود، أكون معك وأبني لك مملكة ثابتة، كما عملت لداود.» ولمّا سمع سليمان بالأمر، طارد يربعام وحاول أن يقتله. فهرب يربعام إلى مصر وأقام فيها حتى وفاة سليمان.

١٥٦
اختيار صعب
١ ملوك ١٢

وبعد وفاة الملك سليمان ، اجتمع شعب إسرائيل حتى يعيّنوا مكانه آبنه رحبعام . في هذا الوقت كان يربعام مقيماً في مصر ، هرباً من سليمان ، لأنّه كان يريد قتله . لكنّه رجع من هناك بعدما سمع بوفاته . وبعدما رجع يربعام من مصر ، ذهب مع جماعة من الشعب إلى رحبعام وقالوا له : «أبوك عذّبنا ، وأجبرنا أن نقوم بأعمال صعبة وشاقة . فنرجو أن تكون معنا أفضل من أبيك ، فتُحسن معاملتنا وتخفّف عنّا الأتعاب التي حمّلنا إيّاها . وإذا فعلت هذا ، وأحسنت معاملتنا ، فنحن نخدمك كما تريد .»

وبعدما سمع رحبعام كلامهم هذا ، قال لهم : «اذهبوا الآن ، ودعوني أفكّر في الأمر ، وعودوا إليّ بعد ثلاثة أيّام .» فذهبوا .

١٥٧
الأرض المقسَّمة
١ ملوك ١٢

وبعدما ذهب يربعام مع جماعته ، دعا الملك رحبعام شيوخ الشعب الذين كانوا يعاونون أباه سليمان وقال لهم : «جاء يربعام مع جماعة من بني إسرائيل وطلبوا منّي أن أعامل الشعب معاملة حسنة . فما رأيكم ؟» فأجابه الشيوخ : «إذا لبّيتَ طلبهم وكنت لطيفاً معهم ، فإنّهم يخدمونك كلَّ الأيّام .» بعد ذلك ، دعا



رحبعام الفتيان الذين كبروا معه وكانوا يخدمونه ، وتشاور معهم بشأن الذين جاؤوا إليه وطلبوا منه أن يحسن معاملة الشعب ، ولا يعاملهم كأبيه سليمان . فأجابه الفتيان : «قلْ لهم إنَّ أبي حمّلكم حملاً ثقيلاً ، أمّا أنا فأحمّلكم ما هو أثقل بكثير .»

وبعد ثلاثة أيّام عاد يربعام مع جماعته إلى الملك . فترك الملك نصيحة الشيوخ وعمل بنصيحة الفتيان ، وقال لهم : «أبي حمّلكم حملاً ثقيلاً ، أمّا أنا فأحمّلكم ما هو أثقل بكثير .» ولمّا سمعوا هذا الجواب ، قالوا : «لا علاقة لنا ببيت داود ، ولا نعترف بالملك رحبعام .» ثمّ رجعوا إلى خيامهم وعيّنوا يربعام ملكاً عليهم .

وبعد ذلك ، أرسل رحبعام وكيله أدورام حتى يعاقبهم لأنّهم تمرّدوا عليه . وكان أدورام مسؤولاً عن عمّال السخرة ، أي العمّال المجبورين على العمل بلا أجرة . فلمّا شاهدوه قادماً نحوهم هجموا عليه ورجموه بالحجارة ، فمات . وعندما رأى الملك رحبعام ما حدث ، ركب مركبته وهرب إلى أورشليم . وهكذا انقسمت المملكة إلى منطقتين : منطقة شماليّة يحكمها يربعام ومنطقة جنوبيّة يحكمها رحبعام .



مشاكل في شعب إسرائيل

١٥٨

فشل يربعام

١ ملوك ١٢ ، ١٤

وفي ذلك الزّمان ، كان الشعب يصعدون إلى أورشليم حتى يقدّموا الذّبائح في هيكل الرّبّ . ولمّا رأى الملك يربعام أن الشعب يذهبون إلى أورشليم للعبادة ، قال في نفسه : «إذا بقيت هذه الحالة ولم أفعل شيئاً ، سيرجع الشعب إلى الملك رحبعام المقيم في أورشليم ، ثم يرتدّون عليّ ويقتلونني .» وبعد أن فكّر في الأمر وفيما يجب عمله صنع عجلين من ذهب ، وقال لشعبه : «لا تصعدوا بعد اليوم إلى أورشليم للعبادة ، فهذه هي آلهتكم التي أخرجتكم من مصر .» وبهذا الأمر قادهم يربعام إلى الخطيئة ، فهو جعل شعبه يعبدون العجلين من ذهب ، كما أنّه عيّن كهنة من غير اللاّويّين الذين اختارهم الله .

وفي تلك الأيّام مرض أبيّا آبن يربعام . فقال يربعام لزوجته : «تنكّري وغيّري هيأتك حتى لا يعرف أحد أنّك زوجتي ، واذهبي إلى أخيّا النبي الذي تنبّأ أنّي سأكون ملكاً ، وهو يخبرك ما هي مشكلة الصبيّ .»

فذهبت زوجته إلى بيت أخيّا النبي ، وكان أخيّا أعمى لأن نظره ضعف بسبب الشيخوخة . وبينما هي في طريقها إليه قال الرّبّ لأخيّا : «زوجة يربعام آتية إليك ، وهي تريد أن تستشيرك حول آبنها المريض ، وحين تصل إليك قل لها كذا وكذا .» وبعد قليل وصلت زوجة يربعام وهي متنكّرة ومتستّرة حتى لا يعرف أحد أنّها زوجة الملك .

ولمّا سمع أخيّا صدى خطواتها في الباب قال لها : «ادخلي يا زوجة يربعام . لماذا أنت متنكّرة . عودي إلى يربعام وقولي له : هكذا يقول الرّبّ الإله : اخترتك من الشعب وجعلتك رئيساً على مملكة إسرائيل . وأخذتُ المُلك من بيت داود وأعطيته لك ؟ لكنّك لم تكن مثل عبدي داود الذي أطاعني وعمل بوصاياي ، وعبدني بكلّ قلبه ، بل تركتني وأغضبتني فصنعت لنفسك أصناماً للعبادة . لذلك سأعاقبك ، وأجلب الشرّ على أهل بيتك ، فأقضي على كلّ واحد منهم ، من الكبير إلى الصغير .»



١٥٩
أخآب ومملكته الشريرة
١ ملوك ١٤، ١٥

ومات يربعام الملك. وبعد موته صار آبنه ناداب ملكاً مكانه، وحكم الشعب مدّة سنتين. وعمل ناداب الشرّ أمام الرّبّ، كما فعل أبوه، وقاد الشعب إلى الخطايا. فثار عليه بَعْشا، وهو واحد من قادة جنوده وقتله وملك مكانه. ثمّ قضى على جميع نسل يربعام وبيته، وملكَ بَعْشا أربعاً وعشرين سنة، وفي هذه المدّة عمل الشرّ أمام الرّبّ، وجعل الشعب يفعل الخطايا. فأرسل إليه الرّبّ النبيَّ ياهو حتى ينذره ويقول له، إن الرّبّ سيقضي عليه وعلى نسله كما قضى على يربعام وعلى أهل بيته.



ومات بعشا، فحكم بعده آبنه أيْلة سنتين. وبعد ذلك، ثار عليه زمري، وهو واحد من قادته، فقتله، وحكم مكانه. ولمّا سمع الجيش أن زمري ثار على الملك وقتله، عيّنوا قائدهم عمري ملكاً على الشعب.

وعمل عمري الشرّ أمام الرّبّ. وكان الشرّ الذي فعله أكثر من شرور الذين سبقوه. فأغضب الرّبّ بعبادة أصنامه وسلوكه، وجعل شعب إسرائيل يعمل الخطايا. ومات عمري، فحكم آبنه أخآب مكانه. وبقي في الحكم مدّة اثنتين وعشرين سنة. وعمل أخآب الشرّ أمام الرّبّ أكثر من جميع الذين سبقوه. ولم يكتفِ ذلك، بل تزوّج امرأة غريبة آسمها إيزابل، وكانت هذه المرأة تعبد الأصنام، فجعلته يعبد الأصنام مثلها. فأغضب الرّبّ الإلّه أكثر من جميع الملوك الذين سبقوه.



١٦٠
الجفاف الكبير
١ ملوك ١٧

وفي أيّام الملك أخآب ظهر النبي إيليّا . فجاء إلى الملك وقال له : «لن يسقط مطر ولا ندى في السنين المقبلة . وهكذا يستمر الجفاف حتى أعلن أنا نهايته .» ولمّا سمع أخآب وزوجته هذا الكلام ، غضبا وأرادا أن يقتلا إيليّا النبي . فطلب منه الرّبّ أن يهرب إلى نهر كريث ، وهو شرقي الأردن ، فيشرب من النهر، ويأكل ما تأتي به الغربان التي أمرها الرّبّ أن تطعمه . فذهب إيليّا وفعل كما أمره الرّبّ . أقام عند نهر كريث ، وهناك كانت الغربان تأتيه بالخبز واللّحم في الصباح وفي المساء. لكن، بعد أيّام ، بدأ النهر ينشف لأنّ المطر لم ينزل على الأرض .

ولمّا نشفت مياه النهر، قال الرّبّ لإيليّا: «اذهب إلى بلدة صرفة، فأنا أمرت امرأة هناك أن تطعمك.»

١٦١
الطعام الذي لم ينتهِ
١ ملوك ١٧

وذهب إيليّا إلى مدينة صرفة. ولمّا وصل إلى مدخل هذه المدينة رأى امرأة أرملة تجمع حطباً. فناداها وقال لها: «هاتي لي شربة ماء.» وفيما هي ذاهبة لتأتي له بالماء، ناداها ثانيةً وقال: «هاتي لي قطعةً من الخبز أيضاً.» فقالت له: «لايوجد عندي خبز. عندي فقط قليل من الطحين (الدقيق) وقليل من الزّيت. وها أنا أجمع عودَين من الحطب حتّى أحضّر طعاماً لي ولإبني، فنأكله، وبعد ذلك نموت من الجوع.» فقال لها إيليّا: «لا تخافي. اعملي كما قلتُ لك. روحي اخبزي أوّلاً قطعة صغيرة من الخبز، وهاتيها لي. وما بقي من العجين، اخبزيه لك ولإبنك. فالرّبّ قال: الطحين (الدقيق) والزيت لا ينقصان من عندك إلى أن يسقط المطر. فراحت وعملت كما قال لها إيليّا، وأكلت هي وأهل بيتها أيّاماً، والطحين (الدقيق) والزيت لم ينقصا، كما قال الرّبّ على لسان إيليّا. وحدث بعد مدّةٍ من الزمن أن ٱبن الأرملة مرض مرضاً شديداً ومات. فقالت الأرملة لإيليّا: «هل جئت إليّ لتذكّرني بخطاياي، وتُميتَ ٱبني؟» فأخذ إيليّا الصّبيّ من أمّه وحمله إلى العلّيّة حيث يقيم ووضعه على سريره وتمدّد على جثّة الصّبيّ ثلاث مرّات متضرّعاً إلى الله أن يُرجع إليه روحه. وفي الحال، رجعت إلى الصّبيّ روحه. فأنزله إيليّا إلى أمّه. فلمّا رأته أمّه حيّاً التفتت إلى إيليّا وقالت له: «أعرف الآن أنّك رَجُل الله.»





إيليّا يتحدّى إلٓه البعل

١٦٢

نزاع على الجبل

١ ملوك ١٨

وآستمرّ الجوع والجفاف ثلاث سنوات. فدعا أخآب رَجُلاً مسؤولاً عن قصره، آسمه عوبديا، وكان هذا الرَّجل يخاف الرّبّ ويؤمن به. فقال له أخآب: «تعال نفتّش عن منابع الماء والأنهار، فربّما نجد عشباً للخيل والبغال ولا نخسر مواشينا كلّها. فتقاسما الأرض، وسار كلٌّ واحد منهما في طريقه.

وبينما كان عوبديا في طريقه، التقى بالنبي إيليّا وعرفه، فآنحنى أمامه وقال: «هل أنت سيّدي إيليّا؟» فأجابه: «نعم، أنا هو. فاذهب إلى سيّدك الملك وقلْ له إنّي هنا أنتظره.» فقال عوبديا: «ماذا لو أنّ الرّبّ أخذك إلى حيث لا أعلم بعد ذهابي من عندك؟ ألا يقتلني الملك



إذا جاء إلى هنا ولم يجدك؟» فأجابه إيليّا : «سأبقى هنا حتى ترجع مع الملك أخآب.» فذهب عوبديا إلى أخآب وأخبره بالأمر، فجاء الملك أخآب للقاء إيليّا.

فلمّا جاء أخآب ورأى إيليّا سأله : «هل أنت إيليّا سبب مصائب إسرائيل؟» فأجابه إيليّا : «لست أنا سبب هذه المصائب. سببها هو أنت وأهلك لأنّكم تركتم وصايا الرّبّ وعبدتم البعل. والآن، أرسل وراء كلّ الشعب وآجمعهم هنا على جبل الكرمل، كذلك أرسل وراء جميع أنبياء البعل الأربع مئة وخمسين، وأبناء عشتاروت الأربع مئة الذين يأكلون عند الملكة إيزابل. ففعل أخآب ذلك : دعا إليه جميع الشعب وأنبياء البعل إلى جبل الكرمل.

١٦٣
الرّبّ يرسل ناراً
١ ملوك ١٨

ولمّا حضر بنو إسرائيل مع أنبياء البعل، وقف إيليّا أمام المجتمعين وخاطبهم قائلاً : «إلى متى تتأرجحون وتتردّدون بين عبادة الرّبّ وعبادة البعل؟ إذا كان الرّبّ هو الإلّه الحقيقي، فاتبعوه. وإذا كان البعل هو الإلّه الحقيقي، فاتبعوه.» وتابع إيليّا يخاطب الحاضرين : «هاتوا ثورين من البقر، ودعوا أنبياء البعل





يختارون لهم ثوراً ويذبحونه ويقطّعونه ويضعونه على الحطب دون أن يشعلوا النّار. كذلك أفعل أنا بالثور الآخر. ثمّ يدعو أنبياء البعل إلٰههم حتى يشعل النّار، وأنا أدعو إلٰهي حتى يشعلها. والإلٰه الذي يشعل النّار يكون هو الإلٰه الحقيقي. فوافق جميع الشعب على هذا الكلام. وقالوا: «هذا كلام حسن.»

فأخذ أنبياء البعل ثوراً، ذبحوه وقطّعوه ووضعوه على كومة من الحطب، وأخذوا يرقصون حول المذبح الذي بنوه، ويدعون إلٰههم من الصباح إلى الظهر حتى يشعل لهم النّار، لكن، لا النّار آشتعلت، ولا شيء من هذا حدث. فضحك عليهم إيليّا وقال: «اصرخوا بصوت أعلى، فربّما إلٰهكم غارق في التفكير، أو هو مشغول، أو هو مسافر، أو لعلّه نائم فيصحو.» وظلّوا يصرخون بصوت عظيم حتى وقت تقديم الذبيحة، فلا مِن نار ولا مَن يسمع، ولا مَن يستجيب.

وهنا طلب إيليّا من جميع الشعب أن يقتربوا منه، فاقتربوا منه. فأعاد بناء مذبح الرّبّ المهدوم، وحفر حفرة من حوله ولمّا آنتهى من ذلك، رتّب الحطب عليه، ثمّ ذبح الثور وقطّعه ووضعه على الحطب، وقال: «املأوا أربع جرار من الماء وصبّوها على الذبيحة وعلى الحطب. ففعلوا ذلك ثلاث مرّات، حتى جرى الماء وامتلأت به الحفرة التي حول المذبح.

ولمّا جاء وقت الذّبيحة تقدّم إيليّا النبي من المذبح ، رفع عينيه إلى السماء وصرخ : «أيّها الرّبّ ، أنت إلَه ابراهيم وإسحق ويعقوب ، استجب لي ليعرف هذا الشعب أنّك أنت الله .»

وعندما انتهى إيليّا من هذه الكلمات ، نزلت نار الرّبّ وأحرقت الذبيحة والحطب والحجارة والتّراب ، وحتى الماء الذي في الحفرة . فلمّا رأى ذلك جميع الشعب سجدوا إلى الأرض وقالوا : «الرّبّ هو الإله ، الرّبّ هو الإله .» وهنا أمرهم إيليّا أن يقبضوا على أنبياء البعل ، ولا يتركوا أحداً منهم يفلت . فقبضوا عليهم وقتلوهم جميعاً .

١٦٤
الغيوم تتجمّع
١ ملوك ١٨

وبعد ذلك ، قال إيليّا لأخآب : «اذهب الآن ، كُلْ واشرب . قريباً تسمع صوت المطر .» فذهب أخآب ليأكل ويشرب . وفي هذا الوقت صعد إيليّا إلى رأس الجبل وسجد إلى الأرض حتى لامس وجهه ركبتيه . ثمّ طلب من خادمه أن يذهب وينظر إلى البحر . فذهب الخادم وتطلّع إلى البحر ، فلم يرَ شيئاً . فأمره إيليّا أن يكرّر هذا سبع مرّات . وهكذا فعل الخادم . وفي المرّة السّابعة رأى غيمة ، فقال لإيليّا : «ها غيمة صغيرة مثل كفّ اليد صاعدة من البحر .» فقال له : «اذهبْ إلى أخآب واطلبْ منه أن يجهّز مركبته وينزل بها إلى بلدة يزرعيل قبل أن يفاجئه المطر .» ولم يمضِ وقت طويل حتى اسودّت السّماء بالغيوم ، وهبّت الرياح ، وسقط مطر غزير . فشدَّ إيليّا وسطه بحزام وأسرع ، فسبق مركبة أخآب إلى يزرعيل .

إيليّا، المرسل من الله

١٦٥

خطر !

١ ملوك ١٩

وبعدما رجع أخآب إلى قصره في يزرعيل أخبر زوجته إيزابل بكلّ ما فعله إيليّا، وكيف قتل جميع الأنبياء بالسيف. ولمّا سمعت الملكة إيزابل بكلّ ما جرى، غضبت غضباً شديداً، وأرسلت إلى إيليّا تقول، إنّها ستقتله غداً، وفي مثل هذه السّاعة. وعندما تلقّى إيليّا الخبر، خاف وهرب، ثمّ سار في البرّيّة من مكان إلى مكان حتى وصل إلى شجرة، فجلس تحتها، وهو يتمنّى لنفسه الموت من شدّة التعب، فقال: «كفاني الآن، يا ربّ. فخذْ حياتي، فلست أنا أحسن من آبائي الذين ماتوا.»

ونام إيليّا تحت الشّجرة. وفيما هو نائم، لمسه ملاك وقال له: «قمْ وكلْ.» ففتح عينيه والتفت حوله فرأى عند رأسه رغيفاً وجرّة ماء. فأكل وشرب، ثمّ عاد ونام. فعاد ملاك الرّبّ ثانيةً ولمسه وقال لهُ: «قمْ وكلْ. فالطّريق طويلة أمامك.» فقام وأكل وشرب وسار مدّة أربعين يوماً نهاراً وليلاً حتى وصل إلى جبل حُوريب. فدخل مغارة هناك ونام فيها.



١٦٦

الصوت الهادئ الخفيف

١ ملوك ١٩

وبينما كان إيليّا في المغارة، خاطبه الرّبّ وسأله: «لماذا أنت هنا، يا إيليّا؟» فأجابه إيليّا: «بنو إسرائيل تركوك، وهدموا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف، وما بَقِيَ أحد معك إلاّ أنا، وها هم يريدون أن يقتلوني، فهربت منهم إلى هنا.» وبعد هذا الكلام هبّت ريحٌ عظيمةٌ شقّت الجبال وكسّرت الصخور، ولم يكن الرّبّ في الرّيح. وحدث زلزالٌ شديدٌ، ولم يكن الرّبّ في الزلزال. وبعد الزلزال اشتعلت نار، ولم يكن الرّبّ في النّار. لكن بعد النّار، طلع صوت هادىء خفيف. فلمّا سمع إيليّا الصوت، غطّى وجهه بعباءته وخرج ووقف عند مدخل المغارة. فجاءه صوت يسأله: «لماذا أنت هنا، يا إيليّا؟» فأجابه إيليّا: «بنو إسرائيل تركوك، وهدموا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف، وبقيت أنا وحدي معك، وها هم يريدون أن يقتلوني، فهربت منهم إلى هنا.» فقال له الرّبّ: «ارجع في طريقك إلى دمشق، امسح حزائيل ملكاً عليها، ثمّ امسح ياهو آبن نمشي ملكاً على إسرائيل، وآجعلْ أليشع نبيّاً بدلاً منك. وأمّا في إسرائيل أبقيت لي سبعة آلاف يعبدونني، ولا يسجدون للبعل.»

١٦٧

حديقة أخآب

١ ملوك ٢١



وفي تلك الأيّام عاش رَجُل آسمه نابوت اليزرعيلي . وكان لهذا الرّجل كرمُ عنبٍ قريب من قصر أخآب ، ملك السّامرة . وتمنّى أخآب أن يضمّ هذا الكرم إلى بستانه حول القصر . فجاء إلى نابوت وقال له : «أعطني كرمك ، وأنا أعطيك بدلاً منه كرماً أفضل . وإذا أردت ، أعطيك ثمنه أكثر ممّا يستحق .» فأجابه نابوت : «ورثتُ هذا الكرم من آبائي ، فحرام عليّ أن أعطيك إيّاه .»

ولمّا سمع أخآب هذا الجواب ، عاد إلى قصره حزيناً ، تمدّد في فراشه وأدار وجهه إلى الحائط ، ولم يتناول الطعام . فجاءت زوجته إيزابل وسألته : «لماذا أنت حزين ، ولا تأكل ؟» فأجابها : «ذهبتُ إلى نابوت اليزرعيلي وطلبت منه أن يبيعني كرمه ، أو أن يبادلني إيّاه بكرم أحسن منه ، فرفض طلبي .»

وعندما سمعت إيزابل هذا الكلام ضحكت عليه وسألته : «ألست أنت ملك على إسرائيل ؟ قمْ تناول طعامك ولا تقلق ، فأنا أعطيك كرم نابوت اليزرعيلي .»

١٦٨
الملك ينال ما يريد
١ ملوك ٢١

وفي الحال، كتبت إيزابل رسائل بآسم أخآب، وأرسلتها إلى الشيوخ في المدينة التي يسكنها نابوت اليزرعيلي، وطلبت منهم أن يقيموا آحتفالاً ويكرّموا نابوت ويجلسوه في مقدّمة الشعب. وعند ذلك، يدعون رَجُلَيْن حقيرَيْن، فيقولان أنّهما سمعا نابوت يلعن الله والملك. فيقبضون عليه ويرجمونه حتى يموت. فنفّذ شيوخ المدينة كلَّ ما طلبته إيزابل في رسالتها إليهم. ثمّ أرسلوا إليها يقولون إنّهم رجموا نابوت وقتلوه.

فلمّا سمعت إيزابل بهذا الخبر، جاءت إلى زوجها وقالت: «نابوت مات. والآن تقدر أن تملك كرْمه الذي رفض أن يبيعك إيّاه بأيّ ثمن.» وفي الحال، نزل أخآب إلى الكرم ليمتلكه، فقال الرّبّ لإيليّا: «نزل أخآب إلى كرم نابوت ليمتلكه. فاذهب إليه وقلْ له: «ستلحس الكلاب دمك أيضاً في الموضع الذي لحست الكلاب دم نابوت اليزرعيلي.» وذهب إيليّا إلى أخآب الملك. ولمّا رآه أخآب آتياً إليه، سأله: «كيف وجدتني، يا عدوّي؟» فأجابه: «وجدتكَ لأنّك فعلت الشرّ أمام الرّبّ، فالرّبّ يقول لك: «سأجلب عليك الشّر وأقضي عليك وعلى نسلك.» أمّا إيزابل، ستفترس الكلاب جثّتها عند أسوار مدينة يزرعيل.»

فلمّا سمع أخآب كلام إيليّا، مزّق ثيابه ولبس رداءً طويلاً ونام فيه، وصام ومشى منخفض الرأس. فقال الرّبّ لإيليّا: «أخآب تواضع أمامي. لذلك لا أجلب الشّر على نسله في أيّام حياته، ولكن في أيّام آبنه الذي يجيء بعده.»





١٦٩
رحلة إيليّا الأخيرة
٢ ملوك ٢

وأقترب صعود إيليّا في العاصفة إلى السماء. فذهب مع أليشع من منطقة الجلجال. وفي الطّريق قال إيليّا لأليشع: «ابقَ هنا، فالرّبّ أمرني أن أذهب إلى بلدة بيت إيل.» فأجابه أليشع: «بل أبقى معك، ولا أفارقك.» ونزل معه إلى بيت إيل. وفي بيت إيل جاءت جماعة الأنبياء إلى أليشع وقالوا له: «هل عرفت أن الرّبّ في هذا اليوم يرفع سيّدك إيليّا إلى السّماء؟» فأجابهم: «نعم، عرفت ذلك، فاسكتوا.»



وفي بيت إيل ، قال إيليّا لأليشع : «ابقَ هنا ، فالرّبّ أمرني أن أذهب إلى مدينة أريحا .» فأجابه أليشع : «بلْ أبقى معك ، ولا أفارقك .» وجاء معه إلى أريحا . فأقبلت جماعة الأنبياء الّذين في أريحا إلى أليشع وقالوا له : «هل عرفت أن الرّبّ في هذا اليوم يرفع سيّدك إيليّا إلى السماء؟» فأجابهم : «نعم ، عرفتُ ذلك ، فاسكتوا .»

وفي أريحا قال إيليّا لأليشع : «ابقَ هنا ، فالرّبّ أمرني أن أذهب إلى نهر الأردن .» فأجابه أليشع : «بلْ أبقى معك ، ولا أفارقك .» وذهبا معاً إلى الأردن . ولمّا وصلا إلى النهر ، أخذ إيليّا رداءه ولفّه وضرب المياه به ، فانشقّت المياه إلى قسمين ، وعبرا كلاهما إلى الجانب الآخر .

١٧٠

العربة الناريّة

٢ ملوك ٢

وبعدما عبر إيليّا وأليشع نهر الأردن إلى الجانب الآخر، التفت إيليّا إلى أليشع وسأله: «ماذا تريد منّي قبل أن يرفعني الله إليه؟» فأجابه: «أريد أن يحلَّ عليَّ ضعفٌ ممّا في روحك من قوّة.» فقال له إيليّا: «طلبتَ أمراً صعباً. لكنّك تحصل على طلبك إذا رأيتني عندما يرفعني اللهُ إليه، وإلاّ فلا يصير هذا.» وفيما هما سائران يتحدّثان، نزلت مركبة ناريّة وخيول ناريّة فصلت بينهما، وآرتفع إيليّا في العاصفة إلى السماء، وأليشع ينظر إليه ويصرخ: يا أبي، يا أبي، يا حامي الشعب، وظلّ يصرخ حتى غاب إيليّا عن نظره. ثمّ مزّق أليشع رداءه من شدّة الحزن، والتقط الرّداء الذي سقط من إيليّا ورجع إلى نهر الأردن، وضرب المياه برداء إيليّا وصرخ: «أين إله إيليّا؟» فآنشقّت المياه إلى قسمين، وعبر أليشع.

ورآه جماعة أنبياء أريحا الّذين كانوا في الجانب الآخر، فقالوا: «حلّت روح إيليّا على أليشع.»

إسرائيل ويهوذا

١٧١

النبيّ الصادق

١ ملوك ٢٢

وفي أحد الأيّام نزل يهوشافاط ملك يهوذا لمقابلة أخآب ملك إسرائيل. فسأله أخآب: «هل تساعدني في محاربة الآراميّين لاسترجاع منطقة راموت جلعاد منهم؟» فأجابه

يهوشافاط : «نحن حال واحد ولا فرق بيننا ، فشعبي شعبك وخيلي خيلك . لكن دعنا أوّلاً نستشير الرّبّ .»

فجمع أخآب حوالي أربع مئة رجل من الأنبياء وسألهم : «هل أذهب إلى راموت جلعاد لمقاتلة الآراميّين ، أم لا أذهب ؟» فأجابوه : «اذهب ، فالرّبّ ينصرك عليهم .» فعاد يهوشافاط وسأله : «أما من نبيّ للرّبّ هنا ؟» فأجابه أخآب : «هناك نبيّ آسمه ميخا ، ولكنّي أبغضه ، فهو لا يتنبّأ عليّ إلاّ بالشّر .» فقال له يهوشافاط : «لا تقل هكذا ، أيّها الملك . أين هو ؟ أرسلْ وراءه وأحضره .» فدعا أخآب أحد الخدم وأمره أن يعود له بالنبيّ ميخا . وفي هذا الوقت كان أخآب ويهوشافاط لابسَيْن ثيابهما الملوكيّة وجالسَيْن ، كلّ واحد على عرشه في السّاحة ، وحولهما الأنبياء يتنبّأون ويقولون للملك أخآب : «هاجمْ راموت جلعاد ، فتنتصر .» وفي الطّريق طلب الخادم من النبيّ ميخا أن يتكلّم خيراً مثل جميع الأنبياء . ولمّا حضر النبيّ ميخا ، سأله الملك أخآب : «يا ميخا ، هل نذهب إلى راموت جلعاد للقتال ، أم لا نذهب ؟» فأجابه : «اذهبْ فتنتصر .» فقال له الملك : «أحلّفك أن لا تكلّمني إلاّ بالصدق .» فأجابه ميخا : «إذا ذهبت للقتال ، يتبعثر الشعب على الجبال كغنم بلا راع .»

ولمّا سمع أخآب نبوءة ميخا ، تلفّت إلى يهوشافاط وقال له : «أما قلتُ لك ، إنّه لا يتنبّأ عليّ إلاّ بالشر ؟»



١٧٢

موت أخآب

١ ملوك ٢٢

وقال النبيّ ميخا للملك أخآب : «الرّبّ قرّر أن ينزل الشّر عليك ، فجعل أنبياءك ينطقون بالكذب .» وسمع صدقيّا ، وهو واحد من الأنبياء كلام ميخا ، فغضب وتقدّم منه وضربه على فكّه وقال له : «مَنْ أنت ، حتى يكلّمك روح الرّبّ ؟» وهنا نادى الملك أخآب أحد رجاله وأمره أن يأخذ ميخا إلى حاكم المدينة ويسجنه ويقدّم له قليلاً من الخبز والماء إلى أن يرجع سالماً من القتال . فقال له ميخا : «إذا رجعتَ سالماً ، فلا يكون الرّبّ تكلّم على لساني . لن تعود سالماً من القتال ، بل ستموت فيه .»



وصعد أخآب ملك إسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا إلى راموت جلعاد لمحاربة الآراميّين. وكان أخآب متستّراً بلباس عادي حتى لا يعرفه العدو، بينما لبس يهوشافاط ثيابه الملوكيّة. وفي هذه الأثناء كان ملك أرام دعا قادته وأمرهم أن لا يحاربوا أحداً، إلّا ملك إسرائيل وحده. فلمّا رأى قادة أرام يهوشافاط بلباسه الملوكي ظنّوه ملك إسرائيل. فآتّجهوا إليه ليقاتلوه. وعندما آقتربوا منه عرفوا أنّه لم يكن ملك إسرائيل، فتركوه. لكن في هذا الوقت أطلق جندي أرامي سهماً طائشاً في الهواء، فأصاب السهم أخآب الملك. فأمر أخآب مساعده أن يخرج به من المعركة. وآشتدّ القتال في ذلك اليوم، وأخآب في مركبته يراقب المعركة من بعيد، بينما دمه يسيل، وظلّ دمه يسيل حتى مات في المساء. ثمّ علا نداء من جيش إسرائيل: «عودوا إلى بيوتكم، فالملك مات.» ودفنوا الملك في السّامرة، وعندما غسلوا مركبته في بركة السّامرة، لحست الكلاب دمه ليتمّ كلام الرّبّ الذي تكلّم به.

١٧٣ غناء للنصر

أخبار الأيام الثاني، ٢٠

وبعد ذلك، تجمّع بنو موآب وبنو عمّون وأعداء آخرون ليحاربوا الملك يهوشافاط. فأقبل رَجُل إليه وأخبره بالأمر. فخاف يهوشافاط وطلب العون من الرّبّ. ثمّ طلب من جميع الشعب أن يجيئوا إلى الهيكل ويصلّوا حتى يعينهم الرّبّ. فجاؤوا إلى الهيكل في أورشليم وآجتمعوا هناك. فوقف يهوشافاط وصلّى: «أيّها الرّبّ، أنت الإله في السّماء، وأنت الحاكم على جميع ممالك الأمم، وفي يدك القوّة، أنت، يا إلهنا، ها بنو عمّون وبنو موآب وأعداء آخرون يهجمون علينا حتى يطردونا من الأرض التي أعطيتنا إيّاها. ونحن لا نقدر على هذا الجيش العظيم الآتي لقتالنا ولا نعلم ماذا نفعل، وكلّ ما نقدر أن نفعله هو أن نصلّي ونطلب عَونك.»

وكان جميع رجال يهوذا واقفين في الهيكل مع أطفالهم ونسائهم وأولادهم. فكلّم الرّبّ واحداً من اللّاويّين الّذين يهتمّون بالهيكل. فتقدّم هذا اللّاوي وخاطب الحاضرين وقال: «الرّبّ يقول لكم: لا تخافوا أمام هذه الجيوش العظيمة، لأنّ الرّبّ سيحارب عنكم. فهاجموهم غداً، ولا تحاربوهم، بل قفوا ولا تتحرّكوا، وآنتظروا النصر من عند الرّبّ.»

ثمّ بكّروا في الصباح وخرجوا لملاقاة أعدائهم. وعند خروجهم كانوا يغنّون بصوت مرتفع: «آحمدوا الرّبّ، لأنّ رحمته إلى الأبد.» ولمّا بدأوا الغناء أرسل الرّبّ من يدبّ الفوضى في جيوش بني عمّون وبني موآب وبقيّة الأعداء، فآرتبكوا وتبلبلوا، ولم يعرفوا ماذا يفعلون. فهجم بعضهم على بعض وتقاتلوا، ولم يبقَ منهم واحد حيّاً. ولمّا تقدّم رجال يهوشافاط وتطلّعوا من برج المراقبة على جيش العدو، وجدوهم قتلى على الأرض، ولم يكن منهم أحد حيّاً. فأخذوا غنائم كثيرة، أخذوا ماشيةً وأمتعةً وثياباً وأشياء ثمينة، ثمّ رجعوا إلى أورشليم ودخلوها وساروا بالرّبّاب والقيثارات والأبواق إلى هيكل الرّبّ. وبعد ذلك، حلّ الخوف من الله على جميع ممالك الأرض، وتنعّمت مملكة يهوشافاط بالسّلام.

قصص أليشع

١٧٤
حلّ مشكلة
٢ ملوك ٤

وفي أحد الأيّام جاءت أرملة إلى أليشع وقالت له: «زوجي مات يا سيّدي وهو مديون. فجاء الدّائن إليّ وطالبني بديونه. وفي حال لا أردّ ديونه، سيأخذ ولديَّ منّي. والآن، ماذا أفعل؟ فأنا فقيرة وليس عندي شيء أعطيه له. فسألها أليشع: «أخبريني ما عندك في البيت؟» فأجابته: «ليس عندي إلّا إبريق فيه زيت.» فقال لها: «آذهبي وآستعيري من جيرانك أواني فارغة، ثمّ ادخلي البيت مع وَلَدَيْكِ وأغلقي الباب خلفك، وصبّي زيتاً من الإبريق الذي عندك في بقيّة الأواني.»



فذهبت الأرملة إلى بيتها وأغلقت الباب خلفها مع ولديها، فكانا يقدّمان الأواني وهي تصبّ الزّيت. فلمّا امتلأت كلّها، قالت لواحدٍ من ولدَيها: «ناولني إناء آخر.» فقال لها: «كلّ الأواني امتلأت.» وهنا تطلّعت إلى الإبريق الذي كان فيه زيت، فرأت أنّه فرغ من الزّيت. فرجعت إلى أليشع وأخبرته بما جرى. فقال لها: «اذهبي بيعي الزّيت وأوفي ديونك، وعيشي أنت مع ولديك بما تبقّى لك من ثمن مبيع الزّيت.»

١٧٥

غرفة خاصة به

٢ ملوك ٤

وفي أحد الأيّام، جاء أليشع إلى بلدة شونم. وكانت في هذه البلدة امرأة غنيّة، فدعته ليأكل عندها، وطلبت منه أن يزورها ليأكل في كلّ مرّة يأتي إلى شونم. فلبّى أليشع طلبها.

وبعد أيّام جاءت هذه المرأة الغنيّة إلى زوجها وقالت: «علمتُ أنّ هذا الرّجل الذي يزورنا هو رجل الله القدّوس. فلماذا لا نبني له غرفة صغيرة ونضع له فيها سريراً وطاولةً وكرسيّاً وسراجاً، فيرتاح حين يجيئنا.»

وفي أحد الأيّام جاء أليشع إلى شونم وزار تلك المرأة الغنيّة وصعد إلى غرفته ليرتاح فيها. وبعد وقت قصير، دعا خادمه وطلب منه أن يذهب إلى تلك المرأة ويقول لها: «أنتِ تكلّفتِ كثيراً، فكيف يقدر سيّدي أن يخدمك؟» فأجابته أنّها تعيش مع أهلها، وأنّها لا تحتاج شيئاً.» فعاد أليشع وسأل خادمه ماذا يعمل لها. فأجابه: «لا ولد لهذه المرأة، وزوجها كبير في السّنّ فهي بحاجة إلى ولد.»

ولمّا عرف أليشع أنّ المرأة بحاجة إلى ولد، طلب من خادمه أن يجيء بها. فذهب خادمه وجاء بها. وعندما وصلت، وقفت بالباب فقال لها أليشع: «في مثل هذا اليوم من السّنة المقبلة يكون لك ولد.» وحين سمعت هذا الكلام، لم تصدّق من الفرح، فقالت: «لا يا سيّدي، يا رَجُلَ الله، أنت تضحك عليّ.» لكنْ بعد ذلك حبلت المرأة وولدت ابناً في مثل ذلك اليوم من السّنة المقبلة، كما قال لها أليشع.

١٧٦
يوم مخيف
٢ ملوك ٤

وكبر الصّبيّ. فذهب في أحد الأيّام إلى أبيه، وكان أبوه في الحقل يراقب الحصّادين. وبعدما وصل إليه بوقت قصير، شعر الصّبيّ بوجع في رأسه، فصرخ: «آه، رأسي، رأسي.» فطلب أبوه من الخادم أن يأخذه إلى أمّه. فحمله الخادم إلى أمّه. فوضعته على ركبتيها وأخذت تعتني به، لكنّه مات عند الظهر. فحملته أمّه إلى غرفة أليشع ومدّدته على فراشه، ثمّ خرجت وأغلقت الباب وراءها.

وبعدما خرجت من غرفة أليشع نادت زوجها، وطلبت منه أن يرسل لها خادماً ومعه حمار فتذهب إلى رَجُلِ الله أليشع وترجع بسرعة. فسألها زوجها: «لماذا تذهبين إليه اليوم، وما من مناسبة لذلك؟» لكنّها لم تخبره بالحقيقة، فأجابت: «لا شيء مهمّ. لا داعِ للقلق.» ثمّ جهّزت الحمار وأمرت خادمها أن يسوقه بسرعة، وسارت إلى رَجُلِ الله في الكرمل.





١٧٧
حيٌّ من جديد
٢ ملوك ٤

ورآها أليشع من بعيد، فقال لخادمه جيحزي: «انظرْ. ها هي المرأة الشونمية قادمة إلينا. فاسرع الآن وآسألها، اذا كان كل شيء عندها على ما يُرام». فأسرع الخادم إليها وسألها إذا كان كلُّ شيء عندها على ما يرام، فأجابته أنّهم جميعهم بخير. ثمّ آقتربت من رجل الله وآرتمت على رجليه، فتقدَّم جيحزي ليردّها. فقال رَجُلَ الله: «اتركها لأنّ نفسها مرّةٌ والرّبّ لم يكشف لي الأمر.» فقالت: «هل طلبتُ منك آبناً، يا سيّدي؟ أما قلتُ لك لا تخدعني؟» فعرف أليشع أن آبنها مات، وفي الحال نادى خادمه وقال له: «تهيّأ للذهاب مع أم الصّبيّ وخذْ عصاي في يدك. فإذا لقيت أحداً في الطّريق، فلا تسلّمْ عليه، وإذا سلّم عليك أحد، فلا تجبْه، بل أسرع بكلّ قدرتك. وعندما تصل، تضع عصاي على وجه الصّبيّ فيعيش.» وهنا قالت أمّ الصبيّ لأليشع، إنّها لا تفارقه، بلْ ستبقى حتى يجيء هو أيضاً معها. فقام وتبعها. وفي هذه الأثناء سبقهما الخادم، وعند وصوله وضع العصا على وجه الصّبيّ، فلم يتحرّك ولا فتح عينيه. فعاد إلى أليشع ولقيه في الطّريق وقال له إنّه وضع العصا على وجه الصّبيّ، لكن الصّبيّ لم يتحرّك ولا فتح عينيه. ولمّا وصل أليشع إلى البيت دخل الغرفة وحده، فوجد الصّبيّ ميتاً على فراشه. فأغلق الباب وصلّى إلى الرّبّ، ثمّ تمدّد على الصّبيّ، فسخن جسده. فقام أليشع وتمشّى في الغرفة، وعاد إلى الصّبيّ وتمدّد عليه مرّةً ثانيةً، فعطس الصّبيّ سبع مرّات وفتح عينيه. ولمّا فتح الصّبيّ عينيه، طلب أليشع من خادمه أن يدعو أمّه. فدعاها وعندما دخلت، قال لها: «ها هو آبنك حيّ، فخذيه.» فتقدّمت وآرتمت على قدميه إلى الأرض، وأخذت آبنها وذهبت.

١٧٨
البنت السّجينة
٢ ملوك ٥

وفي تلك الأيّام عاش رَجُل آسمه نعمان. وكان هذا الرّجل قائد جيش أرام. وكان ملك أرام يحبّه، لأنّه كان بطلاً شجاعاً، فحقّق النّصر مرّات عديدة على بني إسرائيل. لكن في الوقت ذاته، كان نعمان يتألّم من مرضٍ يصيب الجلد، وآسمه مرض البرص.

ومرّةً خرج الأراميّون إلى القتال، فهاجموا أرض إسرائيل وخطفوا فتاةً صغيرة. فأخذها القائد نعمان وجعلها من خدّام زوجته. ولمّا رأت هذه الفتاة الصّغيرة مرض سيّدها نعمان، جاءت إلى زوجته وقالت لها: «في السّامرة نبيّ. لو يذهب إليه سيّدي، يشفيه من برصه.» وسمع نعمان هذا الكلام فذهب إلى الملك وأخبره بما قالت الفتاة. فقال له ملك أرام: «آذهبْ إلى ملك إسرائيل، وآحملْ له رسالة منّي بهذا الخصوص.» فذهب نعمان حاملاً معه الرسالة وهدايا من الذّهب والفضة والثياب. ولمّا وصل إليه، فتح الملك الرّسالة وقرأ فيها هذه الكلمات: «يصل إليك مع رسالتي نعمان قائد جيشي، فآشفه من



برصه.» وبعدما آنتهى الملك من قراءة الرّسالة مزّق ثيابه وقال: «هل أنا الله حتى يطلب منّي ملك أرام أن أشفي رجلاً من برصه؟ في الحقيقة، هو يتحرّش بي حتى يقاتلني.»

وسمع النبيّ أليشع أن ملك إسرائيل مزّق ثيابه، فأرسل إليه يسأله: «لماذا مزّقت ثيابك؟ أرسلْ الرّجل إليّ، فيعلَمَ أنّ في إسرائيل نبيّاً يشفيه.»



١٧٩
دواء لنعمان
٢ ملوك ٥

وجاء نعمان بخَيْله ومركباته إلى أليشع، ووقف عند باب بيته. ولمّا عرف أليشع بالأمر، أرسل خادمه إليه يقول: «اذهب إلى نهر الأردنّ وآغتسل في مائه سبع مرّات، فتُشفى من البرص.» وعندما سمع نعمان هذا الكلام غضب غضباً شديداً وقال: «كنت أظنّ أنّه سيأتي إليّ، وبآسم الرّبّ إلهه يدعو، ويحرّك يده فوق موضع البرص، فيشفيني، فإذا به ينصحني بالاغتسال في الأردنّ. أما عندنا في دمشق أنهار أحسن من جميع مياه إسرائيل، فأغتسل فيها وأُشفى؟»

وعندما همّ بالرجوع، تقدّم منه مرافقوه وقالوا له: «يا سيّد، لو أمرك النبيّ أن تقوم بعمل صعب، لكنت عملته. فلماذا لا تقوم بهذا العمل البسيط فتذهب إلى الأردنّ وتغتسل في مائه، فتُشفى؟» فرأى نعمان أنّ الحقّ معهم، فنزل إلى الأردنّ وغطس في مائه سبع مرّات، كما قال رَجُل الله أليشع، فشُفِيَ لحمه من البرص.

وبعدما شُفيَ نعمان من البرص، رجع مع مرافقيه إلى أليشع ووقف أمامه وقال: «علمتُ الآن، أنّ لا إله في كلّ الأرض إلاّ في إسرائيل ولا أقدّم محرقة أو ذبيحة لآلهة أخرى بلْ الرّبّ وحده. وليسامحني الرّبّ عندما يجبرني سيّدي ملك أرام أن أسجد لآلهة أخرى.» ثمّ قدّم له هدايا الذّهب والفضّة والثياب فلم يقبلها أليشع. وبعد ذلك، رجع نعمان إلى بلاده. فلمّا آبتعد مسافة قصيرة، قال خادم

أليشع في نفسه : «رفض سيّدي أن يأخذ هديّة من نعمان ، سأتبعه وآخذ شيئاً منه .» وأسرع الخادم ، فرآه نعمان مسرعاً وراءه ، فنزل عن المركبة ليستقبله ، وقال : «خير إن شاء الله !» فأجابه الخادم : «طبعاً ، خير . أرسلني إليك سيّدي لأقول لك إنّ آثنين من جماعة الأنبياء قدما إليه ، وهو بحاجة إلى فضّة وثياب يعطيها لهما .» فأعطاه نعمان ما أراد .

فأخذ الخادم الفضّة والثياب وذهب إلى بيته ووضعها هناك ، ثمّ عاد إلى أليشع . فسأله أليشع : «أين كنت ؟» فأجابه : «لم أذهب يا سيّدي إلى أي مكان ، لا إلى هنا ، ولا إلى هناك .» فقال له أليشع : «أعرف أين كنت ، وماذا فعلت . لهذا أجعل برص نعمان ينتقل إليك وإلى نسلك .» فخرج الخادم من أمامه وجسده أبيض كالثلج من البرص .

١٨٠

عيون لترى

٢ ملوك ٦

وفي أحد الأيّام أراد ملك أرام أن يحارب بعض عشائر بني إسرائيل . فتشاور حول هذا الأمر مع قادة جيشه ، ثمّ آختار كميناً يختبىء فيه للهجوم . وعلم أليشع بما يجري ، فأرسل واحداً يخبر ملك إسرائيل بذلك ، ويقول له : «إيّاك أن تعبر إلى ذلك المكان ، فالأراميّون يختبئون هناك للهجوم عليك .» فنبّه الملك سكّان تلك المنطقة إلى الخطر ، فتجنّبوه . وحدث ذلك في كلّ مرّة كان الأراميّون يريدون مهاجمة عشائر إسرائيل . فآنزعج ملك أرام من هذه الحال ، ودعا قادة جيشه إليه وسألهم : «من منكم يخبر ملك إسرائيل كلّ مرّةٍ ننوي أن نهاجمه ؟» فأجابه واحد من قادته : «لا أحد منّا يفعل ذلك ، يا سيّدي . أليشع النبّي هو الذي يخبره .» فأمرهم قائلاً : «آذهبوا وفتّشوا عنه ، وآقبضوا عليه .» فأجابوه : «مكانه معروف ، إنّه في بلدة دوثان .» فلمّا قالوا له ذلك ، أرسل إلى هناك خيلاً ومركبات وجيشاً كبيراً ، فجاؤوا في الّليل إلى البلدة وحاصروها .

وفي الصباح قام خادم أليشع باكراً ، فرأى خيلاً ومركبات وجيشاً يحيط بالبلدة . فأسرع إلى أليشع وأخبره بما رأى . فقال أليشع : «لا تخف ، فالّذين معنا أكثر من الّذين معهم .» ثمّ صلّى وقال : «يا ربّ ، آفتح عَينَي خادمي ليرى .» ففتح الرّبُّ عينَي الخادم ، فرأى الجبل مملوءاً بالخيل ، ورأى مركباتٍ ناريّة حول أليشع . ولمّا هجم الأراميّون عليه صلّى أليشع

إلى الرّبّ وقال: «اضربْ هؤلاء الأراميّين بالعمى.» فضربهم الرّبّ بالعمى، ولم يعودوا يبصرون شيئاً. وبعدما أصابهم العمى، ذهب إليهم أليشع وقال: «تعالوا ورائي، وأنا أقودكم إلى الرَّجُل الّذي تطلبونه.» ثمَّ سار بهم إلى السّامرة، إلى ملك إسرائيل.

فلمّا دخلوا السّامرة قال أليشع: «افتح ياربّ عيون هؤلاء الأراميّين حتى يبصروا، فيعرفوا أين هم.» وفتح الرّبّ عيونهم فأبصروا، وعرفوا أنّهم في السّامرة أمام ملك إسرائيل.

فالتفت الملك إلى أليشع وسأله: «هل أقتلهم، يا سيّدي؟» فأجابه أليشع: «لا تقتلْهم، بلْ قدّم لهم خبزاً وماءً ليأكلوا ويشربوا، ثمَّ دعهم يرجعون إلى بيوتهم.» فعمل الملك ما طلب منه أليشع. هيّأ لهم حفلة طعام فاخرة، فأكلوا وشربوا، وبعد ذلك تركهم يرجعون إلى بيوتهم. ومن ذلك الوقت امتنع الأراميّون عن محاربة عشائر إسرائيل.



١٨١
جوع في المدينة
٢ ملوك ٦، ٧

لكنْ بعد وقتٍ مضى، حشد ملك أرام جيشه وسار إلى السّامرة وحاصرها. فأدّى الحصار إلى مجاعة شديدة، فصار رأس الحمار بثمانين قطعة من الفضّة.

ومرّةً خرج الملك يتمشّى على سور المدينة. فسمع امرأة تناديه وتصرخ وتطلب العون منه. فأجابها: «إذا كان الله لا يعينك، فكيف أقدر أنا على ذلك؟» ثمّ سألها: «ماذا تريدين؟» فأجابت: «مع هذه المرأة اتّفقتُ أن نأكل معاً ابني البارحة، فأكلناه، واتّفقت معها أن نأكل معاً ابنها اليوم. ولمّا جاء دورها اليوم خبّأت



آبنها.» فلمّا سمع الملك هذا الكلام مزّق ثيابه، وقال: «الحق على أليشع. لن أبقيه حيّاً بعد اليوم.» وفي ذلك الوقت كان أليشع جالساً في بيته. فجاء الملك إليه وسأله: «كيف أنتظر عوناً من الرّبّ، وهو الذي أنزل بنا كلّ هذا الشر؟» فأجابه: «في مثل هذه الساعة من يوم غد يصير ثمن كيلة الطحين (الدقيق) أو كيلتين من الشعير بقطعة واحدة من الفضّة.» فأجابه مرافق الملك: «هذا مستحيل. لو فتح الرّبّ للمطر نوافذ في السماء، لما تمّ ذلك.» فقال أليشع: «سترى هذا بعينيك، لكنّك لن تأكل منه، لأنّك لم تصدّقني.»

١٨٢

أخبار سارة

٢ ملوك ٧

وبينما كان الأراميّون يحاصرون السّامرة، جلس أربعة رجال خارج سور المدينة، وكانوا مصابين بمرض البَرَص في جلودهم. فقال بعضهم لبعض: «إذا دخلنا المدينة، نموت فيها من الجوع. وإذا بقينا هنا نموت أيضاً. فتعالوا نذهب إلى معسكر الأراميّين، فإمّا أن يبقوا على حياتنا فنعيش، وإمّا أن يقتلونا، فنموت.» فقاموا عند المساء وذهبوا إلى معسكر الأراميّين. فلمّا وصلوا إلى طرف المعسكر، تطلّعوا إلى كلّ جهة، فلم يجدوا أحداً. وكان الرّبّ قد أسمع جيش الأراميّين صوت مركبات وخيل وجيش عظيم، فخافوا وهربوا تاركين خلفهم خيامهم، وخيلهم وحميرهم ومعسكرهم وكل ما فيه.

فتقدّم أولئك الرّجال البُرُص ودخلوا إحدى الخيام، فوجدوا فيها جميع أنواع الطعام، فأكلوا وشربوا وأخذوا من هناك فضّةً وذهباً وثياباً، وذهبوا وخبّأوها. وهكذا فعلوا بخيمة ثانية دخلوها. ثمّ قال بعضهم لبعض: «عندنا هذا اليوم خبر سار، ولا يجوز أن نحتفظ به لأنفسنا فتعالوا نذهب إلى المدينة لتنقل هذا الخبر إلى الملك.» فجاؤوا إلى المدينة ونادوا الحرّاس وأخبروهم بما شاهدوا في معسكر الأراميّين. فنشر الحرّاس هذا الخبر حتى سمعه الملك، فقال: «علم الأراميّون أنّنا جياع. فخرجوا من المعسكر واختبأوا في البرّيَّة حتى يقبضوا علينا عندما نخرج نحن من هنا.» فأجابه أحد الحاضرين: «ما رأيك، يا سيّدي الملك، لو نرسل خمسة رجال إلى المعسكر ليكتشفوا الأمر». وهكذا كان. أرسل الملك خمسة رجال إلى المعسكر وفي الطّريق شاهدوا ثياباً وأمتعة مرميّة هنا وهناك فعرفوا أن الأراميّين هربوا فرجعوا إلى الملك وأخبروه بما رأوا.

ولمّا عرف الشعب حقيقة الأمر، خرجوا من المدينة ونهبوا معسكر الأراميّين، فصارت كيلة الطحين (الدقيق) أو كيلتا الشعير بقطعة واحدة من الفضّة، كما تنبّأ أليشع من قبل. وكان الملك عيّن القائد الذي رافقه إلى أليشع حارساً على باب المدينة ليحفظ النظام، فتدافع الشعب وداسوه حتى مات. فتمّت نبوّة أليشع حين قال له: «سترى ذلك بعينيك، لكنّك لن تأكل منه لأنّك لم تصدّقني.»

مشاكل في البلاد

١٨٣
مهمّة سرّيّة
٢ ملوك ٩

وفي يوم من الأيّام، دعا أليشع واحداً من الأنبياء وقال له: «خذ زجاجة مملوءة بالزيت وأسرع إلى راموت جلعاد. وحين تصل إليها، ترى ياهو ٱبن يهوشافاط، فنادِهِ من بين رفاقه، وٱجلس معه وحدك في غرفة، ثمّ تناول زجاجة الزيت وصبّ منها زيتاً على رأسه، وقل له، إن الرّبّ مسحه وجعله ملكاً على إسرائيل. وبعد ذلك، تفتح الباب وتهرب بسرعة.» ومضى النبيّ إلى راموت جلعاد. فلمّا دخلها رأى قادة الجيش جالسين معاً. فقال: «معي رسالة إليك، أيّها القائد.» فسأله ياهو: «مع أيّ واحدٍ منّا تتكلّم؟» فأجابه: «معك أنت، أيّها القائد.» ثمّ دخل النبيّ البيت، وٱنفرد مع ياهو بغرفة داخليّة، وصبّ الزيت على رأسه وقال له إنّ الرّبّ مسحه ملكاً على شعب إسرائيل. ثمّ تابع يقول: «اضربْ بيت الملك أخآب ودمّر نسله، وٱنتقمْ من الملكة إيزابل لأنّها قتلت أنبياء الله.» ثمّ فتح النبيّ الباب وهرب.

وبعد ذلك، خرج ياهو إلى قادة الجيش رفاقه، فسألوه: «ما الخبر؟ ماذا يريد هذا المجنون منك؟» فأجابهم: «قال لي، إنّ الرّبّ مسحني ملكاً على شعب إسرائيل.» ولمّا سمعوا ما قاله ياهو، أسرع كلّ واحدٍ منهم وخلع عباءته وفرشها تحت قدميه، ونفخوا جميعاً في البوق: «يعيش الملك ياهو.»



١٨٤
السائق المجنون
٢ ملوك ٩

وبعدما صار ياهو ملكاً، ركب مركبته، وسار إلى مدينة يزرعيل. وفي يزرعيل كان الملك يهورام، وهو ٱبن أخآب وإيزابل. وكان يهورام في ذلك الوقت يتعالج في فراشِهِ من الجروح التي أصابه بها الأراميّون. وكان أخَزْيا ملك يهوذا يزوره.



وفي ذلك الحين، كان حارس واقفاً على البرج في يزرعيل، فرأى جماعةً مقبلة نحوه، فصرخ: «أرى جماعة مقبلة نحونا.» فطلب من يهورام أن يُرسل فارساً ليكتشف حقيقة الأمر. فذهب الفارس وآستقبلهم وسألهم إذا كانوا قادمين من أجل السّلام. فأجابه ياهو: «ما لك وللسلام. تعال معي، والّتحق بي.» فآنضمّ إليه الفارس والتحق به. فنقل الحارس ما جرى إلى يهورام وقال: «وصل الفارس إليهم ولم يرجع.» فأرسل الملك فارساً آخر يسألهم إذا كانوا قادمين من أجل السّلام. فأجابه ياهو: «ما لك وللسلام؟ تعال معي والّتحق بي.» فانضمّ إليه الفارس والّتحق به. فنقل الحارس الخبر إلى يهورام وقال: «وصل الفارس إليهم، ولم يرجع، وسائق المركبة يسوق بعنفٍ مثل ياهو آبن يهوشافاط.»

ولمّا اطّلع يهورام على ما يجري، قال: «جهّزوا لي مِركبتي.» فجهّزوا له مركبته وخرج برفقة أَخَزْيا ملك يهوذا، كلّ واحدٍ منهما في مركبته، لملاقاة ياهو، فصادفاه عند حقل نابوت اليزرعيلي. فلمّا رآه يهورام سأله: «هل تأتي إلى هنا من أجل السّلام، يا ياهو؟» فأجابه ياهو: «عن أي سلام تتكلّم، وأمّك إيزابل تعبد آلهة غريبة؟» وهنا قال يهورام لأَخَزْيا: «هذه خيانة، يا أَخَزْيا.» وآرتدّ هارباً. فقبض ياهو بيده على قوسه ورمى يهورام بالسهم، فأصابه بين كتفيه، ونفذ السهم إلى قلبه، وقتله في مِركبته.

هرب الملك أَخَزْيا عندما رأى ما جرى، فلحق به ياهو وأمر رجاله أن يرموه، فرموه بالسهام، وأصابوه، لكنّه آستمرّ في هروبه حتى وصل إلى بلدة مَجِدّو ومات فيها. وبعد ذلك، دخل ياهو إلى يزرعيل. فلمّا سمعت الملكة إيزابل بدخوله، كحّلت عينيها وزيّنت رأسها وتطلّعت من نافذة القصر. فرفع ياهو نظره إلى النافذه ورآها. وعندما رآها صرخ: «من هنا معي؟» فأطلّ عليه آثنان أو ثلاثة من الخدم، فأمرهم أن يرموها من النافذة. فرموها وماتت في الحال. فأكلت الكلاب جثّتها، كما تنبّأ النبيّ إيليّا بذلك.

١٨٥
ملك في المخبأ
٢ ملوك ١١

وعرفت عَثَلْيا أم أَحَزْيا ملك يهوذا أن آبنها مات. فثارت على جميع النسل الملكي وقتلتهم لتحكم هي. لكنّ واحداً من النسل الملكي ظلّ حيّاً، وهو يوآش آبن أَحَزْيّا، لأن عمّته يهوشبع، زوجة الكاهن يهوياداع، أخذته مع المرأة التي ترضعه، وخبّأته عندها في غرفة للنوم في الهيكل. فبقي مختبئاً عندها ستّ سنين، كانت عثليا خلالها ملكة على كلّ البلاد.

ولمّا صار عمر يوآش سبع سنوات، دعا الكاهن يهوياداع، قادة الحرس الملكي وحرّاس القصر إلى هيكل الرّبّ وأظهر لهم آبن الملك للمرّة الأولى. ثمّ قال لهم: «في السبت القادم، آجعلوا عدداً منكم يحرسون القصر، وعدداً آخر يحرسون باب السّور، وعدداً آخر يحرسون الباب الذي وراء القصر.» أمّا الباقون، فطلب منهم الكاهن أن يحرسوا هيكل الرّبّ ثمّ أمرهم أن يحيطوا بالملك ويحرسوه أينما ذهب. وعمل القادة بكلّ ما أمرهم به يهوياداع الكاهن. فجاء كلّ واحد منهم يوم السبت برجاله ووقفوا حول المذبح والبيت وهيكل الرّبّ، وسلاحهم في أيديهم. وبعد ذلك، أخرج يهوياداع يوآش آبن الملك وعلى رأسه وضع تاجاً ومسحه ملكاً. فصفّق الحاضرون ونادوا: «يعيش الملك.» وسمعت عثليا ضجّة الحرس والشعب، فدخلت على الحاضرين في هيكل الرّبّ، فرأت الملك يوآش واقفاً على المنبر كما هي العادة، والرؤساء وحاملو الأبواق إلى جانبه وجميع النّاس يفرحون. ولمّا شاهدت كلّ هذا، مزّقت ثيابها وصرخت: «خيانة، خيانة.» فصاح الكاهن بقادة الجيش وطلب منهم أن يخرجوها بالقوّة، وأن يقتلوا بالسيف كلّ واحد يحاول أن يدافع عنها. فأخرجوها من الهيكل وقبضوا عليها وجاؤوا بها إلى القصر وقتلوها هناك.

١٨٦
لصوص وغشّاشون
عاموس

في تلك الأيّام عاش رَجُل آسمه عاموس. وكان هذا الرَّجُل راعي غنم. فأخذه الرّبّ من وراء الغنم وطلب منه أن يذهب إلى شعب إسرائيل ويتنبّأ بما سيصيبهم من مصائب. فذهب عاموس إلى بيت إيل حيث عبادة الأصنام، ووقف في السوق وخاطب الحاضرين: «هكذا يقول الرّبّ: أنتم تبيعون الصدّيق بالمال والمسكين بزوج من الأحذية، أنتم تذلّون الفقراء وتضلّون المساكين، أنتم تشربون الخمر في بيت الله وتُسكتون الأنبياء، لأنّكم تفعلون هذا، سيعاقبكم الرّبّ عقاباً شديداً.»

وتابع عاموس يخاطبهم: «آسمعوا يا بني إسرائيل، وآنظروا إلى السّامرة، فتروا فيها الظلم والفوضى. أنتم لا تعرفون العدل والاستقامة، بل تملأون خزائنكم بالمال بواسطة العنف والقهر والغشّ. لهذا سيضايقكم العدو ويحيط بأرضكم ويهدم حصونكم وينهبكم ولا يُبقي شيئاً عندكم.»

والتفت عاموس إلى النساء وخاطبهنّ : «يا نساء السّامرة ، أنتنَّ تظلمنَ الفقراء والمساكين وتشربن الخمرة . لذلك سيأتي العدوّ ويطرد كنَّ ولن تبقى واحدة منكنَّ حيّة .»

ثمّ أخذ عاموس يذكّر الحاضرين بالقصاص الذي أنزله الله عليهم ، فقال لهم ، إن الرّبّ رماهم في الجوع ومنع عنهم المطر وضربهم بالأمراض ودمّرهم كما دمّر سدوم وعمورة ، ورغم هذه الضربات كلّها لم يتوبوا ولا رجعوا إليه . فالويل لهم ، هم الّذين يبغضون القاضي العادل ويكرهون كلّ من يتكلّم بالصدق . في السّاحات يكون بكاؤهم ، وفي الشوارع يكون عويلهم . وأنهى عاموس كلامه : «أطلبوا الخير ولا تفعلوا الشرّ لتحيوا ، ويكون الرّبّ القدير معكم .»

ولمّا آنتهى عاموس من كلامه ، تقدّم منه أمصيا ، وهو كاهن الأصنام ، وقال له : «آذهب إلى أرض يهوذا ، وهناك تنبّأ ، وإيّاك أن تعود إلى هنا مرّةً ثانية .»



١٨٧
تعالَوا نرجع الى الرّبّ
هوشع

وبعدما ترك عاموس أرض إسرائيل، ظهر نبي آخر آسمه هوشع. وفي أحد الأيّام، نادى الرّبّ هوشع وطلب منه أن يتزوّج امرأة زانية. فتزوّج هوشع امرأة زانية آسمها جومر. فحبلت وولدت له آبناً. ثمّ حبلت مرّة ثانية وولدت له بنتاً. وفي المرّة الثّالثة ولدت له آبناً. ولم تكن جومر تحبُّ البقاء في البيت للاعتناء بزوجها وأولادها، فخرجت من بيتها، وأخذت تنتقل من مكان إلى مكان وراء ملذّاتها الخاصة.

وفيما هوشع محتار، لا يعرف ماذا يفعل، كلّمه الرّبّ وقال: «أنت تحبُّ زوجتك جومر كما أحبُّ أنا بني إسرائيل. وأنت تتألّم لأنّها تركتك كما أنا أتألّم لأنّهم تركوني، وأخذوا يسكرون ويرتكبون الزّنى ويعبدون الأصنام ويقدّمون لها الذبائح. فآذهب، وفتّشْ عنها، وعدْ بها إلى البيت.»

فذهب هوشع وبدأ يبحث عن جومر في كلّ مكان حتى وجدها أخيراً عند رَجُل غني تخدمه. ولمّا وجدها هوشع، فرح كثيراً فدفع للرّجل الغني كلّ ماله، ثمّ قام وعاد معها إلى البيت.

بعد ذلك، عرف هوشع كم يحبّ الله بني إسرائيل. فذهب إليهم وقال لهم: «تعالوا نرجع إلى الرّبّ، فهو يجرح ويشفي. نوره مثل نور الفجر، ورجوعه إلينا مثل مطر يسقي الأرض ويرويها.»



١٨٨
رؤيا إشعياء
إشعياء ٦، ٧، ٥٣

وفي أحد الأيّام كان إشعياء في الهيكل. وبينما هو في الهيكل رأى هذه الرؤيا، قال: «رأيتُ السيّد الرّبّ جالساً على عرشٍ عالٍ، وأطراف ثوبه تملأ الهيكل، وفوقه جمع من الملائكة، كلٌّ واحدٍ منهم له ستّة أجنحة،



وكانوا يهتفون: «قدّوس، قدّوس، قدّوس هو الرّبّ القدير، الأرض كلّها مملوءة من مجده.»

فآهتزّت الأبواب من هذا الهتاف وآمتلأ الهيكل بالدخان. فقلت: «رأيتُ الرّبّ القدير، فالويل لي: فأنا رَجُل خاطىء الشفتين وأعيش بين شعب خاطىء الشفاه.» فطار إليّ أحد الملائكة وفي يده جمرة من نار، أخذها بملقطٍ من المذبح ولمس بها فمي وقال: «انظرْ، هذه الجمرة لمست شفتيك، فزالت خطيئتك.» ثمّ سمعتُ الرّبّ يسأل: «من أرسل؟» فأجبته: «ها أنا، يا سيّدي.» فطلب منّي الرّبّ أن أذهب إلى بني إسرائيل وأتنبّأ لهم وأقول: «ها هي العذراء تحبل وتلد آبناً تسمّيه عمّانوئيل (أي الله معنا)، يحمل آلامنا وأوجاعنا وجميع آثامنا فيمحو الموت إلى الأبد، ويمسح الدّموع من جميع الوجوه. لكنْ في حياته على هذه الأرض يحتقره النّاس، ويسوقه شعبه إلى الذّبح كما تُساق النّعجة وهو صامت لا ينطق بكلمة واحدة.»

١٨٩
لا تقلق ولا تَخف
إشعياء ٧، ٢ ملوك ١٦

وفي أحد الأيّام صعد ملك أرام وملك إسرائيل إلى أورشليم لمحاربة آحاز ملك يهوذا. فلمّا وصل الخبر إلى آحاز خاف هو وشعبه خوفاً عظيماً. فقال الرّبّ لإشعياء: «آذهب، أنت وآبنك، إلى آحاز وقلْ له: «تنبّه! لا تقلقْ ولا تخف شيئاً، ولا تدع قلبك يضعف. صحيح، ملك أرام وملك إسرائيل تآمرا عليك بالشرّ، وهما يريدان الآن أن يحتلاّ أرضك، ويقتسماها فيما بينهما. لكن، هذا ما يقوله الرّبّ: «لن يتمكّنا من ذلك.»

لكنّ آحاز لم يصدّق كلام الرّبّ، فأرسل إلى ملك أشور يطلب المساعدة. ولمّا فعل هذا، قال له الرّبّ على لسان إشعياء: «سأجعل ملك آشور يجلب الخراب عليك وعلى شعبك وعلى أهل بيتك. في ذلك اليوم، كلُّ كرمة تصير شوكاً، وجميع الجبال التي كانت مثمرة تكون للثيران والغنم، ولا يدخلها أحد خوفاً من الأشواك.»

أيام صعبة في يهوذا

١٩٠
الأمبراطور يحدِّد الثمن
٢ ملوك ١٧ – ١٨

وفي تلك الأيّام حكم السّامرة ملك آسمه هوشع. وعمل هذا الملك الشرّ في نظر الرّبّ. فحاربه شَلْمَنأسَر، ملك أشور، وأجبره أن يدفع له ضريبة عالية من المال لكنّه حاول بعد سنوات أن يتحرّر من دفع الضّريبة، فقبض عليه شَلْمَنأسَر وكبّله بالقيود وأرسله إلى



السّجن. ثمّ هاجم شَلْمَنأْسَر أرض إسرائيل، وآحتلّ السّامرة وسبى الشّعب وآقتادهم إلى أشور وأجبرهم على العيش هناك في المنفى.

وفي ذلك الوقت، كان آحاز ملكاً على يهوذا. ولم يكن صالحاً أمام الرّبّ إلهه، بل عمل الشرّ، حتى أنّه أحرق آبنه في النّار تقدمة للأصنام. وحدث في تلك الأيّام أن هاجمه ملك أرام، وملك إسرائيل.» فأرسل آحاز إلى ملك أشور يطلب منه المساعدة، ويقول: «أنا عبدك وآبنك، تعال خلّصني من ملك أرام ومن ملك إسرائيل.» ثمّ أخذ آحاز كلّ ما وجده من الفضّة والذهب في هيكل الرّبّ وخزائن القصر وأرسله هديّة إلى ملك أشور.

وبعد وفاة الملك آحاز جاء آبنه حَزَقِيّا وحكم يهوذا. وكان عمره خمساً وعشرين سنة، وبقي في الحكم مدّة تسع وعشرين سنة، وكان حَزَقِيّا صالحاً في نظر الرّبّ، فهدم معابد الأصنام، وتمسّك بالرّبّ وعمل بوصاياه. وكان الرّبّ معه، فتمرّد على ملك أشور ورفض أن يخضع له. فهجم عليه الأشوريّون، وأخذوا يحتلّون بعض مدن يهوذا المحصّنة. فأرسل حَزَقِيّا إلى ملك أشور يقول له: «أعترف أنّي أخطأت أمامك. فاتركني، وأنا أعطيك ما تريد.» فطلب منه ملك أشور أربعين قنطاراً من الفضّة وأربعة قناطير من الذهب. فأرسل إليه حَزَقِيّا جميع الفضّة التي وجدها في هيكل الرّبّ وفي خزائن القصر.



١٩١ العدو على الأبواب

٢ ملوك ١٨ – ١٩

وأخذ ملك أشور الفضّة والذهب وكلّ ما بعثه الملك حَزَقِيّا إليه. لكنّه لم يرتدّ عنه ولا تراجع، بل أرسل جيشه إلى أورشليم للحرب. فلمّا وصلوا إلى أورشليم، نادوا الملك. فخرج إليهم ثلاثةٌ من مُساعِدي الملك. فقال لهم ضابط أشوري كبير: «آذهبوا إلى حَزَقِيّا وقولوا له، إنَّ الملك الكبير، ملك أشور يسأله على من توكّل وآعتمد حتى تمرّد عليه؟ فإذا توكّل على الرّبّ إلّهه، فمن هو هذا الرّبّ؟ وهل يظنُّ حَزَقِيّا أنَّ ملك أشور جاء إلى هذه الأرض دون أن يأمُرَه ربّه بذلك؟ فالرّبّ إلّهه قال له: «آهجمْ على هذه الأرض ودمّرها.»

فطلب رسل الملك حَزَقِيّا من الضابط الأشوري أن يكلّمهم باللّغة الأراميّة حتى لا يفهم الشعب كلامهم. فأجابهم الضابط: «هل تحسبون أن سيّدي ملك أشور أرسلني لأقول هذا الكلام لسيّدكم أو لكم فقط؟ كلّا، بلْ لأقوله لشعبكم أيضاً. ثمَّ وقف ونادى بصوت عظيم باللّغة اليهوديّة: «آسمعوا كلام الملك العظيم، ملك أشور: لا تجعلوا حَزَقِيّا يغرّر بكم ويكذب عليكم. ولا تصدّقوه حين يطلب منكم أن تتوكّلوا على الرّبّ، ولا تصدّقوه حين يقول لكم إنَّ الرّبّ سينقذكم وينقذ هذه المدينة منّي. أقول لكم، لا تسمعوا له، لأنّه لا يقدر أن يخلّصكم منّي. فصالحوني وآستسلموا لي، فآخذكم إلى أرضٍ مثلِ أرضكم، آخذكم إلى أرض جديدة تجْنُون منها حنطة وخمراً وخبزاً وكروماً وزيتاً وعسلاً، فتعيشون هناك ولا تموتون أبداً.» وتابع ضابط أشور يخاطب شعب إسرائيل: «أعود فأقول لكم، لا تسمعوا لِحَزَقِيّا إذا قال لكم: الرّبّ ينقذنا فهل أنقذ أي إلّه من آلهة الأمم أرضه من يد ملك أشور؟»

وسمع شعب إسرائيل كلام الضابط الأشوري. لكنّهم ظلّوا ساكتين، لأن الملك طلب منهم ذلك. ثمَّ عاد الرُّسل الثلاثة إلى حَزَقِيّا وآخبروه بكلّ ما سمعوا.

فلمّا سمع الملك حَزَقِيّا هذا الكلام مزّق ثِيابه من الحزن ودخل هيكل الرّبّ. ثمَّ أرسل إلى إشعياء النبيّ كبار الكهنة وقالوا له: «اليوم يوم ضيقٍ وقصاصٍ وذُلّ. فليت الرّبّ إلّهك يسمع كلام الضابط الأشوري، فيعاقبه على ذلك. فصلِّ إلى الرّبّ إلّهك حتى ينقذ ما تبقّى من هذا الشعب.» فلمّا تلقّى إشعياء هذه الرسالة، قال: «عودوا إلى سيّدكم وقولوا له: الرّبّ يقول: لا تخفْ من كلام قادة أشور وإهانتهم لي، سيرجع ملك أشور إلى بلاده، وهناك يموت بالسيف.»

لكنّ ملك أشور عاد وبعث برسالة إلى حَزَقِيّا يقول فيها: «لا تدعْ إلّهك الّذي أنت تتوكّل





عليه يخدعك ويكذب عليك ، ويقول لك إنّ أورشليم لن تسقط في يد ملك أشور. فأنت سمعت ما فعل ملوك أشور بجميع البلدان وكيف دمّروها ، فكيف تقدر أن تنجو؟»

فأخذ حَزَقِيّا رسالة ملك أشور وقرأها ، ثمّ صعد إلى الهيكل وفتحها أمام الرّبّ ، وصلّى : «أيّها الرّبّ ، إلّه إسرائيل ، أنت وحدك إلّه جميع ممالك الأرض. خلّصنا من سنحاريب ملك أشور ، لتعلم ممالك الأرض كلّها أنّك أنت وحدك الرّبّ الإلّه .»

ثمّ أرسل إشعياء إلى حَزَقِيّا الملك يقول له : «الرّبّ يقول ، إن ملك أشور لن يدخل مدينة أورشليم ، لن يؤذيها ولن يتقدّم إليها ، بل سيعود في الطّريق التي جاء منها .» وهكذا صار في الّليل جاء ملاك الرّبّ وقتل من جيش أشور مئة وخمسة وثمانين ألفاً . فلمّا طلع الصبح ، رأى ملك أشور ما حدث ، فآرتعب ورجع إلى عاصمته نينوى ، وفي نينوى هجم عليه آبناه وقتلاه بالسيف بينما كان ساجداً في معبد إلّهه .



١٩٢
مرض الملك
إشعياء ٣٨

وفي تلك الأيّام مرض حَزَقِيّا مرضاً شديداً، وأشرف على الموت. فجاءه إشعياء النبيّ وقال له: «هكذا يقول الرّبّ: اكتبْ وصيّتك وسلّمها لأهل بيتك، لأنّك قريباً تموت. فأنت لن تشفى من مرضك.»

فلمّا سمع حَزَقِيّا هذا الكلام، أدار وجهه إلى الحائط وصلّى: «تذكّر، يا ربّ، أنّي حكمتُ بالعدل وعملتُ الخير وسلكتُ بحسب مشيئتك ووصاياك.» ثمّ بكى حَزَقِيّا بكاءً مُرّاً. وبعد ذلك، قال الرّبّ لإشعياء: «اذهب إلى حَزَقِيّا وقُلْ له، إنّي سمعت صلاته ورأيت دموعه، وها أنا أُطيل عمره خمس عشرة سنة أخرى، وأُنقذه ثانيةً من يد ملك أشور وأحمي هذه المدينة أورشليم. والدليل أنّي سأحقق ما أتكلّم به، هو أنّي أرجع الظلّ عشر درجات إلى الوراء عن الدّرج الذي بناه آحاز الملك.» وما كاد الرّبّ الإلّه ينتهي من كلامه حتى تراجعت الشمس عشر درجات.

وبعدما شُفيَ حَزَقِيّا من مرضه، أنشد للرّبّ:

قلبي يحيا لأجلك،
لأجلك وحدك، يا ربّ.
فاشفِني وأطل حياتي
أنت الذي حفظت نفسي من الهلاك.
ورميت بعيداً جميع خطاياي.

١٩٣
الاكتشاف العظيم
٢ ملوك ٢٢

مات الملك حَزَقِيّا، وحكم ابنه منسّى مدّة خمس وخمسين سنة. وفعل منسّى الشرّ، فعبد كواكب السماء، وبنى معابد الأصنام وأقام مذابح وثنيّة في هيكل الرّبّ، وأحرق ابنه في النّار وقدّمه للآلهة الغريبة. وقتل منسّى الكثير من الأبرياء حتى ملأ شوارع أورشليم بدمائهم. ثمّ مات منسّى وخلفه على الحكم ابنه آمون، فلم يكن أحسن من أبيه بلْ قلّده في كلّ أفعاله، فعبد الأصنام وسجد لها، وترك الرّبّ، ولم يسلك في طريقه ولا حسْب وصاياه. فثار عليه مساعدوه في القصر وقتلوه.

وبعد وفاة آمون حكم ابنه يوشيّا مدّة إحدى وثلاثين سنة. وعمل يوشيّا الخير أمام الرّبّ، ولم يحِدْ عن وصاياه. وفي أيّام حكمه، أراد يوشيّا أن يرمّم هيكل الرّبّ ويصلّحه. فأرسل رئيس مساعديه شافان إلى حِلْقِيّا الكاهن العظيم ليأخذ منه الأموال التي تبرّع بها الشعب ويدفع للعمّال الّذين يرمّمون الهيكل ويبنون منه ما تهدّم.

ولمّا وصل شافان إلى الهيكل قال له الكاهن العظيم حِلْقِيّا: «وجدتُ كتاب الشريعة الذي أعطاه الرّبّ لموسى.» ثمّ ناوله الكتاب وقرأه. فأخذه شافان إلى الملك وقال له: «جمع رجالك الفضّة التي تبرّع بها الشعب للهيكل، ودفعوها للّذين يعملون في الترميم.» ثمّ أضاف يقول:

«وجد الكاهن حِلْقِيّا كتاب الشريعة وأعطاني إيّاه.» ثمّ تناوله وقرأه أمام الملك. فلّما سمع الملك ما جاء في كتاب الشريعة وعرف كلّ ما يطلبه الرّبّ من الشعب، مزّق ثيابه وقال: «عظيم هو غضب الرّبّ علينا، لأنّ آباءنا لم يسمعوا للوصايا التي في هذا الكتاب ولم يعملوا بها.» ثمّ أمر الكاهن حِلْقِيّا وشافان [illegible]ما أن [illegible]لوا الرّبّ عمّا يفعلون.

فذهبوا إلى [illegible] اسمها خلدة وسألوها عمّا يفعلون. فأجابت: «أخبروا الملك أن الرّبّ سيجلب شرّاً على مدينة أورشليم وعلى سكّانها، لأنّهم تركوه وعبدوا آلهة غريبة. أمّا الملك يوشيّا فلن يصيبه شيء من هذا، لأنّه مزّق ثيابه من الحزن وبكى كثيراً عندما عرف الدّمار الذي سيصيب هذه المدينة وسكّانها.» وبعد ذلك، رجع الرُسل إلى الملك يوشيّا بهذا الجواب.



١٩٤

يوشيا يشعل ناراً للاحتفال

٢ ملوك ٢٣

وآستدعى الملك يوشيّا شيوخ الشعب، فصعدوا إلى الهيكل مع الكهنة والأنبياء وجميع سكّان أورشليم وأرض يهوذا، وفي الهيكل قرأ عليهم كتاب العهد الذي وجده الكاهن حِلْقِيّا. ثمّ وقف الملك على المنبر وعاهد الرّبّ أن الشعب سيتبعونه ويعملون بوصاياه بكلّ قلوبهم.

وبعد ذلك، دعا الملك إليه حِلْقِيّا الكاهن ومعاونيه وحرّاس باب الهيكل، وأمرهم أن يخرجوا من هيكل الرّبّ جميع الأصنام ويحرقوها، ثمّ طرد كهنة الأصنام وأحرق المعابد التي كان الشعب يذبحون عليها أبناءهم ويقدّمونهم للآلهة الوثنيّة.

وأمر الملك جميع الشعب أن يحتفلوا بعيد الفصح، كما هو مذكور في كتاب العهد. فآحتفلوا به، ولم يكن قبل يوشيّا ولا بعده ملك مثله، لأنّه تاب إلى الرّبّ بكلّ قلبه وكلّ قدرته، كما هو مطلوب في شريعة موسى. لكن، رغم هذا، لم يرجع الرّبّ عن شدّة غضبه على أرض يهوذا، وعلى أورشليم وهيكلها.

أيام يهوذا الأخيرة

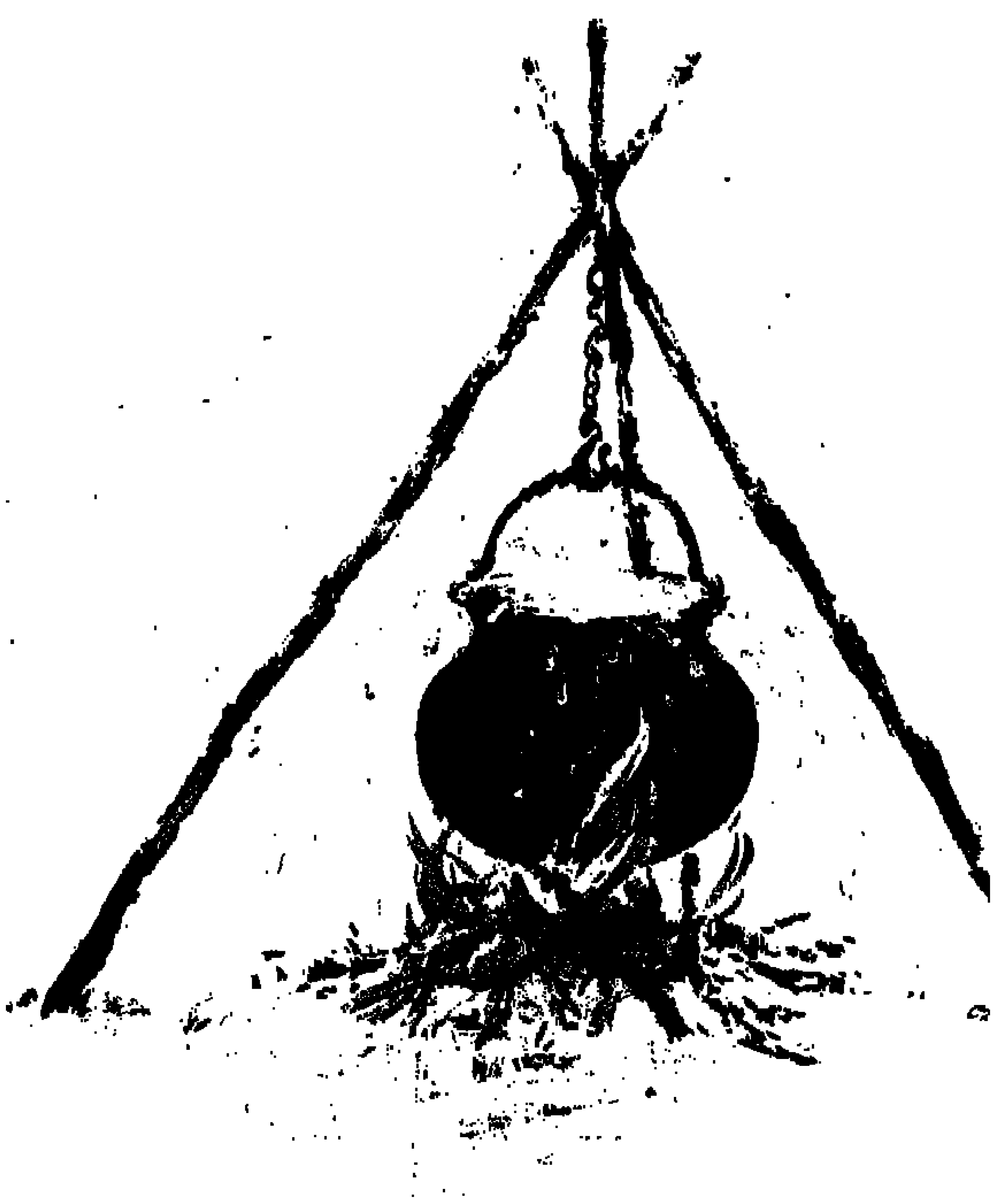
١٩٥

«لا ترسلني»

إرميا ١

وفي أحد الأيّام، دعا الرّبّ رجلاً آسمه إرميا وقال له: «قبل أن تكون في بطن أمّك، وقبل أن تولد، آخترتك نبيّاً لجميع الأمم.» فأجابه إرميا: «ولكن، أيّها السيّد الرّبّ، أنا لا أعرف أن أتكلّم جيدّاً، ولا أقدر أن أحمل هذه الرسالة، لأنّي صغير.» فقال له الرّبّ: «لا تقلْ إنّك صغير، ولا تخف من أحد، فأنا معك، وأنا أعطيك القدرة على الكلام الذي تتكلّم به.» وبعد هذا، مدّ الرّبّ يده إلى إرميا ولمس فمه، ثمّ قال: «ها أنا أعطيك السلطة على أن تنقل كلامي إلى جميع الأمم والممالك.»

وبعدما أعطاه الرّبّ هذه السلطة، سأله: «ماذا ترى الآن، يا إرميا؟» فأجابه: «أرى وعاءً يغلي ماؤه على النّار، من الشمال.» وقال الرّبّ له: «وهكذا من الشمال يهبّ الشرّ ويصيب جميع سكان هذه الأرض، فيأتي الأعداء ويحتلّون مدينة أورشليم وجميع مدن يهوذا، وهذا كلّه يصير بسبب الشرور التي فعلها شعبي، فهم تركوني وعبدوا آلهة أخرى. أمّا أنت، فآستعدّ، وقمْ إليهم، وكلّمْهم بكلّ ما آمرك به، ولا تفزع من أحد. هم سيحاربونك، لكنّهم لا يقدرون عليك، لأنّي أنا معك.»



١٩٦

إرميا عند صانع الفخّار

إرميا ١٨ - ١٩

ومرّةً دعا الرّبّ إرميا وقال له: «قمْ وآنزل إلى بيت الخزّاف، صانع الفخّار، وعندما تكون هناك أُعْلِمُك بما تقول.» فذهب إرميا إلى بيت الخزّاف، ورآه يصنع وعاءً من الفخّار على الدولاب. ولمّا آنتهى الخزّاف من صناعته، وجده غير صالح. فعاد وصنعه من جديد حتى صار صالحاً.

وهنا قال الرّبّ لإرميا: «أنا أقدر أن أصنع بكم مثلما صنع هذا الخزّاف بوعائه يا بيت إسرائيل. فأنتم في يدي مثل الطّين في يد الخزّاف. فكما أعاد هذا الخزّاف صناعة الوعاء حتى صار صالحاً، هكذا أعود أنا وأعفو عن الأمّة أو المملكة التي أهددّها بالخراب، إذا رجعت عن شرورها. والآن، آذهب إلى



سكّان يهوذا وأورشليم وآطلب منهم أن يرجعوا عن الشرّ ويصلحوا سلوكهم وأعمالهم .»

وبعد ذلك ، قال الرّبّ لإرميا : «آذهب مع بعض شيوخ الشعب وكبار الكهنة وآشترِ جرّةً من فخّار وآحملها إلى الوادي . وعندما تصل إلى هناك ترفعها وترميها بكلّ قوتّك حتى تتكسّر أمام الرّجال الّذين يرافقونك ، ثمّ تقول لهم : «كما تحطّمت هذه الجرّة ، ولا أحد يقدر أن يعيدها كما كانت ، هكذا يُحَطِّم الرّبّ هذا الشعب وهذه المدينة ، وهكذا يجعل بيوت أورشليم وبيوت ملوك يهوذا .» وهكذا فعل إرميا .

ثمّ عاد من ذلك المكان إلى الهيكل وقال لجميع الشعب : «هكذا يقول الرّبّ القدير إله إسرائيل : «سأجلب على هذه المدينة وعلى قراها جميع الشرور ، لأنّ سكّانها قسّوا قلوبهم ولم يسمعوا كلامي .»

١٩٧
السكّين

إرميا ٣٦

وفي أيّام يهوياقيم ، ملك يهوذا ، قال الرّبّ لإرميا : «خذْ لك سجلاً وآكتب فيه كلّ الكلام الذي كلّمتك به حول إسرائيل ويهوذا وجميع الأمم ، وذلك من أيّام يوشيّا إلى هذا اليوم ، فربّما يسمع الشعب بالشرّ الذي نويت أن أنزله بهم ، فيرجعوا عن أعمال السّوء وأعفو عنهم .» فدعا إرميا مساعده باروخ وتلا عليه جميع كلام الرّبّ الذي كلّمه به ، فكتبه باروخ في السجلّ ، ولمّا آنتهى من الكتابة ، قال له إرميا : «غير مسموح لي أن أدخل بيت الرّبّ . فآدخله أنت ، واقرأ ما تلوته عليك من كلام الرّبّ على الشعب ، لعلّهم يرجعون عن طريق الشرّ فيجتنبون غضب الرّبّ عليهم .»

وعمل باروخ بكلّ ما أمره به إرميا النبي ، فقرأ في الهيكل ما كتبه من كلام الرّبّ . ولمّا سمع واحد من الحاضرين ما قرأه باروخ ، ذهب إلى قصر الملك ، وأخبر بعض الموظّفين هناك بما سمع . فأرسلوا وراء باروخ ، فجاء وقرأ على مسامعهم كلام الرّبّ . وعندما سمعوا هذا الكلام خافوا وقالوا له : «يجب أن نخبر الملك بكلّ هذا الكلام .» ثمّ نصحوه أن يذهب ويختبىء هو وإرميا دون أن يعرف أحد أين هما . فذهب باروخ وآختفى هو وإرميا عن العيون ، ولم يعرف أحد أين هما .

وبعد ذلك جاء واحد من الموظّفين الكبار آسمه يهودي وحمل السّجلّ إلى الملك . وكان الوقت شتاءً ، والملك جالس عند كانونِ النّار . فلمّا قرأ يهودي فقرات أو مقاطع من السّجلّ ، تناول الملك سكّيناً وشقّ الصفحة كلّها وألقاها في النّار . ثمّ أمر مساعديه أن يقبضوا على باروخ وإرميا النبي . فلم يقبض أحد عليهما لأن الرّبّ أخفاهما . وبعدما أحرق الملك السجلّ كلّه ، طلب الرّبّ من إرميا أن يأخذ سجلاً آخر ويكتب فيه جميع الكلام الذي كان في السّجلّ الأوّل . وهكذا فعل إرميا . فأخذ سِجلاً آخر وتلا على باروخ جميع كلام الرّبّ الذي كان في السّجلّ الأوّل .

١٩٨
نير بابل
٢ ملوك ٢٤، إرميا ٢٧ – ٢٨

وفي أيّام الملك يهوياقيم هجم نبوخذنصّر، ملك بابل، على أرض يهوذا وسيطر عليها، فخضع له الملك ثلاث سنين. ثمّ عاد يهوياقيم وثار عليه. فأرسل الرّبّ البابليّين وأعداء آخرين على يهوياقيم لتخريب يهوذا. لكنّ الملك مات قبل وصولهم إليها، فجاء إلى الحكم آبنه يهوياكين. وفي أيّام هذا الملك وصل نبوخذنصّر، ملك بابل، إلى أورشليم وحاصرها. وبعد مدّة من الحصار، آستسلم له يهوياكين فأسره نبوخذنصّر وأخذه إلى بابل مع أمّه وزوجاته وخدمه ومساعديه وجميع المحاربين والعمّال. كذلك حمل نبوخذنصّر إلى بابل كنوز هيكل الرّبّ وقصر الملك، كما أنّه حطّم جميع آنية الذهب التي عملها الملك سليمان للهيكل. ثمّ عيّن نبوخذنصّر صِدْقِيّا ملكاً على يهوذا.

وفي هذه الأثناء، دعا الرّبّ إرميا النبيّ وأمره أن يصنع نيراً من الخشب ويضعه على رقبته كالنّير على رقبة ثور الفلاحة. وهكذا كان. ثمّ أمره الرّبّ أن يرسل رسائل إلى ملوك آدوم وموآب وبني عمّون وصور وصيدون ويقول لهم: إن الرّبّ جعل جميع هذه الأراضي في يد نبوخذنصّر ملك بابل، فتكون جميع الأمم عبيداً له. وكلّ أمّة أو مملكة لا تخضع له يعاقبها الرّبّ بالسيف والجوع والمرض. أمّا الأمّة التي تخضع له وتخدمه فيبقيها الرّبّ في أرضها لتفلحها وتسكن فيها. فإيّاكم أن تستمعوا إلى أنبيائكم الكذبة وسحرتكم وتعصوا ملك بابل.

وهكذا فعل إرميا، فذهب إلى الملك صِدْقِيّا، وإلى الكهنة وإلى جميع الشعب وأخبرهم بكلّ هذا الكلام. وما أن آنتهى من كلامه حتى تقدّم واحد من الحاضرين يدعى حَنَنِيّا وآنتزع النّير من رقبة إرميا وكسره، ثمّ وقف أمام الشعب وقال لهم: «هذا ما قاله الرّبّ: كذلك أكسر نير نبوخذنصّر ملك بابل بعد سنتين وأزيله عن أعناق جميع الأمم.» ولمّا سمع إرميا هذا الكلام، مضى في طريقه. وفيما هو في طريقه، كلّمه الرّبّ قائلاً: «آذهبْ إلى حَنَنِيّا وقلْ له: «أنت كسرت نيراً من خشب، لكنّي أعددت مكانه نيراً من حديد، لن تقوى على كسره.»



١٩٩
سلّتان من التّين
إرميا ٢٤



وبعدما سبى نبوخذنصّر ملك يهوذا مع كلّ رؤساءها وعمّالها أخذهم إلى بابل. رأى إرميا مرّة في رؤيا سلّتين من التّين أمام الهيكل. فسأله الرّبّ: «ماذا ترى يا إرميا؟» فأجابه: «أرى سلّتين من التّين. في واحدة منهما تين جيّد، وفي الثّانية تين رديء لا يأكله أحد لرداءته.» ثمّ قال له الرّبّ: «أنا الرّبّ إلّه إسرائيل أعتبر الّذين سباهم نبوخذنصّر إلى أرض البابليّين مثل هذا التّين الجيّد. سأحميهم وأهتمّ بهم وأعيدهم إلى أرضهم، وأجعلهم يعرفون أنّي أنا هو الرّبّ، فيكونون لي شعباً وأكون لهم إلّهاً، لأنّهم يرجعون إليّ بكلّ قلوبهم.

أمّا الّذين بقوا في هذه الأرض والّذين سكنوا في أرض مصر، ولم يَسبهِمْ نبوخذنصّر، فأنا أعاملهم كهذا التّين الرّديء الذي لا يأكله أحد لرداءته، فأبعث إليهم شرّاً وأجعلهم عاراً في جميع الأمم، لأنّهم ما زالوا يعصون أوامري.»



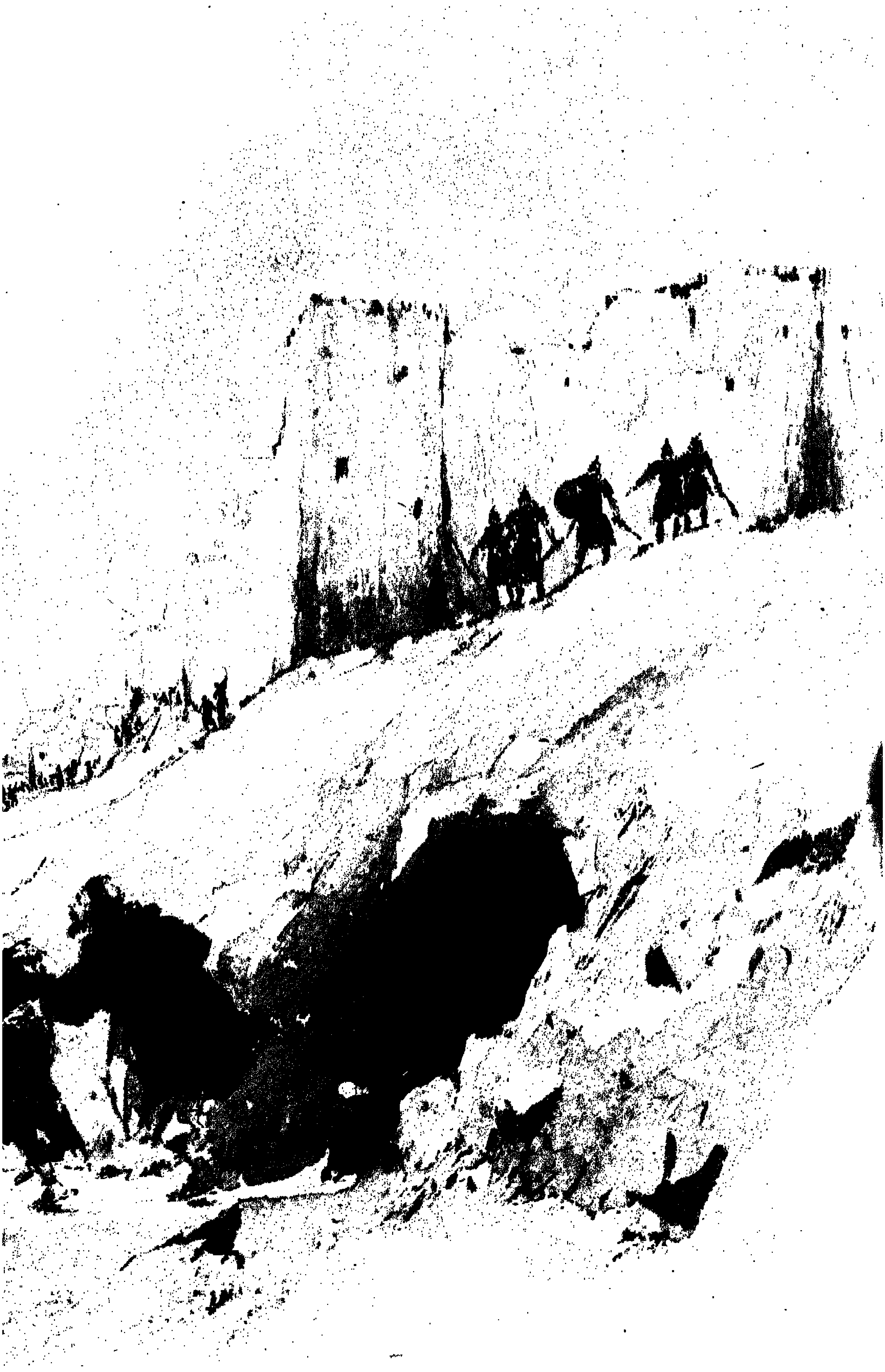


٢٠٠
فرقة إنقاذ
إرميا ٣٨

ومن يومٍ إلى يوم، كان إرميا ينذر الشعب ويحذّرهم من معاداة البابليّين ويقول لهم: «كلّ واحد يبقى في هذه المدينة ويعادي البابليّين سيموت بالسيف والجوع والمرض، وكلّ من يسالمهم يحيا وينقذ حياته.»

وسمع بعض الرؤساء هذا الكلام، فذهبوا إلى الملك وطلبوا منه أن يقتل إرميا لأنّه يضعف بكلامه هذا عزيمة المحاربين وعزيمة الشعب الباقي في مدينة أورشليم للدّفاع عنها. فقال لهم الملك صِدْقِيّا: «هو تحت تصّرفكم، فافعلوا به ما تريدون، وأنا لا أمنعكم.» فأخذوا يفتّشون عن إرميا، ولمّا وجدوه أخذوه ودلّوه بالحبال ورموه في جبٍّ في القصر، وكان الجبّ ملآناً بالوحل، فغاصت قدماه فيها.

فسمع واحد من خدّام القصر آسمه عبد ملك بما جرى لإرميا، فأسرع إلى الملك وقال: «يا سيّدي الملك! رجالك رموا إرميا النبيّ في الجبّ، وهذا عمل سيّء، لأنّه سيموت من الجوع.» فأمره الملك أن يأخذ معه ثلاثة رجال ويُخرج إرميا النبيّ من الجبّ قبل أن يموت وهكذا فعل. تناول عبد ملك ثياباً عتيقة، وأخذ معه ثلاثة رجال إلى الجبّ ثمّ ربطوا الثياب العتيقة بالحبال، ودلّوها إلى إرميا وطلبوا منه أن يضع الثياب العتيقة تحت إبطيه حتى لا تؤذيه الحبال، وبعد ذلك، جذبوه إلى فوق وخلّصوه من الموت جوعاً.



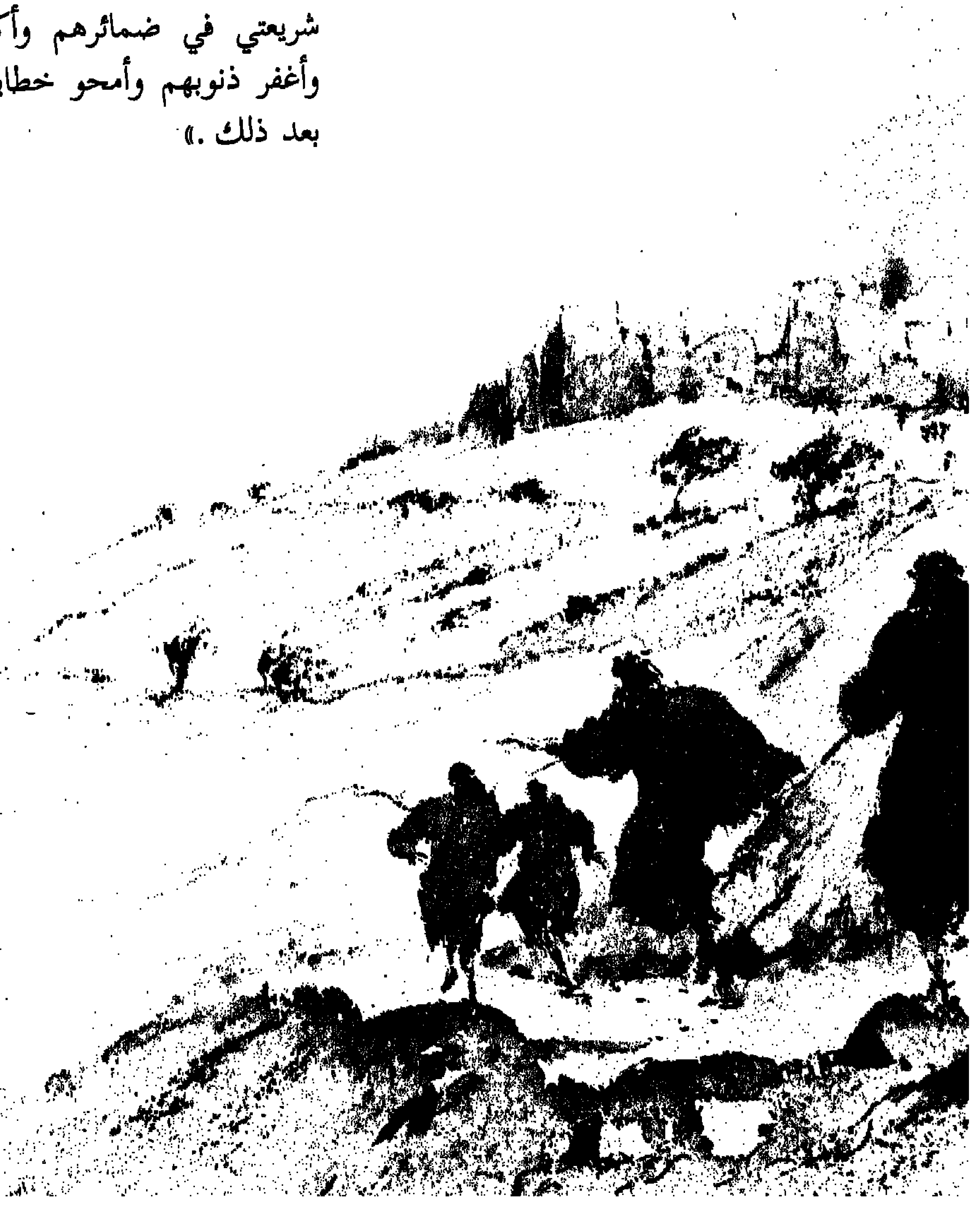
٢٠١

الأيّام الأخيرة في أورشليم

٢ ملوك ٢٥، إرميا ٣٩

وحدث ما تنبّأ به إرميا النبيّ على أرض يهوذا ومدينة أورشليم، في أيّام الملك صِدْقيّا هجم نبوخذنصّر، ملك البابليّين، على أورشليم وحاصرها وبنى حولها المتاريس والحواجز. ولمّا طال الحصار وآشتدّ الجوع، هرب الملك مع جنوده من باب سرّيٍّ في سوز المدينة، وآتّجهوا نحو الأردنّ. فاكتشف البابليّون هروب الملك وجنوده، فطاردوه حتى لحقوا به وقبضوا عليه. فقتلوا أولاده أمامه، ثمّ قلعوا عينيه، وقيّدوه بالسلاسل وساقوه إلى بابل.

ولم يكتفِ البابليّون بذلك، بل أحرقوا هيكل الرّبّ وقصر الملك وبيوت الرؤساء، وهدموا أسوار المدينة وساقوا سكّانها إلى بابل، ولم يتركوا فيها غير الفقراء ليكونوا مزارعين وفلاّحين. ورأى الرّبّ ما حدث لشعبه، فتحنّن قلبه ودعا النبيّ إرميا وطلب منه أن يذهب إلى هذا الشعب ويقول لهم: «هكذا يقول الرّبّ: ستأتي أيّام أعاهد فيها بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهداً جديداً، فأجعل شريعتي في ضمائرهم وأكتبها على قلوبهم وأغفر ذنوبهم وأمحو خطاياهم، ولا أذكرها بعد ذلك.»



دانيال ورفاقه

٢٠٢

تدريب خاص في القصر

دانيال ١

وفي عهد يهوياقيم ملك يهوذا، هجم نبوخذنصّر ملك بابل، على أورشليم وحاصرها. فاحتلّها، وقبض على ملكها يهوياقيم وأخذه إلى أرض بابل مع ما تبقّى من الأواني في هيكل الرّبّ. وبعد ذلك، دعا نبوخذنصّر كبير مساعديه، وآسمه أشفنز، وطلب منه أن يُحضر من بني إسرائيل شُبّاناً يحبّون الحكمة والعلم والمعرفة، ثمّ يعلّمهم آداب الكلدانيّين ولغتهم مدّة ثلاث سنوات، يخدمون بعدها في قصر الملك. وهكذا فعل أشفنز. وكان دانيال ورفاقه شدرخ وميشخ وعبدنغو، من بين الذين أحضرهم أشفنز. وبعدما وصلوا إلى بابل طلب الملك أن يكون طعامهم من طعامه، وشرابهم من شرابه. لكن دانيال ورفاقه فضّلوا أن لا يأكلوا من طعام الملك وأن لا يشربوا من خمره، حتى لا يخالفوا وصايا شريعتهم، فدعا دانيال كبير المساعدين وطلب منه أن يعفيهم من هذا الطعام وهذا الشراب. فأجابه كبير المساعدين أنّه يخاف من سيّده الملك أن يفعل ذلك، لأنّ الملك سيعاقبه إذا رأى وجوههم أكثر ضعفاً وشحوباً من الشبّان الذين من أعمارهم.

وبعد ذلك بأيّام، عيّن كبير المساعدين مراقباً على دانيال ورفاقه. فتقدّم دانيال من المراقب وطلب منه أن يعفيهم من طعام الملك وشرابه، وقال له: «جرّبنا، يا سيّدي، عشرة أيّام نأكل فيها الخضار ونشرب الماء، ثمّ قارنْ بيننا وبين الشبّان الّذين يأكلون من طعام الملك، وآحكم في الأمر.» فعمل المراقب كما آقترحوا، وجرّبهم عشرة أيّام. وبعدما آنقضت الأيّام العشرة، تفحّصهم المراقب، فرأى هيئتهم أحسن من جميع الشبّان الذين يأكلون من طعام الملك.

ولمّا آنقضت مدّة التعليم التي حدّدها الملك نبوخذنصّر، وهي ثلاث سنوات، أحضر إليه كبير المساعدين جميعَ الشبّان الذين تعلّموا لغة الكلدانيّين وآدابهم. فتكلّم معهم الملك، فلم يجد فيهم مثل دانيال ورفاقه الثلاثة. فآختارهم حتى يخدموه. وكان الله وهب لدانيال ورفاقه معرفةً وحكمةً في كلّ الكتابة والعلم، وأعطاهم فهماً في كلّ الرؤى والأحلام. فوجدهم الملك في المعرفة والحكمة عشرة أضعاف أفضل من كلّ المجوس والسحرة في المملكة.

٢٠٣
الحلم المنسيّ
دانيال ٢

وفي إحدى الليالي، حلم الملك نبوخذنصّر أحلاماً أزعجته ومنعته من النّوم، فدعا إليه حكماء القصر، وهم المنجّمون والعرّافون، ليفسّروا له أحلامه. فجاؤوا إليه ووقفوا أمامه. فقال لهم: «رأيت حلماً أزعجني، وأريدكم أن تعرفوا ما هو الحلم الذي رأيت، وتفسّروه لي.» فأجابوه: «لكنْ، أيُّها الملك، أخبرنا، ما هو هذا الحلم حتى نفسّره لك.» فغضب الملك وهدّدهم وقال: «إذا كنتم لا تعرفون ما هو الحلم وما هو تفسيره، فإنّي سأقطّعكم قطعاً. لكن إذا عرفتم ما هو الحلم الذي رأيته وما هو تفسيره فإنّي أعطيكم الهدايا والجوائز.» فأجابوه مرّةً ثانيةً: «قلْ لنا ما هو حلمك، أيّها الملك، حتى نفسّره لك.» ثمّ تابعوا القول: «ما من إنسان في العالم يقدر أن يعمل ما تأمرنا به.» عند ذلك، غضب الملك وأمر بقتل جميع حكماء بابل، ومعهم دانيال ورفاقه شدرخ، وميشخ، وعبدنغو.



٢٠٤
الله يقدر أن يفسّر
دانيال ٢

وخرج قائد الحرس ليقتل حكماء بابل، فتقدّم منه دانيال وسأله بكلّ حكمةٍ وتأديب: «لماذا هذا الحكم الشّديد من الملك؟» ثمّ أسرع دانيال إلى الملك وطلب منه أن يعطيه وقتاً حتى يفسّر له حلمه فأعطاه الملك ما أراد.

وذهب دانيال إلى بيته وأخبر رفاقه بالأمر، فأخذوا يصلّون حتى يكشف لهم الله سرّ هذا الحلم، فلا يموتون مع بقيّة حكماء بابل.

وسمع الله لصلواتهم، وكشف لدانيال، سرّ الحلم. ولمّا آنكشف له سرّ الحلم، بارك دانيال إله السماء وقال: «ليكنْ آسم الله مباركاً

أعطانا الحكمة والقُدرة،

وكشف لنا ما طلبناه منه.

وأعلمنا بما نقول للملك.»

ثمّ جاء دانيال إلى قائد الحرس الذي أمره الملك بقتل حكماء بابل وقال له: «لا تقتلْ حكماء بابل. دعني أدخلْ إلى الملك، وأنا أفسّر له الحلم الذي رآه.» فأدخله القائد بسرعة إلى الملك وقال: «وجدت رَجُلاً من بني إسرائيل يفسّر لك الحلم الذي رأيته.» فالْتفت الملك إلى دانيال وسأله: «هل تقدر أن تعرف ما هو الحلم الذي رأيته وتفسّره لي؟» فأجابه دانيال: «أنت تسأل عن سرّ، أيّها الملك، لا يقدر أحد أن يفسّره لك. لكنّ في السّماء إلَهاً قديراً، وحده يقدر أن يكشف الأسرار.»



٢٠٥
معنى الحلم
دانيال ٢

وبدأ دانيال يقصّ على نبوخذنصّر حلمه، ويفسّره، فقال: «بينما أنت نائم في فراشك أيّها الملك رأيت أحلاماً حول أحداث تصير في المستقبل. والله الذي يعرف الأسرار أراد أن يعلمك بما سيكون في الأيّام القادمة. وهذا السرّ آنكشف لي، لا لأنّي أكثر حكمة من الآخرين، ولكنْ لأفسّره لك، أيّها الملك. أنت حلمت بتمثال عظيم هائل. وكان هذا التمثال واقفاً أمامك، وكان منظره رهيباً. رأسه من ذهب، صدره وذراعاه من فضّة، بطنه وفخذاه من نحاس، ساقاه من حديد وقدماه خليط من حديدٍ وفخّار. وبينما كنت أنت تنظر إليه تدحرج حجر من الجبل دون أن تلمسه يد،

فضرب التمثال على قدميه وسحقهما. فأنسحق الحديد والفخّار والنحاس والفضّة والذهب وكلّ شيء، وصارت كلّها مثل القش على البيادر في الصيف، فحملتها الريح وذرّتها في كلّ جهة ولم يبقَ للتمثال من أثر. أمّا الحجر الذي أصاب التمثال، فصار جبلاً كبيراً، وملأ الأرض كلّها.»



وبعدما قصّ دانيال على الملك الحلم الذي رآه، بدأ يفسّره، فقال: «أنت ملك الملوك، فالله أعطاك المُلك والعزّة والقدرة والعظمة، وسلّطك على وحوش الأرض وطيور السّماء. فأنت الرأس الذهبيّ في التمثال. لكن بعدك تظهر مملكة أخرى أصغر من مملكتك، ثمّ مملكة ثالثة، وبعد ذلك مملكة رابعة. وهكذا تظهر ممالك وتزول، لكن في أيّام هذه الممالك، يقيم إله السماء مملكة لا تخرب أبداً، فتقضي على جميع الممالك الأخرى. وهذه المملكة التي تثبت إلى الأبد ولا يغلبها شعب آخر، هي الحجر الذي تدحرج من الجبل دون أن يلمسه أحد، فسحق الحديد والنحاس والفخّار والفضّة والذّهب.»

وبعدما أنتهى دانيال من تفسير الحلم، سجد الملك نبوخذنصّر أمامه وقال له: «إلهكم أعظم الآلهة، لأنّك قدرت أن تكشف لي هذا السّرّ.» ثمّ أكرمه، فأعطاه هدايا كثيرة، وجعله أكبر مساعديه، كما أنّه عيّن رفاق دانيال في مراكز هامّة.

٢٠٦

التمثال العملاق

دانيال ٣

وأراد الملك نبوخذنصّر أن يصنع تمثالاً مثل التمثال الذي رآه في حلمه. فصنع تمثالاً من ذهب، طوله سبعة وعشرون متراً وعرضه ثلاثة أمتار، ونصبه في بقعة من منطقة بابل. ثمّ أرسل إلى الولاة والحكّام والعظماء والقضاة وأمناء الخزينة وعلماء الشريعة وغيرهم من كبار الموظّفين لحضور حفلة التّدشين والافتتاح للتمثال الذي نصبه.

ولمّا آجتمعوا ووقفوا أمام التمثال، هتف منادٍ بصوتٍ عالٍ، وخاطب جميع الحاضرين قائلاً: «ستسمعون صوت البوق والنّاي والقيثار والرّبّاب والدفّ والمزمار، وعندما تسمعون هذا الصوت، تسجدون لتمثال الذهب الذي نصبه الملك نبوخذنصّر. وكلّ واحد لا يسجد لهذا التمثال، يموت حرقاً في أتون النّار.»



وما إن آنتهى المنادي من كلامه، حتى آرتفع صوت الآلات الموسيقيّة، فسجد جميع الحاضرين لتمثال الذهب، ما عدا رفاق دانيال الثلاثة. فتقدّم بعض البابليّين إلى الملك وشكوهم إليه قائلين له إنّ رفاق دانيال الثلاثة شدرخ، ميشخ، وعبدنغو لم يسجدوا لتمثاله.

٢٠٧

أربعة رجال في النّار

دانيال ٣

وسمع نبوخذنصّر أن رفاق دانيال شدرخ وميشخ وعبدنغو، لم يسجدوا لتمثاله فغضب غضباً شديداً وأرسل وراءهم. ولمّا حضروا سألهم: «هل صحيح، أنّكم لم تسجدوا للتمثال الذي أقمته؟ فالآن ستسمعون صوت البوق والنّاي والعود والرّباب والدّف والمزمار، وحالما تسمعونه تسجدون للتمثال الذي صنعته. وإذا رفضتم أن تسجدوا، ففي الحال تموتون في أتون النّار، وما من إلّه يقدر أن ينقذكم.» فأجابه الثلاثة معاً: «إلّهنا الذي نعبده قادر على إنقاذنا من أتون النّار. وحتى



إذا لم ينقذنا لن نعبد آلهتك، ولن نسجد للتمثال الذي أقمته أنت.»

وامتلأ نبوخذنصّر غضباً بعدما سمع هذا الجواب، وتغيّر لون وجهه وأمر رجاله أن يُحمّوا أتون النّار سبعة أضعاف أكثر من العادة ويلقوهم فيه. وهكذا فعلوا. ثمّ قيّدوهم وبينما هم يلقونهم في النّار احترق الرّجال الذين حملوهم. وبعد ذلك، تطلّع الملك إلى النّار، فرأى فيها أربعة رجال، فتحيّر الملك وقام إلى وزرائه بسرعة وسألهم: «أما ألقينا ثلاثة رجال مقيّدين في النّار؟» فأجابوا: «نعم، أيّها الملك.» فقال: «لكنّي أرى أربعة رجال بلا قيود يتمشّون في وسط النّار، وما بهم أي ضرر، وهيئة الرّابع مثل هيئة ٱبن الآلهه.»

فٱقترب الملك من أتون النّار وناداهم وطلب منهم أن يخرجوا. فخرجوا من وسط النّار دون أن يظهر عليهم أيّ أثر للنّار، ولا أي رائحة لها في ثيابهم. فٱجتمع الولاة والحكّام والعظماء والأمراء، فرأوا أن قوّة النّار لم تؤثّر في أجساد هؤلاء الرّجال، فلم تحترق شعرة واحدة من رؤوسهم. ولمّا رأى الجميع ما حدث، قال نبوخذنصّر: «تبارك إلّه هؤلاء الرّجال الذي أرسل ملاكه وأنقذهم. توكّلوا عليه وفضّلوا أن يسلّموا أجسادهم للنّار، ولا أن يسجدوا لإلّه غير إلّههم. والآن، سأقتل كلّ واحد يسيء إلى إلّه هؤلاء الرّجال الثلاثة، فما من إلّه آخر يقدر أن يخلّص أحداً كما خلّصهم.»

٢٠٨
جنون نبوخذنصّر
دانيال ٤

ومرّةً ثانيةً رأى نبوخذنصّر حلماً. فدعا إليه الحكماء الذين عنده وطلب منهم تفسير الحلم، فلم يتمكّنوا من ذلك. ثمّ أرسل وراء دانيال، ولمّا حضر دانيال، قال له الملك: «أعرف أنّ روح الآلهة فيك، ولا يصعب عليك سرّ، والآن فسّر لي هذا الحلم الذي رأيته: بينما أنا نائم في فراشي رأيت شجرة عالية جدّاً في وسط الأرض. فنمت الشجرة وقويت وٱرتفعت إلى السماء، وٱمتدّت إلى أبعاد الأرض، فصارت أوراقها بهيّةً جميلةً وصار ثمرها كثيراً، وفيها غذاء للجميع، في ظلّها تستريح الوحوش، وفي أغصانها تسكن الطيور، ومنها يأكل البشر كلّهم.»

«وبينما كنت أرى هذا الحلم وأنا في فراشي، نزل ملاك مقدّس من السّماء، وهتف بصوتٍ عالٍ: اقطعوا الشجرة وقصّوا أغصانها، بعثروا أوراقها وثمارها، ودعوا الوحوش تهرب من تحتها والطيور من أغصانها. ولكن ٱتركوا ساقها في الأرض، فَتُحَوَّل هذه السّاق إلى إنسان يعيش مع الوحوش، يأكل عشب الأرض ويتبلّل بندى السّماء مدّة سبع سنين.»

وتابع الملك يقول: «هذا هو الحلم الذي رأيته، دعوت حكماء مملكتي لتفسيره، فلم يقدروا على ذلك. أمّا أنت فتقدر على ذلك، لأنّ فيك روح الآلهة القدّيسين.» وبعدما ٱطّلع دانيال على حلم الملك، خاف كثيراً، وبدا عليه القلق. وهنا قال له الملك: «لا تخفْ، يا دانيال. لا تخف من الحلم ولا من تفسيره لي.» فتجرّأ دانيال وقال له: «الشجرة التي رأيتها، هي أنت أيّها الملك، فأنت نَمَوْتَ وقويت وزادت عظمتك، فوصلت إلى السّماء، وبلغ سلطانك وسلطتك إلى أبعاد الأرض. أمّا ما قاله الملاك، فتفسيره أنّ الناس سيطردونك من بينهم، فتعيش مع وحوش

البرّيّة ، تأكل العشب كالثيران وتتبلّل من ندى السّماء .

وتبقى في هذه الحالة سبع سنين إلى أن تعرف أن الله يحكم ممالك البشر ويعطيها لمن هو يريد . أمّا أمرُ الملاك أن تُبقي ساق الشجرة ، فتفسيره أنّ مملكتك تبقى لك إذا خضعت لربّ السماوات . فيطول هناؤك على هذه الأرض . ونصيحتي لك ، أيّها الملك ، هي أن تترك خطاياك وتساعد الفقراء والمساكين فربّما يطول مُلكُك .»

وانقضت سنة بعدما فسّر دانيال هذا الحلم للملك نبوخذنصّر . وفي أحد الأيّام كان الملك يتمشّى على شرفة قصره ، فتطلّع إلى مملكة بابل وقال في نفسه : «هذه بابل العظيمة التي بنيتها بقدرتي وعزّتي وجلالي وبهائي .» وفيما كان يقول هذا الكلام في نفسه ، سمع صوتاً من السماء يقول : «حكمُكَ انتهى . سيطردك الناس من بينهم ، فتعيش مع وحوش البرّيّة ، وتأكل العشب كالثيران وتتبلّل من ندى السّماء . وتبقى في هذه الحالة من الجنون إلى أن تعرف أن الله يحكم ممالك البشر ويعطيها لمن هو يريد .» وفي الحال طرده الناس من بينهم إلى البرّيّة ، فأكل العشب ، وتبلّل من ندى السماء ، حتى طال شعره كريش النسور ، وأظافره كأظافر الطيور الكبيرة .

وتشرّد الملك في البرّيّة مدّة سبع سنوات في حالة جنونيّة . وبعد انقضاء هذه المدّة ، عرف نبوخذنصّر أن سلطان الله أبديّ لا ينتهي ، وأنّه أعظم بكثير من جميع سكّان الأرض ، وهو يفعل كلّ ما يريد ، ولا أحد يعارضه . ولمّا عرف نبوخذنصّر هذه الحقيقة ، رفع عينيه إلى السّماء ، وبارك الله ، فعاد إليه عقله ، وعاد إليه مجده وملكه ، وازدادت عظمته .



٢٠٩
اليد الخفيّة
دانيال ٥

وبعد وفاة نبوخذنصّر، جاء آبنه بيلشاصّر إلى الحكم . وفي أحد الأيّام أقام الملك بيلشاصّر حفلة عظيمة لمساعديه الكبار، فأكلوا وشربوا الخمر حتى سكروا. وبينما كان بيلشاصّر يشرب الخمر أمر خدّامه أن يجلبوا له أوعية الذّهب والفضّة التي أخرجها أبوه نبوخذنصّر من الهيكل في أورشليم، فيشرب بها هو ومساعدوه ونساؤه وخادماته. ولمّا أحضروا له أوعية الذّهب المأخوذة من الهيكل، شربوا بها جميعهم، شربوا الخمر وسبّحوا وعبدوا آلهتهم المصنوعة من الذهب والفضّة والنحاس والحديد والخشب والحجر.

وفيما هم يشربون الخمرة ويسكرون ظهرت أصابع يد إنسانٍ كتبت كلمات غريبة على حائط القصر. فرفع الملك رأسه، ورأى اليد التي تكتب على الحائط دون أن يفهم كلمة واحدة منها. فتغيّرت هيأته، وقلقت أفكاره، وآرتجفت ركبتاه من الخوف، وفي الحال طلب إليه المنجّمين والعرّافين والحكماء الذين عنده حتى يشرحوا له معنى الكتابة على الحائط. ولمّا حضروا أمامه، قال لهم: «كلّ من يقدر أن يقرأ هذه الكتابة ويفسّرها أعطيه ثوباً من الأرجوان وسلسلة من ذهب وأمنحه مركزاً عالياً في المملكة.»

وحاول هؤلاء الحكماء قراءة الكتابة على الحائط وتفسيرها، فلم يقدروا، فآشتدّ قلق الملك وخوفه، وتغيّرت هيأته، وتحيّر مساعدوه الكبار ماذا يفعلون. وهنا سمعت الملكة بما جرى. فدخلت قاعة الحفلة وتقدّمت إلى الملك وقالت له: «لا تخف أيّها الملك، ولا تقلق. في مملكتك رَجُل فيه روح الآلهة، جعله أبوك نبوخذنصّر رئيس جميع الحكماء لأنّه وجد فيه قدرة على تفسير الأحلام، ويدعى هذا الرّجل دانيال. فأرسلْ وراءه حتى يفسّر لك هذه الكتابة.»



٢١٠
في الميزان
دانيال ٥

وفي الحال، أرسل الملك بيلشاصر وراء دانيال. ولمّا حضر دانيال، قال له الملك: «سمعت أنَّ فيك روح الآلهة، وأنَّ فيك العقل والحكمة والنّور. وسمعت عنك أنّك قادر على تفسير الأحلام وحلّ الألغاز. والآن، إذا قدرتَ أن تقرأ الكتابة على الحائط وتفسّر معناها لي، أعطيك ثوباً من الأرجوان، وسلسلة من ذهب تضعها حول عنقك، وأمنحك مركزاً عالياً في المملكة.» فأجابه دانيال: «خلِّ عطاياك معك، وآمنحها لغيري. أمّا الكتابة، فأقرأها وأفسّرها لك أيُّها الملك، منح الله أباك نبوخذنصّر كلَّ عظمة، وجعل الشعوب تخافه وتفزع منه. لكنّه تكبّر وقسا، فأنزله الله عن عرشه وطرده وصار عقله مثل عقل الحيوان، وأنت رأيت هذا بعينيك، فلم تتعلَّم شيئاً منه، بلْ تكبّرت على ربّ السّماء وأحضرت أوعية هيكله وشربت بها خمراً، أنت ونساؤك ومساعدوك، وسبّحت آلهة من الفضّة والذهب والنحاس والحديد والخشب والحجر. لذلك أرسل الله تلك اليد التي رسمت هذه الكتابة. وهذه الكتابة تتألّف من ثلاث كلمات: الكلمة الأولى منا وتعني، أنّ أيّام ملكك آنتهت. والكلمة الثانية تقيل وتعني أنّ الله وَزَنَكَ في ميزانه فوجدك ناقصاً جدّاً. أمّا الكلمة الثالثة فرسين فتعني أنّ مملكتك ستكون من نصيب الفُرس.»

وبعدما آنتهى دانيال من تفسير الكتابة على الحائط، أمر الملك أن يُلبسوه ثوباً من الأرجوان، ويضعوا حول عنقه سلسلة من ذهب، ويعلنوا ترفيعه إلى مركز أعلى في المملكة. وفي تلك اللّيلة بالذّات قُتل الملك بيلشاصر، وبعد ذلك استولى داريوس، ملك الفرس، على مملكته.

٢١١
خطة ضد دانيال
دانيال ٦

وفي تلك الأيّام كان داريوس ملكاً على الفرس. فعيّن مئة وعشرين مديراً يديرون شؤون المملكة وأمورها، وعيّن على هؤلاء المديرين ثلاثة وزراء حتى يراقبوهم ويجنّبوا الملك أيَّ ضرر. ومن هؤلاء الوزراء الثلاثة كان دانيال. وتفوّق دانيال على الوزراء والمديرين حتى أنَّ الملك قرّر أن يجعله حاكماً على كلِّ المملكة. وهنا دبّ الحسد في الوزراء والمديرين، فأخذوا يبحثون عن علّةٍ أو نقصٍ في إدارة دانيال للمملكة، فلم يقدروا أن يجدوا شيئاً ضدّه، لأنّه كان أميناً جدّاً. فآجتمعوا وقالوا: «لا علّة ولا نقص في إدارته لأمور المملكة. لكنْ، ربّما قدرنا أن نجد علّة أو نقصاً في شريعة الإلّه الذي يعبده.»

فآجتمعوا عند الملك وقالوا له: «أيّها الملك داريوس، تَشاوَرَ وزراء المملكة والحكّام والأمراء والرؤساء، وآتّفقوا على أن تُصدر أمراً لمدّة شهر بأنَّ كلَّ من له طلب في المملكة يجب أن يطلبه منك وحدك، لا من أيّ إلّه ولا من أيّ إنسان آخر. وكلُّ واحد لا يعمل بهذا الأمر يُلقى في جب الأسود». فأصدر الملك داريوس هذا الأمر بطريقة رسميّة حتى لا يتغيّر أبداً، وهذا حسب شريعة مملكة فارس.

٢١٢

دانيال يستمر في صلواته

دانيال ٦

وعلم دانيال بالأمر الذي أصدره الملك داريوس، فلم يَخَفْ، بلْ كان يدخل بيته، ويفتح النوافذ، ويصلّي كعادته كلَّ يوم. ومرَّة آجتمع أولئك الرّجال الذين يحسدونه وجاؤوا إليه، فوجدوه يصلّي ويطلب من إلّهه ما يريد. عند ذلك، قَدِموا إلى الملك وذكّروه بالأمر الذي أصدره وقالوا له: «أنت أصدرت أمراً بأنّ كلَّ من له طلب يجب أن يطلبه منك وحدك، لا من إلّه أو أي إنسانٍ آخر. وكلُّ واحد لا يتقيَّد بهذا الأمر يُلقى في جبّ الأسود. لكنّ، دانيال لا يهتم بك ولا بالأمر الذي أصدرته، فهو يصلّي ثلاث مرّات في اليوم إلى إلّهه ويطلب منه ما يريد.»

فلمّا سمع الملك هذا الكلام حزن جدّاً، واهتمّ بأن ينقذ دانيال، فأجّل تنفيذ الأمر حتى غروب الشمس. وفي هذه الأثناء، جاءه أولئك الرّجال وقالوا له: «اعلمْ أيّها الملك، أنّ شريعة مملكة فارس تقضي أن كلَّ أمر يصدره الملك لا يتغيّر أبداً.» وهنا أمر الملك بتنفيذ الأمر. فجاؤوا بدانيال وألقوه في جبّ الأسود. ولكن قبل أن يلقوه في الجب، قال له داريوس الملك: «إلّهك الذي أنت تعبده، هو يخلّصك من الأسود.»





٢١٣
عند الصّباح
دانيال ٦

وعاد الملك داريوس إلى قصره وهو شديد الحزن. فرفض أن يأكل، ولم يتمكّن من النوم. وعند الصبح بكّر الملك وأسرع إلى جبّ الأسود. ولمّا اقترب من الجبّ نادى دانيال بصوت مرتجف وقال: «يا دانيال عبد الله الحيّ، آمل أنَّ الإلّه الذي تعبده أنقذك من الأسود.» فأجابه دانيال: «أيّها الملك، أرسل إلّهي ملاكه، فسدّ أفواه الأسود، فلم تضرّني لأنّي بريء، كذلك أنا بريء أمامك أيّها الملك.» وعندما سمع الملك صوت دانيال وعرف أنّه ما زال حيّاً، فرح كثيراً وأمر بإخراجه من الجبّ، فخرج دانيال سالماً لأنّه آمن بإلّهه.

وبعدما خرج دانيال من الجبّ سالماً قبض الملك على أولئك الرّجال الّذين تآمروا على دانيال وألقاهم في جب الأسود، هم وأبناؤهم ونساؤهم. وما أن وصلوا إلى أرض الجبّ حتى هجمت عليهم الأسود وسحقت جميع عظامهم.



رسالة حزقيال

٢١٤
دواليب وأجنحة
حزقيال ١ - ٢

عندما احتلَّ نبوخذنصّر مدينة أورشليم أخذ سكّانها وسباهم إلى أرض بابل، ومن بين الذين سباهم نبوخذنصّر كان رَجُل آسمه حِزْقِيال.

وفي أحد الأيّام تطلّع حِزْقِيال إلى السماء، فرأى عاصفة آتية من الشّمال، برقاً يلمع في سحابة عظيمة حولها نور، وكان في البرق شيء مثل النحاس. وفيما هو يتطلّع، رأى شيئاً كأنّه أربعة كائنات حيّة تشبه البشر، ولكلٍّ واحد منها أربعة وجوه: وجه إنسان، ووجه أسد، ووجه ثور ووجه نسر.

وفي وسط هذه الكائنات رأى حِزْقِيال شيئاً يشبه الجمر أو المشاعل، وكانت هذه المخلوقات تروح وتجيء بسرعة البرق. وكان على رؤوس هذه المخلوقات قبّة تلمع كالبلّور، وتحت القبّة كانت لها أجنحة مستقيمة، صوتها كصوت مياه غزيرة. أمّا فوق القبّة فرأى حِزْقِيال شيئاً يشبه العرش وعليه هيئة مثل هيئة الإنسان ومن هذه الهيئة كانت النار تتصاعد، وحول النار كان البريق مثل قوس قزح في يوم ممطر.

ولمّا شاهد حِزْقِيال كلَّ هذا، عرف أنّه في حضرة الله، فسجد وسمع صوتاً خاطبه: «يا آبن البشر، سأرسلك إلى بني إسرائيل، إلى هذا الشعب الذي تمرّد عليّ ولم يطعني، لا هو ولا آباؤه. لا تخف منهم ولا من وجوههم المرعبة، كلّمهم بكلامي، أنَّ سمعوا إليك أو لم يسمعوا. فيعلمون على الأقل ان نبيّاً بينهم.»



٢١٥
مواعظ هادئة
حزقيال ٣ - ٥

ونادى الرّبّ حِزْقِيال وقال له : «خذْ لوحة من طين وآرسم عليها مدينة أورشليم . ثمَّ آرسم حولها حصاراً وآرفع متراساً وبرجاً ، وآجمع من كلّ جهّاتها جيشاً عظيماً ، وبعد ذلك آرسم بينك وبين المدينة سوراً . وعندما تنتهي من هذا كلّه ، يرى سكّان أورشليم ما رسمت على اللّوحة ويعرفون ما سيصيب مدينتهم .»

وتابع الرّبّ يقول لِحِزْقِيال : «خذ حنطةً وشعيراً وفولاً وعدساً وذُرةً وكرسنة وضعها كلّها في وعاء واحد وآصنع منها خبزاً ، وكلْ قليلاً من الطّعام وآشرب قليلاً من الماء كلَّ يوم ، فيعرف سكّان أورشليم ما يصيبهم من الجوع . فأنا سأقطع الخبز عنهم ، فيأكلونه لقمة لقمة ، ويشربون الماء نقطة نقطة فيصيرون بحاجة إلى الخبز والماء ، وينظر بعضهم إلى بعض وهم في حالة اليأس الشديد بسبب خطاياهم .»

وبعد هذا الكلام تابع الرّبّ يقول لحزْقِيال : «خذ سيفاً واحلق شعرَ رأسك ولحيتك . ثمَّ خذ ميزاناً تزن به الشعر المحلوق وتقسمه إلى ثلاثة أقسام : تحرق بالنّار قسماً منه ، وتضرب بالسّيف القسم الآخر ، وتذرّي في الرّيح القسم الثالث .»

وشرح الرّبّ لِحِزْقِيال معنى كلامه هذا ، فقال : «بما أنّ سكّان أورشليم نجّسوا هيكلي بأعمالهم الكريهة ، فأنا أضربهم ولا أشفق عليهم . فقسم منهم يموتون بالمرض والجوع ، وقسم يموتون بالسيف وقسم آخر أبعثرهم في جميع الأمم ، فيعرفون أنّي أنا هو الرّبّ .»

٢١٦

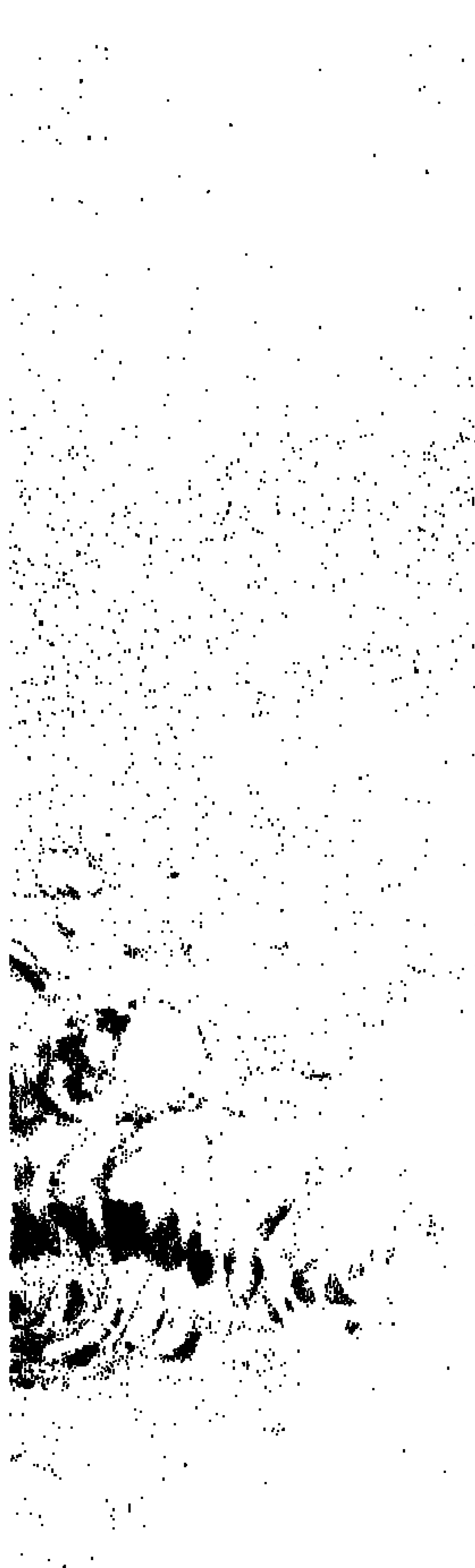
عظام يابسة تعود إلى الحياة

حزقيال ٣٧

وفي أحد الأيّام ، رأى حِزْقِيال هذه الرؤيا ، فقال أنّ روح الرّبّ حمله ووضعه في وادٍ ممتلىء بالعظام ، وكانت هذه العظام كثيرة ويابسة . فسأله روح الرّبّ : «هل يمكن لهذه العظام أن تعود إلى الحياة ؟» فأجابه حِزْقِيال : «أنا لا أعرف ، أيّها السيّد . أنتَ وحدك تعرف .» فقال له : «خاطب هذه العظام اليابسة وقلْ لها ، إنّ الرّبّ سيُدخل فيك روحاً ويعيدك إلى الحياة . سيجعل عليك أعصاباً ولحماً وجلداً وينفخ فيك روحاً ، فتعودين إلى الحياة وتعلمين أنّه هو الرّبّ .»

فقال حِزْقِيال : «وفعلتُ كما أمرني الرّبّ . بينما كنت أخاطبها سمعت خشخشة ، فإذا العظام تقترب من بعضها البعض ، كلٌّ عظمة تلتصق بعظمة أخرى ، ثمّ رأيت العصب عليها واللّحم يغطّيها والجلد يتمدّد فوقها ، لكنّها ظلّت بلا روح . وهنا خاطبني الرّبّ : «قلْ للروح أن يأتي من الرّياح الأربع ويهب على هؤلاء القتلى فيعودون إلى الحياة .» فعملت كما أمرني الرّبّ ، فدخل الروح في هؤلاء الموتى ، فعاشوا وقاموا على أرجُلِهم وصاروا جيشاً عظيماً .

وبعدما رأيت كلّ هذا في الرؤيا ، قال الرّبّ لي ، إنّ هذه العظام هي شعب إسرائيل ، هم يشعرون أن عظامهم يبست وآمالهم ماتت ، فاْذهبْ إليهم وقلْ لهم : «هكذا يقول السّيّد الرّبّ : سأفتح قبوركم وأقيمكم منها يا شعبي وأعيدكم إلى أرض إسرائيل .»



شعب الله يعودون

٢١٧

طريق العودة الطويلة

عزرا ١ - ٣

وفي تلك الأيّام، حكم بلاد الفرس رَجُل آسمه كورش. فأيقظ الله شعوره وحنّن قلبه، وجعله يصدر أمراً إلى شعب إسرائيل، يقول فيه: «أعطاني الرّبّ، إله السّماوات، جميع ممالك الأرض وطلب منّي أن أبني له هيكلاً في أورشليم. فمن أراد منكم، يا بني إسرائيل، أن يذهب إلى أورشليم فليذهبْ ويبني فيها هيكل الرّبّ. وكلٌّ واحدٍ يرغب في العودة إليها ولا يقدر بسبب فقره، فنحن نساعده بالفضّة والذّهب والمال والمواشي، فيتمكّن من العودة.»

وبعدما صدر هذا القرار من كورش الملك، استعدّ عدد كبير من رؤساء بني إسرائيل للذّهاب إلى أورشليم حتى يبنوا هيكل الرّبّ. وساعدهم كثير من الفرس، فأعطوهم فضّة وذهباً ومالاً ومواشي وأشياء ثمينة، كما أن الملك كورش نفسه ردّ لهم أوعية الهيكل التي حملها نبوخذنصّر من أورشليم ووضعها في معبد آلهته.





٢١٨

بداية البناء

عزرا ٢-٣

وبعد ذلك، خرج عدد كبير من شعب إسرائيل المسبيّين في أرض بابل، ورجعوا إلى أورشليم وأرض يهوذا. ولمّا وصلوا إلى أرضهم، وإلى هيكل الرّبّ في أورشليم وجدوه خراباً فقدّم عدد من رؤساء القبائل والعشائر مساعدات لإعادة بناء الهيكل في موضعه القديم. فأعطى كلّ واحدٍ منهم مساعدة حسب قدرته. ثمّ استأجروا نحّاتين ونجّارين ودفعوا لهم أجرتهم بالفضّة، كما أنّهم استأجروا عمّالاً من صيدا وصور ليأتوا بخشب الأرز من لبنان عن طريق البحر.

ولمّا تأسّس الهيكل نفخ الكهنة في الأبواق، ودقّ خدّام الهيكل بالصّنوج، وهلّلوا للرّبّ وشكروه.

وهتف جميع الشعب هتافاً عظيماً مبتهجين وفرحين بتأسيس هيكل الرّبّ. لكنْ في الوقت ذاته بكى من الفرح عدد من الكهنة والشيوخ عندما رأوا بعيونهم هيكل الرّبّ يتأسّس. فآختلط صوت الفرح بصوت البكاء، فلم يقدر أحد أن يفرّق بينهما. وكان الشعب يهتفون هتافاً عظيماً، وكان صوتهم يصل إلى مسافة بعيدة جدّاً.

٢١٩
الهيكل الجديد
عزرا ٥ - ٦

وبينما كان بنو إسرائيل يبنون الهيكل، جاء أعداؤهم إلى زَرُبّابِل ويشوع وباقي رؤساء القبائل وقالوا لهم: «نحن نريد أن نبني الهيكل معكم، لأننّا نعبد إلهكم مثلكم، ونقدّم له الذّبائح من أيّام قدومنا إلى هنا على يد أسرحدّون، ملك أشور.» فأجابهم زَرُبّابِل ويشوع وباقي الرؤساء: «لا علاقة لكم معنا حتى تجيئوا وتبنوا هيكلاً لإلهنا، فنحن وحدنا نبني هذا الهيكل، كما أمرنا كورش، ملك الفرس.»

وبعدما سمع أعداؤهم هذا الكلام، أخذوا يخيفونهم ليتوقّفوا عن البناء. فَرَشَوا بعض رجال السلطة حتى يعيقوا عمليّة البناء طول أيّام حكم الملك كورش، وبقوا على هذه الحال يعيقون البناء حتى تولّى داريوس الحكم على الفرس.

وفي أيّام الملك داريوس، بعث إليه عدد من أعداء بني إسرائيل برسالة جاء فيها: ذهبنا إلى بلاد يهوذا فوجدنا شعب إسرائيل يبنون هيكل الله بحجارة ضخمة، فسألناهم: من أمركم ببناء الهيكل؟ فأجابوا: «نحن، عبيد إله السّماوات والأرض، نعيد بناء الهيكل الذي بناه من سنين كثيرة ملك عظيم لنا. ولكن، بعدما أغضب آباؤنا إله السّماوات والأرض، سلّط الرّبُّ علينا نبوخذنصّر، ملك البابليّين، فهدم الهيكل وسبانا إلى بابل. واليوم، أصدر الملك كورش أمراً برجوعنا إلى أرضنا، وبناء هيكل الله هذا، كما أنّه أعاد لنا كلّ الذّهب والفضّة التي أخذها نبوخذنصّر من الهيكل. والآن، أيّها الملك، نرجو أن تتحقّق من صحّة كلامهم هذا، ثمّ تُعلِمُنا بما يجب أن نفعله.»

وتحقّق الملك داريوس من صحّة كلام رؤساء شعب إسرائيل، فكتب إلى رجاله يقول: «ابتعدوا عن شعب إسرائيل ورؤسائهم، واتركوهم يبنون هيكل الله في مكانه القديم، بلْ آمركم أن تساعدوهم في عمليّة البناء، وأعطوهم جميع النفقات والمصاريف حتى لا يتعطّلوا عن العمل. وكلّ من يخالف هذا الأمر يُصلب على خشبة من خشبات بيته.»

وفي الحال، تمّ تنفيذ رسالة الملك داريوس، فأسرع رجاله إلى العمل بما أمرهم به. فانتهى شيوخ بني إسرائيل من بناء الهيكل بحسب نصائح النبيّ حجّي والنبيّ زكريّا. فاحتفلوا وقدّموا الذّبائح، وعيّدوا بفرح عظيم لأنّ الرّبّ جعل ملك أشور يعطف عليهم ويشجّعهم على بناء هيكل الله.

٢٢٠

نحميا، ساقي الملك

نحميا ١ – ٢

وبقي عدد كبير من شعب إسرائيل في بلاد بابل، رغم السّماح لهم بالرجوع إلى أرضهم. ومن الذين بقوا هناك رَجُل آسمه نَحَمْيا، وكان نَحَمْيا ساقياً للملك، يقدّم له الخمر كلَّ مساء. وفي أحد الأيّام، قَدِمَ إلى نَحَمْيا من أورشليم أخوه حناني. فسأله نَحَمْيا عن الحالة في أورشليم، فأجابه أخوه: «الأهالي هناك في ضيق شديد، والمدينة مهدومة الأسوار والأبواب محروقة بالنار.»



فلمّا سمع نَحَمْيا هذا الكلام، بكى أيّاماً، صامَ وصلّى قائلاً: «أيُّها الرّبّ، إلّه السماوات، آنظر إليّ، وآسمع صلاتي التي أصلّيها نهاراً وليلاً وأعترف أنّنا أخطأنا إليك، أنا وجميع إسرائيل، ولم نعمل بوصاياك التي أمرتَ بها.» وأنهى صلاته طالباً من الرّبّ أن يوفّقه اليوم ويجد رحمة وعطفاً عند الملك.

وفي أحد الأيّام، حمل نَحَمْيا الخمر وقدّمها للملك. فتطلّع إليه الملك طويلاً وسأله: «لماذا وجهك كئيب وحزين؟ لا أرى أنّك مريض، فما هو السبب؟» وعندما سمع نَحَمْيا هذا السؤال، خاف خوفاً شديداً، ثمّ تشجّع وقال للملك: «وجهي كئيب وحزين، لأنّ مدينة أورشليم أصابها الخراب، وآحترقت أبوابها بالنّار، وهي موضع مقابر آبائي.» فعاد الملك وسأله: «ماذا تطلب منّي؟ وكيف أساعدك؟» فصلّى نَحَمْيا إلى إلّه السماء وأجاب الملك، أنّه يرغب في العودة إلى أورشليم ليعيد بناءها. فآستحسن الملك هذا الجواب وسأله: «كم يطول غيابك، ومتى تعود إذا سافرت إلى هناك؟» فحدّد له نَحَمْيا موعداً، ثمّ ترجّاه أن يعطيه رسائل إلى حكّام المقاطعات حتى يسمحوا له بالعبور إلى أورشليم. فأعطاه الملك كلَّ ما كان يحتاجه للسفر.

٢٢١

إعادة بناء الأسوار

نحميا ٢ - ٤

وصل نَحَمْيا إلى أورشليم بعد سفرٍ طويل. فآستراح ثلاثة أيّام. وبعد ذلك، ركب على حماره وخرج في اللّيل مع عدد قليل من الرّجال، وأخذ يستطلع أسوار أورشليم المهدومة وأبوابها المحروقة بالنّار. ثمّ عاد إلى الكهنة والرؤساء وقال لهم: «أنتم تعرفون ما نحن عليه من سوء حال، وتعرفون كيف خربت أورشليم وآحترقت أبوابها بالنّار، فقوموا لنبني سور المدينة.» ثمّ أعلمهم نَحَمْيا بما قال له الملك. ولمّا سمعوا كلامه، ردّوا بصوت واحد: «نقوم ونبني». وشدّدوا أياديهم للعمل الصالح.

ووزّع نَحَمْيا العمل على جماعات الشعب، فبدأت كلُّ جماعة منهم تبني جانباً من سور المدينة. وبينما هم يبنون السّور، كان أعداؤهم يضحكون عليهم ويقولون: «ماذا يعمل هؤلاء اليهود الضعفاء؟ هل يعيدون بناء المدينة؟ هل يعتقدون أنّهم ينهون العمل في يوم واحد؟ كيف يعيدون الحياة إلى الحجارة المحروقة؟» وكان آخرون يسخرون منهم قائلين: «ما هذا السّور؟ لو قفز ثعلب عليه لهدمه.» ولكن، رغم كلّ هذا الهزء وهذه السخرية بهم، آستمّر الشعب ببناء السّور بحماسة شديدة.

ولمّا سمع أعداؤهم أنّ بني إسرائيل أعادوا بناء سور المدينة، غضبوا غضباً شديداً وآتّفقوا جميعهم على أن يحاربوهم ويدبّوا الفوضى في صفوفهم، وقالوا: «نهاجمهم بصورة مفاجئة وندخل إلى وسطهم، فنقاتلهم ونعطّل عملهم.»

وعلم نَحَمْيا بما ينوي أعداؤهم أن يفعلوا. فسلّح الشعب بالسيوف والرّماح والأقواس ووضعهم في المواضع التي لم يتمّ بناؤها بعد، وشجّعهم وقال لهم: «لا تخافوا هؤلاء الأعداء، فآذكروا الرّبّ ودافعوا عن إخوتكم وأبنائكم وبناتكم ونسائكم وبيوتكم.»

وسمع أعداؤهم أنّ شعب إسرائيل علموا بما ينوون أن يفعلوا. فتوقّفوا عن تنفيذ خطّتهم، وعاد بناة السّور إلى عملهم كالمعتاد. ومن ذلك الوقت صار نصف الرّجال يعملون، والنّصف الآخر منهم يحمونهم بالرّماح والتّروس والأقواس والدروع. بعد ذلك، صار كل واحد يبني، وسيفه على جنبه. وهكذا آستمرَّ العمل كلَّ يوم، من طلوع الفجر حتى ظهور النجوم في الليل.

٢٢٢
تعلّم شريعة الله
نحميا ٨

وبعدما أنتهى السّور، تجمّع الشعب في الساحة وطلبوا من عزرا الكاهن أن يُحضِرَ كتاب شريعة موسى التي أعطاها الرّبّ لبني إسرائيل. فأحضر عزرا الكاهن كتاب الشريعة، وصعد منبراً من خشب وقرأ في الكتاب أمام جميع الشعب من الرّجال والنساء والأولاد القادرين على الفهم. وظلَّ عزرا يقرأ من الصبح حتى الظهر، بينما كان اللاويّون، خدّام الهيكل، يفسّرون للشعب ما جاء في الشريعة.

وبدأ الشعب كلّهم يبكون، عندما سمعوا كلام الشريعة، لأنَّهم عرفوا أنَّهم لم يطبّقوها. فقال لهم نَحَمْيا وعزرا والّذين كانوا يفسّرون الشريعة: «هذا يوم مقدّس للرّبّ إلهكم، فلا تنوحوا ولا تبكوا. والآن، آذهبوا وكلوا ما تشتهون من الطعام وآشربوا ما تشتهون من الشراب، واعطوا ممّا عندكم للفقراء. لا تحزنوا، فالفرح الذي يعطيكم الرّبّ إيّاه يجعلكم أقوياء.»



فانصرف جميع الشعب ليأكلوا ويشربوا ويوزّعوا للفقراء ممّا يأكلون ويشربون، وفرحوا فرحاً عظيماً، لأنّهم فهموا الكلام الذي سمعوه وتعلّموه.



حكاية أستير

٢٢٣
اختيار ملكة جديدة
أستير ١ - ٢

لمّا صارَ أحشويرُش ملكاً على بلاد فارس، أقامَ حفلة عظيمة لجميع سكّان العاصمة آمتدّت سبعة أيّام في حديقة القصر. وفي الحديقة كانت ستائر بيضاء وخضراء معلّقة بحبال من الكتّان والأرجوان، وكانت أسرّة من ذهب وفضّة على رخام أبيض. وكان الحاضرون يشربون الخمر بأوعية من ذهب مختلفة الأشكال. كانوا يشربون قدر ما يطلبون، لأن الملك أمر جميع خدم قصره أن يعاملوا كلّ واحدٍ معاملة تسّره.

وفي اليوم السابع من الحفلة، سكر الملك. فطلب من خدّامه أن يحضروا الملكة وشْتي أمام الملك والتّاج على رأسها، ليرى الناس والحاضرون جمالها الرائع. ولمّا علمت الملكة بالأمر، رفضت أن تجيء، فغضب الملك عليها غضباً شديداً، ودعا إليه رجال القانون وسألهم: «ماذا يُفعل بالملكة وشْتي بحسب القانون، فهي رفضت أن تفعل ما أمرتُها به؟» فأجابوا: «إنّ الملكة وشْتي أساءت إلى الملك، وإلى قادة المملكة وشعوبها، لأن ما فعلَتْهُ ستعرفه جميع النساء، وعند ذلك، سيحتقرن أزواجهنّ، فالأحسن هو أن تأتي بملكةٍ خير منها.» فآستحسن الملك هذا الجواب، ونفّذه في الحال.

وبعدما هدأ غضب الملك أحشويروش نصحه مستشاروه أن يطلب حضور كلّ الفتيات الجميلات في المملكة، ويتزوّج الفتاة التي تعجبه ويجعلها ملكة. فآستحسن الملك هذا الرأي، وعمل به. وكان في العاصمة رَجُل يهوديّ آسمه مردخاي، وكان مردخاي في جملة الذين سباهم نبوخذنصّر إلى بابل.

وكان هذا الرَّجُل مسؤولاً عن آبنة عمّه أستير بسبب موت أبيها وأمّها. فلمّا آنتشر أمر الملك، حضرت فتيات كثيرات إلى العاصمة، ومنهنّ أستير. وكانت كلّ فتاة تدخل على الملك أحشويروش في الوقت المعيّن لها. ولمّا جاء وقت أستير، رآها الملك، فأحبّها وفضّلها على جميع الفتيات، فوضع تاج الملك على رأسها وجعلها ملكة مكان وشْتي، وأقامَ بهذه المناسبة حفلة عظيمة، لجميع رجاله وقادة بلاده، وأهدى هدايا كثيرة.

وفي أحد الأيّام، بينما كان مردخاي جالساً عند باب الملك، لاحظ أن خادمين يريدان أن يقتلا الملك. فأسرع إلى أستير وأخبرها بالأمر، فنقلت أستير الخبر إلى الملك، فأمر الملك بالتحقيق والتثبّت من صحّة الخبر. ولمّا وجده صحيحاً شنق الخادمين على خشبة، وسجّل هذه الحادثة في كتاب أخبار الملوك.

٢٢٤
مؤامرة على اليهود
أستير ٣ - ٤

وبعد ذلك، رفع أحشويروش مركز رَجُل آسمه هامان، وجعله أعلى من جميع وزرائه. ثمّ أمر جميع الخدم والعاملين في القصر أن ينحنوا ويسجدوا له. فنفّذ الجميع هذا الأمر، إلّا مردخاي. ولمّا عرف هامان أنّ مردخاي لا

ينحني ولا يسجد له ، آمتلأ غضباً . ولمّا علم أن مردخاي يهودي ، نوى أن يقضي عليه وعلى جميع اليهود الذين في المملكة .

فذهب هامان إلى الملك أحشويروش وقال له : «يوجد شعب منتشر بين الشعوب في مملكتك ، قوانينهم تختلف عن قوانين تلك الشعوب ، وفي الوقت ذاته هم لا يطيعون قوانين الملك . فأنا أرى أن تصدر أمراً للقضاء عليهم . وإذا فعلت هذا ، أعطي عشرة آلاف وزنة من الفضّة لمن يقوم بهذا العمل .» فقال له الملك : «آحتفظ بالفضّة وأنا أسلّطك على الشعب اليهودي ، فتفعل بهم كما تريد .»

فلمّا علم مردخاي بالأمر مزّق ثيابه وألقى على نفسه رماداً بسبب الحزن وخرج إلى وسط المدينة وصرخ صراخاً عظيماً مُرّاً . وكان في كلّ منطقة من مناطق المملكة حزنٌ عظيم عند اليهود ، وكان صوم وبكاء ونحيب . فجاءت خادمات أستير وخدّامها وأخبروها بحالة مردخاي ، فحزنت حزناً شديداً . وأرسلت واحداً من خدّامها إلى مردخاي ليستفهم منه عن الأمر . فأخبره مردخاي بكلّ ما حدث ، وبمقدار الفضّة الذي وعد به هامان الملك إذا سمح له بالقضاء على اليهود . ثمّ طلب منه أن يُطلع أستير على الحقيقة ويوصيها أن تدخل على الملك وترجوه أن ينقذ شعبها .

فجاء الخادم وأخبر أستير بكلام مردخاي . فعادت أستير وطلبت من خادمها أن يذهب إلى مردخاي ويقول له ، إن جميع عبيد الملك وشعوب المملكة يعلمون أنّ أيّ رَجُل أو امرأة يدخل على الملك دون دعوة منه ، يستحق الموت حسب القانون ، وهي لم يدعها الملك للدخول عليه منذ ثلاثين يوماً .»

فلمّا اطّلع مردخاي على جواب أستير ، أرسل إليها يقول : «لا تظنّي أنّكِ ستنجين وباقي اليهود يموتون . ومن يدري ؟ ربّما لوقت كهذا الوقت أوصلك الله إلى الملك ، أوصلك حتى تخلّصي شعبك .»



٢٢٥

هامان المتكبر

أستير ٥، ٦

وفي أحد الأيّام لبست أستير ثيابها الملكيّة ووقفت في القاعة الداخليّة للقصر، حيث كان الملك يجلس على عرشه. فلمّا رآها الملك ورأى جمالها، طلب منها أن تقترب منه. وعندما اقتربت منه سألها: «ما لكِ أيّتها الملكة أستير؟ اطلبي ما تريدين وأنا أعطيك إيّاه، حتى ولو طلبتِ نصف المملكة.» فأجابت أستير: «أقمتُ اليوم مأدبة من الطعام، فتفضّلْ إليها بصحبة هامان.» فقال الملك: «ليكن ما تريدين.» وهكذا جاء الملك وهامان إلى المأدبة التي أقامتها أستير. وفيما كانوا يشربون الخمر قال الملك لأستير: «اطلبي ما تريدين، وأنا أعطيك إيّاه، حتى ولو طلبت نصف المملكة.» فأجابته أستير: «تفضّلْ غداً مع هامان إلى مأدبة أقيمها لكما، وعند ذاك أتقدّم إليك بطلبي.»

وخرج هامان في ذلك اليوم من عند الملكة أستير وهو يفيض بالفرح والانشراح. وفيما هو خارج من عند الملكة التقى بمردخاي الذي لم يَنْحَنِ له ولم يسجد. فامتلأ هامان بالغضب، لكنّه أخفى غضبه ومضى إلى بيته.

وفي بيته استدعى هامان زوجته وجميع الذين يثق بهم وراح يعدّد أمامهم كلّ ما يملك من ثروات ومن أبناء، وكلّ ما منحه إيّاه الملك من عظمة، حتى صارت مرتبته أعلى من مراتب جميع الرؤساء الذين يخدمون الملك. ثمّ تابع يقول: «حتى أستير الملكة لم تدع مع الملك سواي إلى مأدبة الطعام التي أقامتها، وأنا مدعوٌّ غداً مع الملك لحضور مأدبة ثانية. ولكنّ هذا كلّه لا قيمة له عندي ما دام مردخاي في قصر الملك.» وهنا تدخّلت زوجته واقترحت عليه مع المقرّبين منه أن يرفع خشبة غداً ويأمر بشنق مردخاي عليها. فاقتنع هامان بهذه الفكرة، وأمر بتجهيز الخشبة.

وفي تلك اللّيلة أرق الملك ولم يتمكّن من النوم، فأمر أن يأتوا إليه بكتابٍ حول تاريخ المملكة. فعرف الملك من هذا الكتاب أنّ مردخاي اكتشف مؤامرة لاغتيال الملك أحشويروش، وعرف أيضاً أن مردخاي فعل ذلك دون أن يجازيه أحد أو يكافئه على ذلك. وفي هذه اللّحظة كان هامان في القصر. فطلبه الملك إليه وسأله: «ما هي المكافأة التي يستحقّها الرَّجل الذي يحصل على رضى الملك؟» ولمّا سمع هامان هذا السؤال ظنَّ أنّه هو الشخص الذي سيكافئه الملك، فقال: «إن الرَّجل الذي يرغب الملك في تكريمه يجب أن يلبس ثياب الملك، ويركب فرس الملك، وعلى رأسه يضع تاج الملك، ثمّ يقود موكبه واحد من امراء الملك ويطوف به في المدينة وهو يهتف: «هكذا يكون كلّ رَجُل يكافئه الملك ويكرّمه.»

عندئذٍ قال الملك لهامان: «حسناً أسرعْ وخذْ هذه الثياب الملكيّة وفرسي، وافعل كلّ ما اقترحته أنت لمردخاي اليهودي.» ففعل هامان كلّ ما أمره الملك به. وبعدما انتهى من ذلك عاد إلى بيته يجرّ وراءه الذلّ والعار. ولمّا رأته زوجته على تلك الحالة قالت له: «لن تتمكّن من القضاء على مردخاي الذي بدأ يتغلّب عليك. ولا بدَّ أنّه سيقضي عليك.»

٢٢٦
يوم لا يُنسى
أستير ٧ - ٨

وأقامت الملكة أستير وليمة عظيمة ، ودعت إليها الملك أحشويروش ورئيس وزرائه هامان . وعندما دارت كؤوس الخمر سألها الملك : «ماذا تطلبين ، يا أستير؟ كلّ ما تطلبين أعطيه لك ، حتى لو طلبت نصف مملكتي .» فأجابته الملكة : «أعطني حياتي وحياة شعبي . فأنا وشعبي سائرون إلى القتل والهلاك . والرَّجُل الذي يسبّب لنا القتل والهلاك يلحقْ بك ضرراً كبيراً ، أيُّها الملك .» فسألها الملك : «من هو هذا الرَّجُل؟ أين هو؟ كيف يتجرّأ على أن يعمل هذا العمل؟» فأجابته أستير : «ها هو ! إنّه هامان الخبيث ! هو الذي يعادينا ويضطهدنا .»

وعندما سمع هامان هذا الكلام ، بدأ يرتعد من الخوف أمام الملك والملكة . فغضب الملك وقام عن مائدة الشراب ومشى إلى حديقة القصر ، فيما بدأ هامان يترجّى الملكة أن تنقذ حياته من الشّر الذي سينزله به الملك .

ولمّا رجع الملك من حديقة القصر ، وجدَ هامان منطرحاً على كرسيّ الملكة ، فغضب الملك وقال : «هل يتحرّش بالملكة وهي معي ؟» فغطّى أحد الخدام وجه هامان وقال : «هي ذي المشنقة التي عملها هامان لمردخاي موجودة في بيته .» فقال الملك : «اشنقوه عليها .» وعادت أستير وركعت عند قدمي الملك وبكت ورجته أن يلغي كلَّ ما دبّره هامان للقضاء على اليهود . فقال الملك لها : «ها أنا أسلِّمك بيت هامان . أمّا هامان نفسه ، فأنا أطلب أن يشنقوه على الخشبة . أمّا أنت ، فاكتبي الأمر الذي تريدين وأنا أختمه بخاتمي ، فكلُّ أمرٍ أختمه بخاتمي ينفّذ .»



حكاية أيّوب

٢٢٧

مشاكل تصيب أيّوب

أيوب ١ - ٢

في ذلك الزمان، عاش رَجُل آسمه أيّوب. وكان هذا الرَّجل صالحاً، يخاف الله ويحيد عن الشّر. وكان لأيّوب سبعة بنين وثلاث بنات. وكانت مواشيه سبعة آلاف من الغنم، وثلاثة آلاف جمل، وألف ثور، وخمس مئة حمار، وكان عنده خدّام كثيرون. وفي أحد الأيّام، جاءت الملائكة إلى الرّبّ، وبينهم كان الشيطان. فسأله الرّبّ: «من أين جئت؟» فأجابه: «من التجوّل في الأرض والسير فيها.» فقال له الرّبّ: «هل رأيت أيّوب؟ لا أحد مثله، فهو رَجُل صالح، يخاف الله، ويحيد عن الشرّ.» فأجابه الشيطان: «ولماذا لا! فهو يخافك، لأنّك باركت أعماله، فآنتشرت مواشيه الكثيرة في الأرض. ولكنْ، مدَّ يدك على ما عنده وآحرِمْهُ منها، فترى كيف يجدّف عليك ويلعنك.» وهنا قال الرّبّ للشيطان: «ها أنا أسلّطك على كلّ ما يملك. ولكن إيّاك أن تؤذيه هو بالذّات.» ثمّ خرج الشيطان من أمام وجه الرّبّ. وحدث بعد ذلك أنّ رسولاً جاء إلى أيّوب وقال: «كانت البقر تفلح والحمير ترعى بجانبها، فهجم عليها اللصوص وأخذوها وقتلوا الرّعاة بحدّ السيف، ونجوت أنا وحدي، فجئت لأخبرك.»

وفيما الرّسول يتكلّم، جاء رسول آخر إلى أيّوب وقال: «سقطت صواعق من السماء وأحرقت الغنم والرعاة، ونجوت أنا وحدي، فجئت لأخبرك.» وفيما الرّسول يتكلّم، أتى آخر وقال له: «هجمت عصابات على الجمال وأخذوها وقتلوا الرّعاة بحّد السيف، ونجوت أنا وحدي، فجئت لأعلمك.»

وفيما الرّسول يتكلّم، وصل آخر وقال له: «كان بنوك وبناتك يأكلون ويشربون خمراً في بيت أخيهم الأكبر، فهبّت ريح شديدة



وصدمت زوايا البيت، فسقط البيت عليهم فماتوا، ونجوت أنا وحدي، فجئت لأخبرك.»
ولمّا سمع أيّوب بهذه المصائب مزّق ثوبه من الحزن، وحلق شعر رأسه، ووقع على الأرض وسجد وقال:
«عارياً ولدتُ من بطن أمّي
وعارياً أموت.
الرّبّ أعطى، والرّبّ أخذ،
مبارك هو اسم الرّبّ.»
وهكذا بقي أيّوب رَجُلاً صالحاً، لم يخطىء، ولم يَلُم الله في كلّ ما أصابه.
ومرّةً ثانيةً، جاءت الملائكة إلى الرّبّ، وكان الشيطان بينهم. فسأله الرّبّ: «من أين جئت؟» فأجابه: «من التجوّل في الأرض والسّير فيها.» فعاد الرّبّ وسأله: «هل رأيت أيّوب؟ لا أحد مثله في الأرض كلّها، فهو رَجُل صالح، يخاف الله ويحيد عن الشّر، رغم كلّ ما أنزلته به.» فأجابه الشيطان: «ولماذا لا! فهو في صحّته. لكن مدَّ يدك عليه وانزلْ المرض بعظمه ولحمه، فترى كيف أنّه يلعنك في وجهك.» فقال الرّبّ للشيطان: «ها أنا أسلّطك عليه. لكن، حافظ على حياته.»
وخرج الشيطان من أمام وجه الرّبّ، وضرب أيّوب بالجرب من قدمه إلى رأسه. فكان أيّوب يحكّ جسده بقطعة من الفخّار وهو جالس في الرّماد.
ولمّا رأت امرأته ما أصابه غضبت وقالت له: «إلى متى تبقى صالحاً؟ لماذا لا تلعن الله وتموت؟» فقال لها أيّوب: «أنت تتكلّمين كامرأة جاهلة. لماذا نقبل الخير من الله ولا نقبل الشّر؟» ومع هذا كلّه، لم يخطىء أيّوب بكلمة واحدة من شفتيه.

٢٢٨

رَفعُ معنويات أيّوب

أيوب: ٢ - ٣٧

وسمع ثلاثة أصدقاء لأيّوب بكلّ ما أصابه. فَقَدِموا إليه حتى يعزّوه، فلمّا وصلوا ورفعوا أعينهم وتطلّعوا إليه لم يعرفوه بسبب مرضه. فبكوا بصوتٍ عالٍ ومزّق كلٌّ واحد منهم ثيابه، ورشّوا التراب على رؤوسهم، ثمّ جلسوا معه على الأرض سبعة أيّام من غير أن يكلّمه أحد بكلمة، لأنّهم رأوا كم كانت كآبته عظيمة.
وبعد سبعة أيّام من الصمت، فتح أيّوب فمه وبدأ يتشكّى ويقول: «ليت يوم ولادتي ما كان، ليته كان ظلاماً لا يشرق عليه نور، وعليه يخيّم السحاب والغيم.
لماذا لم أمتْ وأنا في الرّحم أو لحظة خروجي من بطن أمّي! كلّ ما أخافه وكلّ ما أفزع منه يصيبني.»
وبعدما انتهى أيّوب من شكواه، جرّب واحد من رفاقه الثلاثة أن يعزّيه، فقال: «لا أحد بريء يهلك ولا رجل صالح يتدمّر. فأنت تقيّ وسيرتك حسنة وهي رجاؤك وأمَلُك.
لو كنت مكانك لدعوتُ الله وإليه سلّمت أمري، فعجائبه لا يفهمها أحد ولا يقدر أحد أن يعدّها.» ثمّ تدخّل رفيق آخر وحاول أن يعزّيه بقوله، إن الله لا ينسى خائفيه:
«الله يجرح، ولكنه يداوي الجرح
الله يضرب، لكنّ يديه تشفيان.
هو يخلّصك من الضّيق فلا يصيبك شرّ.»
ثمّ تكلّم رفيقه الثالث، وأخذ يلومه على موقفه، فقال: «إلى متى تتكلّم هذا الكلام!

فأنت إذا طلبت رحمة الله
وكنت تقيّاً وصالحاً
ففي الحال، يستمع إليك
ويلبّي نواياك الصّادقة.
لو سلّمتَ قلبك إلى الله
ومددت إليه يديك،
لو أنّك لم تفعل الخطايا ولم تفعل الظلم.
لكنت قويّاً، ولا تخاف،
أمّا الأشرار، فعيونهم تتعب،
ولا خلاص لهم أبداً.»

وهنا أنهى أيّوب صمته وقال: «المصيبة نصيب الشّرّير. وأنا! ألم ير الله طرقي؟
فهل مشيتُ يوماً مع الكذبة؟
وهل أسرعَت قدمي إلى الغش؟
هل حرمتُ الفقير بيته؟
هل أكلتُ مالاً للأرملة؟
هل فرِحتُ لهلاك عدوّي أو فرِحتُ إذا ناله سوء؟

ليت الله يسمعني ليته يردّ عليّ فأتقدّم كالأمير إلى لقائه.

وأخيراً صمت رفاقه الثلاثة، فتدخّل رجل رابع وغضب وثار لأن أيّوب اعتبر نفسه صالحاً أمام الله، فقال:

«سمعتك تقول، يا أيّوب: أنا بريء ولم أعمل خطيئة،
وأنا تقيّ، ولا عيب فيّ!
وأنا على حقّ والله يرفض حقّي.
فهذا غير صحيح، يا أيّوب،
وهل من العدلِ، يا أيّوب أن تقول: بريء أنا أكثر من الله؟»

٢٢٩
الله يتكلم مع أيّوب
أيوب ٣٨ - ٤٢

وبعدما انتهى الرّجل الرابع من الكلام، صمت الجميع. ثمّ اكتشف أيّوب أخيراً أنّه كان على خطأ، فقال للرّبّ: «أنت قادر على كلّ شيء فلا يصعب عليك أمر، وعجائبك فوق فهمي. لذلك أتراجع عن كلامي وأندم أمامك.»

ولمّا ندم أيّوب على كلامه، تكلّم معه الرّبّ. ثمّ التفت إلى رفاق أيّوب الثلاثة وقال لهم: «أنا غاضب عليكم، لأنّكم لم تتكلّموا أمامي بالصدق، كما تكلّم أيّوب. فاذهبوا وقدّموا ذبيحة، وهو يصلّي من أجلكم، فأستجيب له.» فذهبوا وفعلوا كما قال الرّبّ لهم.

وصلّى أيّوب من أجل أصحابه. فردّه الرّبّ إلى سابق عزّه، وأعطاه ضعف ما كان عنده من قبل. ورزقه سبعة بنين وثلاث بنات. ولم يكن في الأرض كلّها نساء جميلات مثل بنات أيّوب. وبعد هذا عاش أيّوب مئة وأربعين سنة، ثمّ مات شيخاً، فرأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال.

كتاب المزامير

٢٣٠

تسبيح الله

مزامير ١١٧، ١٠٠، ١٠٣

صاحب كتاب المزامير هو الملك داود. كتبه خلال سنوات عديدة. فيه يعبّر عن أحاسيسه تجاه الله، فيقول: «هلّلوا للرّبّ يا جميع الأمم،
سبّحوه، يا جميع الشعوب،
رحمته علينا عظيمة،
وعدله يدوم إلى الأبد.

إهتفوا للرّبّ، يا جميع الأرض،
أعبدوه بالفرح.
تعالوا إليه ورنّموا
وآعترفوا أنّه هو الله.
هو صنعنا، ونحن له،
نحن شعبه وغنمه.



هيّا ادخلوا أبوابه بالحمد
وبالتّهليل ادخلوا دياره.
احمدوه وباركوا آسمه.
فالرّبّ صالح
وإلى الأبد رحمته
وإلى جيل فجيل أمانته.
باركي الرّبَّ، يا نفسي
ويا أعماقي باركي آسمه القدّوس.

باركي الرّبَّ، يا نفسي.
ولا تنسي جميع حسناته!
يغفر جميع ذنوبي
ويشفي جميع أمراضي.
يخلّصني من الموت،
وبالرحمة يغمرني.

يُشبع جوعي بما هو طيّب
فيعود شبابي قويّاً كالنّسر.
الرّبّ رحوم حنون،
صبور وكثير الرحمة،
لا يخاصمنا على الدّوام،
ولا يحقد إلى الأبد.
لا يعاملنا حسب خطايانا
ولا يعاقبنا كما نستحق.
هو يعرف من أيّ شيء نحن،
ويذكر أنّنا تراب.
باركي الرّبَّ، يا كائناته
في كلِّ مكان سلطانه.
باركي الرّبّ، يا نفسي!»

٢٣١

أناشيد للعزاء والعَون

مزامير ٢٣، ١٢١، ٤٦

الرّبّ راعيَّ، فلا يُعوزني شيء
في مراعٍ خضرٍ يريحني،
وإلى مياهٍ هادئةٍ يقودني.
ينعش نفسي، إلى طرق الحق يقودني
من أجل آسمه.
لو سرتُ في وادي ظلّ الموت
لا أخاف شرّاً، لأنّك أنتَ يا ربّ، معي.
عصاك وعكّازك هما يعزّيانني.
تُهيّيء لي مائدةً، يا ربّ
قدّام أعدائي.
وتَدهن بالطيب رأسي،
وكأسي تفيض.
الخيرُ والرّحمةُ يتبعانني
كلّ أيّام حياتي،
وأسكنُ في بيتِ الرّبّ مدى الأيّام.

أرفع عينيَّ إلى الجبال،
إلى حيث يجيء عَوني.
عَوني يجيء من عند الرّبّ:
خالق السّماء والأرض.
الرّبّ لا يجعل قدمك تعثر
فهو حارسك، لا ينام،
ولا ينعس.
الرّبُّ حارسٌ لك،
الرّبّ ظلٌّ عن يمينك،
فلا تؤذيك شمس النهار،
ولا يؤذيك القمر في الليل.
الرّبُّ يحميك من كلّ شرّ.
الرّبّ يحمي نفسك،
يحميك في ذهابك ومجيئك
من الآن وإلى الأبد.

الله حمايةٌ لنا وقوّة،
وفي الضّيق ينصرنا،
فلا نخاف، وإن آهتزّت الأرض،
والجبال سقطت إلى عمق البحار،
وتدفّقت أمواجها وهاجت،
وآرتجفت من إرتفاعها الجبال.
فالرّبّ القدير معنا.



أمثال

٢٣٢

كلمات حكيمة

كان سليمان آبن داود ملكاً على بني إسرائيل. وكان هذا الملك مشهوراً بحكمته. وتظهر حكمته هذه بالنصائح والأمثال التي يقدّمها. وغاية هذه الأمثال هي أن تعلّمنا الحكمة والرأي الصحيح، وأن تشجّعنا على مشاورة العقلاء وأصحاب الفهم، وأن تكشف لنا العدلَ والحقّ والاستقامة. ومن المواضيع التي تعالجها هذه الأمثال هي المعرفة. في هذا الموضوع يقول الملك سليمان:

رأس المعرفة مخافة الله،
والحمقى يحتقرون الحكمة والفهم.

وفي موضوع السّلوك يقول هذا الملك الحكيم:

إن أغراك الخاطئون، يا آبني
فإيّاك أن تقبل إغراءهم.
لا تسرْ حيثما يسيرون
وآمنع قدميكَ عن سبلهم.
خطواتُهم تسير إلى الشّر
وتسرع إلى إراقة الدّماء.

وفي موضوع الحكمة وأهمّيتها يقول الملك سليمان:

هنيئاً لمن يجد الحكمة
وبها ينال الفهم.
ربْحُها يفوق الفضّة وغلّتها تفوق الذّهب.
هي أغلى من جميع اللآلىء
وكلُّ كنوزك لا تساويها.
في يمينها طولُ الأيّام
وفي يسارها الغنى والمجد.
طرُقها تقود إلى النّعم،
وجميع مسالكها سلام.

وفي موضوع طاعة الأبناء لآبائهم يقول هذا الملك :

آسمعْ ، يا آبني مشورة أبيك
ولا تُهْمِلْ نصيحة أمّك .
إكليلُ نعمةٍ هما لرأسك
وقلائدُ بَرَكةٍ لعنقك .
الابن الحكيم يُفَرِّح أباه ،
والابن الجاهل حسرةٌ لأُمّه .
الابنُ الحكيم يقبل مشورة أبيه
وأمّا السّاخر فلا يسمع التأنيب .
مَنْ يُضيِّق على أبيه ويطرد أمّه
فهو وليد العَيب والعار معاً .
مَنْ لعن أباه أو لعن أمّه
ينطفىء سراجه في قلب الظلام .

وفي موضوع الفقر يقول سليمان :

الفقير السّالك طريق الكمال
خيرٌ من غنيٍّ طريقه مُعْوَجّة .
من يتحنّن على الفقير يُحسن إلى الرّبّ ،
والرّبّ على إحسانه يكافئه .
جشعُ الإنسان عارُهُ
والفقير خيرٌ من الكذّاب .
من سَدَّ أُذنيه عن صراخ الفقير ،
إنْ صرخ هو فلا يُستجاب .
الغنيّ والفقير يتلاقيان ،
فكلاهما صنعهما الرّبّ .
البركةُ لمن يده خيّرة
فيعطي من خبزه للفقير .
لا تقهر الفقير لأنّه فقير
ولا تسحق المسكين في القضاء .
يحكم الملك للفقراء بالحقّ ،
فيثبت عرشه إلى الأبد .

قصة يونان

٢٣٣

هارب من الله

يونان ١

في أحد الأيّام، دعا الرّبّ يونان وقال له: «قُم آذهب إلى مدينة آسمها نينوى العظيمة، وأنذر أهلها وقلْ لهم، أنَّ خطاياهم صارت كثيرة.» لكنّ يونان هرب من وجه الرّبّ، فقام وذهب إلى مدينة آسمها ترشيش بدل أن يذهب إلى نينوى وفي طريقه إلى ترشيش نزل إلى مدينة يافا حيث وجد سفينة مبحرة إلى ترشيش. فدفع أجرة السفر ونزل فيها وذهب مع بحّارتها إلى هناك، بعيداً عن وجه الرّبّ.

وفيما كانت السفينة مبحرة حرّك الرّبّ ريحاً شديدة على البحر، فثارت زوبعة عظيمة كادت أن تحطّم السفينة. فخاف البحّارة، وصرخوا، كلٌّ واحد منهم إلى إلٰهه، ثمّ رموا الأمتعة التي في السفينة إلى البحر ليخفّفوا حمولتها. وفي هذا الوقت كان يونان نائماً نوماً عميقاً في داخل السفينة. فآقترب منه قائد السفينة وسأله: «ما بالك غارقاً في النوم؟ قمْ وصلِّ إلى إلٰهك، لعلّه يعيننا فلا نموت.» ثمّ قال البحّارة بعضهم لبعض: «أصابنا هذا الشرّ بسبب واحدٍ منّا. تعالوا نكتشفه.»



٢٣٤

عاصفة في البحر

يونان ١

فاقترح البحّارة أن يعملوا قرعة، ليعرفوا من هو سبب هذه الزوبعة العظيمة. فوقعت القرعة على يونان. وبعدما وقعت القرعة على يونان، تقدّموا نحوه، وسألوه: «ما عملك؟ ومن أين جئت؟ وما بلادك؟ ومن أي شعب أنت؟» فأجابهم أنّه يهودي، يؤمن بإلّه السّماوات الذي صنع البحر والأرض.»

لمّا سمع البحّارة هذا الجواب وعلموا أنّه هارب من وجه الرّبّ، خافوا خوفاً عظيماً، وقالوا: «لماذا فعلت هذا الأمر الفظيع؟ وماذا نفعل بك حتى يهدأ البحر؟» فأجابهم: «آحملوني وآرموني في البحر، فيهدأ البحر. فأنا أعرف أنّ هذه الزّوبعة العظيمة هبّت عليكم بسببي.»

ولكنَّ البحّارة رفضوا أن يلقوه في البحر، فجذّفوا حتى يصلوا إلى البرّ، فلم يقدروا، لأن البحر كان شديد الموج. فصرخوا إلى الرّبّ وقالوا: «أيّها الرّبّ، لا تهلكنا بسبب هذا الرّجل، ولا تلقِ اللّوم علينا بسبب موته.» ثمّ حملوا يونان ورموه في البحر، وفي الحال هدأ البحر وتوقّف عن هيجانه. ولمّا حدث هذا، خاف البحّارة خوفاً عظيماً من الرّبّ، وقدّموا له الذبائح.



٢٣٥

السمكة الكبيرة

يونان ١ – ٢

وفيما كان يونان يغرق إلى قاع البحر ، بعث له الرّبّ حوتاً فآبتلعه ، وظلّ يونان في بطن الحوت ثلاثة أيّام وثلاث ليالٍ . ومن بطن الحوت ، رفع يونان صلاته إلى الرّبّ ، فقال :

«إليك يا ربّ ، صرخت
فخلّصتني من ضيقي .
رميتني في الأعماق ،
في قلب هذه البحار .
المياه تحيط بي
أمواجك تعبر عليّ
وعشب البحر يغطّي رأسي .
لكنّك ، أيّها الرّبّ إلهي
ستنقذني من هذه الهاوية ،
فمنك ، يا ربُّ ، خلاصي» .

وبعدما آنتهى يونان من صلاته ، أمر الرّبُّ الحوت بإلقاء يونان على الشاطىء . وهكذا كان ، سبح الحوت إلى الشاطىء وألقى يونان عليه .





٢٣٦

الحشرة الصغيرة

يونان ٣ - ٤

ولمّا خرج يونان من بطن الحوت إلى البّر، قال له الرّبّ ثانية: «قم اذهب إلى مدينة نينوى العظيمة وخبّر أهلها بما أقوله لك.»

فقام يونان وذهب إلى نينوى كما أمره الرّبّ. وكانت نينوى مدينة كبيرة، يتطلّب اجتيازها من جانب إلى آخر ثلاثة أيّام. ولمّا وصل يونان إلى المدينة سار فيها وأخذ ينادي ويقول: «بعد أربعين يوماً يدمّر الرّبّ هذه المدينة.» وعندما سمع أهل نينوى هذا الكلام، آمنوا بالله، وصاموا من كبيرهم إلى صغيرهم. وحين رأى الله ما عمله أهل نينوى، وأنّهم رجعوا عن طريقهم الشرّير، تراجع هو أيضاً عن قراره بتدمير المدينة.

وبعد ذلك خرج يونان من المدينة، وجلس في مكان من جهة الشرق. فأنبت الرّبّ له نبتة من اليقطين. فارتفعت النبتة فوق رأسه ورمت عليه ظلّها. ففرح يونان بالنبتة فرحاً عظيماً. لكن، في اليوم التالي، بعث الله دودة ضربت النبتة من جذورها، فيبست. وعندما طلعت الشمس بعث الله بريح شرقيّة حارة، فضربت الشمس على رأس يونان، فغاب عن الوعي، ولمّا صحا يونان تمنّى الموت وقال: «خير لي أن أموت من أن أحيا.» فسأله الله: «هل يحق لك أن تغضب من أجل نبتة اليقطين؟» فأجابه: «نعم، يحق لي أن أغضب إلى درجة الموت.» هنا قال الرّبّ: «أنت أشفقت على نبتة اليقطين، مع العلم أنّك لم تتعب فيها ولا ربّيتها. أفلا يحق لي أنا أن أشفق على نينوى العظيمة التي فيها أكثر من مئة وعشرين ألف نسمة لا يعرفون يمينهم من شمالهم، هذا فضلاً عن بهائم كثيرة؟»

ملاخي

٢٣٧

رسولي قادم

ملاخي

وفي تلك الأيّام ، ظهر نبيّ آسمه ملاخي . فنقل هذا النبيّ كلمة الله إلى كهنة إسرائيل وقال : «أيّها الكهنة ، أنتم تحتقرون آسمي لأنّكم تقدّمون على مذابحي خبزاً نجساً ، فأنتم نجّستم الخبز بقولكم : مائدة الرّبّ مُحتقرة . وأنتم نجّستم الذبائح لأنّكم لا تقدّمون من الماشية إلاّ الأعمى والأعرج والمريض . والآن ، إذا كنتم لا تسمعون ولا تهتمّون أن تمجّدوا آسمي ، أرسل عليكم اللّعنة وأبعدكم عنّي . أنتم حدتم عن الطّريق ، وجعلتم كثيراً من النّاس يشكّون في صحّة شريعتي ، لهذا أجعل الشعب ينبذكم ويرفضكم .»



وبعدما خاطب ملاخي الكهنة ونقل إليهم كلمة الرّبّ، وجّه كلامه إلى الشعب، فقال: «لنا أبٌ واحد وخلقنا إلَه واحد، فلماذا يغدر واحدنا بالآخر؟ غدر بيت يهوذا بالرّبّ، فتزوّجوا بناتٍ تعبد آلهة غريبة. وأغرقتم معبد الرّبّ بالبكاء لأنّه لا يهتم بما تقدّمون له من الذبائح. والرّبّ يفعل هذا، لأنّكم غدرتم بنسائكم وزوجاتكم.»

وبعد ذلك، أخذ ملاخي يتنبّأ على لسان الرّبّ بما سيحدث في الأيّام القادمة، فقال: «ها أنا أرسل نبيّاً يهيّىء الطّريق لمجيئي، ها هو آتٍ. أرسل إليكم واحداً مثل إيليّا النبيّ يعلن مجيء يوم الرّبّ العظيم، ويصالح الآباء مع البنين والبنين مع الآباء.»

العهد الجديد

العهدُ الجديد هو قِصة يسوع وتلاميذه. يخبرنا هذا العهد كيف أتى يسوع إلى عالَمِنا وأقام عهداً جديداً (أي وعداً جديداً) بين الله والإنسان. لكنّ الإنسان خالف الله وسقط في الخطيئة، فآستحقّ الموت. فقدّم يسوع حياته على الصليب ليغفر خطايانا ويخلصنا من الموت. وبموته على الصليب وقيامته حقق كل النبوءات التي جاءت عنه في العهد القديم. وبعد قيامة يسوع من بين الأموات، نشر تلاميذه هذا الخبر المفرح، وعلّموا أن كلّ من يؤمن بيسوع وكلامه ينال غفران الخطايا.

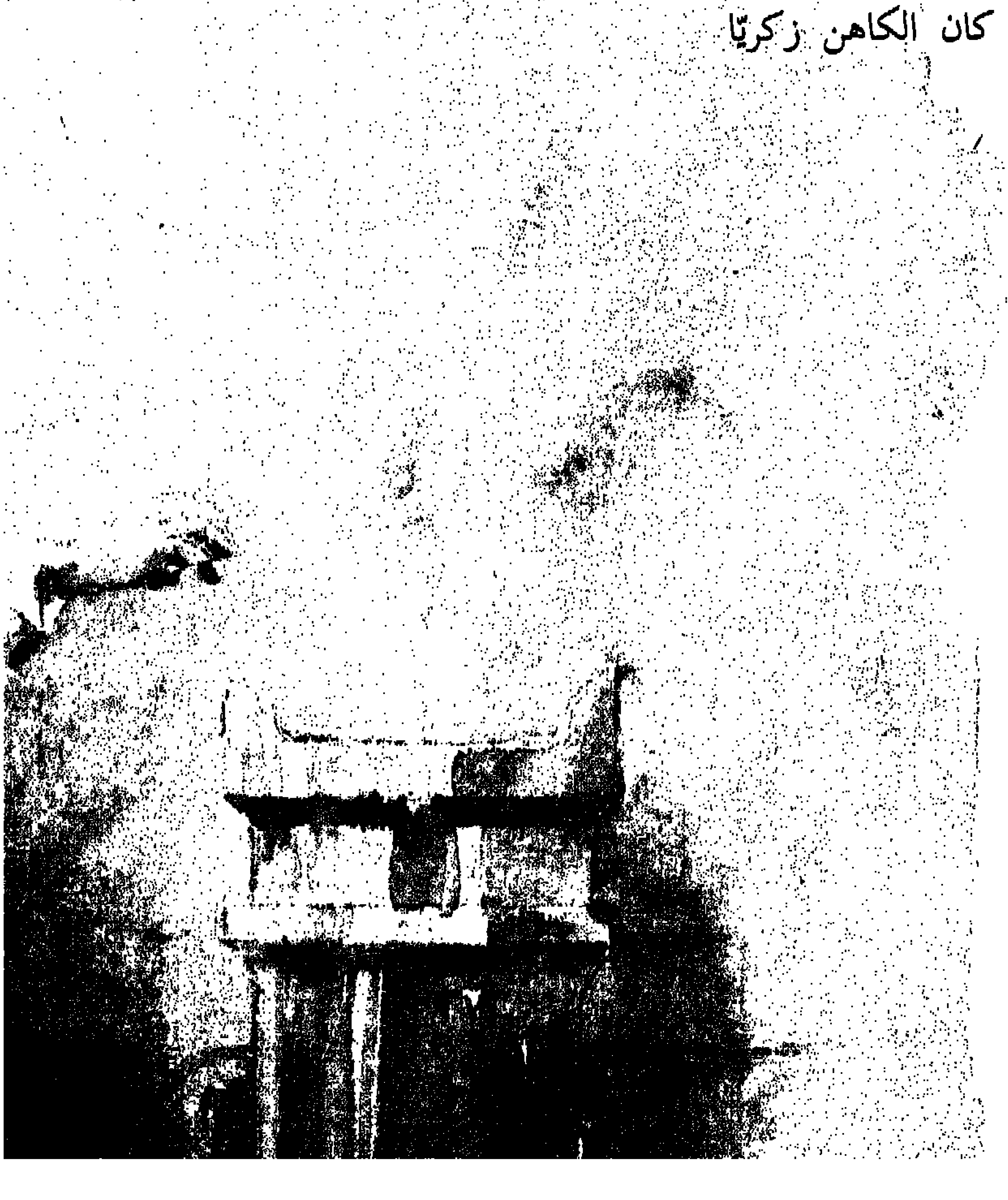
الملك الموعود

٢٣٨

أمل وصلاة

لوقا ١

قالَ النبيّ مَلاخي للشعب اليهودي إنَّ الله سيجيء، وبعد هذا القول، مرَّ الشعبُ اليهودي بصعوبات وتجارب قاسية لمدَّة أربع مئة سنة، فحكمهم الفُرس، ثمَّ اليونانيّون، وأخيراً الرومان. وفي أيّام الحكم الروماني، بدأ بعضُ اليهود ينتظرونَ أن يجيء ملكٌ منهم ليحارب الرومان الغرباء ويخلّصهم من ظُلمِهم، ويبني لهم دولتهم اليهوديَّة. لكن يهود آخرون انتظروا أن يُرسل الله ملكاً لهم لا ليحارب، بل ليحكم بالعدل والحق. ومن الذين تمنّوا هذا الملك، كان الكاهن زكريّا وزوجته أليصابات.



٢٣٩ الوعد بولادة طفل

لوقا ١

في ذلك الزمان، عاش رجل آسمه هيرودس. وكان هيرودس ملكاً على أرض اليهوديَّة. وفي أيّام هذا الملك، عاش كاهنٌ يُدعى زكريّا مع زوجته أليصابات. وكان زكريّا وزوجته أليصابات يحبّان الله، ويُطيعان وصاياه. لكن، لم يكن لهما ولد، وكانا كبيرين في السّن.

وفي تلك الأيّام، كانت العادةُ أن ينتظر كلُّ كاهنٍ دوره للخدمةِ في الهيكل، فلمّا جاء دَورُ زكريّا للخدمةِ، دخلَ الهيكلَ ليحرق فيه البخور، وكانَ النّاسُ يُصلّون في الخارج.



فظهرَ له ملاكُ الرّبّ عن يمين المذبح، وحين رآه زكريّا خاف، فقال له الملاك: «لا تَخَفْ، يا زكريّا، فالله سَيعطيك ما طَلبته في صَلاتك: تَلِدُ لك زوجتكَ آبناً تسميّه يوحنّا. ستفرح أنت به، ويفرح بولادته كثيرٌ من النّاس، لأنّه يكون عظيماً عند الرّبّ، لا يشرب خمراً ولا يسكر، يمتلىء بالرّوح القُدس ويَهدي كثيرين من بَني إسرائيل لمعرفة الله، يَسلكُ حسب إرادةِ الله ويُصالح الآباء مع أبنائهم، ويجعل الأشرار بَشراً صالِحين».

فقال زكريّا للملاك: «وكيف يكون هذا، وأنا شيخٌ وزوجتي عجوز؟» فأجابه الملاك: «أنا هو الملاك جبرائيل، أرسَلني الله لأحملَ إليكَ هذه البشارةَ. لكنّكَ ستُصابُ بالخَرس لأنّك لم تصدِّق كلامي، ولن تتكلّم حتى تتحقّق هذه البشارة.» وتعجَّب الجمعُ في الخارج لأنّ زكريّا بقي مدّةً طويلةً في الهيكل. وحين خرج، لم يقْدِرْ أن يُكلِّم النّاس، ففهموا أنّه رأى رؤيا في الهيكل، لأنّه حكى معهم بالإشارة. ولمّا انتهت أيّامُ خدمتِهِ في الهيكل رَجَعَ إلى بيته، ولم يمض وقتٌ طويل حتى أحسَّت زوجتُهُ أليصابات أنّها ستَلِد طفلاً.

٢٤٠
رحلة إلى التلال
لوقا ١

وكانت لأليصابات قريبة آسمها مريم ، تعيش في مدينة النّاصرة شمالي منطقة الجليل ، وكانت مريم مخطوبة لنجّار آسمه يوسف . ومرّةً ، وهي جالسة في بيتها ، ظهر لها الملاك وقال لها : «السّلامُ لكِ ، يا مريم . أنتِ آختاركِ الرّبُّ وباركك في النّساء .» ولمّا رأته خافت ، وتعجّبتْ مِنْ مَعنى هذا السّلام . فقال لها الملاك : «لا تخافي ، يا مريم ، فالله آختاركِ . ستلدين آبناً تُسمّينه يسوع ، يكون عظيماً ويُدعى آبنَ الله ، ويعطيه الرّبُّ الإلٓهُ مُلْكاً ، ولا يكون لملكهِ نهاية .» فقالت مريم للملاك : «وكيف يكون هذا ، وأنا عذراء غير متزوّجة ؟» فأجابها الملاك : «يصيرُ هذا كُلُّه بفعل من الرّوح القدس .» فقالت مريم : «أنا خادمةُ الرّب ، وهو يفعل بي ما يريد .» ولمّا تركها الملاك قامت مريم وأسرعت إلى بلدةٍ في أرض اليهوديّه ، إلى قريبتها أليصابات وسلمّت عليها . ولمّا سمعت أليصابات سلامَ مريم آمتلأتْ من الرّوح القُدسِ وصرخت بأعلى صوتها : «باركك الله ، وباركَ الطّفل الذي تلدين . لكنْ ، منْ أنا حتى تجيئي إليّ ، أنتِ ، يا والدة ربّي ؟» فأنشدت مريم :

«تُمجّدُ نفسي الرّبَّ
وتبتهج روحي بالله مُخلّصي
لأنّه نظر إليّ ،
أنا خادمتُه المتّضعة !
جميع الأجيال ستهنّئني
لأنّ القدير صنعَ لي عظائم .
قدّوس آسمه
ورحمته من جيل إلى جيل
للذين يخافونه .
أظهر شدّة ساعده
فبدّد المتكبّرين في قلوبهم .
أنزل الجبابرة عن عروشهم
ورفع المتّضعين .
أشبع الجياع من خيراته
وصرف الأغنياء فارغين .
أعان عبده إسرائيل
فتذكّر رحمته ،
كما وعدَ آباءنا ،
لإبراهيم ونسله إلى الأبد .»

وظلّتْ مريم حوالي ثلاثةِ أشهرٍ عند قريبتها أليصابات ، ورجعت بَعدَ ذلك إلى بيتها .

٢٤١

سَمِّه يوحنّا

لوقا ١

وجاء وقتُ أليصابات لتلد، فوَلدتْ آبناً. وسمع جيرانُها وأقاربُها بالخبر، ففرحوا معها، وفي اليوم الثّامن من ولادته تطهَّر الطِّفلُ، وأرادوا أن يسمّوه زكريّا على آسم أبيه. فقالت أمُّه: «لا، نسمّيه يوحنّا.» فقالوا لها: «لا أحد من عائلتكِ يحمل هذا الاسم.»

فسألوا والدَه بالإشارةِ عن الاسم الذي يُريدهُ لابنِهِ. فطلب لَوحاً كَتَبَ عليه: «يوحنّا.» فتعجبوا كلُّهم. وفي الحال آنفَتحَ فَمُ زكريّا، وتحرّك لسانُه، فتكلّم وحمدَ الله، فملأ الخوفُ جميعَ الحاضرين وانتشرت هذه الأخبارُ في بلاد اليهوديّه، وكان كلُّ مَنْ يَسمعُ بها يتأمّلُها مُتسائلاً «ماذا سَيكون من أمْرِ هذا الطّفل؟»

وبدأ الطّفلُ يوحنّا يكبر ويقوى بالرّوح، وعاش في البرِّيَّة سنوات عديدة قبل ظهوره علناً للناس.





٢٤٢ يوسف

متى ١

[كان يوسف نجّاراً في بلدة الناصرة، وكان من سلالة الملك داود ومن سبط يهوذا. فقد كان يهتمّ بنسب عائلته الكبيرة، ولكن اسم راحاب المرأة التي من أريحا ظهر في نَسَبِهِ حين خبّأت الجواسيس في بيتها، ومن بعدها تزوّجت. وراعوث أيضاً جدّة الملك داود، كانت فتاة من بلدة موآب فقد تركت شعبها ورحلت مع حماتها إلى بيت لحم بعد موت زوجها. تظهر هنا محبّة الله وعنايته الفائقة التي وصلت إلى أبعد من شعب بني يعقوب ووصلت محبّته إلى كلّ من وضع ثقته فيه].

كانت مريم مخطوبةً لرَجُلٍ آسمُه يوسف. فعرف أنّها حُبلى. وكان يوسف رَجُلاً صالحاً، فلم يُرِدْ أن يكشف هذا الأمر لأحد. وبينما هو في حَيرةٍ، لا يعرف ماذا يفعل، ظهرَ له ملاكُ الرّبّ في الحلم وقال له: «يا يوسف، لا تَخَفْ أن تأخذ مريم إلى بَيتكَ، فهي حُبلى من الروح القُدُس، سَتَلِدُ آبناً تُسَمّيه يسوع، وهو يُخلّص شعبَهُ من الخطايا.»

فلمّا قام يوسف من النّوم عَمِلَ بما أمَره ملاكُ الرّبّ. فجاء بمريم إلى بَيته، ولكنّه لم يتزوّجها حتى وَلَدتْ آبنَها البكر، فسمّاه يسوع.

٢٤٣

ولادة يسوع المسيح

لوقا ٢



وفي يوم من الأيّام أمَرَ القيصر أوغسطس، إمبراطور روما، بتعدادِ سكّانِ الإمبراطوريّة وقد تمّ هذا الإحصاء الأوّل عندما كان كيرينيوس حاكماً لسوريّة. وطلب من كلِّ واحدٍ أن يذهبَ إلى مكان ولادَته ويُسجّل آسمه هناك.

فصعدَ يوسف من مدينةِ النّاصرة بمنطقة الجليل إلى مدينة داود المدعوّة بيت لحم حتى يسجّل آسمَه مع مريم خطيبته، وكانت مريم على وشك أن تَلد، وبينما هما في بيتَ لحم جاء وقتُ الولادة، فولدتْ آبنها البكر وَلَفَّته بالقِماط، (أي بقماشةٍ كانت معها)، وأنامته في مَعلَف (أيِ في مذود) لطعام البقر، لأنه لم يكن لهما مكان في الفندق.

ولمّا تمّت ثمانية أيّام ليُختتن الطفل، سُمّيَ يسوع، كما كان قد سُمّيَ بلسان الملاك قبل أن يُحبل به في البطن.

٢٤٤

قصة الرعاة

لوقا ٢

وكان في تلك المنطقة رُعاةٌ في البرِّيَّة يحرسون قطيعهم في اللّيل. فظهرَ لهم ملاكُ الرّبّ، وأضاء حولهم، فخافوا كثيراً. فقال لهم ملاكُ الرّبّ: «لا تخافوا! أحملُ إليكم خبراً يُفرّح جميعَ الشّعوب: وُلدَ لكم اليومَ في بيتَ لحم مخلّصٌ هو المسيحُ الرّبّ. وإليكم هذه العلامة: تجدون الطّفلَ ملفوفاً بقماطٍ وموضوعاً في مَعْلفٍ للبقر.»



وبغتةً ظهرَ مع الملاك جندٌ من السَّماء يُمجِّدون الرّبَّ قائلين:
«المجدُ لله في الأعالي
وعلى الأرضِ السّلامُ
وبالنّاس المسرّة.»
ولمّا انصرفت الملائكةُ، قال الرُّعاةُ بعضُهم لبعض: «تعالوا نذهب إلى بيتَ لحم، ونرى المولود الذي أخبَرَنا عنه الرّبّ.» وأسرعوا إلى ذلك المكان، فوجدوا مريم ويوسف، ورأوا الطِّفلَ في المَعْلف. ولمّا رأوا كلَّ هذا، أخذوا ينشرون بين النّاس ما قالته الملائكة لهم عن هذا الطِّفل، وكان يتعجَّب كلُّ مَنْ سمع كلامَهم. لكن مريم حفظتْ كُلَّ هذه الأمور في قلبها وتأمّلتها.



٢٤٥

أين الملك ؟

متى ٢

ولمّا وُلدَ يسوع في بيتَ لحم أيّامَ المِلكِ هيرودس، جاء إلى مدينة أورشليم رجالٌ حكماء من الشرق يُعرَفون بالمجوس، وهم جماعة كانوا يهتمّون بدراسة النجوم. ولمّا وصل هؤلاء المجوس إلى المدينة، سألوا: «أينَ هو مِلكُ اليهود الذي وُلد؟ رأينا نجمَهُ في الشرق، فقادنا إليه وها نحن جئنا لنسجد له.»
وسمعَ الملكُ هيرودس بهذا الخبر، فخاف هو وسكّانُ أورشليم من مجيء هذا الملك، فدعا إليه رؤساءَ الكهنةِ ومعلّمي الشعب، وسألهم عن مكان ولادة المسيح. فأجابوه: «في بيتَ لحم.» ثمَّ دعا هيرودس الحكماء المجوس في السرّ، وأرسلهم إلى بيتَ لحم، وقال لهم: «آذهبوا وفتّشوا جيّداً عن الطفل، وحين تجدونه أخبروني، فأمضي أنا وأسجد له أيضاً.»



٢٤٦

هدايا تليق بملك

متى ٢

وبعد أن تحقَّق الملك هيرودس من المجوس سرّاً عن وقت ظهور النّجم، أمرهم أن يبحثوا عن الطِّفل، ومتى وجدوه يخبروه حتى يأتي ويسجد له أيضاً.

وما أن سمع المجوس هذا الكلام حتى انصرفوا، وبينما هم في الطّريق، ظَهَرَ النَّجمُ الذي رأوه في الشرق فقادهم إلى مكانِ الطِّفلِ، وتوقَّف فوقه. ولمّا توقَّف النّجمُ فَرِحوا كثيراً، لأنّهم عرفوا أنّه المكان الذي يذهبون إليه، فدخلوا المكان، فوجدوا الطِّفلَ مع أمّه مريم، فسجدوا له وقدّموا هدايا غالية الثمن ذهباً (والذهب هديّة تليق بملك)، ثمَّ قدّموا له بخوراً (والبخور هو الرّائحة الذّكيّة التي تُستَخدَم في الهياكل)، ثمَّ قدّموا له المرَّ (والمرّ هو رائحة طيّبة تُستَخدَم عند دفن الموتى).

ثمَّ رجعوا إلى بلادهم في طريق آخر، لأنّ الله طلب منهم في الحلم أنْ لا يعودوا إلى هيرودس. ولمّا اكتشف هيرودس أنَّ المجوس كذبوا عليه، غضب كثيراً، وأمر بقتلِ كلِّ طفلٍ في بيت لحم عمرُهُ أقلّ من سَنَتين حسب الوقت الذي تحقّقه من المجوس.

٢٤٧

الهروب إلى مصر

متى ٢

وبعدما انصرف هؤلاء المجوس الحكماء، ظهرَ ملاكُ الرّبّ ليوسف في الحلم، وقال له: «قُمْ، خُذِ الطفلَ وأمَّه واهربْ إلى مصر، وابقَ فيها حتى أقول لك ما يجب أن تفعل، لأنّ الملك هيرودس يَبْحث عن الطِّفلِ ليقتله.»

فقام يوسف وهرب مع الطِّفلِ وأمِّه إلى مصر حيث عاشوا حتى موت الملك هيرودس. ليتمّ ما قال الرّبّ بلسان النبيّ: «من مصر دعوت ابني.» فلمّا رأى هيرودس أنَّ المجوسَ استهزأوا به، غضب جدّاً وأمر بقتل كلّ طفلٍ في بيت لحم وجوارها، من ابن سنتين وأصغر، حسب الوقت الذي تحقَّقهُ من المجوس، فتمّ ما قال النبيّ إرميا: «صُراخٌ سُمِع في الرّامة، عويلٌ وبكاءٌ ونحيب كثير، راحيل تبكي على أولادها ولا تُريد أن تتعزّى، لأنّهم زالوا عن الوجود.»

ولمّا مات هيرودس ظهرَ ملاكُ الرّبّ ليوسف في الحلم وهو في مصر، وقال له: «قُمْ، خُذ الطفلَ وأمَّه وعُدْ بهما إلى أرضِ إسرائيل، لأنَّ الذي أراد أن يَقتلَه مات.»

فقام يوسف وأخذ الطِّفلَ وأمَّه وعاد إلى أرض إسرائيل. لكنّه خاف حين سَمِعَ أنَّ أرخيلاوس يحكم أرض اليهوديّة مَكانَ أبيه هيرودس. فأخبره الله في الحلم ما يجب أن يعمله، فلجأ يوسف إلى منطقة الجليل، وسكن في مدينة النّاصرة، فتَمَّ كلامُ الأنبياء السّابقين عن يسوع: «يُدعى ناصريّاً.»



يسوع المسيح يكبُر

٢٤٨

الصّبيّ في الهيكل

لوقا ٢

ولمّا صار يسوع في الثانية عشرةَ من عمره، صَعد مع والِديه إلى أورشليم، حسب العادة كُلَّ سنة، للاحتفالِ بعيدِ الفِصح، وفي هذا العيد يشكر اليهود الله لأنّه أخرجهم من مصر وخلّصهم من العذاب الذي أصابهم فيها. وبعد نهايةِ العيد بدأ الناس يعودون، بينما بَقِيَ يسوع في أورشليم ويوسف وأمّه لا يعلمانِ بالأمر، وكانا يعتقدان أنّهُ بين العائدين، ولكن بعدَما اكتشفا أنّه لم يكن بين العائدين، أخذا يفتّشان عنه عند الأقارب والمعارف فلم يجداهُ. فرجعا إلى أورشليم يبحثان عنه، وبعد ثلاثةِ أيّامٍ من البحث وجداهُ في الهيكل جالساً مع معلّمي الشّريعة يستمع إليهم ويجادلهم. وكلُّ الذين سَمِعوه، كانوا يتعجّبون من فَهْمه وأجْوبته. ولمّا رأته أمّه ويوسف تعجّبا، فقالت له أمّه: «يا بُنَيّ، لماذا عملت معنا هكذا؟ تعذّبنا كثيراً ونحنُ نبحثُ عنك.» فأجابها يسوع: «ولماذا تبحثان عنّي؟ أما تعرفان أنّه يجب أن أكون في بيت أبي؟» ولكن لم يفهما معنى كلامه هذا. وأخيراً رجع يسوع معهما إلى النّاصرة، وحفظت أمّه هذا كلّه في قلبها.

يوحنّا المعمدان

٢٤٩

بَرهِنوا أنكم نادمون

متى ٣

وفي تلك الأيّام خرجَ يوحنّا المعمدان إلى البرّيّة وبدأ يُبشِّر النّاسَ ويطلب منهم أن يتأسّفوا للخطايا التي عملوها ويتوبوا عنها، فلا يُعيدوها. ويوحنّا هو الذي تكلّم عنه النبيّ إشعياء في العهد القديم: «صوت صارخ في البرِّيّة: هيِّئوا طريق الرّبّ واجعلوا سُبُلَه مستقيمة.»

وكان يوحنّا يلبس ثوباً من شَعْر الجِمال، يَلفُّ وسطه بحزامٍ من جلْدٍ ويعيش على الجراد والعسل البَرّيّ. وكان النّاس يأتون إليه من المناطق القريبة ليعمّدهم بالماء ويعترفوا بخطاياهم. ورأى يوحنّا أنّ كثيرين من الفرّيسيّين والصّدوقيّين المعروفين بالخبث يجيئون إليه ليتعمّدوا بالماء، وقال لهم: «أيّها الخُبَثاء كالحيّات، بَرهِنوا على تَوبتكم وندمِكم بأفعالكم.» وتابع يقول: «أنا أعمّدكم بالماء، أمّا الذي يأتي بَعدي، فهو أعظمُ منّي بكثير، وما أنا أهل لأن أحمِل حذاءه. لأنه سيعمّدكم بالروحِ القُدُس.»



٢٥٠

يسوع المسيح يتعمّد

متى

وفي تلك الأيّام جاء يوحنا المعمدان يبشّر في بريّة اليهوديّة فيقول: «توبوا، لأن ملكوت السّماوات اقترب!» وكان النّاس يخرجون إليه من أورشليم وجميع اليهوديّة وناحية الأردن ليعمّدهم في نهر الأردن معترفين بخطاياهم.

فقال لهم أنا أعمّدكم بالماء من أجل التّوبة. وأمّا الذي يجيء بعدي فهو أقوى منّي، وما أنا أهلٌ لأن أحمل حذاءه، هو يعمّدكم بالرّوح القدس والنّار.

وجاء يسوع من منطقة الجليل إلى نهر الأردن حتّى يطلب من يوحنّا أن يعمّدَهُ بالماء. فامتَنَعَ يوحنّا عن ذلك، وقال له: «أنا بحاجةٍ إليكَ حتى تعمّدني، فكيف تطلب منّي أن أعمّدك؟» فأجابه يسوع: «سيكون ما تريد، فهذا يتمّم مشيئة الله.» فقَبِلَ يوحنّا أن يعمِّد يسوع، وعندما خرج يسوع من الماء انفتحت السّماوات له، فرأى روح الله ينزلُ عليه كحمامةٍ، وسمع صوتاً من الله يقول له: «أنت هو ابني الحبيب الذي فرِحْتُ به.»



٢٥١

قائد جديد

يوحنّا ١

وبينما كان يوحنّا يتحّدث مع آثنين من تلاميذه رأى يسوعَ يمر ، فأشار إليه وقال : «هذا هو حَمَلُ الله .» ولمّا سمع التّلميذان هذا الكلام تَبعا يسوعَ . وحين رآهما يسوع يتبعانه ، سألهما : «ماذا تريدان ؟» فأجابا : «أين تسكن ، أيّها المعلّم ؟» فقال :«هناك ، تفّضلا معي .» فذهبا معه ، وبقيا عنده كُلَّ النهار حتى حوالي الساعة الرابعة بعد الظُّهر .

وكان أندراوس أحد التلميذين اللَّذين تبعا يسوع . وحالما آلتقى أخاه سمعان ، قال له : «وجدنا المسيح .» ثمّ جاء به إلى يسوع . ولمّا رآه يسوع قال له : «يا سمعان ، سأعطيك آسماً جديداً ، من الآن يكون آسمُكَ بطرس (أي صخر) .»

التحضير

٢٥٢

التجربة

لوقا ٤

ورجع يسوع من نهر الأردن بعد أن عمّده يوحنّا بالماء . ثمّ ذهب إلى البرّيّة وبَقِيَ فيها أربعين يوماً يجرّبه إبليس دون أن يأكل . وبعد نهاية هذه المدّة أحسَّ بالجوع . فظهر إبليس له ، وحاول أن يجرّبه ، فيعصي الله فقال له : «إذا كنتَ حقّاً آبن الله ، حوّل هذه الحجارة إلى خبز .» فأجابه يسوع : «لا يحيا الإنسان

بالخبز وحده ، بلْ بكلام الله .» ثمَّ أخذه إبليس إلى رأس الجبل ، وجعله يرى كلَّ ممالك العالم ، وقال له : «هل ترى كلَّ هذه الممالك ؟ إنّها لي . أعطيها كلَّها لكَ إذا سجدت لي .» فأجابه يسوع : «ابتعد عنّي يا إبليس ، فالله وحده يستحق أن نَسجد له .» ثمَّ أخذه إبليس إلى الهيكل في أورشليم ، وقال له : «ألقِ بنفسك من هنا إلى الأسفل إذا كنتَ آبن الله ، لأن الله يجعل ملائكته يحملونك .» فأجابه يسوع : «جاء في الكتاب المُقدّس ، لا تُجرّب الرّبَّ إلهك .» وبعدما فشل إبليس بكلّ محاولاته ، تركه إلى حين .



٢٥٣
«اتبعوني !»
مرقس ١، ٢، ٣

وفي تلك الأيّام جاء يسوع إلى الجليل. وبينما هو يمشي على شاطىء البحر، رأى صَيّادَين، هما: سمعان وأخاهُ أندراوس، وكانا يصيدان السمك ويلقيان الشّبكة في البحر. فقال لهما يسوع: «هيّا آتبعاني.» فتركا الشّبكة في الحال وتبعاه.

ومشى قليلاً، فرأى يعقوب بن زَبَدي وأخاه يوحنّا، وهما في القارب يُصْلِحان الشّباك فدعاهما حتى يتبعاه، وفي الحال تركا أباهما في القارب مع عمّاله وتبعاه.

ثمّ صعد يسوع إلى الجبل حتى يصلّي، وقضى الليل كلّه في الصّلاة. ولمّا جاء النهار، دعا إليه أتباعه، واختار منهم آثني عشرَ تلميذاً يرافقونه ويبشّرون بتعاليمه، ومنحهم القدرة على أن يشفوا المرضى ويطردوا الأرواح الشّريرة.

وهؤلاء التلاميذ هم: سمعان وسمّاه يسوع بطرس، ويعقوب ويوحنّا آبنا زَبَدي، وأندراوس وفيلبُّس وبرثولماوس، ومتّى وتوما، ويعقوب بن حلفى وتدّاوس وسمعان، ويهوذا الإسخريوطي الذي سلّم يسوع للصّلب فيما بعد.

٢٥٤
طبيب للمرضى
مرقس

ورجع يسوع إلى شاطىء بحيرة الجليل، فجاءه جمهور من النّاس، فأخذ يبشّرهم. وبينما هو يمشي رأى لاوي بن حَلْفَى في بيت المال الذي فيه تُجمعُ الضرائب. فقال له يسوع: «آتبعْني.» فقامَ وتبعَهُ.

ومرّةً كانَ يسوع يأكل مع تلاميذه في بيت لاوي، فجلس معهم كثيرون من جامعي الضرائب والخطاة فلمّا رأى بعضُ معلّمي الشريعة (وهم جماعة من الفرّيسيّين) أنّه يأكل مع جامعي الضّرائب والخطاة، سألوا تلاميذه: «لماذا يأكل ويشرب مع هؤلاء الخطاة؟» وسمع يسوع كلامهم، فأجاب: «لا يأتي الطبيب إلى الأصحّاء، بل إلى المرضى. أنا لم آتِ من أجل الصّالحين، بل من أجل الخطاة.»



رسالة يسوع المسيح تبدأ

٢٥٥

خمرٌ للعرس

يوحنّا ٢

وفي يوم من الأيّام كان عرسٌ في قانا ، وهي قريةٌ صغيرةٌ في الجليل. وكانت أمّ يسوع حاضرة في هذا العرس. وكان يسوع وتلاميذه من المدعوّين إلى هذا العُرس أيضاً. فشرب الضيوفُ الخمرَ حتى آنتهت. فقالت له أمّه : «لم يبق شيءٌ من الخمر.» فأجابها : «ماذا تريدين أن أعمل؟ ساعةُ عَمَلي لم تأت بَعْدُ.» فطلبت أمّه من الخدم أن يعملوا ما يأمرهم به.



وكانت هناك ستُّ جرار كبيرة من حجرٍ، (تَسعُ الواحدة منها ١٢٠ لتراً من الماء،) وكان اليهود يغسلون أيديهم بمائها قبل الصلاة، كما هي العادة عندهم. فطلب يسوع أن يملأوا هذه الجرار الحجريّةَ بالماء. فملأوها حتى فاضت، ثمَّ قال لهم: «خُذوا منها، وقدّموا لرئيس الضيوف.» فقدّموا له منها، ولمّا ذاقَ رئيس الضيوف الماءَ الذي حوّله يسوع إلى خمر، وكان لا يعرف ذلك، نادى العريس وقال له: «جميعُ الناسِ يقدّمون الخمرَ الطّيّبةَ أوّلاً، وحين يسكر الضيوف يقدّمون لهم الخمر الرّديئة. أمّا أنتَ فقدَّمتَ الخمرَ الطّيّبةَ في الآخر.»

وكانت هذه أولى العجائب التي صنعها يسوع، صنعها في قانا الجليل، فأظهر مجدَه وآمن به تلاميذه.



٢٥٦
صراخٌ في المجمع
مرقس ١

[كانت عادة العائلات اليهوديّة الذهاب مرّة أو مرّتين في كلّ سنة إلى الهيكل الجميل في أورشليم للعبادة ولكنّهم في كلّ سبت يذهبون إلى المجمع في بلدتهم. والمجمع عبارة عن بناية بسيطة للعبادة، يُستَخْدَمُ بَقيّة الأسبوع كمدرسةٍ أو محكمة. يوجد في كلّ مجمع خزانة لحفظ لفائف الكتاب المقدّس].

ونزل يسوع إلى قرية كفرناحوم مع أمّه وإخوته وتلاميذه، وفي يوم السّبت دخل المجمع وهو معبد يهوديّ، للصّلاة، وأخذ يُعلِّمُ فيه. فتعجّب الحاضرون، لأنّه كان يختلف في كلامه عن مُعَلِّمي الشّريعة، فكان يتكلّم كمن له سلطان.

وكان في المجمع رجلٌ فيه روحٌ شرّير، فأخذ يصرخ قائلاً: «دَعْنا وَحْدَنا. لا نريدُ منكَ شيئاً، يا يسوع النّاصريّ. هل جئت لتُهلكنا؟ أنا أعرفك. أنتَ قدّوس الله.» فعرف يسوع أنَّ فيه روحاً شرّيراً، فأمره أن يهدأ ويخرج من الرّجل. فصرخ الرّوح الشرّير، هزّ الرّجل ورماه على الأرض وخرج منه. فتعجّب النّاس، وتساءلوا فيما بينهم: «ما هذا الكلام الجديد؟ هو يأمر الأرواح الشّرّيرة، فتطيعه.» وفي سرعةٍ انتشرَ صيتُه في مناطق الجليل.



٢٥٧
يسوع المسيح يشفي الناس

مرقس ١

ولمّا تركوا المجمع ذهبوا إلى بيت سمعان وأندراوس مع يعقوب ويوحنّا، وكانت حماة سمعان مريضة في الفراش بمرض الحمّى. فاقترب منها وأمسكَ بيدها وأنهضها، وللحال شُفِيَت من الحمّى وأخذت تخدمهم.

وفي المساء، عند غروب الشمس، أحضر النّاسُ كثيراً من المرضى ومن الّذين فيهم شياطين، وتجمّع أهلُ المدينة عند الباب. فشفى يسوع كثيراً من المرضى وطرد كثيراً من الشّياطين. ومنع الشّياطين أن تتكلّم لأنّها عرفته.

وقام قبل طلوع الفجر، فخرج وذهب إلى مكان مقفر، وأخذ يصلّي هناك. فبحث عنه سمعان ورفاقه، ولمّا وجدوه قالوا له: «جميع النّاس يطلبونك!» فقال لهم: «تعالوا نذهب إلى القرى المجاورة لأبشّر فيها أيضاً، لأنّي لهذا خرجت.» وطاف في أنحاء الجليل، يبشّر في مجامعهم ويطرد الشّياطين.



٢٥٨
أما هو آبنُ يوسف
لوقا ٤ ، مرقس ٦

وجاء يسوع إلى النّاصرة حيث قضى طفولته ، فدخلَ المجمع يومَ السّبت كعادته . وقام ليقرأ من الكتاب المقدّس ، فناولوه كتابَ إشعياء ، فَفتَحَه وقرأ : «ملأني الله بروحه وآختارني حتى أُبشِّر المساكين ، وأطلبَ الحريّة للأسرى ، والبَصَرَ للعميان ، وحتى أحرّر المظلومين ، وأعلنَ الوقت الذي فيه يُخلّصُ الرّبُّ شعبه .»

ولمّا آنتهى يسوع من القراءة ، أغلق الكتاب وأعاده إلى خادم المجمع وجلس . وكانت عيونُ الحاضرين كلّهم تنظرُ إليه . فأخذ يقول لهم : «اليوم تمّت صِحّةُ هذه الكلمات التي قرأتُها عليكم .» وكان يعني أنّ إشعياء النّبي يعنيه هو بهذا الكلام .

فدارَ همسٌ بين الحاضرين : «كيف يحكي هكذا ؟ أما هو آبنُ يوسف ؟» فقاطعهم يسوع وقال لهم : «ستقولون : لماذا لا تعمل هنا في النّاصرة من العجائب ما عملته في كفرناحوم ؟» وقال لهم : «كلُّ نبيٍّ مرفوضٌ في وطنه . فعندما كان إيليّا في إسرائيل رفضه شعبه ، فأرسله الله إلى أرملة خارج بلاده وآحتمى عندها . كذلك نعمان الذي كان سريانيّاً آمن بأليشع فشفاه من مرضه» . فلمّا سمع الحاضرون في المجمع هذا الكلام غضبوا كثيراً . فقاموا وأخرجوه من المدينة ، وجاؤوا به إلى طَرَفِ الجبل ليرموه عنه إلى أسفل . لكنّه أفلتَ من أيديهم ومضى .

٢٥٩
يوحنّا في السجن
مرقس ٦ ، لوقا ٧

وصار يسوع مشهوراً ، فظَّن بعضُ النّاس أنّه يوحنّا المعمدان . وقال آخرون : «هو إيليّا .» واعتقد آخرون أنّه نبيٌّ مثل باقي الأنبياء . أمّا الملك هيرودس ، فقال : «هذا يوحنّا الذي قطعتُ أنا رأسه ، قامَ من الموت .»

وكان هيرودس تزوّج آمرأةَ أخيه هيروديَّة ، وكان يوحنّا يلومهُ دائماً لهذا العمل ويقول له : «لا يجوز أن تتزوَّج امرأة أخيكَ ، هيروديَّة .» فقبض عليه ورماه في السِّجن . كذلكَ حقدت عليه هيروديَّة عندما سمعت بهذا القول ، وأرادت قتْلَه ، فلم تقدر ، لأنّ هيرودس كانَ يخافُهُ ويحبُّ في نفس الوقت أن يستمع اليه ، لأنّه يعرف أنّ يوحنّا رَجُل صالح وقدّيس .

وبينما كان يوحنّا في السّجن سمعَ بأعمال يسوع . فدعا إليه اثنين من تلاميذه ، وأرسلَهما ليسألاه إذا كان هو المسيح . فجاء الرّسولان إلى يسوع ، وقالا له : «أرسلنا يوحنّا المعمدان لنسألك إذا كنت أنتَ المسيح ؟»

وفي تلك السّاعة شفى يسوع كثيراً من المرضى والذين فيهم أرواحٌ شرّيرة ، وأعاد البصر إلى العميان ، ثُمّ قال لهما : «آرجعا إلى يوحنّا وأخبراه بما رأيتما وسمعتما .» ولمّا انصرف الرّسولان ، تحدَّث يسوع عن يوحنّا ، فقال : «هو نبيّ ، بل هو أفضلُ من نبيّ . لم تلد النِّساء أعظم منه .»



٢٦٠
جائزة للراقصة
مرقس ٦

في ذكرى مولده، أقام الملك هيرودس حفلةً، دعا إليها ضيوفاً من أصحاب المراكز العالية. وفي أثناء هذه الحفلة جاءت ٱبنةُ هيروديَّة، ورقصت، فأعجبت هيرودس والضّيوف. فقال لها الملك هيرودس: «اطلبي ما تريدين، وأنا أعطيه لكِ.» وحَلَفَ لها أنَّه سيُعطيها كلَّ ما تطلب، حتى لو طلبتْ نصف مملكته. فخرجتْ إلى أمِّها هيروديَّة وسألتْها، ماذا أطلب؟ فأجابتها: «اطلبي رأس يوحنّا المعمدان.» فأسرعت إلى الملك وقالت: «أَطلُبُ أن تقطع رأس يوحنّا المعمدان في الحال وتأتي به على طبق.» وهنا حزنَ الملكُ كثيراً، لكنَّه لم يردَّ طلبها لأنَّه حَلَفَ لها قدّام الضّيوف أنَّه سيُعطيها ما تريد. فأرسل جنديّاً في الحال، وأمَرَه بأن يقطع رأس يوحنّا ويعودَ به. فذهبَ الجنديُّ وقطعَ رأسَ يوحنّا وجاءَ به على طبق، وسلَّمه إلى ٱبنة هيروديَّة، فحملتْه وأخذته إلى أمِّها. ولمّا سمع تلاميذُ يوحنّا بالخبر، حزنوا كثيراً، فجاؤوا وأخذوا جُثَّتهُ ودفنوها.



تعاليم في البرّيّة

٢٦١

الموعظة على الجبل

متى ٥ ، لوقا ٦

ولمّا رأى يسوع جموعَ النّاس وراءه ، صعد إلى الجبل وجلس ، فالتفَّ حوله تلاميذه وبدأ يُبشّرهم قائلاً : «سمعتم أنّه قيل : أَحِبَّ قريبك وأَبْغِض عدوَّك ، أمّا أنا فأقول لكم أحبّوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم ، فتكونوا أبناء أبيكم الذي في السّماوات . فهو يطلع شمسه على الأشرار والصّالحين ، ويمطر على الأبرار والظّالمين .



وسمعتم أنّه قيل لآبائكم : لا تقتل ، فمن قتل يستوجب حكم القاضي . أمّا أنا فأقول لكم : من غضب على أخيه باطلاً استوجب حكم القاضي ، ومن قال لأخيه : يا أحمق استوجب حكم المجلس ، ومن قال له : يا جاهل استوجب نار جهنّم» . ثمّ رفع عينيه إلى تلاميذه وقال : «طوبى لكم أيُّها الباكون الآن ، فإنّكم سوف تضحكون . طوبى لكم متى أبغضكم النّاس وعزلوكم ، وأهانوا اسمكم ونبذوه كأنّه شرّير ، من أجل ابن الإنسان . افرحوا في ذلك اليوم وتهلّلوا ، فها إنَّ مكافأتكم في السّماء عظيمة . أنتم نور العالم لا تَخفى مدينة على جبل ، ولا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال ، ولكن على مكان مرتفع حتى يضيء لجميع الذين هم في البيت . فليضئ نوركم هكذا قدّام النّاس ليشاهدوا أعمالكم الصّالحة ويمجّدوا أباكم الذي في السّماوات . الحق أقول لكم : قبل أن تزول السّماء والأرض لن يزول حرف أو نقطة من الشّريعة حتى يتمّ كلّ شيء . وسمعتم أنّه قيل لآبائكم : لا تحلف باطلاً ، بلْ أوفِ للرّبّ نذورك ، أمّا أنا فأقول لكم : لا تحلفوا مطلقاً ، لا بالسّماء لأنّها عرش الله ، ولا بأورشليم لأنّها مدينة الملك العظيم ، ولا تحلف برأسك لأنّك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة منه بيضاء أو سوداء . فليكن كلامكم (نعم) أو (لا) ، وما زاد على ذلك فهو من الشّرير .» ولمّا انتهى يسوع من هذا الكلام تعجّب الحاضرون من تعاليمه لأنّه لم يكن يعلّمهم مثل معلّمي الشّريعة ، بلْ كمن له سلطان .

٢٦٢
يا ربّ، علِّمنا كيف نصلّي
متى ٦ ، لوقا ١١

وكان يسوع يصّلي في أحد الأماكن، فلمّا أنتهى من صَلاته، اقتربَ منه واحدٌ من تلاميذه، وطلبَ منه أن يُعلّمهم كيف يُصلّون. فقال يسوع: «لا تُقلّدوا الذين يصلّون في الأماكن العامّة حتى يراهم النّاس ويعجبوا بهم. بلْ صلّوا في أماكنَ مُغلَقةٍ، فالله يرى كلَّ شيء ويعرف كلَّ شيء. لا تُكرِّروا الكلام في صلواتكم، فالله لا يستجيبَ لكثرة الكلام، وهو يعرف ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه.» ثمّ قال لهم هكذا صلّوا:

«أبانا الذي في السّماوات،
ليتقدّس آسمُك
ليأتِ ملكوتُك
لتكنْ مشيئَتُك
كما في السّماء كذلك على الأرض.
خبزنا كفافنا أعطنا اليوم.
واغفر لنا ذنوبنا
كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا.
ولا تُدخلنا في تجربة،
لكنْ نجِّنا من الشرّير،
لأنَّ لك المُلك والقوّة والمجد
إلى الأبد.» آمين.

ثمّ تابع يسوع: «فإن كنتمْ تُسامحون الذين يخطئون إليكم، يسامحكم الله، وان كنتم لا تسامحونهم على أخطائهم، فالله أيضاً لا يسامحكم.» وتابع يقول: «لا تحسنوا إلى أحد أمام النّاس لكي يشاهدوكم ويمدحوكم، لأنّكم إذا أحسنتم إلى أحد حتى يراكم النّاس ويمدحوكم، فالله لن يجازيكم بالخير على ذلك. بلْ إذا أحسنتم إلى أحد أحسنوا إليه ولا تدعوا حتى أقرب النّاس أن يعرف بذلك. وإذا صمتم، فلا تدعوا الآخرين يعرفون أنّكم تصومون، فالله الذي لا يراه أحد يرى كلَّ ما تعملونه في الخفاء ويجازيكم بالخير على ذلك.»

٢٦٣
الصّلاتان
لوقا ١٨

[كانت من بين جمهور المستمعين ليسوع مجموعتان مختلفتان المجموعة الأولى كانت النّاس العاديّين، والمجموعة الثانية كانوا الفرّيسيّين الذين كانوا يفتخرون بأنفسهم ويعتقدون بأنّهم الأفضل والأحسن وأنَّ الله مسرور بهم. فكانوا يجلسون بأثوابهم الطّويلة، ويقضون أوقاتهم مطبِّقين القوانين الصّغيرة التي أضيفت إلى شريعة الله خلال السّنين الطّويلة].

وكانت هناك جماعةٌ تعتقد أنّها صالحة، وتحتقر الآخرين. فضَربَ لهم يسوع هذا المثل: «صعِدَ رَجُلان إلى الهيكل حتى يصلّيا،



واحدٌ فرّيسي والآخر جامعُ ضرائب. فوقفَ الفرّيسي يصلّي، ويقول: أشكرك يا الله، فما أنا مثلُ بقيّةِ الناس الظالمين الطامعين الذين لا يكفيهم شيء، ولا مثلُ هذا الذي يجمع الضرائب، فأنا أصوم في الأسبوع مرّتين، وأعطي عُشرَ أموالي حسنةً للمحتاجين. أمّا جامعُ الضّرائب فوقف بعيداً، لا يجرؤ أن يرفع عينيه إلى السّماء، بلْ كان يَدقُّ على صدره بحرارةٍ ويقول: أنا خاطىء، يا الله، فسامحني.»

وتابع يسوع: «ولمّا آنتهى جامع الضّرائب من صلاته نزلَ إلى بيته، وكان الله راضياً عنه، لهذا أقول لكم: إنَّ مَنْ يُعظّم نفسه أمام الله يَصغر. وكلٌّ من يتواضع أمامه يكبر.»



٢٦٤

صديق عند نصف الليل

لوقا ١١

وقالَ يسوع : «ذَهَبَ واحدٌ إلى صديقه في نصف الليل، وقال له : أريد أن أستعير منكَ ثلاثة أرغفةٍ ، لأنَّ صديقاً لي جاءني من سَفَرٍ بعيد ، ولا خبزَ عندي كي أطعمه . فأجابه صديقُه من داخلِ البيت : لا تزعجني ! الباب مقفول ، وأولاديَ نائمون معي في الفراش ، فلا أقدر أن أقوم وأعطيك حاجتك . لكنّه قامَ أخيراً من فراشه وأعطاه كلَّ ما يحتاج ، لا لأنَّه صديقه ، بلْ لأنّه ألحَّ كثيراً في طلب حاجته .»
وتابع يسوع: لذلك أقول لكم: «كلُّ مَنْ يسأل الله عن شيء يناله . وكلُّ مَنْ يطلب شيئاً ، يجده ، وكلُّ مَنْ يدقّ على الباب ، يُفتح له الباب ، فأيُّ أبٍ يطلب منه آبنُه رَغيفاً ، فيعطيه حجراً بدَلَ الرَّغيف ؟ وأيُّ أبٍ يطلب منه آبنُه سمكةً ، فيعطيه حيَّةً بَدلَ السَّمكة ؟ وأيُّ أبٍ يطلب منه آبنُه بيضةً ، فيعطيه عقرباً بَدَلَ البيضة ؟ فإذا كان النّاسُ الأشرارُ يعرفون كيف يعاملون أولادهم معاملةً حسنة ، فكيف يكون الله الذي في السّماء ؟ إنَّه يعطي الرّوحَ القُدس لكلِّ واحدٍ يسأله .»

٢٦٥
البناء الصحيح
متى ٧

ومرّةً تحدّث يسوع عن القول والعمل، فقال: «ليس كلٌّ من يصرخ إليَّ: يا ربّ، يا ربّ، يدخل ملكوت السّماوات، بلْ يدخل ملكوت السماوات كلٌّ من يعمل حسب إرادة الله. سيقول لي كثير من الأشرار في يوم الحساب: يا ربّ، يا ربّ، فعلنا عجائب كثيرة لأنّنا كنّا نؤمن بآسمك. فأجيبهم: أنا لم أعرفكم أبداً. آبتعدوا عنّي يا أشْرار.» وهنا أورد يسوع هذا المثل، فقال: «كان هناك رَجلان: واحد عاقل وآخر غبي. أراد كلٌّ واحدٍ منهما أن يبني بيتاً له، فبنى الرّجل العاقل بيته على الصّخر، بينما بنى الرّجل الغبّي بيته على الرّمل. وفي يوم من الأيّام نزل المطر وفاضت الأنهار وهبّت الرّياح، فسقط البيتُ المبني على الرّمل. أمّا البيت المبني على الصّخر، فلم يسقط.

وهكذا، كلٌّ من يسمع كلامي ولا يعمل به، يكون مثل الرّجل الغبي الذي بنى بيته على الرّمل، فسقط البيت ولم يبقَ منه شيءٌ، أمّا الذي يسمع كلامي ويعمل به، يكون مثل الرّجل العاقل الذي بنى بيته على الصّخر، لا تقدر العواصف على هدمه.»

أعداء يسوع المسيح

٢٦٦
أصدقاء أربعة يجدون طريقةً
مرقس ٢

وبعد أيّام رجع يسوع إلى قرية كفرناحوم، فسمعَ النّاسُ أنّه في البيت، فتجمّع منهم عدد كبير، وملأوا المكان حتى الباب. وفي هذه الأثناء، جاءه أربعة رجال يحملون كسيحاً، فلم يقدروا أن يصلوا إليه لكثرة النّاس المجتمعين هناك. فصعدوا إلى السطح، ووجدوا المكان الذي فوق يسوع، ثمّ فتحوا طاقة في السّقف، وأنزلوا الكسيح وهو على فراشه. فلمّا رأى يسوع إيمانهم به، غفر للكسيح خطاياه التي عملها في حياته وسامحه عليها.



٢٦٧ من يقدر أن يغفر الخطايا؟
مرقس ٢

[كان النّاس المجتمعون في الغرفة يراقبون يسوع بانتباه لأنّهم أرادوا معجزة أمامهم. ولكنَّ يسوع نظر إلى الرَّجل الممدَّد على الأرض وقال له: «يا ابني مغفورة لك خطاياك.» مع أنَّ يسوع لم يَرَ هذا الرَّجل من قبل، ولكنَّه عرف أنَّه يحتاج لشيءٍ أكثر من الشِّفاء من المرض. ربَّما خاب أمل النّاس في مشاهدة معجزة ولكنَّ الرَّجل غمرته السَّعادة والفرح. فقد أزاح بسلطانه عن صدر الرَّجل الخطايا التي حملها ضميره طيلة السِّنين الطويلة الماضية].

وكان بين الحاضرين بعض معلّمي الشَّريعة، فقالوا في أنفسهم: «كيف يتجرّأ هذا الرَّجل على كلام كهذا؟ من يقدر أن يغفر الخطايا ويعفو عنها غير الله وحده؟»

وعرف يسوع في الحال ما يدور في أفكارهم، فقال لهم: «أيّهما أسهل، أن أغفر لهذا الكسيح خطاياه، أم أن أشفيه، فأجعله يقوم ويحمل سريره ويمشي؟ طبعاً، أسهل عليّ أن أغفر له خطاياه. لكن، سأجعلكم ترون أنّي قادر على عملٍ ما هو أصعب.» فالتفت يسوع إلى الكسيح، وقال له: «قُمْ، وآحمل فراشك، وآذهب إلى بيتك.» فقام الكسيح في الحال، وحمل فراشه ومضى إلى بيته. فرأى الحاضرون كلَّ هذا وتعجَّبوا، وقالوا: «ما رأينا مثل هذا في حياتنا.»



٢٦٨

لا في يوم السّبت !

مرقس ٣



[علّم يسوع عن الله بطريقة تختلف عن معلّمي الشريعة، ومنهم جماعة الفرّيسيّين الّذين حاولوا جاهدين أن يكونوا صالحين، لذلك صرفوا حياتهم محافظين على أصغر القوانين التي أضيفت إلى شريعة موسى التي أعطاها الله له . مثلاً : أضافوا المئات من القوانين الجديدة إلى الوصيّة التي تقول : «احفظ يوم السبت مقدّساً .» إنَّ أي عمل حتى شفاء إنسان مريض كان ممنوعاً في يوم السبت، لأجل ذلك لم يكن النّاس يدعون الطّبيب قبل انتهاء السّبت إلّا في حالة الموت] .

ومرّةً دخل يسوع المجمع في يوم السّبت ، فوجدَ فيه رَجُلاً يده مشلولة ، وكانت هناك جماعةٌ من الفرّيسيّين المعروفين بتعصُّبهم الدينيّ يراقبونه ليروا إذا كان سيشفيه في يوم السّبت (فيتّهمُوه بمخالفة الشريعة) . وعرف يسوع ما يدور في قلوبهم . وهنا طلب من الرَّجُل الذي يده مشلولة أن يقف أمام الجميع ، فوقف ، ثمّ التفت يسوع إلى الحاضرين وسألهم : «أيُّ عملٍ يجوز يوم السّبت ! عملُ الخير أم عملُ الشر؟» فسكتوا ، فتطلّع يسوع إليهم وهو غاضب وحزين على قساوة قلوبهم ، وقال للرَّجُل : «مُدَّ يدك .» فمدَّ الرَّجُل يده ، وصارت صحيحة كاليد الأخرى . وهنا خرج الفرّيسيّون وبدأوا يبحثون عن جماعة هيرودس لينضمّوا إليهم حتى يقتلوا يسوع .

وكلّمهم بأمثال، قائلاً: «إذا انقسمت مملكة على نفسها وصارت ضدّ نفسها، تزول. وإذا انقسم بيت على نفسه وصار ضدّ نفسه، يزول، كذلك إذا انقسم الشّيطان على ذاته، يزول. فكيف يمكن للشّيطان أن يكون ضدّ نفسه ويطرد الشياطين؟»

وبينما هو يتكلّم جاءت أمّه وإخوته، وأرسلوا وراءه. فاقترب منه واحدٌ وقال له: «أمّك وإخوتك خارج البيت يريدون أن تأتي إليهم.» فأجابهم: «من هي أمّي، ومن هم إخوتي؟» ونظر إلى الجالسين حوله، وقال: «هؤلاء هم أمّي وإخوتي. فالذي يعمل حسب إرادة الله يكون أخي وأختي وأمّي.»



٢٦٩

«هو مجنون!»

مرقس ٣

وظلّ يسوع مشغولاً طولَ النّهار، فكان النّاس يأتون إليه بالمرضى ليشفيهم، حتى أنّه، لا هو ولا تلاميذه وجدوا وقتاً للأكل.

وفي هذه الأثناء، نزل إليه مُعلّمو الشريعة من أورشليم. وبعد أن رأوا أعمال يسوع، قالوا: «فيه شيطان، هو يطرد الشّياطين بمساعدة رئيس الشّياطين.»

وعرف يسوع ما في قلوبهم، فدعاهم

قصص حول ملكوت الله

٢٧٠

مَثَلُ الزّارع

مرقس ٤

وتدافعت الجموع نحو يسوع عند شاطىء البحيرة. فصعد يسوع إلى قارب دفعهُ تلاميذه في المياه إلى داخل البحيرة، بينما ظلَّت الجموع على الشّاطىء. فجلسَ يسوع في القارب وبدأ يعلِّمهم عن ملكوت الله بالأمثال، ومن هذه الأمثال كان مَثَل الزّارع، فقال: «في يوم من الأيّام ذهب مزارع إلى حقله. وبينما هو يزرع، وقع حب منه على جانب الطَّريق، فجاءت الطيور وأكلته. ووقع حَبٌّ منه على أرض صخريَّة قليلة التراب، فنبت الحبُّ في الحال لأن ترابه لم يكن عميقاً. فلّما طلعت الشمس يبسَ، لأنَّه لم يكن له جذور. ووقعَ حَبٌّ منه بين الشوك، فطلع الشوك وخنقه فلم يعطِ ثمراً. ولكن بعض الحَبِّ وقع على أرضٍ طيّبة التربة، فنبتَ الحَبّ ونما وأعطى ثمراً.»

ولمّا آنتهى يسوع من هذا المثل سأله تلاميذه عن معناه، فأجابهم: «الزّارِع هو الذي يَنشر كلمة الله. بعضُ النّاس كالحَبّ الذي يقع على جانب الطَّريق، حالما يسمعون هذا الكلام يأتي الشَّيطان ويخطفه منهم. وبعض النّاس كالحَبّ الذي يقع على الأرض الصَّخريَّة، حالما يسمعون هذا الكلام يقبلونه فَرِحين، لكنَّهم لا يثبتون عليه، فإذا وقعوا في ضيق تراجعوا عنه في الحال. وبعض النّاس كالحَبّ الذي يقع بين الشَّوك، هم يسمعون هذا الكلام ولكن مشاغلهم اليوميَّة ومحبَّة المال تدخل قلوبهم فتخنق كلام الله، فلا يثمرون، ولا يعملون بما سمعوا. لكن هناك بعضٌ من النّاس يسمعون كلام الله ويقبلونه ويعملون به، فهم يثمرون كالحب الذي يقع في أرض طيّبة عميقة التربة.»



٢٧١
صناعة الخبز
متى ١٣

كان يسوع يستعمل الأمثال حينما يتكلّم مع النّاس العاديّين، لأنّها أسهل على الفهم. وهذا ما حدث في يوم من الأيّام عندما تجمّع حوله النّاس، في ذلك الوقت أخذَ يشرحُ لهم بالأمثال معنى ملكوت السّماوات، فآستعمل أوّلاً مَثَل حبّة الخردل، فقال: «ملكوت السّماوات مثل أصغر حبّةَ بين الحبوب، وهي حبّة الخردل، مرّةً أخذها فلّاحٌ وزرعها في حقله، فنمت وصارت شجرة كبيرة، جاءت إليها طيورُ السّماءِ وبنتْ أعشاشها في أغصانها.»

وبعدَ ما آنتهى من هذا المثل، آنتقل يسوع إلى مَثَل الخميرة، فقال: «ملكوت السّماوات مثل خميرةٍ تأخذها صاحبةُ البيت وتضعها في الدّقيق (أي الطّحين) المبلول بالماء، فينتفخ الطّحين ويكبر حجمه في السرّ مثل ملكوت الله.»





٢٧٢
الكنز
متى ١٣

وتابع يسوع كلامه حول ملكوت السّماوات ، فقال : «ملكوت السّماوات مثل كنزٍ مطمور في حقل ، وجده رَجُل بينما كان يحفر الأرض ، فرح به كثيراً ورغب في أن يمتلكهُ ، فطمره بالتراب وخبّأه ، ثمّ مضى وباعَ كلّ ما كان عنده وآشترى ذلك الحقل فصارَ الكنز له .»

وشرح يسوع معنى ملكوت السّماوات بمثلٍ آخر ، فقال : «ملكوت السّماوات مثل تاجرٍ كان يبحث عن لؤلؤ ثمين ، فلمّا وجدَ لؤلؤةً ثمينةً ، فرح بها كثيراً ورغبَ أن تكون له فمضى وباع كلّ ما كان عنده وآشتراها .»

ثمّ آستخدم يسوع مثلاً آخر ، فقال : «ملكوت السّماوات مثل شبكة ألقاها الصيّادون في البحر ، فجمعت سمكاً من كلّ نوع . فلمّا آمتلأت أخرجها الصيّادون إلى الشّاطىء فوضعوا السّمك الجيّد في سلالهم ورموا السمك الرّديء بعيداً .»

وهنا بدأ بعضُ الحاضرين يفهمون شيئاً عن ملكوت السّماوات ، فهموا أنّ ملكوت السّماوات أغلى من كلّ شيء في الدنيا ، ومن أجله يجب أن يُضحّي الإنسان بكلّ شيء يملكه في هذا العالم .

٢٧٣
حفلة العشاء
لوقا ١٤

ولمّا انتهى يسوع من كلامه حول ملكوت الله، قال له أحد الحاضرين: «يا لسعادة من يكون حاضراً في حفلة الله حين يأتي ملكوته.» وأجابه يسوع: «دَعني أحكي لك هذه الحكاية: في يوم من الأيّام أقامَ رَجُلٌ حفلةً كبيرة، ودعا إليها كثيرين من النّاس. ولمّا انتهى من تحضير الحفلة، طلب من خادمه أن يذهب إلى المدعوّين ويطلب منهم الحضور إلى الطّعام، فلبّى الخادمُ طلبَ سيّده، ولكن الجميع اعتذروا عن الحضور.

واحدٌ قال: اشتريت حقلاً، ويجب أن أذهب لأراه، فأرجو أن تعذرني لعدم تلبيتي الدّعوة. وقال آخر: اشتريت خمسة أزواج من البقر، وأنا الآن ذاهب لأجرّبها في فلاحة الأرض، فأرجو أن تعذرني لعدم الحضور بسبب ضيق الوقت. وقال آخر: أنا عريسٌ جديد فلا أقدر أن أُلبّي الدّعوة.

فرجع الخادم إلى سيّده وأخبره بما جرى. فغضب سيّده وقال له: أسرع إلى شوارع المدينة وأزقّتِها، وادعُ الفقراء والمساكين والعرج والعميان إلى هنا. فعمِلَ الخادمُ بما أمره سيّده به، فدعا الفقراء والمساكين والعرج والعميان إلى الحفلة، ولكن بقيت بعض المقاعد فارغة. ولمّا لاحظ السيّد أن بعض المقاعد بقيت فارغة، أمر خادمه بأن يخرج إلى الطرقات ويطلب من العابرين أن يدخلوا حتى يمتلىء البيت. ثمّ قال لهم: لن يذوق عشائي أحدٌ من أولئك الذين دعوتهم في الأوّل، ولم يأتوا.»

يسوع المسيح ، صديق عندَ الحاجة

٢٧٤

عاصفة تهبّ على البحيرة

مرقس ٤

وقضى يسوع كلَّ النهار يُعلّم النّاس ويشفي المرضى ، وفي المساء تعب كثيراً ، وأحسَّ أنَّه بحاجة إلى الرّاحة . فقال لتلاميذه : «تعالوا نعبر البحيرة إلى الشّاطىء المقابل فنكون وحدنا ونرتاح .» فتركوا الجموع وساروا بيسوع في القارب ، وفيما هم في البحيرة هبّت بغتةً عاصفةٌ شديدةٌ ، وأخذت الأمواج تضربُ القارب حتى كادَ يمتلىء بالماء ويغرق . لكن رغم هذا الخطر ، ظلَّ يسوع نائماً في القارب نوماً عميقاً ، ورأسه على المخدّة . فأيقظوه وقالوا له في خوفٍ وفزع : «قُمْ ، ألا ترى أنَّنا نغرق ؟» فقام يسوع وأمرَ الرّيح بأن تهدأ ، فهدأت الرّيح ، وأمرَ الموجُ أن يصمُت ، فصمَت الموج . ثمَّ التفت يسوع إلى تلاميذه وقال لهم : «لماذا تخافون ؟ أما عندكم إيمان بي ؟» لكنَّهم لم يجيبوه لأنَّهم خافوا ممّا فعله وقال كلٌّ واحد منهم للآخر : «من هذا ؟ مَنْ سمِعَ في حياته أنَّ واحداً يأمر الرّيح والبحر فيطيعانه ؟»



٢٧٥

مجنون بين القبور

مرقس ٥

وبعد أن هدأت الرّيحُ وصمتَ الموجُ ، تابعَ يسوع وتلاميذه العبور في القارب إلى الشّاطىء الآخر . ولمّا وصلوا إلى الشّاطىء الآخر نزلوا من القارب ، وهنا رأوا رَجُلاً يخرجُ إليهم من بين القبور . وكان هذا الرَّجل يعيش بين القبور لأنَّ روحاً شرّيراً كان يسكنُ فيه ، ولا يقدرُ أحد أن يربطهُ بالسّلاسل ، فكان يَقطَعُها كلَّما ربطوه بها . وكان طول النّهار والليل بين القبورِ والجبالِ يصرخُ ويجرحُ جسدهُ بالحجارةِ .

وشاهدَ هذا الرَّجلُ يسوعَ من بعيد ، فأسرع إليه وسجدَ له وصرخَ بأعلى صوته : «لا تعذّبني ، يا يسوع . أنا أعرف من أنت . أنت آبن الله العليّ .» فحزنَ يسوعُ لحالتهِ ، وسأله : «ما آسمك ؟» أجابه : «آسمي جيش ، لأنَّ جيشاً من الأرواح الشّرّيرة يسكن فيَّ .» وكانَ هناك قطيعٌ كبيرٌ من الخنازير يرعى قُربَ الجبلِ ، فترجّت الأرواحُ الشّرّيرة من يسوع أن يُرسلها إلى الخنازير ، فأذنَ لها بذلك ، فخرجت الأرواح الشّرّيرة ودخلت في قطيع الخنازير . فأندفع هذا القطيع إلى البُحيرةِ وغَرق فيها . ورأى الرُّعاة ما جرى ، فهربوا ونشروا الخبرَ بين النّاس . فخرجَ النّاسُ ليشاهدوا ما سمعوا من الرُّعاة ، ولمّا وصلوا إلى يسوع ، رأوا الرَّجُلَ الذي كانت فيه أرواحٌ شرّيرة جالساً ولابساً ثيابهُ ، هادئاً وسليمَ العقلِ . وعرفوا كلَّ ما جرى وما أصابَ الخنازيرَ ، فطلبوا من يسوع أن يرحلَ عنهم في الحال ، لأنهم خافوا ممّا رأوا وشاهدوا .

وبينما يسوع يركبُ القاربَ ، طلب إليه الذي كانت فيه أرواحٌ نجسة أن يأخذه معه . فلم يدعه يسوع ، بلْ قالَ له : «إذا أردت أن تخدمني آرجع إلى بيتكَ وأهلِكَ وخبّرهم بما عملَ الرّبُّ لكَ وكيف رحمك .» فذهب الرَّجلُ وأخذَ ينشرُ في المدن والقرى ما عملَ يسوع له ، وكان جميعُ النّاس يسمعون ويتعجّبون .

٢٧٦
شخصان مهمّان
مرقس ٥

وَعَبَرَ يسوع وتلاميذه البحيرةَ في القارب إلى الشّاطىء المقابل، ولمّا وصلَ إلى هناك تجمّع حوله على الشّاطىء جمهورٌ كبيرٌ، ومن الذين تجمّعوا حوله كانَ رَجُلٌ من رؤساء المجمع آسمه يايرُس، فلمّا آقتربَ من يسوع انحنى ورمى بنفسه عند قدميه، وقال: «آبنتي الصَّغيرة تموت: تعال وضعْ يدك عليها فتشفى وتعيش!» فذهب يسوع معه وتبعه جمعٌ كبيرٌ من كلّ جهة.

وكانت هناك امرأةٌ مريضة ينزف منها دَمُها منذُ آثنتي عشرة سنة، عالجها أطبّاءُ كثيرون وصرفت كلَّ ما عندها من مالٍ فلم تستفد شيئاً، بلْ صارت حالتها أسوأ. فلمّا سمعت



بأخبار يسوع دخلت بين الجمع من الخلف على مهلها ولمست ثوبه، لأنها قالت في نفسها: «يكفي أن ألمسَ ثِيابَهُ لأشفى.» ولمّا لمست ثيابه شُفيت في الحال.

وشعر يسوع في الحال بشيء لامسَهُ وبقوّة خرجت منه. فآلتفت وسأل تلاميذهُ: «من لمسَ ثيابي؟» فأجابوه: «في هذه الزّحمة من النّاسِ تسألُ من لمسني؟» لكنه بقي يتطلّع حوله ليرى من فعل ذلك. وهنا آقتربت منه المرأةُ وسجدت له وأخبرته بالحقيقة كلِّها، فقال لها: «يا آبنتي، إيمانك قد شفاكِ، فآذهبي وعيشي بسلامٍ وعافية.»



٢٧٧

قومي من الموت

مرقس ٥

وبينما كان يسوع مشغولاً مع المرأةِ التي شفاها من مرضها وصل رجالٌ إلى رئيس المجمع وقالوا له: «ماتت آبنتكَ فلا حاجةَ لأن تزعج يسوع وتأتي به إلى البيت.» فسمع يسوع كلامهم، وقال لرئيس المجمع: «لا تخف. ابقِ على إيمانك بي.» ثمّ أسرعا إلى البيت برفقة التّلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنّا.

ولمّا وصلوا إلى البيت رأى يسوع النّاس يبكون، فقال لهم: «لماذا تبكون؟ الصغيرة لم تمت، هي نائمة فقط!» فضحكوا عليه لهذا الكلام لأنّهم عرفوا أنها ماتت.

وطلبَ يسوع أن يخرج الجميع من البيت، ثمّ دخلَ إلى حيثُ كانت الصغيرة، ودخل معهُ والدها وأمّها وتلاميذه الذين جاؤوا معه. فأمسك بيدها وقال لها: «قومي، يا صغيرة.» فقامت في الحال وأخذت تمشي، وكانت ابنة اثنتي عشرة سنة، فتعجّبوا كثيراً. فأوصاهم يسوع بشدّة أن لا يعلم أحد بما حدث. ولمّا قامت الصّغيرة ومشت، طلب يسوع من أهلها أن يُطعِمُوها.



٢٧٨
لا تبكي
لوقا ٧

ومرّةً كانَ يسوعُ وتلاميذهُ في طريقهم إلى مدينة آسمها نايين. ولمّا آقتربوا من مدخل هذه المدينة رأوا جماعةً من النّاس تحملُ ميتاً وتخرج به إلى المقبرة، وكانَ هذا الميت وحيداً لأمّه الأرملة، فلمّا رأى الرّبُّ يسوع هذه الأرملة تحنَّن عليها وقال لها: «لا تبكي.» ثمَّ آقترب من آبنها الميت ولمسَ التّابوت، وفي الحال توقَّف الذين يحملونه. فقال يسوع: «أيّها الشّاب، قُمْ.» فجلسَ الشّابُ وأخذَ يتكلّم، فأمسكه يسوع بيده وأخذه وسلّمه إلى أمّه. ورأى الجميع ما حدث فخافوا، وقالوا وهم يُعظّمونَ الله: «ظهرَ فينا نبيٌّ عظيم وعادَ الله إلينا كي يخلّصنا.»

وآنتشرَ هذا الخبرُ عن يسوع في أرضِ اليهوديّة كلّها وفي جميع المناطق القريبة منها.

يسوع المسيح وتلاميذه

٢٧٩

إثنان إثنان

لوقا ٩ و ١٠

وكانَ يسوعُ يتنقَّلُ مع تلاميذه من مكانٍ إلى آخر يُبشِّرُ بٱقتراب ملكوت الله . وكان لا يبقى في مكانٍ أكثر من اللازم ، لأنه كانَ يُريدُ أن ينشُرَ تعاليمه بين أكبر عدد ممكن من النّاس. فدعا يسوع تلاميذه الاثني عشرَ فأعطاهم القدرةَ على أن يطردوا الشّياطين من البشر، ويشفوا المرضى. ثمَّ قسمهم إلى جماعات ، كلْ جماعةٍ من اثنين ، وأرسلهم ليبشِّروا بملكوت الله . وقال لهم : «لا تحملوا شيئاً في تنقُّلاتكم وأسفاركم : لا عصاً ، ولا كيساً ، ولا خبزاً ، ولا مالاً ، ولا يكون للواحدِ منكم ثوبان ، وأيَّ بيتٍ تدخلونه ابقوا فيه ، كلوا واشربوا ممّا عندَ أصحابهِ ، ثمَّ ارحلوا عنه . وأيَّةَ مدينةٍ تدخلونها وقَبِلكم أهلها ، ظلّوا فيها . أمّا المدينةُ التي تدخلونها ولا يقبلكم أهلها ، فٱخرجوا منها وٱنفضوا غبارها عن أقدامكم . وأنذروا سكّانها ، وقولوا لهم ، إنَّ نهايتهم في يوم الحساب ستكون أمرَّ من نهاية بلدة سدوم التي أحرقها الله بالنّار لكثرة خطاياها .»

وبعد ذلك إختار الرّبّ يسوع سبعين آخرين، وأرسلهم إثنين إثنين يتقدّمونه إلى كلّ مدينة أو موضعٍ أراد أن يذهب إليه وقال لهم: «الحصادُ كثيرٌ ولكنَّ العمّال قليلون، فاطلبوا من ربِّ الحصاد أن يُرسل عُمّالاً الى حصاده .» وقال لهم أيضاً : «من سمع إليكم سمع إليَّ، ومن رفضكم رفضني، ومن رفضني رفض الذي أرسلني .»

٢٨٠
من هو الأعظم؟
مرقس ٩

في أحد الأيّام توجّه يسوعُ وتلاميذه إلى بلدة كفرناحوم، وفي الطَّريق إلى هذه البلدة أسرعَ يسوعُ، فسبقَ تلاميذه قليلاً. وفيما هم يتحدَّثون وراءهُ، تجادلوا فيما بينهم.

وأخيراً، وصلوا بلدة كفرناحوم، ولمّا دخلوا البيت الذي يريدون سألهم يسوع: «في أيِّ شيءٍ كنتم تتجادلون في الطَّريق؟» فسكتوا من الخجل، لأنّهم كانوا في الطَّريق يتجادلون في مَنْ هو الأعظمُ بينهم. وفي الحقيقةِ عرفَ يسوعُ كلَّ ما جرى بينهم، فجلسَ ودعاهم جميعاً وقال لهم: «من أرادَ أن يكونَ أعظَم النّاس يجبُ أن يكونَ خادماً لهم.» وفي هذه اللحظة تقدَّم منه طفلٌ كانَ في البيتِ، فمدَّ يسوعُ اليه يدهُ، ووضعه في حِضنهِ وضمّه إلى صدرهِ وقال لهم: «الحقَّ أقول لكم: إن كنتم لا تتغيَّرون وتصيرون مثل الأطفال، فلن تدخلوا ملكوت السَّماوات. من اتَّضع وصار مثل هذا الطفل، فهو الأعظم في ملكوت السَّماوات ومن يحب الأطفال يحبّني، ومَنْ يحبّني لا يحبّني وحدي، بلْ يحبّ أيضاً الذي أرسلني.»



٢٨١
الملحُ والنّور
متى ٥

كانَ يسوعُ في أكثرِ الأوقاتِ يُبشِّرُ النّاسَ العاديِّين، لكن في بعضِ الأوقاتِ كان يعلّم تلاميذه وأتباعه أيضاً. أحياناً كان يستعملُ كلاماً يصَعبُ فَهمُهُ، فكانَ يشرحُ لهم معناه كما في التّالي:

في يومٍ من الأيّام رأى يسوع فرصةً مناسبةً حتى يشرحَ لهم معنى أن يكونوا حقّاً من أتباعه، فقال لهم: «أنتم ملحُ الأرض، فإذا كان الملحُ فاسداً، لا نَقدِرُ أن نجعلهُ صالحاً ثانيةً، فيكون بلا فائدة، ونرميه في الخارج، فيدوسهُ النّاسُ.» وتابعَ يسوعُ قائلاً: «أنتم نورُ العالم، كلُّ مدينةٍ على جبلٍ لا يمكن أن تُخفى، ولا أحدٌ يُشعِلُ سِراجاً ويغطّيهِ بوعاءٍ كبير، بلْ يضعهُ على مكانٍ مرتفع حتى يضيءَ لجميع الذين في البيت. هكذا يجبُ أن تفعلوا، فاجعلوا نوركم يضيءُ قدّامَ الناس، فيشاهدوا أعمالكم الصّالحةَ ويمجّدوا أباكم الذي في السّماوات.»



المسيح يتحكّم بحياتنا

٢٨٢
النزهة الكبيرة
مرقس ٦ ، يوحنا ٦

أرسلَ يسوعُ تلاميذه حتى يبشّروا في القرى والمدن بملكوت الله . ولمّا انتهوا من التّبشير في المدن المجاورة رجعوا إليه وأخبروه بكلّ ما عَمِلوا وعلّموا. وكانَ كثيرٌ من النّاس يروحون ويجيئون ، فلا يتركونَ لهم فرصةً ليأكلوا طعامهم . ورأى يسوع أنّهم تَعِبوا ، فقال لهم : «تعالوا نذهب إلى ذلك المكان البعيد لنستريح قليلاً .» فذهبوا في القارب وحدهم إلى ذلك المكان ، فرآهم النّاسُ ذاهبين ، وعرفَ كثيرٌ منهم إلى أين يذهبون ، فأسرعوا وسبقوهم إلى ذلك المكان سيراً على الأقدام . فلمّا نزلَ يسوع من القارب رأى جمعاً كبيراً ، فأشفقَ عليهم لأنّهم كانوا مثلَ غنمٍ لا راعي لها يهتمّ بها ، وأخذ يُعلّمهُم أشياءَ كثيرة ، وتأخّرَ الوقتُ وصارَ النّهارُ في نهايته ، فاقتربَ منه تلاميذه وقالوا له : «تأخّرَ الوقتُ والنّهارُ في نهايتهِ ، وهذا المكان مُقفِرٌ وبعيدٌ عن القرى والمدن ، فقلْ للنّاس أن يذهبوا إلى المزارع والقرى القريبةِ ليشتروا طعاماً ويأكلوا .» فأجابهم يسوع : «أعطوهم من عندكم طعاماً ليأكلوا .» فقال له واحدٌ من تلاميذهِ اسمُه فيلبُّس : «لو اشترينا خبزاً بمئتي دينار لا يكفي أن يحصلَ الواحدُ منهم على قطعةٍ صغيرةٍ واحدة .» وقال له تلميذٌ آخر اسمُه أندراوس وهو أخٌ لسمعان : «هنا صبيٌّ معه خمسةُ أرغِفة من شعير وسمكتان ، ولكن كيف تكفي هذه الكمّية القليلة من الطّعام كلّ هذا الجمع ؟»

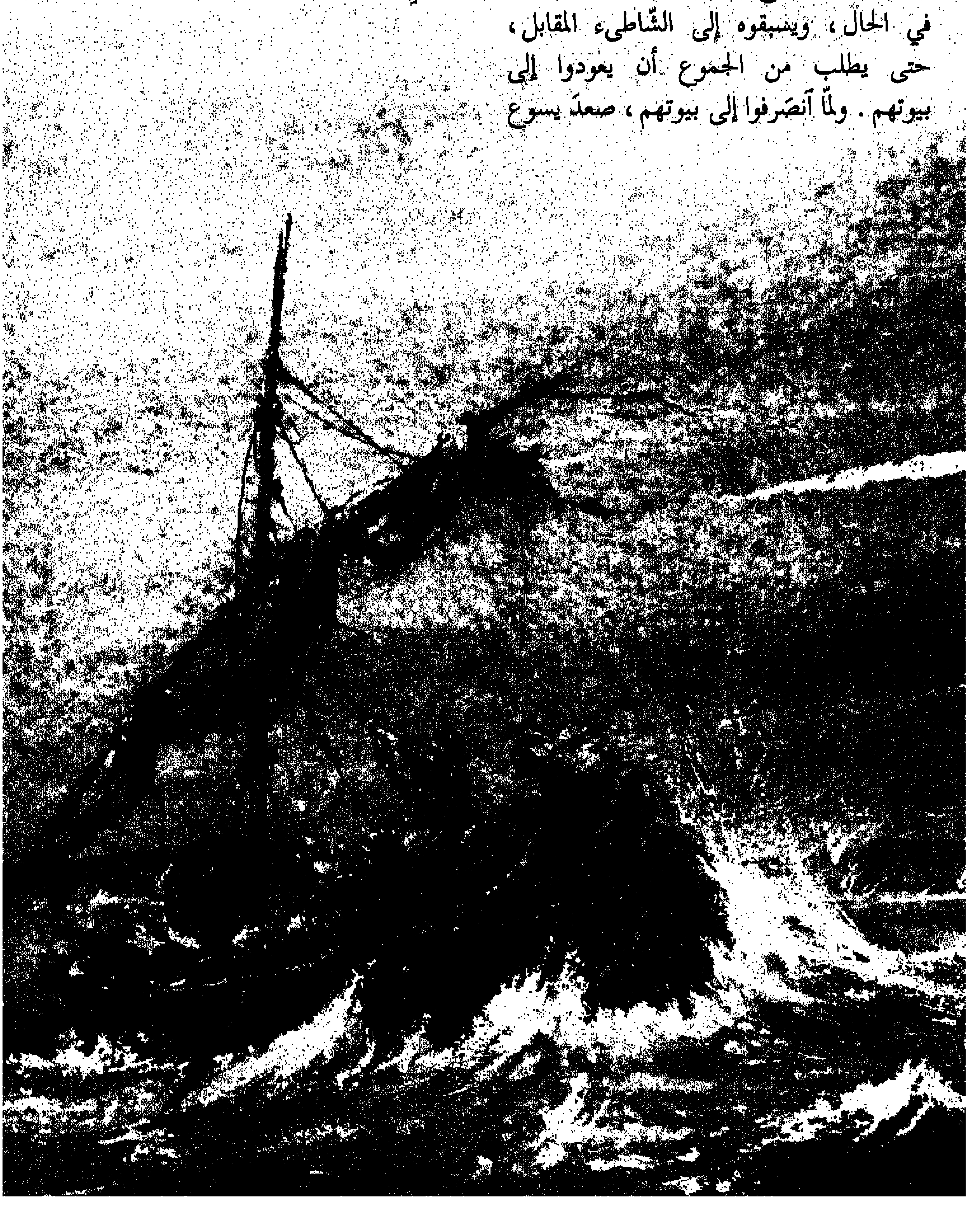
فأمرهم يسوع أن يطلبوا من النّاس أن يجلسوا على العشب الأخضر، فجلس النّاسُ صفوفاً صفوفاً ، وأخذَ يسوعُ الأرغِفةَ الخمسةَ والسّمَكتين ، ورفعَ عينيه إلى السّماء ، وصلّى وباركَ ، وقسمَ الأرغِفَة ، وناولَ تلاميذهُ حتى يوزّعوها على النّاس، وهكذا فعلَ بالسّمكتين، فأكلوا حتى شبعوا ، ولمّا انتهوا من الأكلِ ، أمرهم يسوعُ أن يجمَعوا كلّ ما تبقّى من الطّعام حتى لا يضيعَ منه شيءٌ ، فجمعوا بقايا الطّعام وملأوا منه اثنتي عشرَةَ سلّةً .وكان الّذين أكلوا حوالي خمسة آلافِ رجلٍ ما عدا النّساءِ والأولاد . فلمّا رأى النّاسُ هذه المعجزةِ التي صَنعَها يسوع ، قالوا : «بالحقيقةِ هذا هو النبيّ الآتي إلى العالم .» وعرفَ يسوع أنّهم يستعدّون حتى يخطفوه ويجعلوه مِلكاً ، فابتعدَ عنهم ورجِعَ وحده إلى الجبل .

٢٨٣

المشي على الماء

مرقس ٦ ، متى ١٤، يوحنا ٦

ولمّا آنتهى النّاسُ من الأكلِ كانَ اللّيلُ في بدايتِهِ ، فأمَرَ يسوع تلاميذه أن يركبوا القاربَ في الحالِ ، ويسبقوه إلى الشّاطىء المقابل ، حتى يطلب من الجموع أن يعودوا إلى بيوتهم . ولمّا آنصَرفوا إلى بيوتهم ، صعدَ يسوع إلى الجبل ليصلّي ، وكان وحدَه هناك . وعند المساءِ وصلَ القاربُ إلى وسطِ البُحَيْرةِ ، وهنا دفَعته الأمواجُ وكادَ أن ينقلب ، لأنَّ الرّيحَ كانت شديدةً ، ورأى يسوعُ منَ الجبلِ أن تلاميذه يتعذَّبون في التجذيف ، فنزلَ إليهم قبلَ الفجرِ ماشياً على ماءِ البُحيرةِ .



ولمّا رآه التّلاميذ ماشياً على الماءِ خافوا وقالوا: «هذا شبحٌ!» فقالَ لهم يسوع في الحال: «تشجَّعوا! أنا هو! لاتخافوا!» فقالَ بُطرس تلميذهُ: «إن كنتَ أنتَ هو، ياسيّد، فمرْني أن أجيء إليك على الماءِ.» فأجابهُ يسوع: «تَعالْ.» فنزلَ بُطرس من القارب ومشى على الماءِ نحوَ يسوع. وبينما هو يمشي على الماء خاف، لأنَّ الرّيحَ كانت قويَّة، فأخذَ يغرقُ، وصرخَ: «أنقذني، يا سيّد!» فمدَّ يسوع يده في الحال وأمسكهُ وقالَ له: «يا قليل الإيمان، لماذا شَككتَ بي؟» ولمّا صعدا إلى القارب، هدأت الرّيح، فسجدَ له تلاميذه وقالوا: «بالحقيقةِ أنتَ آبنُ الله!»



أسئلة وأجوبة

٢٨٤

الرجل الذي جاء في الليل

يوحنا ٣

وكانَ رَجُلٌ فرّيسيٌ من رؤساءِ اليهود اسمهُ نيقوديموس، فجاءَ هذا الرَّجُل مرَّةً إلى يسوع في الليلِ حتى لا يراهُ أحدٌ من رؤساءِ اليهودِ، ولمّا وصلَ إلى يسوع قالَ له: «يا معلّم، نحنُ نعرِفُ أنّ الله أرسَلكَ، فلا أحد يقدر أن يصنعَ ما أنت تصنعهُ من العجائب إلاّ إذا كانَ الله معه.» فأجابه يسوع: «أقولُ لكَ لا أحد يقدرُ أن يدخلَ ملكوتَ الله إلاّ إذا وُلِدَ ثانيةً.»

فتعجَّبَ نيقوديموس وقال: «كيف يولدُ الإنسانُ وهو كبيرٌ في السِّنِّ؟ أيقدرُ أن يدخلَ بطنَ أمّه مرّةً ثانيةً ثمَّ يولد؟» فأجابه يسوع: «أقولُ لكَ: لا أحد يقدِرُ أن يدخلَ ملكوت الله إلاّ إذا وُلِدَ من الماءِ والرّوح القدس.» يولدُ الإنسانُ بالجسدِ من أمٍّ وأبٍ، أمّا روحيّاً فهو يولدُ من الرّوح القدس. والرّوح القدس مثل الرّيحِ، الرّيحُ تهبُّ فتسمعُ صوتها ولا تعرفُ من أين تأتي، وإلى أين تذهب، وهكذا هو الحال بالنِّسبةِ إلى المولودِ من الرّوح القدس. المولودُ من الرّوح القدس وحدهُ يفهم معنى هذه الولادة.»



٢٨٥
المرأة التي جاءت من أجل الماء
يوحنا ٤

وتركَ يسوع أرضَ اليهوديّة ورجعَ إلى منطقة الجليل، وفي طريقهِ إلى الجليل مرَّ بمنطقةٍ تُدعى السّامرة. وفي منطقةِ السّامرة وصلَ يسوع إلى مدينةٍ تُدعى سوخار، وكانت هذه المدينة قريبةً من أرضٍ فيها بئرُ ماءٍ أعطاها يعقوب لابنهِ يوسف. وكان يسوعُ تَعِباً من السّفر، فجلس على حافّةِ هذه البئرِ بينما ذهبَ تلاميذه إلى البلدةِ ليشتروا الطعامَ، وكان الوقتُ حوالي الظهر. وبينما هو جالس جاءت امرأة سامريَّة إلى البئرِ لتأخذَ ماءً منها. فقال لها يسوع: «أعطني ماءً لأشرب.» فأجابت المرأةُ: «أنت يهوديّ وأنا سامريَّة، واليهوديّ لا يشرب من الكأس التي يشرب منها السّامري. فكيفَ تطلبُ منّي أن أسقيكَ ماءً؟» فقال لها يسوع: «لو كنتِ تعرفين من أنا، لكنتِ أنتِ طلبتِ منّي أن أسقيك، فأعطيكِ ماءً حيّاً.» فأجابت المرأةُ: «البئرُ عميقة، ياسيّدي، وأنت لا دَلْوَ معك حتى تسحب به الماء، فكيف تأتي بالماء الحيّ؟ أبونا يعقوب أعطانا هذه البئر وشرب منها هو وأولاده ومواشيه، فهلْ أنت أعظم من يعقوب؟»

فأجابها يسوع: «كلُّ من يشرب من هذا الماء الذي في البئر يعطش فيما بعد، أمّا من يشرب من ماء الحياة الذي أعطيه أنا، فلن يعطش طول عمره.» قالت له المرأة: «إذاً أعطني من هذا الماء يا سيّدي، فلا أعطش ولا أعود إلى هذه البئر لآخذ الماء.» قال لها يسوع: «أعطيكِ إذا ذهبت ورجعتِ مع زوجك الى هنا.» أجابت المرأةُ: «لا زوجَ لي.» فقال لها يسوع: «صحيح، ما لكِ زوج. في الماضي تزوّجتِ خمس مرّات، والرَّجل الذي يعيش معكِ الآن ليس هو زوجك.»

وهنا تعجّبت المرأةُ، لأنّها رأت أنَّ يسوع يعرفُ كلَّ شيء عنها، فحاولت أن تتجنَّب الموضوع، فقالت له: «أرى أنَّك نبيٌّ ياسيّدي، آباؤنا عبدوا الله في هذا الجبل، وأنتم اليهود تقولون إنَّ أورشليم هي المكان الذي يجبُ أن نعبدُ الله فيه.» فأجابها يسوع: «مكانُ العبادةِ غيرُ مهم، المهم هو عبادةُ الله بالرّوح.» فقالت له المرأة: «هل أنت هو المسيح؟ أعرف أنَّ المسيح سيجيء. ومتى جاء أخبرنا بكلِّ شيء.» فأجابها يسوع: «أنا هو المسيح، أنا هو الذي يتكلَّم معك.» ولمّا سمعت المرأةُ كلامَ يسوع تركت جرّة الماءِ عندَ البئرِ وأسرعت إلى المدينةِ. وقالت للنّاسِ هناك: «تعالوا، رأيتُ عند البئرِ رجلاً يعرفُ كلَّ شيءٍ عنّي. أظنُّ أنَّه المسيح.» فخرجَ النّاسُ من المدينةِ وجاؤوا إلى يسوع، فلمّا جاء إليه السّامريّون ورأوه، آمنوا به وطلبوا منه أن يبقى عندهم بعضَ الوقتِ، فبَقِيَ يومين، وفي هذين اليومين زادَ عددُ المؤمنين به كثيراً، وقالوا للمرأة: «مَعَكِ الحق! نحن نؤمن به الآن فنحن سمعناه بأنفسنا وعرفنا بالحقيقة أنَّه هو المسيح الذي يُخلِّص العالم.»

حكايات عن محبة الله

٢٨٦
الخروف الضّائع
لوقا ١٥

في يومٍ من الأيّام جاءَ الفرّيسيّون ومعلّمو الشريعة إلى يسوع، ولمّا آقتربوا منه رأوه جالساً مع الذين يعتبرونهم خطاة، لأنّهم لا يطيعون الشريعةَ في حياتهم، فانتقدوا يسوع على ذلك وقالوا عنه: «هذا الرّجلُ يجلسُ مع الخطاة ويأكلُ معهم!»

وعرفَ يسوعُ ما يدورُ في عقولهم، فقال لهم: «تصوّروا أن رَجُلاً عنده مئةُ خروف، وتصوّروا أن هذا الرَّجُل ضيَّع واحداً منها. ألا يتركُ هذا الرَّجل التّسعةَ والتسعين خروفاً في المرعى ويذهبُ ليفتّشَ عن الخروف الضائع في كلِّ مكان حتى يجده؟ وإذا وجَدهُ، ألا يحمله على كتفيه مسروراً ويرجعُ به إلى البيتِ ويدعو أصدقاءه وجيرانه حتى يفرحوا معه، لأنّه وجدَ الخروف الضائع!» وتابعَ يسوعُ قائلاً: «هكذا يكونُ فرحُ الله وملائكتهِ في السّماءِ بخاطئٍ واحد يتوب، أي يعترف بخطيئتهِ ويرتدُّ عنها، أكثر من الفرح بتسعةٍ وتسعينَ من الصّالحين الذينَ لا يحتاجون إلى التّوبةِ.»



٢٨٧
الدرهم الضّائع
لوقا ١٥

وحالما انتهى يسوعُ من ذكر مثل الخروف الضائع ، كان جميع جباة الضَّرائب والخاطئين ما يزالون يتقدَّمون إلى يسوعِ ليسمعوه ، عند ذلك ذكر لهم مثلاً آخر قائلاً : «تصوّروا امرأةً (ربّة بيت) عندها عشرةُ دراهم (أي عشرةُ قطعٍ من النّقود الثمينةِ) . وتصوّروا أنَّه في يوم من الأيّام اكتشفت هذه المرأة أنّها أضاعت درهماً واحداً منها ، فماذا تفعل؟ هل تبقى جالسة مكتّفة اليدين وترضى بالتّسعةِ الباقين؟ أم أنَّها تفتّش بيتها الصَّغير؟ ألا تُشعِلُ سِرَاجها وتكنّسُ البيتَ وتفتّش عن الدرهم الضائع حتى تجده؟ وإذا وجدتهُ ، ألا تدعو صديقاتها وجاراتها ليفرحنَ معها ، لأنّها وجدت درهمها الضّائع؟ وأنا أقولُ لكم : هكذا تفرحُ ملائكةُ الله بخاطيءٍ واحدٍ يتوب عن خطيئته ويرجعُ عنها .»



٢٨٨
الابن الضائع
لوقا ١٥

ثمَّ أعطى يسوع مثلاً عن محبَّةِ الله، فقال: «كان لِرَجلٍ ابنان، فقال له الابنُ الأصغر: يا أبي، أعطني حِصَّتي من الأملاك. فقسّمَ أبوه الأملاكَ بينهُ وبينَ أخيهِ الأكبر وأعطاهُ حصّتهُ منها. وبعدَ أيّامٍ قليلةٍ، باع هذا الابن حِصَّته من الأملاك، وسافرَ إلى بلادٍ بعيدةٍ، وهناك صرفَ كلَّ ماله على ملذّاتهِ من غيرِ حساب، فلمّا صرف كلَّ ماله ولم يبقَ معه شيء، أصابت تلك البلاد مجاعةٌ شديدةٌ، وفقرٌ كبيرٌ، فذهبَ وطلبَ عملاً عندَ رجلٍ من أهلِ تلكَ البلاد، فأرسله هذا الرَّجل إلى مزرعته ليرعى الخنازير، وجاعَ هذا الابنُ، فكانَ يشتهي أن يملأ بطنَهُ من ثمر الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكُلُه فلا يجد من يعطيه شيئاً منها.

وهنا بدأ يفكّر في نفسه وقال: كمْ من خادمٍ عندَ أبي يأكلُ ويشبعُ ويفضلُ عنه الطّعام، وأنا هنا في هذه البلاد الغريبةِ أموتُ من الجوع. سأقومُ وأرجعُ إلى أبي وأقولُ له: آسف يا أبي، فأنا أخطأتُ إلى الله وإليك، وأنا لا أستحقُّ بعد الآن أن أكونَ ابناً لك، عاملْني مثل خادم عندك.

فقامَ الإبنُ ورجعَ إلى أبيه، فرآه أبوه آتياً من بعيد، فتحنّن عليه وأسرع إليه يضمّه إلى صدره ويقبّله. فقال له الابنُ: «يا أبي، أخطأتُ إليك، ولا أستحقُّ بعد اليوم أن أكونَ لكَ ابناً.» وفي الحال أمرَ الأبُ خُدّامه وقال لهم: «أسرعوا! هاتوا أفخر ثوبٍ وألبسوه إيّاه،



وضعوا خاتماً في إصبعهِ وحذاءً في رجليهِ، وآذبحوا العجلَ السّمين، فنأكُلَ جميعُنا ونفرحَ لأنَّ آبني هذا كان ميتاً فعاش، وضائعاً فوجدناه.»

وفي هذا الوقتِ كانَ الأبنُ الأكبر في الحقل، وهو الذي بقي في البيت ولم يترك أباهُ، فلمّا رجع من الحقل وآقترب من البيت سمعَ صوتَ الغناء والرَّقص في البيت. فدعا واحداً من الخدّامِ وسأله: «ما الخبر؟» فأجابه: «رجعَ أخوكَ، فذبحَ له أبوكَ العجلَ السّمين.» ولمّا سمِعَ هذا الجواب غضِبَ ورفضَ أن يدخُل إلى البيتِ، فخرج إليه أبوه وترجّاه أن يدخُلَ.

فقال لأبيه: «خدَمْتُكَ كلَّ هذه السّنين وأطعتُكَ في كلِّ أمرٍ فلم تعطني جَدْياً واحداً لأفرحَ به مع أصدقائي. ولكنْ بعدما صرف آبنكَ هذا كلَّ مالكَ على ملذّاتِه وعادَ إليك ذبحتَ له العجلَ السّمين.» أجابه أبوه: «يا آبني، أنت معي في كلِّ وقتٍ، وكلُّ مالي هو لك، ولكنْ دعنا نفرحُ الآن لأنَّ أخاكَ هذا كان ميتاً فعاش، وضائِعاً فوجدناه.»



٢٨٩ العمّال وأجرتهم

متى ٢٠

وحكى يسوعُ لتلاميذه عن ملكوت الله فقال: «خرجَ صاحبُ كرم عندَ الصباح يفتِّش عن عمَّال لكرمهِ. ولمّا وجَدهم، اتَّفقَ معهم على أن يُعطيهم ديناراً في اليوم الواحد أجْرةَ أتعابهم، ثمَّ أرسلهم إلى كرمهِ للعملِ فيه. وحوالي الساعةِ التاسعةِ خرجَ صاحبُ الكرم إلى السّاحةِ، فرأى فيها عُمّالاً واقفين بلا عمل، فقال لهم: «اذهبوا أنتم أيضاً إلى كرمي واشتغلوا فيه وأنا أعطيكم ما تستحقّون من الأجرةِ، فذهبوا.» وخرج صاحبُ الكرم أيضاً حوالي الظهر، ثمَّ حوالي الساعةِ الثالثةِ بعدَ الظهر وقال الشيء نفسه للعمّال الذين وجَدهم. وأخيراً خرجَ نحوَ السّاعةِ الخامسةِ في المساءِ فلَقِيَ عُمّالاً آخرين واقفين بلا عِمل، فقال لهم: «لماذا أنتم هنا كلَّ النّهار بلا عمل؟» فقالوا له: «لم يستأجرنا أحد.» فقال لهم: «اذهبوا أنتم أيضاً إلى كرمي وستأخذون أجرتكم.»

ولمّا جاء المساء وانتهى العملُ في الحقل، قال صاحب الكرم لِوَكيله، ادفع للعمّال أجرَتهم، تبدأ بالذينَ استأجرتهم في الآخر، وتنتهي بالذين استأجرتهم في الأوّل. فجاء الذين استأجرهم في الخامِسةِ مساءً، وأخذَ كلُّ واحدٍ منهم ديناراً، فلمّا جاءَ الذين استأجرهم في الأوّل، ظنّوا أنهم سيأخذون أكثرَ من دينار، لكنهم أخذوا هم أيضاً ديناراً لكلِّ واحدٍ منهم، فتضايقوا وقالوا لصاحبِ الكرم: «هؤلاء الذين استأجرتهم آخرَ شيء عملوا ساعةً واحدةً، فأعطيتهم مِثْلَ ما أعطيتنا نحنُ الذين اشتغلنا كلَّ النّهار واحتملنا حرارته الشّديدة.» فأجابَ صاحبُ الكرم واحداً منهم: «يا صديقي، أنا لم أظلمك، أما اتَّفقتُ معكَ على دينار في اليومِ الواحد؟ وها أنا أُعْطيكَ ديناراً عن كلِّ يومٍ اشتغلته، فخذْ حقَّكَ واذهب، فهذا الذي في الآخر أريدُ أن أعطيهِ مثلك. ألا يحق لي أن أتصرَّف بمالي كما أريد؟ أو أنّكم تحسدوني على كَرَمي؟» وأنهى يسوع هذه الحكاية فقال: «هكذا يصيرُ في ملكوتِ الله، إنَّ الذين يظنّونُ أنَّهم أوَّلَ الذين يستحقّونه، يصيرون آخر من يستحقّه، والذينَ يظنُّونَ أنَّهم آخرَ من يستحقّهُ، يصيرون أوَّلَ من يستحقّه.»



يسوع المسيح يتكلّم عن المال

٢٩٠

الرجل الغني

مرقس ١٠

وبينما كان يسوع يمشي في الطَّريق، أسرع إليه رجلٌ وسجدَ قُدّامه وسأله: «أيُّها المعلّم الصالح، ماذا أعملُ حتى تكونَ لي الحياةُ الأبديَّة؟» فأجابه يسوع: «أنتَ تعرفُ الوصايا: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تكذب، لا تظلم أحداً، واحترم أباك وأمّك.» فأجابه الرَّجل: «يا معلّم، منذ أن كنتُ صبيّاً عملتُ بهذه الوصايا كلّها.» فنظرَ إليه يسوع بمحبَّةٍ وقال له: «ينقصك شيء واحدٌ، وهذا الشيء هو أن تذهبَ وتبيعَ كلَّ ما تملِكه وتُعطي ثمنه للفقراء فيصيرَ لكَ كنزٌ في السَّماءِ، وبعدَ أن تعمل هذا، تجيء وتتبعني.» فحزنَ الرَّجلُ جدّاً لمّا سمعَ هذا الكلام ورجعَ إلى بيتهِ كئيباً، لأنَّه كانَ يملِكُ أموالاً كثيرةً. فنظرَ يسوعُ حوله وقالَ لتلاميذه: «ما أصعبَ أن يدخُلَ الأغنياءُ إلى ملكوتِ الله!» فلم يفهم التلاميذُ معنى هذا الكلام، فقال لهم ثانيةً: «دخولُ جملٍ من ثُقبِ الإبرةِ أسهلُ من دخولِ الغنيّ إلى ملكوت الله.» ولمّا سمعوا هذا القول تعجبوا وتساءلوا: «من يقدرُ أن يَخْلُصَ إذاً؟» فنظرَ إليهم يسوع وقال: «لا أحد يقدر بقوّتهِ أن يُخلِّص نفسَهُ، الله وحده يقدر أن يُخلِّصه.»



٢٩١

أعظم العطايا

مرقس ١٢

وفي أحد الأيّامِ جلسَ يسوعُ في الهيكلِ يتطلّعُ إلى الّذين يدخلونَ ويخرجونَ ، وكانَ في الهيكلِ صندوق يضعُ النّاسُ فيه نقوداً. فألقى كثيرٌ من الأغنياءِ نقوداً كثيرةً ، ثمَّ جاءت امرأةٌ فقيرةٌ ماتَ زوجها ولم يكن لها أحدٌ يهتم



بها، فألقت في الصندوق درهمين، ورآها يسوع تُلقي الدرهمين في الصندوق. فدعا تلاميذه وقال لهم: «أقول لكم: هذه الأرملة ألقت في الصندوق أكثر مما ألقاه الأغنياء الآخرون كلّهم.» ولمّا شعر يسوع أنّ تلاميذه لم يفهموه، تابع يقول: «الأغنياء أعطوا المال الذي يزيد عن حاجاتهم، وأمّا الأرملة، فأعطت كلَّ ما كان معها، ولم تترك شيئاً لتعيش منه.»

٢٩٢
المزارع الغبي

لوقا ١٢

ومرّةً كانَ يسوعُ يبشّرُ كعادته، فتقدَّمَ نحوه شخصٌ من الجمعِ وقال له: «يا معلّم، قل لأخي أن يُعطيني حِصّتي ممّا تركه لنا أبي بعد موته.» أجابه يسوع: «يا رجل، من عيّنني قاضياً لأحكم بينك وبين أخيك؟» ثمَّ التفت إلى الجمع وقالَ لهم: «ابتعدوا عن الطَّمع، فما قيمةُ الحياةِ بكثرةِ المالِ.» وشرح لهم معنى هذا القول بالحكاية التّالية: «كانَ لرجلٍ غني أراضٍ كثيرةٌ، وفي سنةٍ من السّنين أخصبت هذه الأراضي فأنتجت محاصيل كثيرة. فقالَ في نفسِهِ: «لايوجد عندي مكانٌ أخزنُ فيه كل هذه المحاصيل، فماذا أفعل؟» ثمَّ فكّرَ قليلاً وقال: «سأهدمُ هذه المخازن الصغيره التي أملُكها الآن وأبني مكانها مخازنَ أكبرَ منها فأضعَ فيها محاصيلي، وأقولُ لنفسي: يا نفسي لكِ خيراتٌ تكفيكِ سنوات عديدة فاستريحي وكلي واشربي وتنعّمي.»

وفي تلك اللّيلةِ ذاتها قال له الله: «يا غبيّ، في هذه الليلة تموت، فما الفائدةُ من كلِّ الأموالِ التي عندك؟» وأنهى يسوعُ هذه الحكاية بقوله: «وهكذا يحدثُ لمن يهتّمُ طوال حياته بجَمْعِ المالِ وينسى الله.» ثمَّ تطلَّعَ يسوعُ إلى تلاميذه وقال لهم: «لايهمّكم ما تأكلونَ وما تلبسون. انظروا إلى الطيورِ، فهي لا تزرع ولا تحصد ولا يوجد عندها مخزنٌ ولا مستودع، والله يرزقها طعامَها، أما أنتم أفضلَ من الطّيور؟ فلا تهتمّوا بما تأكلون وتشربون ولا تقلقوا، فأبوكم في السّماء يعرفُ ما تحتاجون إليه ويعطيكم إيّاه، بل اطلبوا ملكوتَ الله، والله يعطيكم كلَّ ما تحتاجون.»

يسوع المسيح يتكلّم عن نفسه

٢٩٣

أنتَ مسيحُ الله

مرقس ٨، متى ١٦

وبعد أن أطعم يسوع الأربعة آلاف شخص وعمل عجائب كثيرة، ذهب مع تلاميذه إلى منطقة تدعى قيصريَّة فيلبُّس، وفيما هم في الطَّريق سألهم يسوع: «ماذا يقول النّاس عنّي؟ ومن يعتقدون أنّي أكون؟» أجاب واحدٌ منهم: «بعضهم يقولون: إنّك يوحنّا المعمدان، قامَ من الموت.» وقال آخر: «وبعضُهم يظنّ أنّك إيليّا.» وقالَ آخر: «البعضُ الآخر يعتقدون أنّكَ نبيٌّ.»

ولمّا سمع يسوع كلَّ هذه الأجوبة، سأل تلاميذه: «وأنتم، من أنا في رأيكم؟»

فأجابه تلميذه سمعان بطرس: «أنت المسيح ابن الله الحي!» فقال له يسوع: «هنيئاً لك، يا سمعان بن يونا! لم يكشف لك هذه الحقيقة أحدٌ من البشر، بل أبي الذي في السّماوات. وأنا أقول لك: أنت صخر، وعلى هذا الصَّخر سأبني كنيستي، وقوّات الجحيم لن تقوى عليها. وسأعطيك مفاتيح ملكوت السّماوات، فما تربطه في الأرض يكون مربوطاً في السّماء وما تحلّه في الأرض يكون محلولاً في السّماء.» فأمرهم أن لا يخبروا أحداً أنّه هو المسيح.



٢٩٤
الأيام الآتية
مرقس ٨

وأخذَ يسوعُ يشرحُ لتلاميذه معنى أن يكونَ هو المسيح فقال: «يجب أن تعرفوا أنَّ آلاماً كبيرةً ستُصيبني، وأنَّ الشيوخَ ورؤساءَ الكهنةِ ومعلّمي الشريعةِ سيقبضونَ عليَّ ويقتلونني، ولكن يجبُ أن تعرفوا أيضاً أني سأقوم من الموت بعد ثلاثة أيّام.»

ولمّا انتهى يسوع من هذا الكلام، قال له بطرس: «لا تتكلّم هكذا يا سيِّد، فنحنُ لا نريدُ أن يحدث لك ما تقول.» فأجابه يسوع: «ما تقوله أنت يُرضي الشيطان، أمّا أنا فأعملُ حسبَ إرادة الله.» ثمَّ دعا يسوع تلاميذه والجموع وقال: «من أرادَ أن يتبعني يجبُ أن يتألَّم مثلي، وأقول لكم: كلُّ من أرادَ أن يتبعني يجب أن ينسى نفسه ويترك كلَّ شيء يملكه، ويتبعني. فماذا يستفيدُ الواحد إذا ربحَ مال الدّنيا كلَّها وخسِرَ حياته، فمهما أعطى من المال لا يقدر أن يستردَّ حياته التي خسِرها.»

التجلّي

٢٩٥

ظهور موسى وإيليّا

لوقا ٩

ومرّةً دعا يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا، وصعدَ معهم إلى الجبلِ ليصلّي، وبينما هو يصلّي تغيّرت هيئةُ وجهه وصارت ثيابه بيضاءَ لامعةً. وبغتةً ظهرَ معه رجلان يُكلّمانه، وهما النّبيّان موسى وإيليّا، وظهرا في مجدٍ عظيم، وأخذا يتحدّثان معه عن طريقة موته، وفي هذا الوقت كان بطرس ورفيقاه نائمِين، لكنّهم أفاقوا وشاهدوا يسوع والرّجلين الواقفين معه. وعندما كان النبيّان موسى وإيليّا يتركانه قال بطرس ليسوع: «يا معلّم، ما أجمل أن نكون هنا: فما رأيك لو نصبنا ثلاث خيام: واحدة لك، وواحدة لموسى، وواحدة لإيليّا؟» وفي الحقيقة، لم يكن بطرس يعرف ماذا يقول.

ثمّ جاءت غيمة ووقفت فوق رؤوسهم، فقال صوت من الغيمة: «هذا هو آبني الذي أحبّه، فآسمعوا كلامه.» وتلفّتوا فجأة حولهم فلم يروا إلاّ يسوع وحده. وبينما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع أن لا يخبروا أحداً بما رأوا إلاّ بعد أن يموت ويقوم من الموت، وهكذا فعلوا.



يسوع المسيح الشّافي

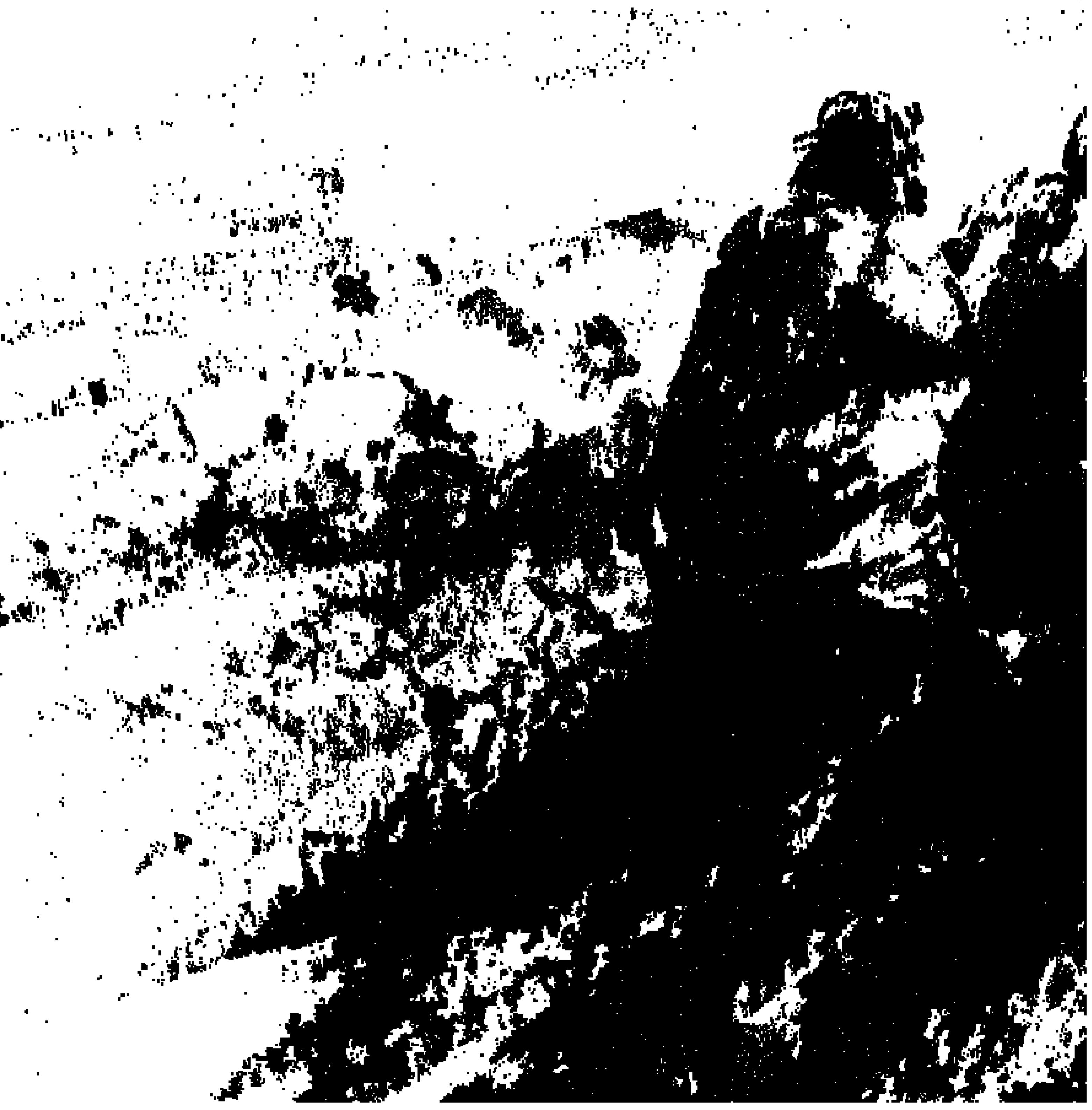
٢٩٦
الوالدُ المتألِّم

مرقس ٩

ولمّا نزلَ يسوع مع بطرس ويعقوب ويوحنّا من الجبل، شاهدَ جمعاً كبيراً يجادلون بقيّة التّلاميذ. فتقدَّم يسوع وسألهم: «في أيِّ شيء تجادلونهم؟» فأجابه رجلٌ من الجمع: «يا معلِّم، جئتُ إليكَ بآبني لتشفيه فلم أجِدك، وآبني هذا فيه روح نجس يجعله أخرس. وكلّما أصابه الرّوحُ النجس يرميه إلى الأرضِ فيرغي فمه ويعضّ على أسنانه ويتصلّب جسده. فعندما لم أجدك طلبتُ من تلاميذك أن يشفوه فلم يَقدِروا.» فطلبَ يسوع أن يقدّموا الصّبيّ إليه، فقدّموه إليه، فسألَ والدَ الصّبيّ: «متى بدأ هذا المرض يُصيبه؟» أجابه: «من أيّامِ طفولتِهِ، ومرّاتٍ عديدةٍ رماه الرّوحُ النجسُ في النّار وفي الماء وكادَ أن يقتله. فإذا كنتَ قادراً أن تشفيه ساعدنا وآشفه.» فقال له يسوع: «كلُّ شيء ممكن، إذا آمنتَ بي.» فأجاب الوالدُ في الحال وهو يبكي: «عندي قليلٌ من الإيمان، ساعدني حتى يزيد.»

ورأى يسوع أن النّاسَ يتجمّعون ليروا ما سيحدث، انتهر الرّوح النجس وقال له: «أيّها الرّوح الأخرس! أنا آمرك، اخرج من هذا الصّبيّ ولا ترجع إليه!» وفي الحال صرخَ الرّوحُ النجس وخرجَ من الصّبيّ فصارَ الصّبيُّ كالميت، حتى ظنَّ كثيرٌ من النّاسِ أنّه مات. فأمسكَهُ يسوع بيده وأنهضه فقام، ثمّ أخذه وسلّمه إلى والدِه.

ثمّ سأله تلاميذه على انفراد: «لماذا لم نقدر نحنُ أن نطرد الرّوحَ النّجس؟» أجابهم يسوع: «هذا النّوع من الأرواح الشرّيرة لا يقدر أحد أن يطرده إلاّ بالصّلاة والصوم.»



٢٩٧
شفاءُ خادم الضابط الروماني
لوقا ٧ ، متى ٨

وفي يومٍ من الأيّام دخلَ يسوعُ إلى بلدةِ كفرناحوم، وكان في هذه البلدة ضابطٌ في الجيش الرّوماني عنده خادمٌ مريض، يتوجّع كثيراً ولا يقدر أن يتحرّك. فلمّا سمع هذا الضّابط بيسوع وأعماله أرسلَ إليه بعض رؤساءِ اليهودِ حتى يطلبوا منه أن يأتي ويشفي خادمه. فأتوا إلى يسوع وقالوا له: «هذا الضّابطُ رَجُلٌ طيِّب، وهو يستحقُّ أن تُساعِده لأنَّه يُحبّ شعبَنا وهو الذي بنى لنا المجمع للصّلاة.» فذهب يسوع معهم، ولمّا اقترب من البيت، أرسل إليه الضّابط بعض أصحابه يقول له: «يا سيّد، لا تُزعج نفسك. أنا لا أستحقُّ أن يدخل بيتي رَجُلٌ عظيمٌ مثلك. ولا أعتقد أنَّ رَجُلاً مثلي يستحقّ أن يجيء إليك، لكن يكفي أن تأمر من بعيد بأن يُشفى خادمي فيُشفى، فأنا ضابط ولي جنود تحت إمرتي، أقولُ لهذا: اذهب، فيذهب، وللآخر تعال، فيجيء ولخادمي اعمل هذا، فيعمله.»

فلمّا سمع يسوع هذا الكلام تعجّب منه والتفتَ إلى الذين يتبعونه وقال: «لم أجد واحداً عنده إيمان مثل إيمان هذا الرّوماني حتى في إسرائيل.» ورجع الذين أرسلهم الضابط إلى يسوع، ولمّا دخلوا البيت وجدوا الخادم قد شفي.



٢٩٨
شفاءُ أصمّ !
مرقس ٧

وتركَ يسوعُ منطِقةَ صور ومرَّ بصيدا ورجع إلى بحيرة الجليل عبر أراضي المدن العشر، وبينما هو في طريق عودته جاءته جماعةٌ من النّاس بواحد أطرش وأخرس وترجّوه أن يشفيه . فأخذه يسوع وابتعد عن النّاس، وقبلَ كلّ شيء ووضع يسوع أصابعه في أُذُنَي الرَّجل، ثمَّ تفل ولمس لسانه، وأخيراً رفعَ عينيه نحوَ السَّماء وصلّى وقال للرَّجل : «إفثا»، وهي كلمةٌ آرامية (تكلّم يسوع وتلاميذه بهذه اللّغة) تعني «انفتحْ» . وفي الحال انفتحت أُذُنا الرَّجُل وصارَ يسمعُ وتحرّك لسانه وصارَ يتكلَّم . وأوصاهم يسوع أن لا يخبروا أحداً، فكان كلَّما أكثر من توصيتهم، أكثروا من إذاعة الخبر.

ولمّا رأى الجمعُ ما فعلَ يسوع تعجّبوا وقالوا : «ما أعظمَ أعماله كلَّها ! تصوّروا أنَّه جعلَ الأطرش يسمع والأخرس يتكلّم .»

٢٩٩
الأشجارُ تمشي
مرقس ٨

ومرّةً كانَ يسوع في بيتِ صيدا (حيث تربّى بطرس واندراوس) فجاؤوا إليه بأعمى وترجّوه أن يلمَسهُ فيشفى، فأخذَ يسوع بيد الأعمى وقاده إلى خارجِ القريةِ، وهناك لمسَ عينيه ووضعَ يديه عليه وسأله: «هل ترى شيئاً؟» فتطلّعَ الأعمى وقال: «أرى النّاسَ، أراهم يمشون كأنّهم شجر.» [وكان هذا بسبب طول المدّة التي قضاها في ظلام قاتم، والنّور البسيط جعل الأشكال غامضة، فلم يكن متأكّداً ممّا يرى].

فوضع يسوعُ يديه مرّةً أخرى على عيني الرّجل الأعمى فرأى جيّداً، رأى كلَّ شي واضحاً [وفجأةً كانت أمامه أشكالٌ تتحرّك وعندما اقتربت منه أدرك أنّها النّاس من حوله وليست الأشجار]. فأرسَلَهُ يسوع إلى بيته وقال له: «لا تذهب إلى البلدةِ ولا تقلْ شيئاً لأحد عن الذي جرى معك.»



المسيح يعلّم عن الطاعة

٣٠٠

مثلُ الإبنَين

متى ٢١ ، متى ٧، يوحنا ١٤

ولمّا صعدَ يسوع إلى أورشليم جاء إليه كهنةُ الهيكلِ ومعلّمو اليهود وأخذوا يتجادلون معه وكانوا يعتقدون أن الله اختارهم ، فكيف يتجرّأ واحدٌ مثل يسوع وينتقدهم؟



وهنا أخبرهم يسوع هذه الحكايةَ فقال : «كانَ لِرَجُل آبنان ، فجاءَ هذا الرَّجُل مرَّةً إلى آبنه الكبير وقالَ له : يا بُنيّ اذهب اليوم إلى الكرم واعمل فيه . فأجابه آبنه :لا أريدُ أن أذهب ، لكنَّه ندِمَ بعدَ حين على جوابه لأبيه وذهبَ إلى الكرم ليعملَ فيه . ثمّ جاء الأبُ إلى الابن الأصغر وطلبَ منه أن يذهبَ إلى الكرمِ ليعمل فيه ، فأجابه آبنه :أنا ذاهبٌ يا أبي ، لكنَّه لم يذهب . وهنا سألَ يسوعُ الكهنة ومعلّمي الشريعة :«أيٌّ مِن الوَلدين عملَ إرادةَ أبيه ؟» أجابوه : «طبعاً الولدُ الأكبر!» فقال لهم يسوع : هذا صحيح، أقولُ لكم : جامِعو الضرائب وكلُّ مَن تحتقرون سيسبقونكم إلى ملكوتِ الله ، لأنَّهم يغيّرون أفكارهم ويطيعونَ الله ، أمّا أنتم فلا تفعلونَ شيئاً من هذا . جاءكم يوحنّا المعمدان فلم تؤمنوا به بينما آمنَ به جامعو الضَّرائب ومن تحتقرونهم ، ومع هذا لم تندموا على عدم إيمانكم به .»

ومرَّةً ثانيةً قالَ يسوعُ لأتباعه : «ليس كلُّ مَن يقولُ لي يا ربّ ، يا ربّ ، يدخلُ ملكوت الله . بل يدخلُ ملكوت الله من يعملُ إرادة الله ، سيقول لي كثيرٌ من الناس في يوم الحسابِ : يا ربّ ، يا ربّ ، بآسمك تنبَّأنا بما سيحدث وبآسمكَ طردنا الشياطين والأرواحَ النجسة من المرضى وبآسمكَ عملنا العجائبَ الكثيرة ، عند ذلك أقولُ لهم : «آبتعدوا عنّي يا أشرار فأنا لم أعرفكم أبداً .»

قصص حول محبة الآخرين

٣٠١

الرجل الذي لا يسامح

متى ١٨

وفي يوم من الأيّام اقتربَ بطرس من يسوع وسأله: «يا سيّد، كم مرّة يجبُ أن أسامح من يخطىء إليَّ؟ ألا يكفي أن أسامحه سبع مرّات؟» فأجابه يسوع وقالَ: «لا سبع مرّات، بلْ سبعينَ مرّة مضروبةً بسبع مرّات.» ثمّ حكى يسوع هذه القصّة: «ملكوت السّماوات مثلُ مَلِكٍ أرادَ يوماً أن يحاسب الموظّفين الذين يعملون عنده، فلمّا بدأ يحاسبهم كان واحدٌ منهم مديوناً للملك بعشرة آلاف درهم من الفضّة، ولم يكن عنده هذه القيمة حتى يوفي دينه. فأمر الملك الذين حوله أن يبيعوا هذا الموظّف وزوجته وأولاده كعبيدٍ، وجميعَ ما يملك حتى يوفيه دينه. فركعَ الموظّف أمامَ الملك وقال له: «أعطني وقتاً يا سيّدي، فأدبّرَ لكَ الدَّين وأوفيكَ كلَّ ما لكَ عليّ.» فأشفق الملكُ عليه لمّا رآه في هذه الحالة وأعفاه من الدين. لكن لمّا خرجَ هذا الموظَّفُ من عندِ الملك، التقى بواحدٍ من أصحابه وكان هذا الصّاحب مديوناً له بمئة دينار، فهجم عليه الموظّف وأمسكه بعنقه حتى كاد أن يخنقه وهو يقول له: «رُدَّ لي الدّين.» فركعَ صاحِبهُ أمامه يرجوه ويقول: «أعطني بعضَ الوقتِ فأوفيك الدّين.» فرفضَ هذا الموظّفُ أن يعطيه وقتاً، بل أخذه وألقاه في الحبس حتى يوفيه الدَّين.



ورأى بعض موظّفي الملك ما جرى فتضايقوا كثيراً، فذهبوا إلى الملك وأخبروه بكلّ ما رأوا، ولـمّا سمعَ الملك ما فعل هذا الموظّف دعاه وقال له: «أيها الموظَّفُ الشّرير! أعفيتُكَ من دينكَ كلّه لأنّك رجوتني فأشفقتُ عليك، فلماذا لم تشفق على صاحِبكَ كما أشفقتُ أنا عليكَ؟»

وغضِبَ الملكُ كثيراً، فألقاه في السجن وأمرَ أن يظلّ فيه حتى يدفعَ له كلّ دينه. وختمَ يسوعُ هذه القصّة فقال: «كما فعلَ الملكُ بالموظّف الشّرير، هكذا يفعلُ بكم أبي الذي في السّماء إذا كان الواحدُ منكم لا يغفر للآخر ويسامِحه على أخطائه.»

٣٠٢ الصديق الصّالح

لوقا ١٠

وفي أحد الأيّام حاول رَجُل من علماء الشّريعة أن ينصب ليسوع فخّاً ويوقعه به، فسأله: «يا معلّم، ماذا أعملُ حتى تكون ليَ الحياةُ الأبديّة؟» أجابه يسوع: «ماذا تقولُ الشريعةُ؟» فقال الرَّجُلُ: «الشريعةُ تقول: تحبّ الرّبَّ إلٰهك بكلّ قلبك، وبكلّ نفسك، وبكلّ قوّتك، وبكلّ فكرك. وتحبّ قريبكَ مثلما تُحب نفسك.» فقال له يسوع: «هذا صحيح، فاذهب واعمل بهذه الوصيّة فتكون لكَ الحياةُ الأبديّة.» لكن معلّم الشريعة لم يكتفِ بهذا الجواب، فسأله ثانيةً: «ومن هو قريبي؟» فأجابه يسوع بهذه الحكاية: «في يومٍ من الأيّام نزلَ رَجُلٌ من مدينةِ أورشليم إلى مدينةِ أريحا، فهاجمه اللّصوص، ضربوه ومزّقوا ثيابه، ثمّ تركوه على الطّريق بينَ حيٍّ وميت.»

وحدثَ أن كاهناً مرَّ في تلكَ الطّريق، فلمّا رآه حادَ عنه ومشى في طريقهِ دون أن يساعده. وبعد هذا الكاهن مرّ لاويٌّ في نفس المكان وهو مساعدٌ للكهنة، فرآه وحادَ عنه ومشى في طريقه، وأخيراً مرَّ سامريٌّ من هناك، فلمّا رآه أشفقَ عليه، فاقتربَ منه وسكبَ زيتاً وخمراً على جِراحِه ولفّها برباطٍ ثمّ حملَه على حِماره وجاء به إلى فندق واعتنى به.

وفي اليوم الثاني أخرجَ السّامريُّ دينارين من جيبه ودفعها إلى صاحبِ الفندق وقال له: «اعتنِ به ومهما صرفتَ عليه زيادة على هذين الدينارين أدفعه إليك عند عودتي إلى هنا.» وهنا سأل يسوع معلّم الشريعة: «أيُّ واحدٍ من هؤلاء الثلاثةِ كانَ قريب الذي هاجمهُ اللّصوص؟» فأجابه معلّمُ الشريعة: «السّامريُّ الذي عامله بالرّحمة.» فقال له يسوع: «اذهب أنتَ واعمل مثله.»



٣٠٣
غنم أو ماعز
متى ٢٥

وعن يوم الحساب قال يسوع لتلاميذه: «يجيء الرّبُّ مع الملائكة ويجلسُ على العرش ليحاسب النّاس. فتجتمعُ أمامه الشعوب، فيقسمهم إلى قسمين كما يقسمُ الرّاعي الخراف عن الماعز، ويجعلُ الصّالحين عن يمينه والأشرارَ عن يساره. ويقولُ الرّبُّ للّذين عن



يمينه: «تعالوا إلى ملكوتي، فأنتم اختاركم الله، لأنّي جعتُ فأطعمتموني، عطشتُ فسقيتموني، وكنتُ غريباً فدعوتموني إلى بيوتكم، وعرياناً فكسوتموني، ومريضاً فزرتموني، وسجيناً فجئتم إليَّ. فيجيبه الصّالحون: «يا ربّ، متى رأيناك جوعاناً فأطعمناك؟ أو عطشاناً فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً فدعوناك إلى بيوتنا؟ أو عُرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً أو سجيناً فزرناك؟» فيجيبهم الرّبّ: «أقولُ لكم كلَّ مرّةٍ عملتم هذا لأصغرِ واحدٍ من أتباعي فكأنّكم عملتموه لي.»

ثمّ يقول للّذين عن شماله: «ابتعدوا عنّي يا أشرار إلى النّارِ الأبديّة، لأنّي جُعتُ فلم تطعموني، عطشتُ فلم تسقوني، وكنتُ غريباً فلم تدعوني إلى بيوتكم، وعُرياناً فلم تكسوني، ومريضاً وسجيناً فلم تزوروني.» فيجيبهُ هؤلاء: «يا ربّ متى رأيناكَ جوعاناً أو عطشاناً، غريباً أو عرياناً، مريضاً أو سجيناً، ولم نساعدك؟» فيجيبهم الرّبّ: «أقول لكم: كلَّ مرّةٍ لم تفعلوا هذا لأقلِّ واحدٍ من أتباعي، فكأنّكم لم تفعلوه بي.» فيذهب هؤلاء الأشرار إلى العذاب الأبدي، أمّا الصّالحون فيذهبون إلى الحياة الأبديّة.

يسوع المسيح يُرحّب بالجميع

٣٠٤

الترحيب المحبب

لوقا ٧

كان سمعان واحداً من الفرّيسيّين، مرّةً دعا يسوعَ إلى الطّعام عنده، فقبلَ يسوع الدّعوة ودخلَ بيت الفرّيسيّ وجلسَ إلى مائدةِ الطعام. وكان في المدينة امرأةٌ خاطئة فعلِمت أنَّ يسوع يأكلُ في بيتِ الفرّيسيّ سمعان، فجاءت ومعها زجاجةٌ من العطر، وتقدَّمت من الخلف على مهلها نحو يسوع ووقفت عند قدميه وهي تبكي، وأخذت تبل قدمَيْه بدموعها وتمسحهما بشعرها، وتقبّلهما وتدهنهما بالعطر. فلمّا رأى سمعان الفرّيسيّ ما جرى، قال في نفسه: «لو كانَ هذا الرَّجُل نبيّاً لعرِف أنَّ هذه المرأة التي تلمسه خاطئة.» وعرفَ يسوع ما يدور في فكره، فقال له: «يا سمعان، عندي شيءٌ أحبُّ أن أقوله لك.» فقال سمعان: «قُلْ يا معلّم!»

فقال يسوع: «كان لأحدهم دين على رَجُلين، خمسمائة دينار على أحدهما وخمسونَ على الآخر. فلم يقدر هذان الرَّجُلان أن يدفعا الدَّين الذي عليهما، فسامحهما به، ففي هذه الحال أيٌّ من الرَّجُلين يحبّه أكثر؟» فأجابه سمعان: «الرَّجُل الذي دينه أكثر.» فقال له يسوع: «صحيح.» ثمَّ التفتَ إلى المرأة، وقال لسمعان: «أترى هذه المرأة؟ أنا دخلتُ بيتك، فلم تسكب على قدميَّ ماء، أمّا هي فغسلت قدميَّ بدموعها ومسحتهما بشعرها. وأنت لم تقبّلني قُبلةَ ترحيب واحدة، وأمّا هي فلم تتوقّف منذُ دخولي هذا البيت عن تقبيلِ قدميّ، أنت لم تدهن رأسي بزيت، وأمّا هي فبالعطرِ دهنت قدمي لذلكَ أقول لك: أنا غفرتُ لها خطاياها الكثيرة وسامحتُها لأنَّها أحبَّت كثيراً. لكن من يُحِبُّ قليلاً يُغْفَر له قليلاً.» ثمَّ التفتَ إلى المرأةِ وقال لها: «مغفورةٌ لكِ خطاياكِ.» ولمّا رأى الَّذين معه على المائدة أنه يَغفرُ الخطايا ويسامح أصحابها، أخذوا يتساءلون: «من هو هذا حتى يغفر الخطايا ويسامح الخطاة؟» فقال يسوع للمرأة: «إيمانكِ خلَّصك فاذهبي في سلام.»

٣٠٥

عائلات

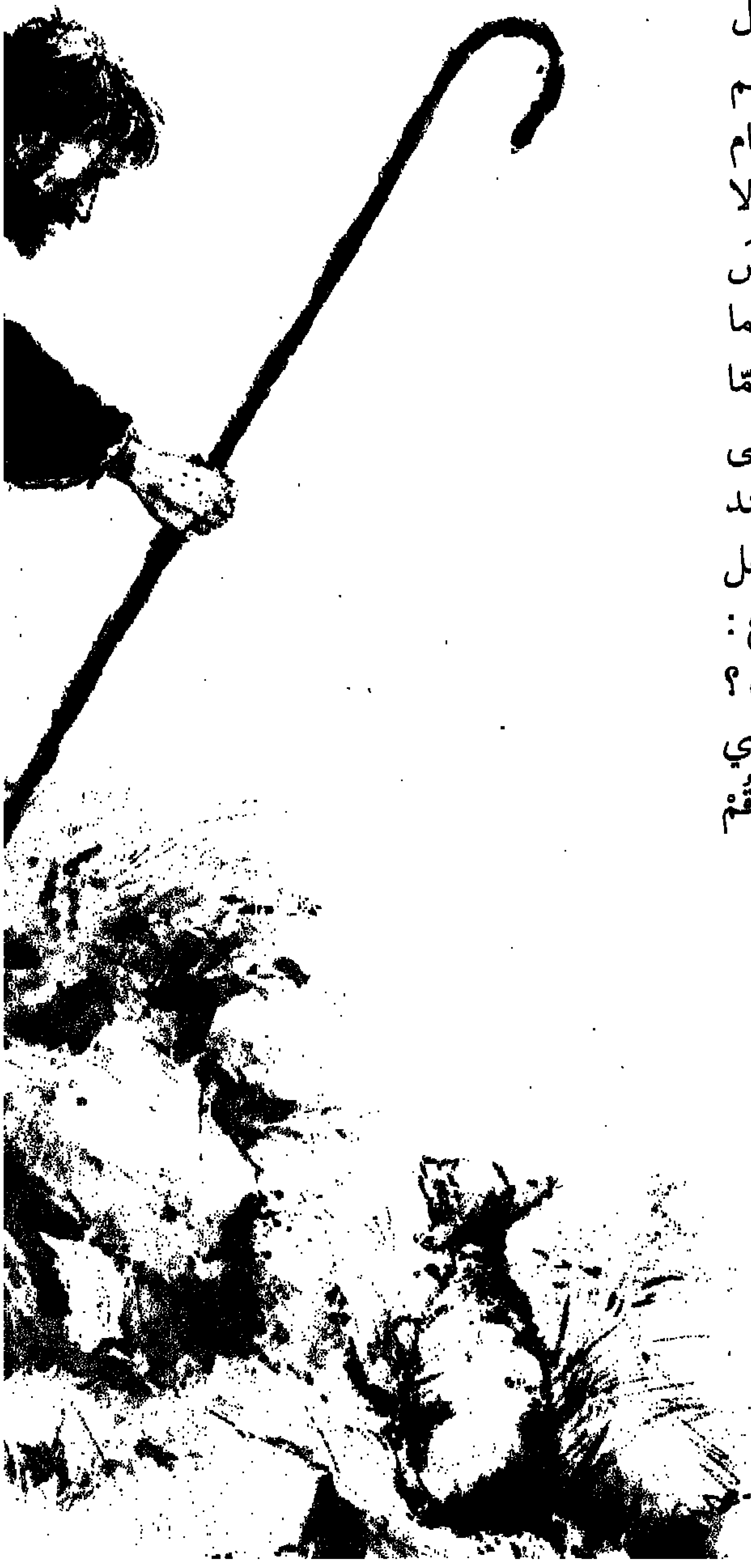
مرقس ١٠

وبينما يسوع يعلِّم الجموع جاءت إليه بعض الأمَّهات مع أطفالها وأولادها الصِّغار لكي يضع يده عليهم ويباركهم. فمنعهم تلاميذه من الوصول إليه بسبب الجموع، فحزنت الأمَّهات وأرادت الذَّهاب. فرأى يسوع ما حدث وتطلَّع إلى تلاميذه، ولامَهُم بشِدَّة على ما فعلوا، وقال لهم: «لماذا تمنعون الأطفال أن يأتوا إليّ؟ دعوهم ولا تمنعوهم، لأنَّ ملكوت الله لهم، ولمن هم مثلهم.» أقول لكم: «من لا يؤمن بملكوت الله كما يؤمن به الأطفال فلا يدخله.» [فهم يأتون بثقة ومحبّة وتواضع]، دعوهم دائماً يأتون إليّ ولا تمنعوهم. ثمَّ حضنهم يسوع، ووضع يديه على الأولاد وباركهم جميعاً. [فتعجّب تلاميذه من أعماله وتواضعه واهتمامه حتّى بالأولاد الصِّغار. وبعدها رجعت الأمّهات والأولاد إلى بيوتهم بفرح كبير مترنّمين في طريقهم].



٣٠٦
الرجل الذي رجع
لوقا ١٧

وسار يسوع إلى مدينة أورشليم، وفي طريقه مرَّ بمنطقة السّامرة، وعند وصوله إلى إحدى القرى، شاهده عشرة رجال مرضى بمرض البرص وهو مرض يجعل الجسد مليئاً بالدمامل والحبوب. ولمّا شاهدوه صاحوا من بعيد: «يا يسوع، يا معلّم، ارحمنا وأشفق علينا!» فقال لهم يسوع: «اذهبوا إلى الكهنة ودعوهم يفحصونكم.» وكان النّاس في تلك الأيّام يخافون مرض البرص، فيتجنّبون صاحبه، ولا يقتربون منه إلاّ إذا أعلنَ الكاهنُ أنَّ المريضَ شُفِيَ منه. وعملوا كما أمرهم يسوع. وبينما هم ذاهبون اختفى منهم المرض، وشفوا. فلمّا رأى واحدٌ منهم أنَّه شُفِيَ من مَرَضِه، رجع إلى يسوع وهو يُمجِّدُ الله بأعلى صوته، وارتمى عند قدميه يشكره لأنَّه شفاه وكان هذا الرَّجُل سامريّاً، لا يختلط معه اليهود. فقال يسوع: «أنا شَفَيْتُ عَشْرَةَ مرضى فأين التِّسعةُ الباقون؟ لماذا لم يرجعوا ليُمجِّدوا الله مثل هذا السّامري الغريب؟» ثمَّ قال يسوع للسّامري: «قُمْ واذهب، إيمانُكَ قد خَلَّصك!»



المسيح يقول: «أنا هو..»

٣٠٧
الراعي الصالح
يوحنا ١٠

[كان عمل الرُّعاة شاقاً وصعباً في الأرض التي عاش فيها يسوع، ففي كلّ يوم على



الرّاعي أن يتجوّل في السُّهول والوديان بعيداً جدّاً بحثاً عن أعشاب تكفي لإشباع خرافه. وجداول المياه تجف بسرعة بسبب ارتفاع حرارة الشمس، فعلى الرّاعي أن يجد ماء لكي يسقي خرافه. وأحياناً كثيرةً كان يخاطر الرّاعي بحياته من أجل إنقاذ خروف صغير سقط من فوق الصُّخور أو وقع في وادي صغير ضيِّق، وكثيراً ما كان يطرد الحيوانات المفترسة ويبعدها عن قطيع الغنم. وهذا يذكّرنا بالملك داود الذي كان في صغره راعياً للغنم، فهو لم ينسَ عناية الله به، وبنفس الطّريقة اعتنى بخرافه]. فترنّم داود قائلاً: «الرَّبُّ راعيَّ، فلا يعوزني شيء.»

وبدأ يسوع يشرح للنّاس من هو ويُعرِّفهم بنفسه، فقال: «أنا هو الرّاعي الصّالح، والرّاعي الصّالح يُضحّي بحياته ليُخلّص خِرافه. والرّاعي الصّالح يختلف كثيراً عن الأجير، فالأجير لا يُحبُّ الخراف لأنّها لا تَخُصّه، فإذا رأى الذئب هاجماً عليها تركها وهربَ فيأتي الذئبُ ويأكل منها ويُشرِّد الباقي. والأجيرُ يهرب من قدّام الذئب لأنّه لا يحبُّ الخراف ولا يهتم بها. لكن أنا غير ذلك، فأنا هو الرّاعي الصّالح، والرّاعي الصّالح يُضحّي بحياته ليُخلّص خرافه.»

وتابع يسوع قائلاً: «لي خراف غير الحاضرين هنا، سأدعوهم إليّ فيسمعون كلامي ويصيرون من خرافي وأكونُ لهم جميعاً الرّاعي الصّالح المُحبّ.»

٣٠٨

الكرمة الحقيقيَّة

يوحنا ١٥

وبعد أن وصفَ نفسه بالرّاعي الصّالح، وصف يسوع نفسه أيضاً بالكرمة فقال: «أنا الكَرمَةُ الحقيقيَّة وأبي الكَرّام. كُلُّ غصنٍ فيَّ لا يعطي ثمراً يقطعه أبي، وكُلُّ غُصنٍ يعطي ثمراً يُنقّيه أبي، ليعطي ثمراً أكثر فيما بعد.» ثمَّ التفت إلى أتباعه وقال لهم: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان، الغصن لا يُعطي ثمراً إلاّ إذا التصق بالكَرمَة، وكذلك أنتم: لا تعطون ثمراً إلاّ إذا التصقتم بي. فكلُّ من يبقى معي وأبقى معه يُثمر ويصيرُ نافعاً، أمّا بدوني وبدون مساعدتي لكم فلا تقدرون على شيء. ومن لا يبقى معي ولا يؤمن بي يصير كالغصن اليابس والغصون اليابسة يَرميها النّاسُ في النّار فتحترق. فآمنوا بي وبكلامي، تحصلوا على كلِّ ما تريدون، فأنا أحِبُّكم كما أحبَّني أبي، وأنتم تحبّونني إذا عملتم بوصاياي.» وأخيراً كانت وصيَّة يسوع لهم، أن يحبّوا بعضهم بعضاً مثلما هو أحبَّهم، فليس هناك حبٌّ أعظمُ من أن يُضحّي الإنسانُ بنفسِه من أجلِ أحبّائه.



حكايات حول الإستفادة من الفرص

٣٠٩

شجرة تين بلا تين

لوقا ١٣

آلاف من النّاس استمعوا إلى يسوع ، لكن قليل منهم اهتمّوا بكلامه ، فخاطب الذين لم يهتّموا بكلامه وقال لهم: «إنَّ الله محب وصبور، ووضَّح لهم أنَّ فرصتهم للنَّجاة ستنتهي سريعاً . لأنَّه في يوم من الأيّام سيكون الوقت قد تأخَّر» وحكى لهم هذه الحكاية :

«زرعَ رجلٌ تينةً في كرمِه ، وانتظر طويلاً حتى كبُرت ، ولمّا كَبُرت التّينة ، جاءَ صاحِبُها يُفَتِّش فيها عن ثمر فلم يجد شيئاً ، ولمّا بقيت سَنوات بلا ثمر قالَ صاحِبُها للكرّام الذي يهتم بالحقل: «لي ثلاث سنين وأنا آتي إلى هذه التّينةِ أفتّش فيها عن ثَمر فلا أجدُ شيئاً ، فأرجو أن تَقطعَها في الحال . فلماذا نتركها تمتصُّ غِذاءَ الأرض وتَحرم غيرها مِن الغِذاء وهي بلا فائدة ؟» فأجابه الكرّام : «أتْرُكها ، يا سيّدي هذه السَّنَةَ أيضاً حتى أحفُرَ الأرض حولَها وأُسَمِّدَها ، فإذا أثمرت في السَّنةِ القادمة نتركها وإلاّ فنقطعُها .»



٣١٠ البنات الحكيمات والبنات الجاهلات

متى ٢٥

وعادَ يسوع يُبشّر النّاس بملكوت الله فقال: «ملكوت السّماوات مِثلُ عُرسٍ، خرجت فيه عَشرُ صبايا بالقناديل (أي بالمصابيح) إلى لقاء العريس، وكانت خَمسٌ مِنهُنَّ عاقلات، وخَمسٌ مِنهُنَّ جاهلات، فحملت الجاهلات قناديلهنَّ ولم يأخذن معهُنَّ بوعاء زيتاً إضافيّاً للقناديل. وأمّا العاقلات، فأخذنَ مع قناديلهنَّ زيتاً إضافيّاً. وحدث في تلك اللّيلة أنّ العريس تأخَّر عن المجيء فنَعِسنَ جميعاً ونمنَ.» وعند نصف اللّيل ارتفعَ الصُّراخُ: «جاء العريس، جاء العريس، فاخرُجنَ إلى لقائه، فقامت البنات العشر وجهَّزن قناديلهُنَّ.»

فقالت البنات الجاهلات للبناتِ العاقلات: «قناديلنا تنطفىء، أعطِينَنا من زيتكُنَّ حتى نُضيئها.» فأجابت العاقلات: «زيتُنا لا يكفي لنا ولكُنَّ معاً. فاذهبنَ إلى الباعة واشترينَ حاجَتكُنَّ من الزيت!» فذهبن إلى الباعة يشترين زيتاً، وبينما هنّ ذاهبات، وصلَ العَريس، فرافقته البنات العاقلات إلى مكان العرس، ثمَّ أغلقَ النّاس الباب. وبعدَ حين، رَجعت البنات الجاهلات إلى مكان العرس، فوجدن البابَ مُغلقاً، فصرخن من الخارج: «ياسيّد، ياسيّد، افتحْ لنا الباب حتى ندخل!» فأجابَهنَّ العَريس: «الحق أقولُ لكُنَّ: أنا لا أعرِفُكنَّ!»

والتفتَ يسوع إلى الجمع حوله وقال: «آسهروا إذاً، وتنبَّهوا وكونوا دائماً مستعدّين، لأنّكم لا تعرفون اليومَ ولا السّاعة التي فيها أجيء.»



٣١١
الخدّام الثلاثة
متى ٢٥

وتابعَ يسوع كلامه حولَ ملكوت الله، فأعطى هذا المثل: «أرادَ رَجُل أن يسافر، وقبلَ سفره دعا خدّامه وسلَّمَهم أمواله، فأعطى لكلِّ واحدٍ منهم حصَّةً حسبَ قُدرَتِهِ، أعطى الأوَّل خمسة آلاف قطعة من الذَّهب، وأعطى الثاني ألفي قطعة، وأعطى الثالث ألف قطعة، ثمَّ سافرَ إلى بلاد بعيدة. وفي غيابه أسرعَ الذي أخذَ خمسة آلاف قطعة من الذَّهب وتاجرَ بها فربح خمسة آلاف قطعة أخرى. وكذلكَ فعلِ الذي أخذَ ألفي قطعة، تاجرَ بها وربح ألفين أيضاً. وأمّا صاحب الألف قطعة لم يتاجر بها بل ذهبَ وحفرَ في الأرض وطمرها فيها.

وبعدَ مدَّةٍ طويلةٍ، رجعَ سيِّد هؤلاء الخدَم ودعاهم ليُحاسبهم. فجاء الذي أخذَ الخمسة الآف قطعة من الذَّهب ودفع لسيّده خمسةَ آلاف قطعةٍ أخرى زياده عليها، وقال: «يا سيّدي، أعطيتني خمسة آلاف قطعة من الذَّهب فتاجرتُ بها وربحتُ خمسة آلاف أخرى، فها خذْها.» فقال له سيّده: «حسناً فعلت، أيّها الخادم الأمين! برهنت أنَّك أمين في الأشياء الصَّغيرة، وأنا سأعطيك الفرصة حتى تكون أميناً في الأشياء الكبيرة، فادخل وشارك سيّدك في نعيمه وفرحه.» وجاء الذي أخذَ الألفَيْ قطعة إلى سيّده وقال له: «يا سيّدي، أعطيتني ألفي قطعة من الذَّهب فتاجرت بها وربحتُ ألفين آخرين فتفضّل وخذهما.» فقال له سيّده: «حسناً فعلت، أيُّها الخادم الأمين! برهنت أنَّك أمين في الأشياء الصَّغيرة وها أنا أعطيك الفرصة حتى تكون أميناً في الأشياء الكبيرة، فادخل وشارك سيّدك في نعيمه وفرحه.»

ثمَّ جاء الذي أخذَ ألف قطعة إلى سيّده وقال له: «عرفتُ أنَّكَ رَجُلٌ قاسٍ وظالم فخفت أن أتاجر بها وأخسرها فذهبتُ وطمرتها في الأرض، فها هي الألف قطعة تفضّل وخذها.» فأجابه سيّده: «أيُّها الخادم الشِّرير الكسلان، إذا كنتُ قاسياً وظالماً كما تقول، فكان عليكَ، أن تضع مالي عند الصيّارفة الذين يتاجرون بالمال، فأستردّه مع فائدته.» ثمَّ قال لخدمه: «خذوا منه ماله وأعطوه لمن له عشرة آلاف قطعة لأنَّ من معه شيء، يصير معه أكثر، ومن لا شيء معه، يخسر كلّ شيء، حتى القليل الذي معه يخسره.» والتفتَ السيّدُ أخيراً إلى خدّامه الآخرين، وأمرهم أن يرموا الخادم الكسلان خارجاً في الظلمة، فهو أضاع فرصته، ولم يبقَ له إلاّ الأسف والندم.



٣١٢
المتطلّع من الشجرة
لوقا ١٩

وذهبَ يسوع وتلاميذه إلى مدينة أورشليم، ولمّا اقتربوا من مدينة أريحا انضمَّ إليهم ناس آخرون، وكان في أريحا رجلٌ غنيٌّ مسؤول عن جمع الضَّرائب وكان اسم هذا الرَّجل الغنّي زكّا، فلمّا سمع أنَّ يسوع في المدينة جاء حتى يراه، لكنَّه كان قصيراً فلم يقدر أن يراه لكثرة الجموع، فأسرع إلى شجرة وتسلّقها حتى يراه منها حين يمر، فلمّا وصلَ يسوع إلى الشَّجرة، تطلَّع إلى فوق فرأى زكّا وقالَ له: «انزل بسرعة يا زكّا، لأنّي سأتعشّى اللَّيلة عندك.» فنزل زكّا مسرعاً واستقبله بفرح. فلمّا رأى النّاس ما حدث، تذمّروا وانتقدوا يسوع، وقالوا عنه: «يذهب إلى بيتِ رجلٍ خاطىء ويتعشّى عنده.» فوقف زكّا وقال لِلرّبّ يسوع: «يا ربّ، سأعطي الفقراء نصف أموالي، وإذا كنتُ ظلمتُ أحداً في شيء، أعيده إليه أربعة أضعاف.» فقال له يسوع: «اليوم حلَّ الخلاصُ بهذا البيت. فأنا جئتُ لأبحث عن الخطاة وأخلّصهم.» وتطلَّع يسوع إلى الجمع، وقال لهم: «أنا جئت للذين مثل زكّا، أنا جئت لأردَّ الخطاة إلى الله.»



٣١٣
شحّاذ أعمى عندَ جانب الطريق
مرقس ١٠

وخرجَ يسوع من أريحا، وكان معه تلاميذه وجمهورٌ كبير، وبينما هم خارجون من هذه المدينة كانَ شحّاذ أعمى آسمه بارتيماوس جالساً على جانب الطَّريق. فلمّا عرف أن الذي يمرُّ هو يسوع النّاصري، أخذ يصرخ بأعلى صوته: «يا يسوع آبنَ داود، تحنَّن عليّ وارحمني!» فقالَ النّاس له: «توقّفْ عن الصراخ!» لكن بارتيماوس صرخَ ثانيةً بصوتٍ أعلى: «يا آبن داود تحنَّن عليّ وارحمني!»

فسمعه يسوع وقال: «دعوه يأتي إليّ!» فنادوا الأعمى وقالوا له: «تشجّع وانهض! فهو يطلبك إليه.» فرمى الأعمى عنه عباءته ونهضَ بسرعة، واندفعَ نحو يسوع، فقال له يسوع: «ماذا تريدُ أن أعملَ لك؟» فأجابه: «يا معلّم، أريدُ أن أُشفى من العمى، فافتح عينيّ لأبصر!» فقال له يسوع: «اذهبْ، إيمانك شَفاك.» ففتح عينيه في الحال وأبصرَ ثمَّ تبعَ يسوع في الطَّريق.

أصدقاء يسوع المسيح

٣١٤

أهم شيء

لوقا ١٠



كانت مرثا ومريم وأخوهما لعازر أصدقاء ليسوع، وكانوا يعيشون في قرية صغيرة قريبة من جبل الزيتون آسمها بيت عنيا، وكان يسوع وتلاميذه يزورونهم كلّما جاؤوا إلى أورشليم.

وفي يوم من الأيّام جاءَ يسوع وتلاميذه إلى مدينة أورشليم وفي الطّريق مرّوا بقرية بيت عنيا، فقام يسوع بزيارة مرثا ومريم ولعازر في بيتهم. ولمّا دخل البيت جلست مريم عند قدمي الرّبّ يسوع تستمع إلى كلامه بينما انشغلت مرثا في المطبخ بأمور الضّيافة حتى تعبت كثيراً. فجاءت إلى يسوع وقالت له: «أما يهمُّك أن تتركني أختي أشتغل لوحدي؟ قُلْ لها أن تنهض وتساعدني.» فأجابها الرّبّ: «مرثا، مرثا، أنتِ تهتمّين بأمور كثيرة ليس لها أهمّيّة، بينما المهم هو شيء واحد. ومريم اختارت هذا الشيء الواحد وهو أن تكون معي وتسمع لأقوالي ولن يحرمها أحد من ذلك.»

٣١٥

صديقك مريض

يوحنا ١١

ومرّةً مرِضَ لعازر أخو مريم ومرثا. وكان مرضه شديداً، فأرسلت الأختان إلى يسوع تقولان: «يا سيّد، الذي تحبُّه مريض فتعال واشفه قبل أن يموت.» فلمّا سمع يسوع بالخبر قال: «لعازر لن يموت، وهذا المرض سيكون لمجد الله، ومجدِ ٱبنِه.» وكانَ يسوع يُحبُّ مريم وأختها مرثا وأخاهما لعازر ومع هذا فلم يذهب في الحال وجاء إليهما، بلْ بقي يومين آخرين. وبعدَ مرور اليومين قال لتلاميذه: «تعالوا نرجع إلى أرض اليهوديَّة.» فردّ عليه التّلاميذ: «يا معلّم، أترجع إلى هناك، ومن وقت قريب أرادَ اليهودُ أن يرجِموكَ بالحجارةِ؟» فأجابهم يسوع: «حبيبُنا لعازر نائم، وأنا ذاهب حتى أوقظه.» وكان يسوع يعني موت لعازر. وظنَّ تلاميذه أنَّه يعني بهذا القول أنَّ لعازر مرتاحٌ في نوم عميق، فقالوا له: يا سيّد، إذا كان لعازر نائماً نوماً عميقاً، فهذه علامة جيّدة، لأنَّ هذا يعني أنَّه سَيُشفى.» وهنا قال لهم يسوع بكلِّ صراحة: «لعازر مات، قوموا نذهب إليه.»



٣١٦
لعازر حَيّ ثانيةً!
يوحنا ١١

وذهبوا إلى قرية بيت عنيا، أي قرية مريم ومرثا ولعازر، فلمّا وصل يسوع إلى هذه القرية، وجد أنَّ لعازر مات منذ أربعة أيّام. فلمّا سمعت مرثا بمجيء يسوع خرجت لاستقباله وبقيت مريم في البيت مع اليهود الذين جاؤوا للتّعزية فقالت مرثا ليسوع: «لو كنت هنا يا سيّد، لم يمت أخي! ولكنّي أعرف أنّ الله يعطيك كلّ ما تطلب منه.» فقال لها يسوع: «أخوكِ سيقوم.» فأجابته: «أعرفُ أنّه سيقوم في يوم القيامة.» فقال لها يسوع: «أنا هو القيامة والحياة، كلّ واحد آمن بي سيعود إلى الحياة حتى ولو مات وكلُّ من يحيا مؤمناً بي لا يموت أبداً.» ثمّ سألها يسوع: «أتؤمنين بهذا القول، يا مرثا؟» فأجابته: «نعم، يا سيّد، أنا أؤمن كلَّ الإيمان بأنّك أنت المسيح آبن الله الذي جاء ليخلّص العالم.» وبعدما قالت مرثا هذا الكلام، رجعت إلى أختها مريم وهمست في أذنها: «المُعلّم هنا، وهو يطلبك.» فقامت مريم وأسرعت إلى يسوع، فلمّا رأى اليهود الذين كانوا في البيت للتّعزية أنَّ مريم قامت وخرجت مسرعة، لحقوا بها وكانوا يظنّون أنّها ذاهبة إلى القبر لتبكي. فلمّا وصلت مريم إلى المكان الذي كان فيه يسوع ينتظرها، ارتمت عندَ قدميه وقالت له: «لو كنتَ هنا، يا سيّد، لم يمت أخي.» فلمّا رآها يسوع تبكي ويبكي معها اليهود الذين رافقوها، حزنَ كثيراً وقال لهم: «أينَ دفنتموه؟» قالوا له: «هناك يا سيّد، تعال وآنظر.» بكى يسوع. فقال اليهود: «انظروا كم كان يحبّه!» لكن بعضهم قالوا: «هذا الذي فتحَ عيني الأعمى، أما كانَ يقدر أن يردَّ الموتَ عن لعازر؟» وجاء يسوع إلى القبر، وكان القبر مغارة وعلى مدخلها حجر. فقال يسوع: «أزيحوا الحجر!» فأجابت مرثا: «قد أنتنَ يا سيد، فمنه تصعد رائحةٌ كريهة، لأنَّ له في القبر أربعة أيّام.» فقال لها يسوع: «أما قلتُ لكِ إذا آمنتِ تشاهدين مجدَ الله.»

فأزاحوا الحجرَ، فصلّى يسوع بصوتٍ عالٍ: «أشكرك يا أبي فأنت دائماً تسمعني دَعْ هؤلاء النّاس حولي يروا ويؤمنوا أنّك أنت أرسلتني.» ثمّ صاحَ بأعلى صوته: «لعازر، أخرج» فخرجَ لعازر من القبر مشدودَ اليدين والرّجلين بالأكفان، وعلى وجهه منديل، فقال لهم يسوع: «انزعوا عنه ثيابَ القبر ودعوه يذهب.» فلمّا شاهدَ اليهود الذين جاؤوا مع مريم ما عملَ يسوع، آمنَ به كثيرٌ منهم، وقالوا عنه إنّه المسيح. لكنَّ جماعة منهم ذهبوا إلى أعدائه الفرّيسيّين وأخبروهم بما عملَ. فاجتمعَ رؤساء الكهنة والفرّيسيّون وقالوا: «ماذا نعمل؟ هذا الرَّجُل يصنع عجائب كثيرة فإذا تركناه على هذا الحال آمنَ به جميعُ النّاس، فيأتي الرّومان ويخربون هيكلنا ويقضونَ على شعبنا.» ومن ذلك الوقت أخذوا يفكّرون كيف يقبضون على يسوع ويقتلونه.

٣١٧

هدية ليسوع المسيح

يوحنا ١٢



واقترب يوم عيد الفصح عندَ اليهود ، وقبلَ هذا العيد بستَّة أيّام ، جاء يسوع إلى بيت عنيا وزارَ لعازر الذي أقامهُ من الموت . فحضَّروا له عشاء وكان الجميع في البيت مسرورين ، فتناولت مريم زجاجة مِنَ العطر الغالي الثمن ، وسكبتها على قدمي يسوع ثمّ مَسَحت قدميه بشعرِها . فأمتلأ البيتُ برائحة العطر الطيّبة ، فقال يهوذا بن سمعان الإسخريوطي أحد تلاميذه ، وهو الذي سلَّمه فيما بعد إلى أعدائه : «كان من الأحسن لو بعنا هذه الزجاجة من العطر بثلاث مئة دينار ووزَّعنا ثمنها على الفقراء .» وفي الحقيقة قال هذا الكلام ، لا لأنَّه كان يحبّ الفقراء ويعطف عليهم ، بلْ لأنَّه كان لصّاً يَسرقُ من صندوق المالِ الذي هو مسؤولٌ عنه . فقال يسوع : «اتركوا مريم تفعل هذا . فالفقراء دائماً معكم ويمكنكم أن تعطوهم كلَّ شيء تريدون ، أمّا أنا ، فلن أكون دائماً موجوداً معكم .»



٣١٨
الاحتفال الكبير
مرقس ١١ ، يوحنا ١٢

وكانت مدينة أورشليم مزدحمة بالنّاس ، فاليهودُ جاؤوا إليها من جميع المناطق حتى يعيّدوا عيدَ الفصح . وفي هذه الأثناء كان يسوع في طريقه إليها ، فلمّا اقتربَ من جبلِ الزّيتون توقّفَ ، ودعا اثنين من تلاميذه وقالَ لهما : «اذهبا إلى القرية التي هناك وحينَ تصلان إليها تجدان في مدخلها جحشاً مربوطاً ، وحين تجدانه تفكّان رباطهُ وتجيئان به إليَّ وإذا رآكما أحد وسألكما : لماذا تفعلان هذا ، فقولا : الرّبُّ محتاجٌ إليه .» فذهبَ التّلميذان إلى القرية التي دلَّهما يسوع إليها فوجدا جحشاً مربوطاً عند بابٍ على الطّريق ، ففكّا رباطه ، فسألهما بعضُ الذين كانوا هناك : «لماذا تفكّان رباطَ الجحش؟» فقالا كما أوصاهما يسوع فتركوهما . فجاء التّلميذان بالجحش إلى يسوع ولمّا وصلا وضع التّلاميذ بعضَ ثيابهم على ظهر الجحش وعملوا منها سرجاً فركب يسوع على الجحش . وفيما هو يتقدّم بسط كثيرٌ من النّاس ثيابهم على الطّريق ، وقطعَ آخرون أغصان الشجر وفرشوها أمام يسوع وهكذا تحقّق ما تنبّأ به النبيّ زكريّا حين قال : «لا تخافي يا مدينة أورشليم ، ها هو مَلِكُكِ آتٍ إليكِ راكباً على جحش .» وكان الذين أمام يسوع والذين وراءه يهتفون : «المجدُ لله ! تباركَ الملكُ الآتي باسم الرّبّ .» ودخلَ يسوع إلى مدينة أورشليم ، وتقدّم فيها حتى وصلَ إلى منطقة الهيكل وتفحّص كلَّ شيء هناك . وكانَ الوقتُ متأخراً ، والمساءُ اقترب ، فرجع مع تلاميذه إلى بيت عنيا ، ليقضوا الليل عند أصحابهم .

أعداء يسوع المسيح يزدادون قوّةً

٣١٩

يسوع المسيح في الهيكل

مرقس ١١

وفي صباح اليوم الثاني جاء يسوعُ مع تلاميذه إلى مدينة أورشليم، ودخلَ إلى الهيكل. وكان في الهيكل تجّارٌ يَبيعونَ بضائعهم، فلمّا رأى يسوع النّاس في الهيكل يبيعونَ ويشترون غضبَ كثيراً، فقلبَ طاولات الذين يُتاجِرونَ بالمالِ وكراسيَّ باعة الحمام، ومنعَ كلَّ من يحملُ بِضاعةً من الدُّخول إلى الهيكل، ثمَّ أخذَ يُعلِّمُهم ويقول: «هذا الهيكل مكان للصَّلاة لجميع الأمم، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص.»

وسمعَ رؤساءُ الكهنة ومُعلّمو الشريعة هذا الكلام فلم يعجبهم، فتشاوروا كيف يقبضون عليه ويقتلونه، لكنَّهم كانوا يخافون أن يقتلوه، لأنَّ الشعب كلَّه كان يحبُّ تعاليمه. وجاء إليه العُرج والعميانُ وهو في الهيكل فشفاهم. فغضِبَ رؤساءُ الكهنة ومُعلِّمو الشريعة عندما رأوا المعجزات التي صنعها وأغاظهم هتاف الأولاد في الهيكل: «المجدُ لابن داود» فقالوا له: «أتسمع ما يقول هؤلاء؟» فأجابهم: «نعم، أما قرأتم هذه الآية: من أفواه الصغار والأطفال أخرجتَ كلامَ الحمد؟» وعندَ المساء خرجَ يسوع من مدينة أورشليم الى بيت عنيا وبات فيها.





٣٢٠ الأعداء في الخارج

متى ٢٦ ، مرقس ١٢

وقبلَ عيد الفصح بيومين ، اجتمعَ رؤساء الكهنة ومعلّمو الشريعةِ وشيوخُ الشعب عندَ رئيس الكهنةِ قيافا ، وتشاوروا كيف يحتالون على يسوع فيمسكونه بالسّر ويقتلونه . لكنَّهم قالوا : «يجب أن لا نفعل هذا في أيّام العيد حتى لا نُغضب الشعب ، لأنَّ الشعب يحبّه .»

وكان يسوع يعرفُ ما سيحدث له ، فقال لتلاميذه : «تعرفون أنَّ الفصحَ بعدَ يومين ، وفيه سيقبضونَ عليَّ ويصلبونني .»

وبدأ أعداءُ يسوع ينفّذونَ خُطّتهم ، فأرسلوا إليه جماعةً من الفرّيسيّين ليمسكوه بحيلةٍ ، فجاؤوا إليه وقالوا له : «يا معلّم ، نعرفُ أنّك صادقٌ ولا تكذب ، ودائماً تقول الحق . فجئنا نسألُك إذا كان من الواجب أن ندفع ضريبةً لقيصر الرومان أم لا .» فعرف يسوع نيّتهم الخبيثة ، فإذا وافق على دفعِ الضريبة اتّهمه النّاس باعترافه بسلطة الرومان ، وإذا لم يوافق عليها أغضب الرومان الذين كانوا يحكمون



البلاد في ذلك الوقت. فقالَ لهم: «أنتم تحاولون أن تحرجوني، هاتوا لي ديناراً.» فأعطوه ديناراً، فمسك الدينار بيده وقلبه على وجهه وسألهم: «لمن هذه الصّورة التي ترونها على وجه الدينار؟» أجابوه: «صورة القيصر!» فقال لهم: «ادفعوا إلى القيصر ما له عليكم، وادفعوا لله ما له عليكم.» ولمّا سمعوا هذا الجواب تعجّبوا جميعهم.

٣٢١
العمّال الأشرار

مرقس ١٢

في يوم من الأيّام حكى يسوع حكايةً أراد بها أن يعلّم رؤساء اليهود وكهنتهم، فقال: «زرع رجلٌ مرّةً كرماً، فسيّجه وحفرَ فيه معصرة لعصر العنب، وبنى برجاً للحراسة ثمَّ أراد أن يسافر فسلّمه إلى بعض الكرّامين وسافر. فلمّا كان وقت القِطاف، أرسلَ صاحبُ الكرم خادمه إلى المزارعين ليأخذ منهم حصّته من الثمر، لكن بدل أن يعطوه حصّته أمسكوا الخادم وضربوه وأرجعوه بلا شيء إلى صاحب الكرم. وهنا أرسلَ صاحب الكرم إليهم خادماً آخر ليجلب له حصّته من الثمر فأمسكه المزارعون وضربوه على رأسِه، وأهانوه وأرجعوه إلى سيّده بلا شيء. وأرسلَ صاحبُ الكرم خادماً آخر فقتله المزارعون، ثمَّ أرسلَ آخرين، فضربوا بعضهم وقتلوا البعضَ الآخر. وأخيراً قرّر صاحبُ الكرم أن يُرسل إليهم آبنه قائلاً في نفسه: «سيحترمون آبني، ولن يفعلوا معه ما فعلوا بالآخرين.» وأرسل لهم آبنه لكنَّهم لمّا شاهدوه آتياً نحوهم قالوا: «هذا هو الذي سيأخذ الكرم، فتعالوا نقتله، فيصير الكرم لنا.» فأمسكوه وقتلوه ورموه خارجَ الكرم. فقال يسوع للذين حوله وسألهم: «ماذا يفعلُ صاحبُ الكرم في رأيكم؟» أجابوه: «يأتي ويقتل المزارعين ويسلّم الكرم إلى غيرهم.» فلمّا سمعَ رؤساءُ اليهود وكهنتهم هذه القصّة عرفوا أنَّ يسوع قال هذا المثل عليهم. فأرادوا أن يمسكوه ولكنَّهم خافوا من الجموع فتركوه وذهبوا.

٣٢٢

العدّو في الداخل

متى ٢٦، مرقس ١٤، لوقا ٢٢

كان واحد من تلاميذ يسوع المسيح اسمه يهوذا الإسخريوطي، وكان يهوذا يحبّ المالَ كثيراً وكان مستعدًّا أن يُضحّي بكلّ شيء من أجله. فدخل الشّيطان فيه.

ذهب وفاوض رؤساء الكهنة وقادة حرس الهيكل الذين يريدون أن يقتلوا يسوع وقال لهم: «كم من المال تعطوني إذا أخبرتكم عن مكان يسوع المسيح وسلَّمته إليكم؟» ولمّا سمعَ رؤساء الكهنة هذا الكلام فرحوا، وفي الحال وعدوه بثلاثين قطعة من الفضّة. ومن ذلك الوقت بدأ يتطلّع إلى فرصةٍ مناسبةٍ ليسلّم يسوع المسيح إلى أعدائه بالخِفْيَةِ عن الشعب.



العشاء الأخير

٣٢٣

تحضير طعام عيد الفصح

مرقس ١٤

في القديم أَنقذَ الله شعبَهُ من الموت على أيدي المصريّين، وذهب بهم إلى أرضٍ جديدةٍ خاصة بهم. وفي ذلك الوقت احتفلوا بعيد الفصح الأوّل، فأوصاهم النّبيّ موسى ماذا يجب أن يأكلوا، وكيف ينبغي لهم أن يطبخوا الطّعام لهذا اليوم بالذّات ولعيد الفصح للسّنين القادمة.

في هذا اليوم، تتجمّع العائلات لتأكل معاً لحم الخروف المشوي مع الأعشاب المرّة. ويأكلون خبز الفطير أيضاً أي (خبزٌ بدون خميرة). لأن لهذه الوجبة معاني خاصة لهم، فهي تذكّرهم بوقت خروجهم بسرعةٍ من مصر، ويكون الاهتمام في الكبار والصغار لأنّهم يسمعون قصصاً عن حسنات الله وعجائبه مع شعبه وكيف أنقذهم واخرجهم من مصر، عندما كانوا عبيداً للمصريّين.

وجاء اليوم الأوّل من عيد الفطير، فسأله تلاميذه: «أين تريد أن نُحضّر عشاءَ الفصح؟» فدعا يسوع اثنين من تلاميذه وهما بطرس ويوحنا وقال لهما: «اذهبا إلى أورشليم فيلاقيكما رجلٌ يحملُ جرّةَ ماء، فاتبعاه، وعندما يدخلُ الرّجلُ أحد البيوت آدْخُلا وراءه وقولا لصاحب البيت: «المعلّم يسأل عن الغرفة التي يأكلُ فيها عشاءَ الفصح مع تلاميذه» فيقودكما في أعلى البيت إلى غرفة واسعة مفروشة فيها يكونُ العشاء. فذهبَ التلميذان ودخلا المدينة، فوجدا كما قال لهما يسوع وحضّرا عشاء الفصح.



٣٢٤
الاهتمام بالآخرين
يوحنا ١٣

وجاء يسوع مع تلاميذه الاثني عشر إلى مكان العشاء. فأخذَ يسوع مِنشفة ولفّها حول وسطه، ثمّ سكبَ ماءً في وعاء وبدأ يغسلُ أرجلَ التّلاميذ ويمسحُها بالمنشفة التي معه. فلمّا جاء دور سمعان بطرس، قال له سمعان: «يا سيّد أنتَ تغسلُ رجليّ؟ هذا غيرُ ممكن!» فأجابه يسوع: «أنتَ الآن لا تفهم معنى الذي أعمله، ولكنّكَ ستفهمه فيما بعدُ.» فقال له بطرس لمّا جاء دَوره: «لن تغسلَ رجليّ أبداً.» أجابه يسوع: «إن كنتُ لا أغسل رجليك، فلا علاقة لكَ معي.»

فقال له بطرس: «لا قدميّ فقط بل يديّ ورأسي أيضاً.» فقال يسوع: «من اغتسل كان طاهراً، فلا يحتاج إلاّ إلى غسل رجليه.»

ولمّا غسلَ يسوع أرجلهم، لبس ثوبه وجلس إلى المائدة ثمّ قال لهم: «هل تفهمون ما عملته لكم؟ أنتم تدعونني معلّماً وسيّداً، وأنتم في هذا على حق، لأنّي أنا هكذا في الحقيقة. وإذا كنتُ أنا السيّدُ والمعلّمُ غسلتُ أرجلكم، فيجبُ عليكم أنتم أيضاً أن يغسلَ بعضكم أرجُلَ بعض. وأنا عمِلتُ هذا حتى تعملوا مثلي.»



٣٢٥
عشاء الفصح
يوحنا ١٣ ، مرقس ١٤

وبينما هم يأكلون عشاء الفصح بدا يسوعُ حزيناً ، فقال لهم : «أقول لكم إنَّ واحداً منكم سيُسلِّمني إلى أعدائي .» فلمّا سمعَ التّلاميذ هذا الكلام نظرَ بعضهم إلى بعض ، وتحيّروا لا يعرفون من الذي يعنيه . وأخذوا يسألونه ، واحداً واحداً ! هل أنا هو؟ فقال لهم : «هو الذي أقدِّم له هذه اللّقمة .» وغمسَ يسوع لقمةً ورفعها وقدّمها إلى يهوذا الإسخريوطي ، وحالما تناولها من يسوع دخلَ فيه الشيطان ، فقالَ له يسوع : «افعلْ ما تنوي أن تفعله ، ولا تتمهّل .» فلم يفهم التّلاميذ لماذا قال يسوع هذا الكلام . وكان يهوذا أمين الصندوق ، فظنَّ بعضهم أنَّ يسوع طلبَ منه أن يشتري لهم ما يحتاجون إليه في العيد ، أو أن يعطي الفقراء شيئاً . وأخذ يهوذا اللّقمة من يدِ يسوع وخرجَ في الحال وكانَ الوقتُ ليلاً .

وبينما هم يتعشّون ، أخذَ يسوع رغيفاً من الخبز باركه وكسره وأعطاهم منه ثمَّ قال : «خذوا كلوا ، هذا هو جسدي .» ثمَّ أخذَ بيده كأساً من النبيذ باركها وأعطاها لهم ، فشربوا منها كلُّهم ، وقال لهم : «هذا هو دمي ، الذي أضحّي به لأخلِّص جميع الشعوب .»

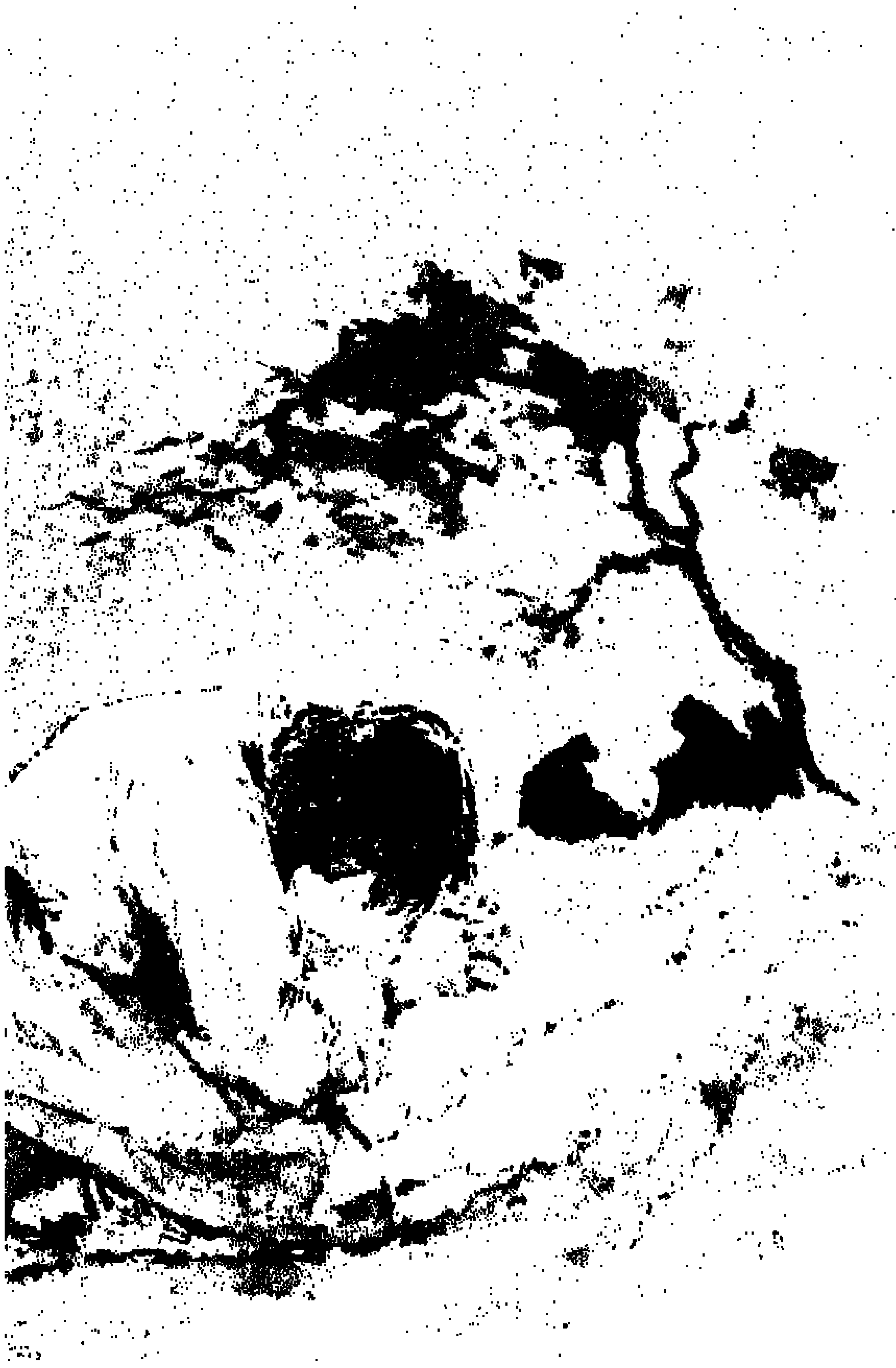
٣٢٦

تهيئة التلاميذ

مرقس ١٤ ، يوحنا ١٣، ١٤، ١٦

وبعدَ العشاء بدأ يسوع يتحدَّث إلى تلاميذه ويهيِّئهم لما سيحدث له في تلكَ الليلة ، فقال لهم : «في هذه الليلة كلّكم ستتركونني .» فردَّ عليه تلميذه بطرس : «لو تركوك كلّهم ، أنا لا أتركَكَ !» فأجابه يسوع : «أقول لكَ يا بطرس : اليوم ، في هذه اللَّيلة بالذات ، قبلَ أن يصيح الدّيك مرّتين ، ستقول ثلاث مرّات أنَّك لا تعرفني .» فأعاد بطرس قوله : «لن أفعل هذا في حياتي ، فأنا مستعدٌّ أن أموت من أجلك .» وهكذا قالَ جميعُ التلاميذ .

لكنَّ يسوع الذي كان يعرف كلَّ شيء تابعَ يقول : «لا تقلقوا ولا تخافوا ، آمنوا بي كما آمنتم بالله . أنا ذاهب لأموت ، لكنّي سأقوم من الموت وبعدَ قيامتي سأذهب إلى الجليل وأنتظركم هناك . ثمّ أصعدُ إلى أبي الذي في السَّماء ، لكن لن أنساكم ، سأبعث إليكم الرّوح القدس ، والرّوح القدس يعطيكم القوّة والشجاعة حتى تظلّوا مُخلصين لتعاليمي .» أقولُ لكم : سأعود إلى أبي وأهيّيء لكم بيتاً عنده في السَّماء ، فأنتم تعرفون إلى أينَ أنا ذاهب وتعرفون الطَّريق إليه .» فقال له توما :



«يا سيّد ، نحن لا نعرف إلى أينَ أنتَ ذاهبٌ ، فكيفَ نقدر أن نعرف الطَّريق إليه .» فأجابه يسوع : «أنا هو الطَّريق إلى الآب ، ولا يأتي أحد إليه إلاّ بي .» وأنهى يسوع قوله : «وقبلَ أن أذهب إلى أبي في السَّماء أعطيكم سلاماً يقوّيكم ، مهما كانت حياتكم صعبة على هذه الأرض .»

القبض على يسوع المسيح ومحاكمته

٣٢٧

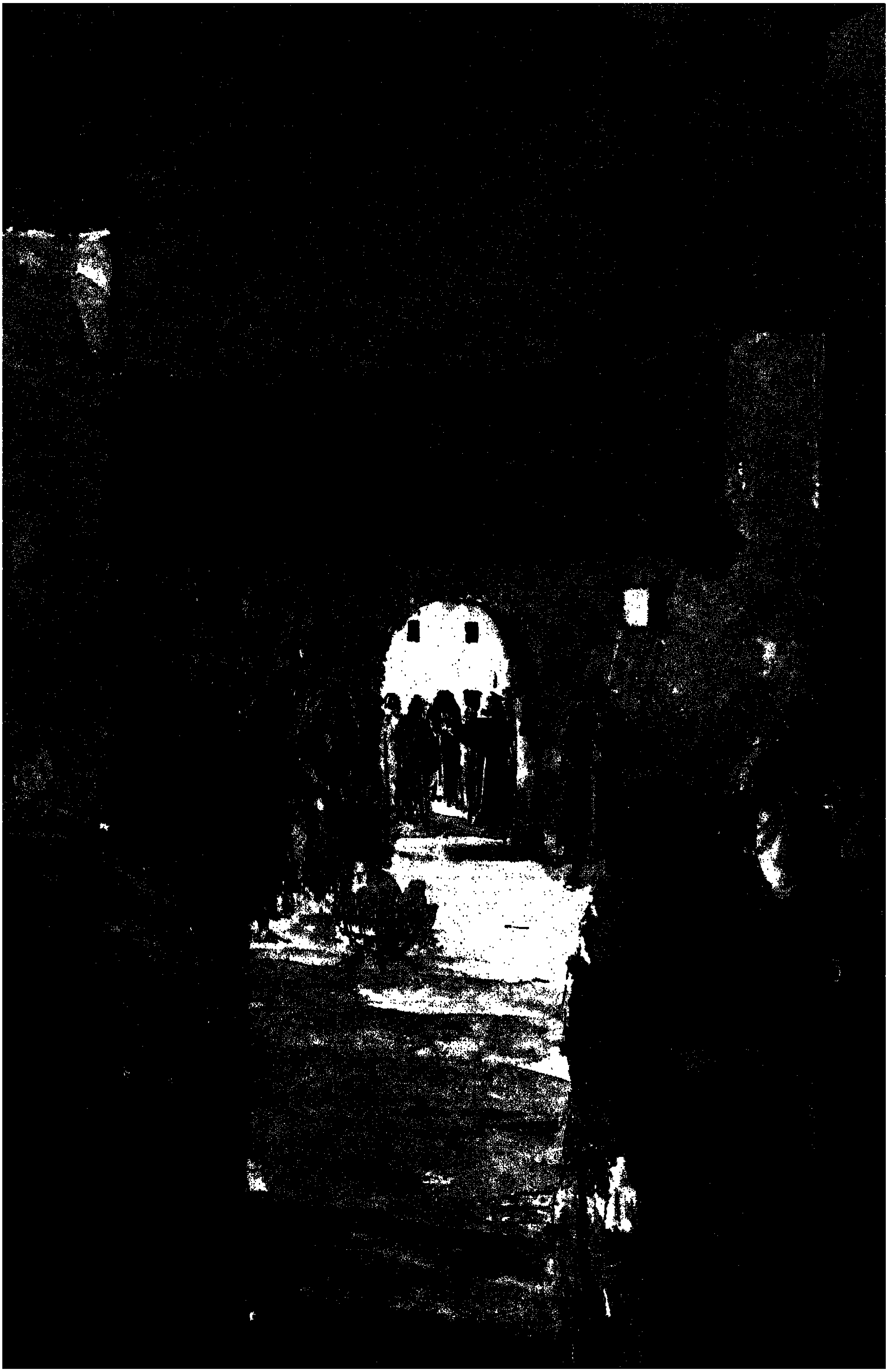
القبض على المسيح في البستان

متى ٢٦ ، يوحنا ١٨

ولمّا آنتهى يسوع من كلامه ، جاء مع تلاميذه إلى بستان منفرد فقالَ لهم : «اجلسوا هنا ، حتى أذهب وأصلّي هناك .» وأخذَ معه بطرس وابنَي زبدي (يوحنا ويعقوب) وبدأ يشعرُ بالحزن الشّديد . فقال لهم : «نفسي حزينة جدّاً ، انتظروا هنا واسهروا معي ولا تتركوني .» وابتعدَ عنهم قليلاً وركعَ وصلّى ، فقال : «يا أبي ، إذا كان ممكناً ، خلّصني من الآلام الكبيرة التي تنتظرني . لكن قبل كلّ شيء أريد أن أفعل ما أنت تريد ، لا ما أنا أريد .»

ولمّا آنتهى من الصّلاة ، رجع إلى تلاميذه الثلاثة فوجدهم نائمين ، فقال لبطرس : «أما قدرتم أن تسهروا معي ساعةً واحدة ؟ فاسهروا وصلّوا .» وابتعدَ ثانيةً وصلّى ، فقال : «يا أبي ، إذا كنتَ لا تريد أن تخلّصني من هذه الآلام فأنا أعمل كما تريد .» ثمّ رجع إلى التّلاميذ الثلاثة فوجدهم مرّةً أخرى نائمين من شدّة التعب فقال لهم : «قوموا ، ها قد جاء الذي يسلّمني إلى أعدائي .» وظهر يهوذا ومعه جماعة تحمل السّيوف والعصيّ أرسلها رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب للقبض على يسوع . وكان يهوذا قد أعطى هذه الجماعة علامةً لِيُعرّف بها يسوع ، قائلاً : «يسوع هو الذي أقبّله !» وفي الحال اقتربَ يهوذا من يسوع وقال : «السّلامُ لك ، يا معلّم !» ثمّ قبّله . فهجمت الجماعة المسلّحة بالسّيوف والعُصي وقبضت على يسوع .

وهنا سحبَ واحدٌ من تلاميذ يسوع سيفه وضربَ خادم رئيس الكهنة ، فقطعَ أذنه . فقال له يسوع : «رُدَّ سيفك إلى مكانه فمن يقتل بالسّيف ، يقتله السّيف . فلو أردتُ أن أخلّصَ نفسي لأرسل لي أبي في الحال جيشاً من الملائكة يدافع عنّي . لكن ما يحدث الآن يجبُ أن يحدث ، فيتحقّق ما تنبّأت به الكتب المقدّسة .» ثمّ التفت يسوع إلى الجماعة المسلّحة وقالَ : «كنتُ كلّ يوم أجلسُ معكم في الهيكل وأعلّمُ ، فلم تقبضوا عليَّ فلماذا تسحبون الآن عليَّ السّيوف والعُصيّ ، كأنّني لصٌّ ؟» ولمّا رأى تلاميذه ما يجري خافوا وهربوا .



٣٢٨
لا أعرفُ الرجل!
لو ٢٢ ، يوحنا ١٨

وأخذوا يسوع إلى بيت رئيس الكهنة قيافا ، وكانَ بطرس يتبعه من بعيد . فوصل بطرس إلى ساحة البيت وهناكَ رأى حُرّاساً جالسين حولَ النّار ، فجلس بينَهم ، فلمحته خادمةٌ من خادمات البيت وتطلّعتْ إليه جيّداً وقالت : «هذا الرّجلُ كانَ مع يسوع !» فقالَ لها بطرس : «أنا لا أعرفه ، يا امرأة !» وبعدَ قليل رآه رَجُلٌ فقالَ له : «وأنتَ واحدٌ من تلاميذ يسوع !» فأجابه بطرس : «لا يا رَجُلْ ، فلستُ أنا منهم !» وبعدَ ساعة رآه رَجُلٌ آخر ، فقالَ : «وهذا الذي من الجليل كان معه .» فأجابه بطرس : «يا رَجُلْ أنا لا أفهم ما تقول . أنا لا أعرفه !» وبينما هو يقول أنّه لم يعرف يسوع في حياته صاحَ الدّيك . فالتفتَ الرّبُّ يسوع إلى بطرس ، فتذكّرَ بطرس كلامَ الرّبّ له أنَّه سَيُنكره ثلاثُ مرّاتٍ قبل صياحِ الدّيك . فخرجَ بطرس وبكى بكاءً مرّاً .

٣٢٩
نهاية يهوذا
متى ٢٧

كان يهوذا أحد تلاميذ يسوع المسيح الإثني عشر وكان أميناً للصندوق . وخلال عشرته ليسوع اكتشف وتيقَّن من أن يسوع صالحٌ وبار . ولكن بالرغم من ذلك ، ولأنَّه كان مُحبّاً للمال قَبِلَ أن يسلّم يسوع لرؤساء الكهنة لقاء مبلغ ثلاثين قطعة من الفضّة . ولكنّه لمّا رأى ما حلّ بيسوع بعد ذلك ندم وأراد أن يَرُدَّ المال إلى رؤساء الكهنة قائلاً : لقد أخطأت لأنّني سلّمتكم رَجُلاً بريئاً فكان جوابهم : «لا يهمّنا ما تشعر به الآن ولا مجال للرّجوع عن اتّفاقنا .»

فكانت النّتيجة أن رمى يهوذا الفضّة في الهيكل ومضى وشنق نفسه .

٣٣٠
يسوع المسيح في المحكمة
مرقس ١٤، لوقا ٢٣

ومضى اللَّيل ورؤساء الكهنة يحاكمون يسوع، ولمّا طلعَ الصَّباح اجتمعَ شيوخ الشَّعب، هم ورؤساء الكهنة ومعلِّمو الشَّريعة، وطلبوا يسوع إليهم، وسألوه: «هل أنتَ المسيح؟» فأجابهم: «سأجلِسُ عن يمين الله القدير.» ثمَّ سألوه: «هل أنتَ ابنُ الله؟» فأجابهم: «أنتم تقولون ذلك.» فقالوا: «يكفي، ما عدنا بحاجة إلى شهود، فنحنُ بأنفسنا سمعنا كلامه من فمه.»

ثمَّ أخذوه إلى الحاكم الرّوماني بيلاطس، وأخذوا يتَّهمونه كذباً، فقالوا: «هذا الرَّجُل يُسبِّبُ مشاكل في شعبنا، فهو يمنع من أن تُدفَعَ الضَّريبة إلى القيصر، إمبراطور الرّومان، وهو يقول عن نفسه إنَّه المسيح الملك.»

فسأله بيلاطس بعضَ الأسئلة، فلم يجد فيه أيَّ خطأ أو عيب فدعا رؤساء الكهنة والشعب وقال لهم: «جئتم إليَّ بهذا الرَّجُل وقلتم إنَّه يختلق المشاكل في الشعب، ففحصته أمامكم فلم أجد فيه عيباً. فهذا الرَّجُلُ لم يفعلْ شيئاً يستحق الموت.» لكن في هذا الوقت كانت الجماهير تصرخ في الخارج: «إصلِبهُ، إصلِبهُ، إصلِبهُ!» فخرجَ إليهم بيلاطس وقال: «هذا الرَّجُل بريء، لا يستحقُّ الموت.» لكنَّ الصُّراخ ارتفعَ أكثر، فأكثر: «إصلِبْهُ، إصلِبْهُ.»

وحاولَ بيلاطس أن يخلِّص يسوع، فقال لهم: «اليوم هو عيد الفصح، وفي هذا اليوم سأطلقُ لكم سجيناً فأيُّهما أطلق: يسوع أم باراباس؟» وكان باراباس في السِّجن لأنَّه قتل

أحدَ النّاس. فصرخوا بصوتٍ واحد: «إِصْلِبْ يسوع وأطلق لنا باراباس!» وقالَ لهم بيلاطس مرّةً ثالثة: «هذا الرَّجُل لم يفعل أيَّ شر، وهو لا يستحق الموت!» فارتفعت أصواتهم من جديد وطالبوا بصلبه. فاستجاب لهم بيلاطس خوفاً من أن يسبِّبوا مشاكل، فأطلقَ لهم باراباس من السِّجن ثمَّ سلَّمهم يسوع ليصلبوه بعد أن ضربه الجنود.



صلب يسوع المسيح

٣٣١

الطريق إلى الجلجلة

مرقس ١٥

وقادَ جنودُ الرّومان يسوع إلى قصر الحاكم، فضربوه وضحكوا عليه، وألبسوه ثوباً أرجوانيّ اللّون، ووضعوا على رأسه تاجاً من الشّوك القاسي ثمّ سجدوا له، وبصقوا على وجهه، وأخذوا يسلّمونَ عليه وهم يضحكون: «السّلام لك، يا ملكَ اليهود!» وبعدما ضحكوا عليه، نزعوا عنه الثّوب الأرجواني وألبسوه ثيابه وخرجوا ليصلبوه. وحملَ يسوع صليبه ومشى، لكنَّ الصَّليب كانَ ثقيلاً فلم يقدر أن يحمله، فتقدّم رجلٌ آسمه سمعان القيروانيّ أبو اسكندر وروفس، وكان في الطّريق راجعاً من الحقل فحمله عنه. وجاؤوا بيسوع إلى مكان آسمه الجلجثة (أي مكان الجمجمة). وقدَّموا إليه خمراً ممزوجةً بمرٍّ، فرفض أن يشربها.

٣٣٢

يسوع المسيح على الصّليب

مرقس ١٥، لوقا ٢٣، يوحنا ١٩

وساقوا يسوع إلى الجلجثة مع رَجُلين مجرمَيْن، ولمّا وصلوا إليها صلبوه معهما، واحدٌ عن يمينه والآخر عن شماله. فرفعَ يسوع عينيه إلى السّماء وقال: «سامحهم يا أبي، هم لا يعرفون ماذا يعملون.» وهناك وقفَ الشّعب ورؤساؤهم، وأخذوا يضحكون عليه ويقولون: «خلَّصَ غيره، ولا يقدر أن يُخلِّصَ نفسه!»

وأخذَ واحدٌ من المجرمَيْن المعَلقَيْن على الصَّليب يسبُّه ويقول له: «أمَا أنتَ هو المسيح؟ فخلِّص نفسك وخلِّصنا!» فأسكته المجرم الآخر وقال: «أما تخافُ الله؟ قصاصُنا نحنُ عادل، فنحنُ نستحقُّ الموت. أمّا هو،



فلم يعمل شرّاً ليستحقَّ الموت.» ثمَّ قال ليسوع: «اذكرني، يارب في ملكوتك.» فأجابه يسوع: «أقولُ لك، ستكون معي اليوم في الفردوس.»

وكانَ بين الموجودين هناك يوحنّا أحد تلاميذ يسوع الذي كان يسوع يحبّه وسُمِّيَ بعد ذلك يوحنّا الحبيب، فطلبَ منه يسوع أن يهتمَّ بأمّه مريم بعدَ موته، وكذلك طلبَ من أمّه التي كانت هناك تبكي أن تعامل يوحنّا كابنٍ لها.» وعندَ الظهر، حينَ كانت الشمس في قوّتها، انتشرَ ظلامٌ على الأرض حتى السّاعة الثالثة واختفت الشّمس وانشقَّ ستار الهيكل، وصرخَ يسوع صرخةً قويّة: «يا أبي، إليكَ أسلمُ روحي.» قالَ هذا ومات. وبعدَ هذا جاء رجلٌ اسمه يوسف الرّامي، وكان تلميذاً ليسوع في السر لأنّه كان يخاف من رؤساء اليهود، وطلبَ من بيلاطس أن يسمحَ له بأن يأخذ جسد يسوع فسمحَ له بذلك. وجاء نيقوديموس، وهو الذي زار يسوع في الليل من قبل ليساعد يوسف الرّامي، فغسلا جسد يسوع ولفّاه بِكَفَن وكان في الموضع الذي صلبوا فيه يسوع بستان، وفي البستان قبر جديد لم يُدْفَنْ فيه أحد. فوضعا يسوع فيه، وعلى بابه وضعا حجراً كبيراً ورجعا.



قيامة يسوع المسيح

٣٣٣

هو حيّ

يوحنا ٢٠

ويوم الأحد، جاءت مريم المجدليّة إلى القبر عند الفجر، فرأت الحجر منزاحاً عن باب القبر. فأسرعت إلى سمعان بطرس والتّلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبُّهُ وقالت له: «أخذوا الرّبّ من القبر، ولا أعرف أينَ وضعوه.»

فأسرعَ بطرس والتّلميذ الآخر إلى القبر، لكنَّ التّلميذ الآخر سبقَ بطرس، فوصلَ قبله وانحنى وتطلَّعَ إلى داخل القبر، فرأى الكفن منفصلاً عن المنديل. ولحقه سمعان بطرس، فدخلَ القبر وتطلَّع، فرأى الكفن على الأرض فتحيّر بطرس ممّا رأى ثمّ تركا البستان. أمّا مريم فظلّت عندَ القبر تبكي، فانحنت وتطلّعت إلى داخله، فرأت ملاكين في ثيابٍ بيضاء حيث كان جسد يسوع. فسألها الملاكان: «لماذا تبكين، يا امرأة؟» أجابت مريم «أخذوا ربّي من القبر، ولا أعرف أينَ وضعوه!» قالت هذا، والتفتت وراءها فرأت رَجُلاً واقفاً، ولم تعرف من هو. فسألها الرَّجُل: «لماذا تبكين، يا امرأة؟» فظنَّت أنَّه البستاني، فقالت له: «جسد سيّدي اختفى من القبْر فإذا كنتَ أنت أخذته، يا سيّدي، فقل لي أينَ وضعته حتى آخذه.» فقالَ لها الرَّجُل: «يا مريم.» وهنا التفتت مريم بسرعة، عرفته، إنَّه يسوع، فصرخت: «يا معلّم!» فقال لها يسوع لا تلمسيني، بلْ اذهبي إلى تلاميذي وقولي لهم: «أنا صاعدٌ إلى السَّماء إلى أبي وأبيكم.»

فرجعت مريم المجدليّة وأخبرت التّلاميذ بأنّها رأت الرّبّ، وأنّه قال لها أن تذهب إليهم وتقول لهم ذلك.





٣٣٤
الذّهاب إلى عمواس
لوقا ٢٤

وفي اليوم نفسه، أي يوم الأحد ذهبَ اثنان من تلاميذ يسوع إلى قرية آسمها عمواس وكانا يتحدَّثان بأمرٍ مُحزن، وهو صلبُ يسوع. وبينما هما يتحدَّثان بهذا الأمر، اقتربَ منهما يسوع ومشى معهما، لكنَّهما لم يعرفاه فسألهما: «بماذا تتحدَّثان وأنتما حزينان؟» فأجابه أحدهما وآسمه كليوباس: «يبدو أنَّكَ غريب عن أورشليم، فلا تعرف ما حدث هذه الأيّام!» فقال يسوع: «وماذا حدث؟» قالا له: «يسوع النّاصري مات. كهنتنا وزعماؤنا حكموا عليه بالموت وصلبوه، وكنّا نؤمن أنَّه المسيح وأنَّه هو الذي سيخلّصنا. ومع ذلك، فهناك شيء يُحيّرنا، بعضُ النّساء زُرن القبر هذا الصّباح، فلم يجدن جسده فيه. فرجعنَ وقلنَ أنَّ ملائكة ظهروا لهُنَّ وأخبروهنّ أنَّه حيّ، فذهبَ بعض رفاقنا إلى القبر فلم يجدوا الجسد، تماماً كما قالت النّساء.»

فقال لهما يسوع: «لماذا لا تصدِّقان الأنبياء؟ هم أنفسهم قالوا إنَّ المسيح سيتألَّم كثيراً.» ثمَّ شرح لهما كلَّ ما جاء عنه في الكتب المقدَّسة. ولمّا اقتربوا من قرية عمواس ظن التّلميذان أنَّ يسوع ذاهب إلى مكان بعيد، فقالا له: «تَفَضّل وابقَ عندنا، فالمساء اقترب والنَّهار في آخره.» فوافق يسوع، وبقي عندهما. ولمّا جلسوا إلى الطّعام، أخذَ يسوع خبزاً وبارك، ثمّ كسر وأعطاهما منه. وهنا عرفاه في الحال، ولمّا عرفا أنَّه يسوع اختفى عنهما. فقال واحد منهما للآخر: «الآن نعرف لماذا شعرنا بالدفء حين حدّثنا في الطّريق وشرح لنا الكتب المقدّسة.» وقاما في الحال ورجعا إلى أورشليم، فوجدا الرّسل الأحدَ عشر ورفاقهم مجتمعين. وكانوا يقولون: «قام الرّبّ من الموت وظهر لسمعان!» كذلك أخبرهم التلميذان بما حدث في الطريق إلى عمواس، وكيف عرفا الرّبّ عندما كسر الخبز وبارك.



٣٣٥
قصّة توما
يوحنا ٢٠

ولمّا ظهرَ يسوع لتلاميذه، كان تلميذه توما غائباً، فلم يرَ يسوع. ولمّا عاد قال له التّلاميذ: «رأينا الرّبّ!» فأجابهم: «أنا لا أصدّق هذا الكلام إلاّ إذا رأيت بنفسي علامة الجرح التي تركتها المسامير في يديه، ووضعتُ إصبعي في هذه العلامة، ويدي في مكان الرّمح الذي أدخله الجنود في جنبه.» وبعدَ ثمانية أيّام، أي في الأحد الذي بعد أحد القيامة، اجتمعَ التّلاميذ في البيت مرّةً أخرى، وكان توما معهم هذه المرّة، وكانت الأبواب مغلّقة خوفاً من رؤساء اليهود، فجاءهم يسوع، ووقف بينهم وقال: «السّلام لكم.» ثمّ التفتَ إلى توما وقالَ له: «تعال وضع إصبعك في علامة الجرح الذي في يدي، وهات يدك وضعها مكان الرّمح الذي اخترق جنبي. ولا تشكّ بعدَ الآن، بلْ آمن أنّي حيّ!» فأجابَ توما: «أنتَ ربيّ وإلهي!» وأخيراً قال يسوع له: «أنت آمنت يا توما، لأنّك رأيت الحقيقة بعينيك لكن هنيئاً لمن يؤمنُ من غير أن يرى، فهذا أحسن بكثير.»



٣٣٦
هل تحبّني ؟
يوحنا ٢١

ومرّةً اجتمع عدد من تلاميذ يسوع وهم : سمعان بطرس، وتوما ونثنائيل وآبنا زبدي، وتلميذان آخران من تلاميذ يسوع . فقال لهم سمعان بطرس : «أنا ذاهب لصيد السّمك .» فقال له رفاقه : «ونحنُ نذهب معك .» فخرجوا وركبوا القارب وساروا في البحيرة، ولكنّهم في تلك اللّيلة لم يصطادوا سمكةً واحدةً .

ورجعوا عندَ الصبح، وفيما هم راجعون، رأوا رَجُلاً واقفاً على الشاطئ ولم يعرفوا من هو ولمّا اقتربوا منه، سألهم : «يا شبّان، هل معكم شيء للأكل ؟» فأجابوه : «لا، مضى اللّيل كله ولم نصطد سمكةً واحدةً .» فقال لهم : «ألقوا الشّبكة في الماء إلى يمين القارب تجدوا سمكاً كثيراً .» فألقوا الشّبكة كما أمرهم، ولمّا أرادوا أن يُخرجوها من الماء لم يقدروا لكثرة السّمك فيها . فقال يوحنا (الذي كان يسوع يحبّه) لبطرس : «هو الرّبّ !» فلمّا سمعَ بطرس قوله : «هو الرّبّ !» لبسَ ثوبه لأنّه كانَ عُرياناً ورمى نفسه في الماء، وأسرع إلى يسوع ولحقه التّلاميذ الآخرون بالقارب إلى البرّ يجرّون وراءهم الشّبكة الملآنة بالسّمك، وكانوا يبعدون مئتي ذراع عن البرّ. فلمّا نزلوا من القارب إلى البرّ رأوا يسوع وأمامه سمك على النّار وخبز. فقال لهم : «هاتوا من السّمك الذي أمسكتموه الآن .» فصعدَ سمعان بطرس إلى القارب وسحبَ الشّبكة إلى البرّ، وفيها مئة وثلاث وخمسون سمكة كبيرة، فقال لهم : «والآن تعالوا كُلوا !»

وبعدما أكلوا، سأل يسوع بطرس : «هل تُحبّني، يا بطرس، أكثر مما يحبّني بقيّة التّلاميذ ؟» فأجابه : «نعم، يا ربّ، أنت تعرف أنّي أُحبّك .» وسأله مرّة ثانيةً : «هل تُحبّني، يا بطرس ؟» فأجابه : «نعم، يا ربُّ . أنتَ تعرف أنّي أحبّك .» وسأله مرّةً ثالثةً : «هل تُحبّني يا بطرس ؟» فحزنَ بطرس لأن يسوع سأله مرّةً ثالثة، إذا كان يُحبّه، فقال : «يا رب، أنتَ تعرفُ كلَّ شيء، وتعرفُ أنّي أحبّك .» فقالَ له يسوع : «أريدكَ أن تهتّم بخرافي، (أي بالّذين يؤمنون بي) .»

صعود يسوع المسيح

٣٣٧

الرجوع إلى السماء

أعمال ١

[بعد قيامة يسوع من بين الأموات بحوالي الشّهر، أظهر نفسه لأصدقائه وأتباعه في مناسباتٍ وأماكن مختلفة. وفي إحدى المناسبات ظهر يسوع لحوالي الخمس مئة شخص كانوا مجتمعين معاً في مكان واحد. وهذا أزال كل شك بقيامته وبأنّه حيّ. لم يكن شبحاً فاستطاع أصدقاؤهُ أن يلمسوه، وقد أكل معهم أيضاً. ولكن جسده بعد القيامة كان مختلفاً فكان يدخل أي مكان والأبواب مغلقة. وقد ساعد يسوع تلاميذه على فهم الكثير من الأمور التي لم يفهموها عنه سابقاً قبل أن يموت. فسّر لهم أن العهد القديم أنبأ بآلامه وبأنّه سيموت عن شعبه ثمَّ يقوم من بين الأموات. وأمّا قادة الشّعب فقد عرفوا ودرسوا كلمة الله أيضاً لكنّهم اختاروا الآيات التي تتحدَّث عن المسيح الذي سيُتَوَّج ملكاً]

وفي يوم من الأيّام كان يسوع مع تلاميذه عندَ جبلِ الزيتون، فسألوه: «متى تصيرُ ملكاً على إسرائيل؟» فأجابهم: «الله وحده يحدّد الأوقات ويعرفها. والآن يجب أن تعرفوا أنّي راجع إلى أبي في السّماء، وأنَّ الرّوح القدس سيعطيكم القوّة لتنشروا تعاليمي في كلِّ العالم.»

ولمّا انتهى يسوع من هذا الكلام بدأ يرتفعَ إلى السّماء، وبينما هو يرتفع كانوا يشاهدونه، وظلَّ يرتفع حتى غَطَّته غيمة عن أنظارهم. وبينما هم ينظرون إلى السّماء وهو يبتعد عنهم، ظهرَ لهم رَجُلان في ثياب بيضاء، وقالا لهم: «لماذا أنتم واقفون هكذا تنظرون إلى السّماء؟ مثلما رأيتم يسوع صاعداً إلى السّماء سترونه عائداً إليكم من السماء.»



مجيء الروح القدس

٣٣٨

روح الله يأتي

أعمال ١ – ٢

وفي اليوم الخمسين وهو عيدُ العنصرة، كانَ التّلاميذ مجتمعين، فخرجَ من السَّماء فجأةً صوتٌ مثل صوتِ ريحٍ شديدة، وملأ البيت الذي كانوا فيه، ثمَّ ظهرَ لهم ما يشبه ألسنةً من نار، فانقسمت هذه الألسنة، ووقفَ كلٌّ لسان منها على واحدٍ من التّلاميذ. فامتلأوا كلُّهم بالرّوح القدس، وأخذوا يتكلَّمون بصوتٍ عالٍ بلغاتٍ غيرِ لغَّتهم الأصليَّة. وكانَ في أورشليم أناسٌ صالحون من اليهود جاؤوا من جميع الشُّعوب. فلمّا سمعوا تلك الأصوات العالية، تجمَّعوا حولَ مكان التّلاميذ ليروا ما حدث، ولمّا وصلوا إلى المكان سمعوا التّلاميذ يتكلَّمون. فتعجَّبوا كثيراً لأنَّهم فهموا كلَّ كلمة قالها التّلاميذ، مع أنَّ لكلِّ واحدٍ من هؤلاء النّاس لغة تختلفُ عن لغةِ الآخر. ثمّ تساءلوا: «أليس هؤلاء التّلاميذ من الجليل؟ فكيفَ يتكلَّمون هذه اللُّغات المختلفة ويعرفونها؟» فكانوا كلّهم حائرين، فقالَ بعضهم لبعض: «ما جرى لهم؟» لكنَّ آخرين كانوا يقولون ساخرين: «هم جماعةٌ أسكرتهم الخمرةُ.»

٣٣٩

يسوع المسيح هو الرّبّ

أعمال ٢

وكان بطرس بين التّلاميذ حين نزل عليهم الرّوح القدّس، فتقدَّمَ نحو النّاس الذين تجمّعوا وقال لهم: «أيُّها اليهود، ويا جميع السّاكنين في أورشليم، اسمعوا كلامي جيّداً واعلموا أنّنا لسنا سكارى كما تظنّون، فما تسمعونه وترونه منّا الآن تنبّأ به النبيّ يوئيل من زمانٍ حينَ قال: «في الأيّام الأخيرة يعطي الله من روحه لجميع البشر، فيتنبّأ أبناؤُكم وبناتكم وشيوخكم وهذا ما حدث لنا اليوم، الله ملأنا بالرّوح القُدس.»

وتابع بطرس يقول: «اسمعوا هذا الكلام، كان يسوع النّاصريّ رَجُلاً من الله، وبقوّة الله عملَ كثيراً من العجائب كما أنتم تعرفون. فأخذتموه وصلبتموه وقتلتموه، لكنَّ الله أقامه من الموت وهذه القيامة من الموت تنبّأ بها داود قديماً حينَ قال: أنت يا الله، لا تتركني مع الأموات، ولا تترك ٱبنكَ القّدوس ينحلّ ويفسد في القبر. أيُّها الإخوة، دعوني أقول لكم بصراحة، إنَّ الابن القدّوس الذي تنبّأ عنه النّبي داود هو يسوع الّذي أقامه الله من بين الأموات،



ونحن رأينا ذلك بأعيننا فاعلموا جميعاً أن الله جعلَ يسوع الذي أنتم صلبتموه ربّاً ومسيحاً.»

ولمّا سمعَ الحاضرون هذا الكلام أسفوا على ما فعلوا بيسوع، ثمّ سألوا بطرس وبقيّة الرُّسل معه: «ماذا يجبُ علينا أن نعمل الآن؟» فأجابهم بطرس: «إذا كنتم بالفعل متأسّفين ونادمين على ما فعلتم، عودوا إلى الله، آمنوا بيسوع وتعمّدوا، فيغفِرَ لكم الله خطاياكم ويعطيكم الرّوح القدس.» وفي ذلك اليوم تدافعَ النّاس إلى بطرس، آمنوا بالمسيح وتعمَّدوا، وكان عددهم حوالي ثلاثة آلاف شخص وصاروا من ذلك الوقت يلتقون بصورة دائمة ويتشاركون في الطّعامِ والصّلاة وتعاليم الرّسلِ وكَسْر الخبز.

٣٤٠

شفاءٌ وقضيّة

أعمال ٣ و ٤

وجاء وقتُ الصّلاة بعد الظُّهر، فصعدَ بطرس ويوحنّا إلى الهيكل حتى يصلّيا. وبينما هما في الطّريق شاهدا بعضاً من النّاس يحملون رَجُلاً كسيحاً منذُ ولادته. فكانوا كلَّ يوم يضعونه عندَ بابِ الهيكل المعروف بالباب الجميل ليطلب مالاً من الدّاخلين. فلمّا رأى هذا الشحّاذ بطرس ويوحنّا يدخلان الهيكل طلبَ منهما أن يُحسنا إليه بشيءٍ من المال. فقال له بطرس: «ليس عندي مالٌ أعطيك لكنّي سأعطيكَ من الشّيء الذي عندي.» وهنا قال بطرس: «بآسم يسوع المسيح النّاصري قُمْ وامشِ.» وأمسَكَ بيده اليمنى وأنهضه، فقويت قدماه وكعباه في الحال، فنهضَ وأخذَ يمشي ثمَّ دخلَ الهيكل معهما وهو يمشي ويقفز ويمجّد الله. فشاهَدهُ النّاسُ كلُّهم يمشي ويمجّدُ الله، فعرفوا أنّه هو الشحّاذ الذي كان يجلس عندَ الباب الجميل، فاحتاروا وتعجّبوا ممّا حدثَ له.

ورآهم بطرس في هذه الحيرةَ، فقال لهم: «يا بني إسرائيل، لا تتعجّبوا ممّا جرى نحنُ ما شفيناه بقدرتنا، بلْ بقدرة ربّنا يسوع الذي أنتم صلبتموه، وأقامه الله من الموت ورفعه إلى السّماء.» وفيما كان بطرس يخاطب النّاس جاء إليه بعض رؤساء اليهود، فلمّا سمعوا ما قاله بطرس غضبوا وأمروا باعتقال بطرس ويوحنّا. فاعتقلوهما وحبسوهما طول اللّيل.

وفي صباح اليوم التّالي جاؤوا بهما إلى المحاكمة، فسألوهما: «بأيِّ قدرةٍ عملتما هذا؟» فأجابهم بطرس: «بقدرة يسوع المسيح النّاصري الذي أنتم صلبتموه وأقامه الله من الموت.»



فتعجّب رؤساء اليهود من شجاعة بطرس ويوحنّا ومن كلامهما، لأنّهم كانوا يعرفون أنّهما بسيطان من عامّة الشعب، وفي ذات الوقت لم يقدروا أن يكذّبوا أقوالهما، لأنّهم رأوا بعيونهم الرَّجُلَ الذي شُفي. فأمروهما أن يخرجا من المحكمة، وبعدما تشاوروا فيما يفعلون بهما، أرسلوا وراءهما وأمروهما أن لا يُعلّما بآسم يسوع المسيح بعد الآن. وهنا سألهم بطرس: «مَنْ في رأيكم يجب أن نُطيع؟ أنطيع الله أم نُطيعُكم؟ وفي الحقيقة نحن لا نقدر إلّا أن نُطيع الله، ونتحدَّث عن كلِّ ما رأينا وسَمعنا.» فهدَّدوهما ثانيةً، لكن رؤساء الكهنة احتاروا كيفَ يعاقبونهما، فتركوهما خوفاً من الشعب.

٣٤١
الزوجان اللذان كذّبا على الله

أعمال ٤، ٥

وكثرَ عدد الذين آمنوا بيسوع، وأحبّوا بعضهم بعضاً وتشاركوا في كلِّ شيءٍ، فكانَ بعضهم يبيعون أرضهم وبيوتهم ويعطون ثمنها للرُّسُل. ومن هؤلاء كان حنانيا وزوجته سفيرة. وباعَ حنانيا حقلاً له، فأبقى جزءاً من ثمن الحقلِ معه، وأعطى الباقي للرُّسل. وكانت زوجته سفيرة على علم بهذا، لكنَّ بطرس عرفَ بما فعلَ حنانيا، فقال له: «يا حنانيا، لماذا كذبتَ على الرّوح القدس وخبّأتَ قسماً من ثمن الحقل؟ أما كان باستطاعتكَ أن لا تبيع الحقل فتُبقيه لكَ، ولمّا بعته كان لكَ أن تُبقي ثمنه كلّه معك؟ فلماذا عملتَ هذا؟ أنتَ كذبتَ على الله.» فلمّا سمعَ حنانيا هذا الكلام وقعَ ميتاً، فقامَ بعضُ الشبّان وحملوه إلى المقبرة ودفنوه.

وبعدَ حوالي ثلاثِ ساعات دخلت امرأتهُ وهي لا تعرف ما جرى لزوجها. فسألها بطرس: «قولي لي يا سفيرة، هل هذا كل ثمن الحقل؟» أجابت: «نعم، هذا هو كلُّ الثمن!» فقالَ لها بطرس: «لماذا اتفقت مع زوجك أن تكذبا على الرّبّ؟ ها هم الذينَ دفنوا زوجكِ عادوا هذه اللَّحظة وهم عند الباب، سيحملون جُثّتكِ أنتِ أيضاً إلى القبر!» ولمّا سمعت هذا الكلام وقعت في الحال عندَ قدمي بطرس وماتت. فدخلَ الشُبّان الذين كانوا هناك فحملوها ودفنوها قُرب زوجها. فانتشرَ خوفٌ شديد بين جميع الذين سمعوا هذه الأخبار.

٣٤٢

إستفانوس الجريء

أعمال ٦ و ٧

وفي تلكَ الأيّام كَثُر عدد المؤمنين بيسوع ، فزادَ بذلك اهتمام الرُّسل بالمحتاجين إليهم ، فلم يبقَ عندهم وقتٌ للصّلاة والتبشير كما أمرهم يسوع ، فاختاروا سبعة رسل منهم لمساعدة المحتاجين ، ومن هؤلاء السبعة كان إستفانوس ، وهو رَجُلٌ ممتلىء بالإيمان والرّوح القدس . فأخذَ يصنع العجائب بين الشعب ويبشّر النّاس أنَّ يسوع الذي قتله رؤساء الكهنة هو المسيح . فأغضبَ هذا القول أولئكَ الذين يكرهون يسوع ، فخطفوه وجاؤوا به إلى المحكمة ، واتّهموه اتهامات كاذبة .

ولمّا سمع إستفانوس هذه الاتهامات وقفَ وكانَ وجهه كوجه ملاك ، فقالَ لمن يحاكمونه : «يا قساة القلوب ، أنتم مثلُ آبائكم ، هم أساؤوا إلى كلّ نبيٍّ جاء إليهم وأنتم قتلتم يسوع ، وهو ابنُ الله .» فلمّا سمعَ أعضاء المجلس كلام إستفانوس غضبوا ، فنظرَ إستفانوس إلى السّماء ، وقال : «أرى السّماء مفتوحة ويسوع واقفاً عن يمين الله .» وهنا صَرخوا جميعاً بأعلى صوتهم وهجموا عليه وحملوه إلى خارج المدينة ليرجموه بالحجارة . وقبلَ أن يرجموه ، خلعَ الشّهود ثيابهم ووضعوها أمانةً عند فتى اسمه شاول . وبينما هم يرجمونه صاح إستفانوس بأعلى صوته : «أيّها الرّبّ ، استلم روحي .» ثمّ سجدَ وصاح بأعلى صوته : «يا رب ، اغفر لهم هذه الخطيئة وسامحهم عليها .» قالَ هذا ومات .



٣٤٣
الموظف الإفريقي
أعمال ٨

وبعدما رجموا إستفانوس، أخذوا يلاحقون أتباع يسوع ويضطهدونهم، فهربَ المؤمنون من منطقة إلى أخرى، وأينما وصلوا كانوا يبشِّرون بكلام الله، ومن بين المؤمنين كان رَجُل آسمه فيلبُّس. فنزلَ إلى مدينةٍ في السّامرة وبدأ يبشِّر فيها بالمسيح وأصغت الجموع إلى أقواله، لأنَّها سمعت بالعجائب التي عملها. وفي يوم من الأيّام قال ملاكُ الرّبّ لفيلبُّس: «قم اذهب إلى الجنوب في اتجاه غزَّة.» فقامَ فيلبُّس ومضى إلى الجنوب، وفي الطَّريق التقى برَجُل من بلاد الحبشة، وكانَ هذا الرَّجُل مُهِمّاً جدّاً لأنَّه كان مسؤولاً عن أموال خزينة ملكة الحبشة. وكان هذا الرَّجُل قد جاء إلى أورشليم للعبادة والصَّلاة، ولمّا انتهى من الصَّلاة رجع إلى بلاده وبينما هو راجعٌ في مركبته كان جالساً يقرأ كتاب النبّي إشعياء فقال الرّوح القدس لفيلبُّس: «أسرعْ والحقْ هذه المركبة.» فأسرعَ إليها فيلبُّس فسمع الرَّجُل يقرأ النّبي إشعياء بصوتٍ مرتفع. فسأله: «أتفهم ما تقرأ؟» فأجابه الحبشي: «كيفَ أفهم ولا أحد يشرح لي معنى ما أقرأ؟» ورجا فيلبُّس أن يصعد معه ويساعده في الفهم. وكانت الكلمات التي يقرأها من كتاب إشعياء هي: «كنعجة سيق إلى الذّبح.» وهنا سألَ الرَّجُل الحبشي فيلبُّس: «أخبرني ماذا يعني النّبي إشعياء بهذا الكلام؟ هل هو يتكلّم عن نفسه أم عن واحدٍ آخر؟» أجابه فيلبُّس: «لا، إنَّه يتكلَّم عن يسوع الذي ماتَ ليخلِّصنا من خطايانا.» فبدأ فيلبُّس يُبشِّره، وفيما هما في الطَّريق وصلا إلى مكانٍ فيه ماء، فقال الرَّجلُ لفيلبُّس: «هنا ماء، أريدُكَ أن تعمّدني.» فأجابه فيلبُّس: «أعمِّدك إذا كنتَ تؤمن من كلّ قلبك.» فقال الرَّجل: «أؤمن من كلّ قلبي أنَّ يسوع هو آبنُ الله.» ثمَّ أمر بأن تقف المركبة ونزلا إلى الماء، وعمَّدَه فيلبُّس، فلمّا خرجا من الماء، خطفَ الرّوح القدس فيلبُّس فغاب عن نظر الرَّجل. وبعد ذلك مضى الرَّجلُ الحبشي في طريقه فرحاً. وأمّا فيلبُّس فسارَ مُبشِّراً في المدن كُلِّها حتى وصلَ إلى مدينة قيصريَّة.

اهتداء شاول

٣٤٤
رحلة إلى دمشق
أعمال ٩

[ولد شاول لعائلة يهوديَّة في طرطوس حين كانت تحت الولاية الرّومانيّة. وكان شاول رَجُلاً ذكيًا فقد تعلَّم اللُّغة اليونانيّة واللُّغة اللاتينيّة. وفي بلدته كان يُعْرف باسم بولس، وهو الإسم الرّوماني، لأن عائلته كانت قد حصلت على الجنسيّة الرومانيّة. ورغم كلّ هذا فقد كان يفتخر بأصله الفرّيسيّ، فقد درس شاول عند أشهر معلّمي اليهود في أورشليم، وكان مقتنعاً في استخدام كل طاقاته ليمحو التَّعليم الجديد عن يسوع. وفي بعض الأحيان كان يتذكَّر نظرة الحق والصلاح على وجه إستفانوس بينما انهالت عليه حجارةُ القتلة. ولكي يمحو هذه الذكرى، أراد أن يمحو كل تلاميذ يسوع حتى ولو هربوا إلى خارج أورشليم، فإنَّه سيلحق بهم إلى أي مكان].

ومرَّةً ذهب إلى رئيس الكهنة فطلبَ منه أن يبعثه إلى دمشق ليعتقل المؤمنين هناك ويجيء بهم إلى أورشليم. وبينما هو يقترب من دمشق سطعَ حوله بغتةً نورٌ قويٌّ من السَّماء، فوقعَ على الأرض وسمعَ صوتاً يقول: «شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟» فقالَ شاول: «من أنتَ يا ربّ؟» فأجابه الصّوت: «أنا يسوع الذي أنتَ تضطهده.» فقال شاول في خوف: «يا رب، ماذا تريد أن أعمل؟» فقالَ له الرّبّ: «قم وادخل دمشق، وهناك تعرف ماذا يجب أن تعمل.»



٣٤٥

رجلٌ يتغيّر

أعمال ٩

ورأى رفاق شاول ما جرى، فوقفوا حائرين يسمعون الصّوت ولا يشاهدونَ أحداً. فقام شاول عن الأرض وفتح عينيه، فلم يبصر شيئاً. فقادوه إلى دمشق، وبقي فيها ثلاثة أيّام أعمى، لا يأكل ولا يشرب.

وكانَ في دمشق تلميذ آسمه حنانيا فناداه الرّبّ: «يا حنانيا، اذهب إلى الشّارع المعروف بالمستقيم، واسأل في بيت يهوذا عن رَجُل من بلدة طرسوس آسمه شاول، وهو الآن يصلّي وينتظرك.» فأجابه حنانيا: «لكن يا رب، هذا الرَّجُل يسيء إلى أتباعك ويعتقل كلَّ من يؤمن بك.» فقال له الرّبّ: «اذهب إليه، فأنا اخترته اليوم رسولاً لي ليبشّر كلَّ العالم بآسمي.» فذهبَ حنانيا إلى بيت يهوذا ووضعَ يده على شاول وقال له: «يا أخي شاول، أرسلني إليكَ الرّبُّ يسوع الذي ظهرَ لكَ وأنتَ في الطّريق إلى دمشقَ، ليعودَ البصر إليكَ وتمتلىء من الرّوح القدس.» فسقطَ في الحال من عيني شاول شيء مثلُ القشور، فعادَ إليه البصر، ثمَّ قامَ وتعمَّدَ، وبعد ذلك أكلَ فعادت إليه قوّته.

وبقي شاول بضعة أيّام مع التّلاميذ في دمشق، وأخذَ يُبشّرُ في المجامع بأنَّ يسوع هو ابنُ الله. فكان الذينَ يسمعونه يتعجّبون ويقولون: «أما كانَ هذا الرَّجُل في أورشليم يضطهدُ كلَّ من يؤمن بيسوع؟» وبعدَ مدَّة من الزّمن وضعَ اليهود الذين يسكنون دمشق خطّةً ليقتلوه، فعرفَ شاول بالأمر، فأخذه التّلاميذ في اللّيل، ووضعوه في سلّة كبيرة وأنزلوه من سور المدينة، وبهذا تمكّنَ من الهرب.





٣٤٦
دموع على طابيثا
أعمال ٩

وكانَ بطرس ينتقل من مكان إلى مكان، فوصلَ مرّةً إلى بلدةٍ آسمها لُدَّة، وجد فيها رَجُلاً كسيحاً في فِراشه من ثماني سنوات، وكان آسمُ الرَّجُل إينياس، فقال له بطرس: «يا إينياس، يسوع المسيح شفاك، فقم!» فقامَ إينياس في الحال. ولمّا رأى سُكّان لُدَّة وشارون ما جرى، آمنوا كلُّهم بالرّبّ.

وكان في ذلك الوقت تلميذة في مدينة يافا آسمها طابيثا، وكانت تصرف وقتها في الأعمال الصّالحة ومساعدة المحتاجين، فمرضت طابيثا وماتت. فغسلوها ووضعوها في الغرفة العليا وصاروا يبكون عليها. وكانت لُدَّة قريبة من يافا، فعرف التّلاميذ أنَّ بطرس في لُدَّة لأنَّها قريبة من يافا، فأرسلوا إليه رَجُلين ولمّا وصلا إليه قالا له: «تعال إلينا، أسرع ولا تتأخَّر.» فقام بطرس وأسرعَ معهما إلى يافا، فلمّا وصلوا صعدوا إلى الغرفة العليا فاستقبلَتْهُ النساء وهنَّ يبكينَ، وأخذنَ يُرينه القمصان والثّياب التي عملتها طابيثا للمحتاجين، فأخرجَ بطرس النّاس كلّهم من الغرفة، ثمَّ سجدَ وصلّى والتفت إلى الجسد أمامه وقال: «طابيثا، قومي!» ففتحت عينيها، ولمّا رأت بطرس جلست، فمدَّ يده إليها وأنهضها، ثمَّ دعا إليه النساء والمؤمنين ليروا ما جرى. فانتشرَ الخبرُ في يافا، وآمنَ بالرّبّ عددٌ كبيرٌ من النّاس.

٣٤٧
قماش مليء بالحيوانات
أعمال ١٠

وبعد أن أعاد طابيثا إلى الحياة بآسم يسوع المسيح بَقِيَ بطرس في يافا عدَّة أيّام عند رَجُلٍ دبّاغ، يصبغُ الجلود آسمه سمعان. وفيما هو عند الدبّاغ صعدَ بطرس إلى سطح البيت ليصلّي وكان الوقت ظهراً، فجاعَ وأرادَ أن يأكل، ولمّا بدأوا يُحضّرون له الطّعام رأى رؤيا، فشاهد ما يُشبه قطعة قماشٍ كبيرة كانَ عليها جميعُ أنواع الوحوش والزّحّافات وطيور السّماء. وجاء صوت يقول له: «قُم اذبح حيواناً من هذه الحيوانات وكُلْه.» فقالَ بطرس: «لا، يا رب! لم آكل في حياتي شيئاً نجساً مُحَرّماً.» فقالَ له الصّوت ثانيةً: «لا تحسب أَيَّ شيءٍ طهّرهُ الله نجِساً!» وحدث هذا ثلاثُ مرّاتٍ، ثمَّ ارتفعَت قطعةُ القماش إلى السّماء.

وبينما هو محتارٌ في معنى ما رأى جاءَ رِجالٌ غُرباء إلى بيتِ سمعان ووقفوا بالباب، وسألوا: «هل سمعان الذي يقالُ له بطرس هنا؟» فقالَ الرّوح لبطرس: «هنا رِجالٌ يسألونَ عنك، قُم وآنزل إليهم واذهبْ معهم ولا تخف، لأنّي أنا أرسلتُهم.» فنزلَ بطرس إليهم، وقالَ لهم: «أنا هو الذي تسألون عنه. فماذا تُريدون؟» أجابوه: «أَرسَلَنا إليكَ ضابطٌ روماني آسمه كرنيليوس، وهو رَجُلٌ صالح. ظهرَ له ملاكٌ وطلبَ منه أن يجيء بك إلى بيته ليستمع إلى تعاليمك.» فدعا بطرس الرَّجُلين لقضاء الليل عنده.

٣٤٨ الجنديّ الروماني

أعمال ١٠ و ١١

وفي اليوم الثاني، قام بطرس وذهبَ مع الرّجال، ولمّا وصلوا إلى كرنيليوس وجدوه ينتظرهم مع أقربائه وأصدقائه. فاستقبله كرنيليوس وارتمى على الأرض وسجدَ أمامه. فقالَ له بطرس: «قم، ليس أنا إلاّ إنسان مثلك.» فدخلَ معه وهو يحادثه، فوجدَ جمعاً كبيراً في الدّاخل، فقال لهم: «أنتم تعرفون أنَّ اليهودي لا يعامل غريباً، ولا يدخل بيته. لكنَّ الله جعلني أفهم أن لا أحسبَ أحداً نجِساً أو غيرَ طاهر. فالله في الحقيقة لا يفضِّل أحداً على أحد، وهو يقبلُ كلَّ واحد يعملُ الخير مهما كانت أمّته.» وبينما بطرس يتكلّم، نزلَ الرّوح القدس على جميع الذينَ يسمعون كلامه ففرحوا كلّهم وحمدوا الله. وهنا قالَ بطرس: «نزلَ الرّوح القدس على هؤلاء النّاس مثلما نزلَ علينا، فلماذا لا يتعمّدون كما تعمّدنا؟» وأمرَ بأن يتعمّدوا بآسم يسوع المسيح، وبقيَ عندهم بضعة أيّام، ثمّ عادَ إلى أورشليم. وهناك في أورشليم عاتبه اليهود المؤمنون بيسوع، لأنَّه جلسَ مع الغُرباء وأكلَ معهم وعمّدهم بآسم الرّبّ، وكانوا يظنّون أنَّ يسوع جاء ليخلّصهم وحدهم. وهنا حكى لهم بطرس ما جرى، ولمّا انتهى من كلامه هدأوا وحمدوا الله لأنَّه جعلَ غيرَ اليهود يؤمنون بيسوع.

وأمّا المؤمنون الذين فرّقهم الاضطهاد بعدَ مقتل استفانوس، فانتقلوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية، وكانوا في البداية لا يبشّرون إلّا اليهود، لكنّهم بعد ذلك أصبحوا يبشّرون الأمم الغريبة، فآمنَ كثيرون منهم. وسمعَ أبناء الكنيسة في أورشليم بما يجري هناك، فأرسلوا برنابا إلى أنطاكية فلمّا جاء ورأى نعمة الله فرح وشجّعهم على الثبات في الرّبّ، وكانَ برنابا رجلاً صالحاً مملوءاً بالرّوح القدس والإيمان فآنضمَّ إلى الرّبّ جمعٌ كبير. فازدادَ المؤمنون في أنطاكية ولم يعد برنابا وحده قادراً على مساعدتهم وتعليمهم، فذهبَ إلى بلدة طرسوس يطلب المساعدة من شاول. فلمّا وجده عادَ معه إلى أنطاكية، حيث بقيا سنةً كاملةً، فعلّما جمعاً كبيراً. وفي أنطاكية تسمّى التلاميذ أوّلَ مرّة بالمسيحيّين.

٣٤٩ أبوابُ السجن تنفتح

أعمال ١٢

وفي ذلك الوقت عيّن الرّومان هيرودس ملكاً على أرض اليهوديّة، وهو حفيد هيرودس الكبير الذي قتل أطفال بيت لحم لمّا وُلد يسوع. وأخذَ يضطهد بعض أتباع الكنيسة. فقتلَ بحدِّ السّيف يعقوب أخا يوحنّا وهو أحد تلاميذ يسوع الإثني عشر. فلمّا رأى هيرودس أنَّ اضطهاده لأتباع الكنيسة يرضي اليهود ويفرحهم، قبضَ أيضاً على بطرس وكانَ ذلكَ أيّامَ عيدِ الفصح وبعدما قبض عليه ألقاه في السّجن ووضعه تحتَ حراسةٍ مشدّدة وكان ينوي أن يُحاكمه بعدَ العيد. وفي اللّيل الذي سبق محاكمته كان بطرس نائماً بينَ حارسين نوماً عميقاً ويداه مقيّدَتين بالسّلاسل، وعلى البابِ جنودٌ يحرسون السّجن. وفي هذه اللّحظة ظهرَ ملاكُ الرّبِّ بغتةً، وشعّ نورٌ في داخل السّجن وضرب الملاكُ بطرس في جنبه فأيقظه وقالَ له: «قم أسرع!» فسقطت

السَّلاسلُ من يديه. وقالَ له الملاك: «شُدَّ حزامك وضع حذاءك في قدميك.» ففعلَ ذلك، ثمَّ قال له: «البس ثوبكَ والحق بي.» فخرجَ بطرس ولحق به، وهو لا يعرف بعد إذا كان الذي يفعله الملاكُ هو شيء حقيقيّ أم حلم. فمرّا بالحرس ولم يراهما أحد منهم، ووصلا إلى الباب الحديديّ، فانفتحَ الباب لحاله وخرجا منه، وقطعا الشارع، وهنا فارقه الملاك واختفى عنه.

فصحيَ بطرس وعادَ إلى وعيه، وقال: «الآن تأكّدَ لي أن الرّبَّ أرسل ملاكه، فخلّصني من يد هيرودس ومن اليهود الذين يُريدونَ محاكمتي.» ثمَّ فكّرَ قليلاً وذهبَ إلى بيت مريم أمِّ يوحنّا المعروف بمرقس.

وكانت هناك جماعةٌ تصلّي، فدقَّ بطرس البابَ الخارجي، فجاءت خادمة اسمها رودا إلى الباب وسألت: «من يَدُقُّ الباب؟» فأجابها بطرس: «أنا،أنا بطرس!» فلمّا عرفت صوته أسرعت إلى داخل البيت من دون أن تفتح الباب من شِدَّة فرحها، وأخبرتهم أنَّ بطرس واقفٌ على الباب فلم يصدِّقوها.

وأخذَ بطرس يدقُّ الباب بقُوَّةٍ حتى فتحوا له، فلمّا شاهدوه تعجَّبوا، فأشار لهم بيده أن يسكُتوا ثمَّ أخبرهم كيفَ أخرجه الرّبُّ من السِّجن. وطلب منهم أن يخبروا بقيَّة المسيحيّين بما جرى. وبعد هذا، خرج بطرس وذهب إلى مكان آخر.



بولس المبشر

٣٥٠

الآلهة تنزل إلى الأرض

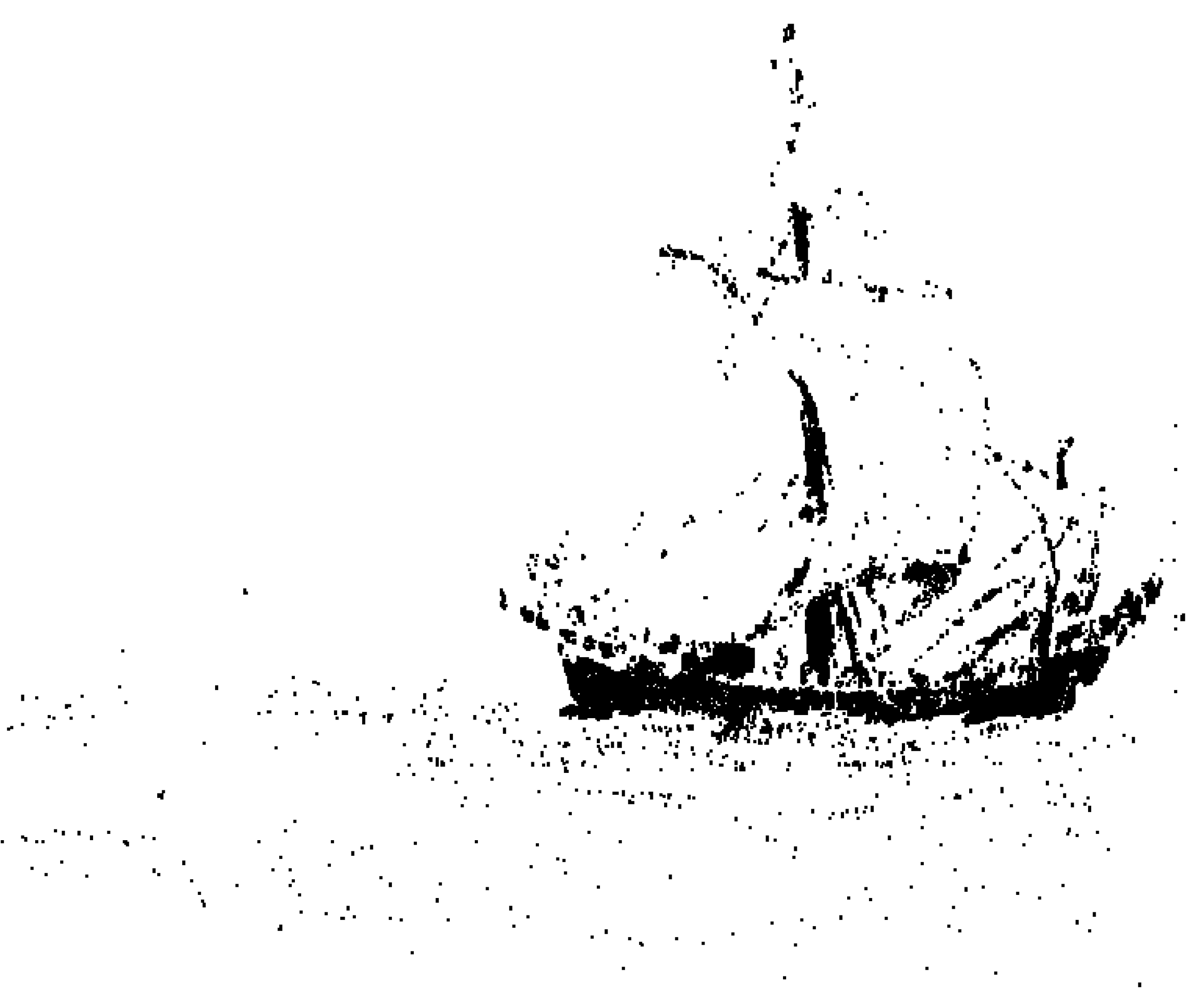
أعمال ١٣ و ١٤

كانَ في كنيسة أنطاكية أنبياء ومعلّمون كثيرون، من بينهم برنابا وشاول الذي صار آسمه بولس. وبينما هم يُصَلّون ويصومون ظهرَ لهم الرّوح القدس وطلبَ من برنابا وبولس أن يذهبا إلى بلدان أخرى لينشروا فيها تعاليم يسوع. فسافرَ برنابا وبولس إلى مدن عديدة، وفي كلِّ مدينة كانا يبشّران في مجامع اليهود ويقولان أنَّ يسوع هو المسيح. ومرَّةً في إحدى المدن وقفَ بولس في المجمع يوم السَّبت، وخاطبَ الحاضرين، قائلاً: «يا بني إسرائيل، إليكم أرسلَ الله يسوع المسيح، فلم يعرفه أهلُ أورشليم ولا رؤساؤها، مع أنّه لم يَعْمَلْ شيئاً يستحقُّ الموت، طلبوا من الحاكم الرّوماني بيلاطس أن يصلبه، وبعدَ أن مات على الصَّليب أنزلوه ووضعوه في القبر. لكنَّ الله أقامه من الموت، فظهرَ أيّاماً كثيرة لتلاميذه، وهم الآن يشهدون على ذلك.»

وبينما بولس وبرنابا خارجان من المجمع طلبَ النّاس إليهما أن يتحدَّثا مرَّةً ثانيةً بهذه الأمور في السَّبت القادم. وفي السَّبت القادم تجمَّعَ أهلُ المدينة ليسمعوا كلامَ الله، فلمّا رأى اليهود الجموع، أمتلأوا حسداً وأخذوا يعارضون كلامَ بولس بالشَّتيمة ويتّهمونه بالكفر. فقال لهم بولس وبرنابا: «كان يجب أن نبشِّركم أنتم أوّلاً بكلمة الله، لكنَّكم لم تريدوا أن تسمعوها، ونحنُ الآن سنبشِّر غيرَ اليهود.»

فلمّا سمعَ غيرُ اليهود رسالة بولس فرحوا، وآمنَ كثيرون بيسوع المسيح. وانتشرَ كلامُ الرّبِّ في تلك البلاد، لكنَّ اليهود هيّجوا الناس ضدَّ بولس وبرنابا، فاضطهدوهما وطردوهما من منطقتهم.

فسافرا إلى بلدة ليقونيّة، ومنها إلى مدينة لسترة في تركيا. وكانَ في لسترة رَجُلٌ كسيح لم يمشِ في حياته مرَّةً واحدةً، وبينما هو يستمع إلى كلام بولس، رآه بولس ورأى في وجهه علامة الإيمان، فقال له بأعلى صوته: «قُمْ وقف على رجليك!» فقامَ على رجليه ومشى. فلمّا رأى الجموع ما عمل بولس، صرخوا: «صار الآلهةُ بشراً ونزلوا إلينا.» ثمَّ جاؤوا بالذّبائح وأرادوا أن يقدِّموها لهما. فلمّا رأى برنابا وبولس ما يجرى، مزَّقا ثيابهما لأنّهما لم يريدا أن يعاملهما النّاس مثلما يعاملون الآلهة، ثمّ أسرعا إلى الجموع يصرخان: «ماذا تفعلون؟ نحنُ لسنا آلهة، بل نحنُ بشر ضعفاء مثلكم، جئنا نبشِّركم لتتركوا هذه الخرافات وتعبدوا الإله الحقيقيّ الذي خلقَ كلَّ شيء.» وبعدَ جهدٍ كبير تمكّنا أن يمنعا الجموع من تقديم الذّبيحة لهما.



٣٥١
رسالة أوروبا
أعمال ١٥ و ١٦

ورجعَ بولس وبرنابا إلى أنطاكية ، ولمّا رجعا إليها جمعا أبناء الكنيسة وأخبراهم بكلِّ ما فعلاه . وبعدَ مدَّة من الزّمن ، قالَ بولس لبرنابا : «دعنا نرجعُ إلى كلِّ مدينةٍ بشّرنا فيها بكلام الرّبّ فنزور الإخوة المؤمنين ونطّلع على أحوالِهم .» فأرادَ برنابا أن يرافقهما يوحنّا المعروف بمرقس ، ولكنَّ بولس لم يرد أن يرافقهما أحد . ولمّا اختلفا حول هذا الموضوع ، ترك بولس مدينة أنطاكية ومعه من الإخوة المؤمنين واحد اسمه سيلا ، وفي طريقهما زارا كثيرين من المؤمنين الجدد حتى وصلا أخيراً إلى مدينة ترواس فأمضيا اللّيلةَ فيها .

وفي اللّيل حلِمَ بولس برجلٍ يرجوه أن يجيء إلى مدينة مكدونيّة ليساعد أهلها ، ولمّا رأى بولس هذا الحلم سافرَ إلى مكدونيّة للتبشير فيها ، فوصلَ أوّلَ الأمر إلى مدينة فيلبّي . وفي يومِ السبت خرجَ بولس إلى النهر ، وهناك وجدَ جماعةً من اليهود يصلّون فجلسَ معهم وأخذَ يبشّرهم بيسوع ، فآمنت بائعةُ أرجوان اسمُها ليدية بالرّبّ ، وطلبت من بولس أن يجيء إلى بيتها وينزل عندها . وفي أحد الأيّام بينما بولس ذاهب إلى الصّلاة صادفَته خادمةٌ عرّافة تدّعي أنّها تعرفُ ما سيحدث في المستقبل . فكانت تربح من هذا العمل أموالاً كثيرة تعطيها لأسيادها . فأخذت تتبع بولس وهي تقول بصوتٍ عالٍ : «هذا هو خادم الله العلّي وهو يدلّكم إلى طريق الخلاص .» وأعادت هذا القول مرّاتٍ عديدة ، وأخيراً انزعجَ بولس منها ، فالتفتَ إليها وأمرَ الرّوح الشرّير الذي يسكنها بالخروج منها . فخرجَ منها في الحال واختفت منها القدرة على التنبّؤ بالمستقبل ، فغضبَ أسيادها لأنّهم خسروا المال الذي كانوا يربحونه منها .

وقبضوا على بولس وسيلا وجرّوهما إلى ساحة المدينة وقدّموهما إلى الحاكم ، وقالوا : «هذان الرّجُلان يُسبّبان مشاكل في مدينتنا ، فهما يُبشّران بتعاليم تخالف القانون الرّوماني .» فهاجت الجموع عليهما ومزّقَ الحُكّامُ ثيابهما وأمروا بضربهما فضربوهما كثيراً ، وألقوا بهما في السّجن ، وأوصوا السجّان أن يشدِّد الحراسة عليهما . فلمّا وصلت هذه الوصيّة إلى السجّان رماهما في أعماق السّجن وربطَ أرجلهما بسلاسل مشدودة إلى الحائط حتى لا يهربا .

٣٥٢

الترتيل في السجن

أعمال ١٦

ولكن رغمَ الجراح في ظهريهما والقيود في أرجُلهما، أخذا بولس وسيلا يصلّيان عندَ منتصف اللّيل ويسبّحان الله، وكان السُجناء الآخرون يسمعونهم ويتعجّبون. وفجأةً وقعَ زلزالٌ عنيف هزَّ أساسَ السّجن، فانفتحت الأبوابُ كُلُّها وانفكّت سلاسلُ المساجين كلِّهم. فنهضَ السّجّانُ من نومه فرأى أبوابَ السّجن مفتوحة، وظنَّ أن المساجين هربوا، فخاف من الحكّام وسحبَ سيفه ليقتلَ به نفسه فرآه بولس وناداه بأعلى صوته: «لا تؤذِ نفسكَ، فنحنُ كلّنا هنا ولم يهرب أحد!»

فحملَ السّجّان ضوءاً وأسرعَ إلى داخل السّجن وارتمى عند أقدام بولس وسيلا وهو يرتجف من الخوف. ثمَّ أخرجهما وقال: «ماذا يجب عليَّ أن أعمل لأخلص؟» فأجابه بولس: «آمن بالرّبّ يسوع المسيح فتخلص أنتَ وأهل بيتك.» فأخذهما السجّان في تلك الليلة وغَسَل جِراحَهُما وتعمَّدَ هو وجميع أهلِ بيته. ثمَّ دعاهما إلى بيته وأطعمهما.

ولمّا طلعَ الصّبح أرسلَ الحُكّامُ حُرّاساً يقولون للسجّان: «أطلق الرَّجُلين من السّجن!» فَنَقَلَ السجّان هذا الكلام إلى بولس، فأجاب: «نحنُ مواطنان رومانيّان، ضربونا في السّاحة أمام الآخرين من دون أن يحاكمونا ورمونا في السّجن، وهم الآن يريدون أن يخرجونا في السّرّ. لا، هذا لن يكون فاذهب وقُلْ للحكّام أن يجيئوا إلى هنا بأنفسهم ويخرجونا.» فنقلَ الحُرّاس هذا الكلام إلى الحكّام، فلمّا عرفوا أنَّ بولس وسيلا مواطنان رومانيّان خافوا. فجاؤوا إليهما يعتذرون، ثمَّ أخرجوهما من السّجن وطلبوا إليهما أن يتركا المدينة. فلمّا خرجا من السّجن ذهبا إلى بيتِ ليدية، فالتقيا بالإخوة المؤمنين هناك ثمَّ انصرفا.



٣٥٣

فتنة في مدينة أفسس

أعمال ١٩

وفي رحلته الثالثة من أنطاكية ، جاء بولس إلى مدينه يونانيّة آسمها أفسس بقي فيها ثلاث سنين . وكانَ كثير من المسافرين يتوقّفون في هذه المدينة ويزورون معبد الإلَهة اليونانيّة أرطاميس ، وكانوا يشترون هدايا فضّيّة صغيرة عليها صورة هذه الإلَهة . وحدثَ في ذلك الوقت أنَّ رَجُلاً صائغاً آسمه ديمتريوس كانَ يصنعُ في أفسس قطعاً من فضّة عليها صورة الإلَهة أرطاميس ، فكان يبيعها فيكسبُ بذلك مالاً كثيراً . فاجتمعَ مع أصحاب هذه الصّناعة وقال لهم : «أنتم تعرفون أنَّ حياتنا تتوقّف على هذه الصّناعة ، وفي نفس الوقت سمعتم ورأيتم كيفَ أقنع هذا الذي آسمه بولس كثيراً من النّاس هنا أنَّ الآلهة التي نصنعها بأيدينا لا معنى لها . وهذا التّعليم خطر على صناعتنا ، لأنّه يجعل الذين يؤمنون بتعاليمه لا يشترون شيئاً منّا ، فَنُفلّس .»

فلمّا سمعَ الحاضرون هذا الكلام غضبوا كثيراً وأخذوا يصيحون : «العظمة لأرطاميس ، إلَهة أفسس !» فانتشرت الفوضى في المدينة . فهجموا دفعةً واحدة على غايوس وأرسترخس ، وهما مكدونيّان يرافقان بولس في رحلته ، وجرّوهما إلى ساحة المدينة ، وأرادَ بولس أن يذهب ويتكلّم إلى الجموع فمنعه التلاميذ وبعض أصدقائه من ذلك .

وظلّت الفوضى ترتفع وتشتد حتى جاءَ حاكمُ المدينة وتمكّن من أن يُهدّىء الجموع الغاضبة . ولمّا هدأ الجمع دعا بولس التّلاميذ وودّعهم وسافرَ إلى مكدونية لأنّه عَرَف أنَّ بقاءه في أفسس يجعل حياة المسيحيّين فيها في خطر .

٣٥٤
الموعظة الطويلة
أعمال ٢٠

[كان بولس يقضي معظم أوقاته مع المؤمنين المسيحيّين من الأمم، ولكنّه كان متشوّقاً لمساعدة المسيحيّين الفقراء في أورشليم. وعندما ترك أفسس زار عدداً كبيراً من الكنائس التي وعدت بالمشاركة في جمع المال لمساعدة وسد إحتياجات كنيسة أورشليم].

وفي طريقه إلى أورشليم، توقّفَ في مدينة آسمها ترواس. وكان الوقت ليل الأحد، وعرف أبناء الكنيسة بوجوده هناك فجاؤوا إليه واجتمعوا عنده، فأخذَ بولس يُعلّمهم حتى نِصفِ الليل. وكانَ في الغرفة التي اجتمعوا فيها قناديل كثيرة، وكانَ بين الحاضرين فتى يجلس عندَ الشبّاك. فنعس ونام، فوقعَ من الطّابقِ الثالث إلى الأرض ومات.

فنزلَ بولس بسرعة وانحنى فوقه وحضنَه، فعاد الفتى حيّاً، فقال لهم بولس: «لا تقلقوا، فهو حيٌّ، لم يمت.» ثمَّ صعد الجميع إلى الغرفة وأكلوا. وبعد الطّعام ظلَّ بولس يُحدِّثُهم حتى طلوع الفجر، وبعد ذلك مضى ورجع في طريقه إلى أورشليم.



بولس السجين

٣٥٥

موقوف !

أعمال ٢١ و ٢٢

وعبر بولس ورفاقه البحيرة فوصلوا إلى بلدة قيصريَّة، فقضوا هناك أيّاماً عندَ فيلبُّس، وهو الرَّجل الذي التقى الموظَّف الحبشي في طريق الصحراء، وبشّره بيسوع. وبينما هم هناك، جاء من اليهوديَّة نبيٌّ آسمه أغابوس، فأتى إليهم وأخذَ حزام بولس وقيّدَ به رجليه ويديه وقال: «هكذا سيُقيّد اليهود صاحب هذا الحزام إذا ذهب إلى أورشليم ويسلّمونه إلى الرّومان.»



فلمّا سمعَ الحاضرون هذا الكلام أخذوا يرجونَ بولس أن لا يصعد إلى أورشليم. فقال لهم: «لا تحاولوا أن تؤثّروا عليّ بدموعكم، سأصعد إلى أورشليم؟ فأنا مستعدٌّ لا للقيودِ والسلاسل وحدها بل للموت من أجلِ الرّبّ يسوع.» وبعدَ ذلك بأيّامٍ صعدوا إلى أورشليم، ولمّا وصلوا رحَّبَ بهم الإخوة المؤمنون، لكنَّهم نبَّهوا بولس للخطر الذي يهدِّده في المدينة بسبب الأخبار المنتشرة عنه.

وأثناء إقامته هناك، ذهب بولس مرّة إلى الهيكل فرآه بعض اليهود، فقبضوا عليه وصرخوا: «يا بني إسرائيل، أسرعوا إلى المساعدة! هذا هو الرَّجل الذي يُعلِّم النّاس في كلِّ مكانٍ أشياءَ تُسيء إلى سُمعة شعبنا وشريعتنا وإلى هذا الهيكل.»

فهاجت المدينة كلُّها، وتجمَّع النّاس على بولس فأمسكوه وجرّوه إلى خارج الهيكل، وأغلقوا الأبواب في الحال. وبينما كانوا يحاولون قتله، سمعَ قائد المعسكر الرّوماني في أورشليم بما جرى، فأخذَ في الحال جنوداً وأسرعَ ليهدِّىء الشعب، فلمّا شاهدوا القائد وجنوده توقَّفوا عن ضرب بولس. فاقتربَ منه القائد وأمرَ الجنود بأن يُقيّدوه بالسلاسل ثمَّ سألَ عنه ليعرف من هو وماذا فعل. فلم يعرف شيئاً لأنَّ كلَّ واحدٍ كان يقول شيئاً يختلف عن الآخر. وهنا ساقه الجنود إلى القلعة، ثمَّ حملوه حتى لا يقتله الشعب الهائج، لأنَّهم كانوا يتبعونه ويصرخون: «اقتلوه، اقتلوه!»



٣٥٦ الخطة السرّية

أعمال ٢٢، ٢٢، ٢٣

وبينما بولس يدخل القلعة، قال لقائد المعسكر الرّوماني باللّغة اليونانيّة: «أتسمح لي أن أقول لك شيئاً؟» فلمّا سمعه القائد تعجّب وسأله: «أتعرفُ اللّغة اليونانيّة؟ ظننتُ أنّكَ ذلكَ المصريُّ الذي قادَ ثورةً هنا من سنوات.» فأجابه بولس: «لا، أنا يهوديّ ومواطنٌ روماني من طرسوس، (وهي مدينة مشهورة) والآن، أرجو أن تسمح لي أن أخاطب الشّعب، فسمحَ له. فوقفَ بولس وأشار بيده للشعب حتى يسكتوا، ولمّا سكتوا خاطبهم بالعبريّة، أي باللّغة اليهوديّة، فقال: «أنا يهوديّ مثلكم، تعلّمتُ الشريعة عندَ المعلّم الكبير غمالائيل، ومثلكم كنتُ متحمّساً لخدمة الله، فاضطهدتُ أتباع يسوع وألقيت بهم في السّجون.» ثمّ حكى لهم كيفَ ظهرَ له يسوع في الطّريق إلى دمشق، فآمنَ به، وهو اليوم يبشّر غيرَ اليهود لأنَّ يسوع طلبَ منه ذلك. ولمّا قال لهم بولس أنَّ يسوع أرسله لغير اليهود أيضاً صاحوا بأعلى أصواتهم: «اقتلوا هذا الرّجل، فهو لا يستحق أن يعيش.» وهنا أمرَ الضّابط رجاله أن يُدْخِلوا بولس إلى القلعة ويضربوه فيعترف بخطأ ربّما عمله.

فلمّا أدخلوه مدّدوه وربطوه واستعدّوا ليضربوه. فسألَ بولس الجنديَّ الذي بجانبه: «هل يحقُّ لكم أن تضربوا مواطناً رومانيّاً من غير أن تحاكموه؟» فلمّا سمعَ الجنديّ هذا الكلام، أسرعَ إلى القائد وقال له: «هذا الرّجل رومانيّ!» فجاء القائد إلى بولس وسأله: «هل أنتَ رومانيّ؟ أنا دفعتُ مالاً كثيراً حتى صِرْتُ

رومانيّاً.» فقال بولس: «أنا وُلِدْتُ رومانيّاً.» ولمّا سمعَ القائد هذا الكلام أمرَ جنودَه أن يفكّوا قيوده ويعاملوه باحترام.

وبقي بولس أيّاماً في القلعة، وفي هذه الأثناء، حلفت جماعةٌ من اليهود أن لا تأكل ولا تشرب حتى تقتل بولس، فجاءت هذه الجماعة إلى رؤساء الكهنة وقالت لهم: «حلفنا لا نذوق الطَّعام ولا الماء حتى نقتل بولس. فاطلبوا من قائد المعسكر أن يُرسل بولس إليكم بحجّة أنّكم تريدون أن تسألوه بعضَ الأسئلة، فنقتله وهو في الطَّريق إليكم.» وسمعَ ابن أخت بولس بالخطَّة، فذهبَ إلى القلعة وأخبرَ بولس بالأمر، فدعا بولس واحداً من الجنود وقالَ له: «خذ هذا الشاب إلى القائد، لأنّه سيقول له شيئاً.» فأخذه الجنديّ إلى القائد وقال: «طلبَ منّي السجين بولس أن أجيء بهذا الشّاب إليك، لأنَّ عنده شيئاً يقوله لك.» فأمسكَ القائد بيده وانفردَ به وسأله: «ماذا عندك من أخبار؟» فأخبره الشّاب عن الخطَّة لقتل بولس. فلمّا سمعَ القائد بهذه الخطّة، قرّر في الحال أن يُخرج بولس من أورشليم، فأمرَ الحرّاس أن يأخذوه ويهرّبوه في الليل إلى الحاكم الرّوماني في قيصريَّة.

٣٥٧
غرق سفينة
أعمال ٢٤ - ٢٧

وظلّ بولس محجوزاً عدَّة سنوات في قيصريَّة، وكان بينَ وقت وآخر يدافع عن نفسه أمامَ الحاكم. لكنَّ اليهود كانوا يتَّهمونه أنّه نجَّس هيكلهم وسبَّب لهم كثيراً من المتاعب، ولكنَّ القضيَّة لم تَنْتَهِ. فطلبَ بولس أن يحكم بقضيَّته الأمبراطور الرّوماني في روما، فوافقَ الحاكمُ على طلبه وأرسله مع الضّابط يوليوس إلى روما. وذهبَ مع بولس أيضاً بعضٌ من رفاقه على حسابهم الخاص، ومن بينهم كانَ الرَّسول لوقا.

في البداية كان البحر هادئاً فسارت السَّفينة على مهلها عدَّة أيّام، لكن فجأة هبَّت الرّيحُ وقويت ولم يقدروا على الوصول إلى الميناء إلّا بصعوبة كبيرة. فقال لهم بولس: «توقَّفوا هنا في الميناء حتى تهدأ العاصفة، لا تُبحروا الآن، فأنا أعرف أنّنا سنهلك إذا تابعنا السَّفر.» لكنَّ صاحب السَّفينة أراد أن يواصل السَّفر، لأنَّه رأى الميناء غير صالح لقضاء فصل الشتاء فيه، كما أنَّ قائد المئة يوليوس كان راغباً في السفر، وهكذا كان، فسارت السَّفينة قريباً من الشّاطىء، وهبَّت عليها عاصفة شماليّة شرقيّة وأخذت تلطِمُها.

وقويت العاصفة في اليومِ الثاني فرموا الحمولة في البحر حتى يخفَّ وزنُ السَّفينة فلا تغرق. وفي اليوم الثالث رموا أدوات السَّفينة في البحر حتى يخفَّ وزنها أكثر فتنجو من الغرق. ومرّت أيّام كثيرة على هذه الحال ما رأوا فيها الشمسَ ولا النجوم وقطعوا الأمل بالنَّجاة، فدعا بولس جميعَ الذين في السفينة وقال لهم: «أيُّها الرِّفاق، كانَ يجب أن تسمعوا لي، فلا تُبحروا من جزيرة كريت.

والآن، أطلبُ منكم أن تتشجَّعوا ولا تخافوا، فلن يموت أحدٌ منّا، وحدها السَّفينة ستغرق وتتحطَّم. في هذه اللَّيلة جاءني ملاكٌ من عند الله الذي أعبده وقالَ لي: «لا تَخفْ، يا بولس! ستصلُ إلى القيصر، والله سيُبقي على حياة جميع المسافرين معك.» فتشجَّعوا، أيُّها الرِّفاق لأنَّه سَيَتِمُّ ما قاله الملاك.»

وفي تلكَ اللَّيلة أحسَّ البحّارةُ أنَّ السَّفينة تقترب من البر ، فخافوا أن تصطدم بالصُّخور ، فرموا المراسي في المياه وتوقّفت السفينة عن السير وانتظروا طلوع الفجر بفارغ الصَّبر ، لكن في هذا الوقت حاولَ البحّارةُ أن يهربوا بقارب النَّجاة ، فرآهم بولس وأخبرَ قائد المئة يوليوس بما رأى ، وقال له : «امنع هؤلاء من الهرب وإلاّ لن تصل السفينة إلى البر.» فمنعهم يوليوس وأمرهم بالرُّجوع. وعندَ الفجر طلبَ إليهم بولس أن يأكلوا ، قائلاً : «مضى عليكم أربعةَ عشرَ يوماً من غير أن تأكلوا شيئاً ، فأرجوكم أن تأكلوا ، الآن لا تخافوا ، لن يصيبكم أيُّ ضرر.» ثمَّ تناول خبزاً وشكر الله أمامهم ، وبدأ يأكل. فتشجَّعوا كلُّهم وأكلوا. وبعدما شبعوا ، أخذوا يرمون القمحَ في البحر ليخفِّفوا من وزنِ السَّفينة فتُبحر بسرعة.



٣٥٨

وصلوا الشاطئ سالمين

أعمال ٢٨

ولمّا طلعَ الفجر لم يعرف البحّارةُ أينَ وصلوا، لكنَّهم شاهدوا شاطئاً رمليّاً من بعيد، فاتَّجهوا بالسَّفينة إليه؛ لكنَّ السَّفينة اصطدمت بتلَّةٍ من الرَّمل في المياه وتحطَّمت، فلم تعد قادرة على الحركة وهنا أرادَ الجنودُ أن يقتلوا المساجين حتى لا يسبحوا إلى الشّاطئ ويهربوا. لكنَّ قائد المئة يوليوس أرادَ أن يُخلِّص حياة بولس، فمنعهم من ذلك، وأمرَ الذينَ يعرفون السِّباحة أن يسبحوا قبل غيرهم إلى البر. ثمَّ تبعهم الآخرون الذينَ لا يعرفون السِّباحة، فتعلَّقوا بأخشابِ السَّفينة العائمة على وجه المياه، وساقتهم الأمواج حتى وصلوا إلى البرّ سالمين، فعرفوا بأنَّ البرّ الذي وصلوا إليه كان جزيرة مالطة.

وفي مالطة رحّب بهم أهلُها، فأشعلوا لهم النّار لأنَّ الطقسَ كان بارداً. فجمعَ بولس حزماً من الحطب وأخذ يرميها في النّار، وبينما هو يرميها في النّار خرجت من الحُزمة حيَّةٌ وتعلَّقت بيده. فلمّا رأى الأهالي الحيَّةَ عالقةً بيد بولس، قال بعضهم لبعض: «أكيد، هذا الرَّجُل مجرم، نجا من البحر لكنَّه لن ينجو من الحيَّة، فهو يستحقُّ القصاص.»

لكن بولس نفضَ الحيَّةَ عن يده في النّار من غير أن يُصيبه أيُّ ضرر. فلمَّا رأوا ذلك غيَّروا رأيهم فيه وقالوا: «هذا إلَه!» وكان بالقرب من المكان الذي هُم فيه حاكِمُ الجزيرة، فجاء إليهم وأخذهم إلى قصره وأضافهم عنده ثلاثة أيّام. وكانَ والد الحاكم مريضاً جدّاً، فدخلَ بولسُ إلى غرفته وصلّى ووضعَ يديه عليه فشُفِيَ. فلمّا حدثَ هذا، جاءَ إليه بقيَّة المرضى في الجزيرة فصلّى لأجلهم فشفوا كلّهم. وأخيراً تركوا مالطة وسافروا باتجاه رومية.



٣٥٩
وأخيراً ، رومية
أعمال ٢٨

وأخيراً وصلوا إلى رومية ، فسلَّم قائد المئة يوليوس جميع الأسرى إلى السُّلطة هناك . وأمّا بولس ، فسمحت له السُّلطة أن يعيش وحده مع جنديٍّ يحرسه . فاستأجرَ بيتاً وكانَ حرّاً يستقبل فيه كلَّ من يريد ، ومرَّةً دعا إليه اليهود في رومية وحاول أن يشرح لهم أنَّه لم يسيء أبداً إلى شعبه اليهوديّ فقال : «أيُّها الإخوة ، أنا لم أسيء بشيء إلى شعبنا ومع ذلك اعتقلني اليهود الذينَ في أورشليم وسلَّموني إلى الرّومان الذين حاكموني ولم يجدوا شيئاً ضدّي ، فأرادوا أن يطلقوني لكنَّ اليهود عارضوا ذلك . فاضطررت أن ألجأ إلى القيصر حتى يحكم في أمري ، لذلكَ طلبتُ أن أراكم لأشرحَ لكم القصَّة كلَّها .»

فقالوا له : «حتى الآن لم يجيء إلينا أحدٌ من أرض اليهوديَّة يخبرنا عنك بشيء سيّيء . لكنَّنا نُحب أن نسمعَ رأيك في بعض الأمور .» فتواعدوا على يومٍ جاؤوا فيه إلى بيت بولس حسب الموعد . فأخذَ بولس يحدِّثهم من الصَّباح إلى المساء ، ويحاول أن يقنعهم برسالة يسوعَ ، فاقتنعَ بعضهم ولم يقتنع البعضُ الآخر . وهنا قال بولس للذينَ لم يقتنعوا : «صدقَ الرّوحُ القدس حين قال للنبي إشعياء أن يذهب إلى آبائكم ويقول لهم : «تسمعون ولا تفهمون ، تنظرون ولا تبصرون ، فاعلموا أنَّ الله أرسلَ الخلاصَ إلى غير اليهود من الشعوب .» فلمّا قال هذا الكلام ، خرجَ اليهود من عنده وهم في حالةٍ من الغضب . وسكنَ بولس سنتين في بيته في رومية ، يُرحّب بكلِّ من كانَ يزوره فيُبشّر بملكوت الله وبالرّبِّ يسوع المسيح بكلِّ جرأةٍ وحرِّيَّة .



كتّاب الرسائل

٣٦٠

رسائل من بولس

إلى كنيسة فيلبي وإلى تيموثاوس

فيلبّي مدينة في ولاية مكدونيّة الرومانيّة ، أسّس فيها بولس أوّل كنيسة في أوروبا . ومرّةً في السجن كتبَ هذه الرّسالة وبعثها إلى أبناء هذه الكنيسة . وكان السّبب الأوّل لكتابة هذه الرّسالة أنَّ بولس تلقّى من هذه الكنيسة مساعدةً كان في أشدّ الحاجة إليها ، فأراد أن يشكرهم على هذه المساعدة فقال :



«أشكركم كثيراً لهديّتكم ، صحيح أنا في حاجة إلى المساعدة الماليّة التي أرسلتموها لي ، لكنَّ الشيء الذي يريحني هو أنّكم تذكرونني وتهتمّون بي ، وهذا يفرحُني ويُفرح الله .»

وسمع بولس أنَّ امرأتين مؤمنتين تخاصمتا وانتهت الصّداقة بينهما ، فكتب في نفس الرّسالة : «لا تتخاصموا فيما بينكم تذكّروا يسوع ، كان متواضعاً ومُحبّاً ومُتسامحاً ، مع أنّه الله . فاعملوا مثلَه .»

وكانَ بولس يبعثُ أحياناً برسائل إلى بعض المسيحيّينَ ، ومنهم تيموثاوس ، وكان تيموثاوس يرأس بعض الكنائس الجديدة ويهتمُّ بها . فكتب إليه بولس ينصحُهُ كيف يقوم بهذا العمل ثمَّ قال له : «صرتُ في نهاية حياتي تقريباً ، أرجو أن تأتي وتراني قبل الشتاء وحين تأتي أرجو أن تحضر معك ثوبي الدّافىء الذي نسيته في ترواس . كذلك أرجو أن تحضر معك كُتُبي . جميع المسيحيّين يُهدونكَ سلامهم ومحبّتهم .»

٣٦١
العبدُ الهارب
رسالة إلى فيلمون

كان هناك رَجُل آسمه أنسيمس، وكان أنسيمس عبداً لرَجُل مؤمن آسمه فيلمون، وفي أحد الأيّام هرب هذا العبد من بيت سيّده. ولمّا ابتعد عن بيت سيّده التقى بولس، فبشّره بولس فآمن بالمسيح. وبعدما آمن أنسيمس فضّل أن يعود إلى سيّده. وعندما عرف بولس أنّ سيّده هو فيلمون، وكان فيلمون مسيحيّاً، في بيته يلتقي أبناء الكنيسة، بعث إليه بهذه الرّسالة مع أنسيمس يشجّعه فيها على مسامحته، فقال: «سلامي إليكَ وإلى زوجتكَ وإلى جميع أبناء الكنيسة الذين يلتقون في بيتك، دائماً أذكركَ في صلواتي وأشكر الله على قوّة إيمانك ومحبّتك ليسوع المسيح والإخوة المؤمنين.

أنا بولس السّجين من أجل يسوع، أكتبُ إليكَ في أمر أنسيمس الذي بشّرته وأنا في السّجن، فآمنَ وصار مسيحيّاً، والآن أردّه إليكَ مع أنّني أحبُّ أن أبقيه عندي ليخدمني، ولكنّي لا أريدُ أن أعملَ شيئاً دون موافقتك. صحيح أنَّ أنسيمس هربَ منكَ، لكنّه سيعود إليكَ، ولن يهرُبَ بعدَ الآن. فإذا كنتَ تُحبّني، فاقبله كما تقبلني، وإذا كان أساء إليكَ بشيء وكانَ لكَ عليه دين، فاحسبه عليَّ.

أنا متأكّدٌ أنّكَ ستلبّي طلبي، كذلك أطلبُ إليك أن تُجهِّز لي الغرفة وتجعلها صالحة للإقامة، لأنّي أرجو أن يرُدّني الله إليكم قريباً.»



٣٦٢ رسالةٌ إلى المسيحيين من أصل يهودي

إلى العبرانيين

رفض بعض اليهود المسيحيّين العودة إلى ديانتهم القديمة بعد الضيقات والاضطهادات، ومن هنا خاطب كاتب الرّسالة إلى العبرانيّين هؤلاء اليهود بصفة خاصّة - ليذكّرهم بما جاء في العهد القديم مقارناً بين ما عمله الله مع الأمّة اليهوديّة، وبين ما عمله الله مع الإنسان في المسيح يسوع.

لقد كان موسى قائداً رائعاً بحق، ولكن المسيح كان أعظم بكثير فهو لم يكن مجرّد خادم الله ولكنّه ابنه.

وفي العهد القديم نجد أنّ رئيس الكهنة كان يتقدّم إلى الله - نائباً عن شعبه - ليصلّي من أجلهم ومن أجل حاجاتهم، وهو يقدّم بانتظام الذبائح الحيوانيّة في محاولة للتكفير عن خطايا شعبه، ولكن المسيح جاء كرئيس كهنة أعظم بكثير من هؤلاء الكهنة، لأنّه قدّم نفسه ذبيحة كاملة مرّة واحدة وإلى الأبد، وهو بموته هذا قادر أن يجعل شعبه نقيّاً دائماً أمام الله، كما أنّه غير عاجز عن أنّ يُشفق على ضعفِنا إذ هو حيّ كلّ حين يشفع في شعبه ويقوّيهم.

ويقدّم كاتب الرّسالة قائمة من أبطال الإيمان في العهد القديم، الذين وضعوا ثقتهم في الله في أصعب الظروف ويشجّعنا الكاتب حتى ننظر إلى يسوع المسيح - مهما كانت ظروفنا صعبة.

٣٦٣
رسالةٌ من يعقوب

يعقوب

يعقوب من مدينة النّاصرة ، رأى يسوع حيّاً بعدَ قيامته من الموت ، فآمنَ به وصار مسؤولاً عن كنيسة أورشليم. بعثَ يعقوب برسالته هذه إلى المسيحيّين في كلّ مكان ، وفي هذه الرّسالة طلبَ من المسيحيّينَ أن يُحسنوا معاملة الآخرين ، ويتجنّبوا الطمعَ بالمال ، ويبتعدوا عن كلام السوء ، وأن لا يظلموا الفقير والعامل ، كما أنّه شَدَّدَ على أهميّة التواضع والصبر والصلاة .

ومن الأشياء التي يقولها في هذه الرسالة : «لا تستمعوا إلى كلام الله بدون أن تعملوا به في حياتكم وإلاّ فستكونون مثل الشّخص الّذي ينظر إلى وجهه في المرآة ثمَّ ينسى أن يعمل شيئاً بخصوص ترتيب شعره أو غسل وجهه . اعملوا دائماً بكلمة الله . ولا تُفضّلوا صاحبَ المال على الرَّجل الفقير . عليكم أن تحفظوا ألسنتكم فلا تتكلّموا على أحد كلاماً باطلاً . إنَّ اللّسان عضوٌ صغير جدّاً، ولكنَّ فعله قوي، إنَّ اللّجام في فم الحصان صغير جدًّا، ولكنَّه يجعل الحصان يسير أينما أراد راكبه . وإنَّ قائد السَّفينةِ يستخدم دفَّةً صغيرةً ليُسَيِّر بها السَّفينة الكبيرة . لا تقولوا للجائع : «كُلْ جيّداً .» بلْ قدِّموا له الطعام. ولا تنسوا الصَّلاة أينما كنتم ، صلّوا عندما تتضايقون ، واشكروا الرّبَّ عندما تفرحون ، وصلّوا عندما تمرضون فالله يسمعُكم ويستجيبُ لكم .»



٣٦٤ رسائل من بطرس

بطرس

بدأ الأمبراطور الرّوماني نيرون يسيء معاملة المسيحيّين، فكتب بطرس هذه الرّسالة ليُشجّعَهم على احتمال العذاب في سبيل الإيمان. ويُذكّرهم بآلام يسوع الذي ماتَ وقامَ وجلبَ الأمل للعالم. ومن الأشياء التي يقولها في هذه الرّسالة: «لا تتعجّبوا ولا تتضايقوا إذا عذّبوكم، فيسوع نفسه تعذّب، قتلوه مع أنّه لم يَكْذِبْ ولم يعمل خطيئة. رأيتُه بنفسي واقفاً أمام المحكمة اليهوديّة وأمام حاكم الرّومان، أهانوه، فلم يردّ الإهانة، فلمّا آتهموه بأشياء كاذبة لم يهدّد بل تركهم يعملون كما أرادوا، ضحّى بِحياتِه حتى يُخلّصنا من الخطايا، وهو يسمحُ أن نتألّم مثله.

وأنتم أيُّها الخدم، احترموا أسيادكم إن كانوا لطفاء أو قُساة القلوب. وكذلك أنتنّ أيّتها النساء أطعنَ أزواجكنَّ وكنَّ عوناً لهم فبهذا السلوك تساعِدْنَ أزواجكنَّ على الإيمان. ويقول للجميع: أحبّوا بعضكم البعض، وزوروا بعضكم بعضاً، ولا تقابلوا الشرّ بالشرّ. تأكّدوا أنَّ يسوع سيعود ثانيةً فكونوا جاهزين لاستقباله بسلوككم الحسنْ. فآلامكم لن تطول، والسّلام لكم جميعاً أنتم الذين في المسيح يسوع.»



سماء جديدة – أرض جديدة

٣٦٥

رؤيا في السماء

رؤيا يوحنا

يوحنّا تلميذُ يسوع المحبوب، شاركَ أخوته المؤمنين في الآلام والاضطهاد من أجلِ الكلمة والشّهادة حيثُ سُجنَ من أجل ذلك في جزيرة بَطمُس اليونانيّة. وهناك، في صباح يومِ الأحد، ظهرَ له يسوع يَشعُّ بالنّور، وسلّمه رسائل إلى الكنائس السبع المنتشرة في آسيًا. ثمَّ أخذَه الرّوح فشاهدَ باباً مفتوحاً في السّماء، ورأى عرشاً، وعلى العرشِ شخص يبدو مثلَ اليشب والعقيقِ الأحمر، وحولَ العرش قوسُ قُزح في مثل لونِ الزُمرُّد. ورأى في يمينِ الجالسِ على العرش كتاباً مخطوطاً، فتقدّمَ يسوع وفتحَ الكتاب لأنَّه وحده الذي يستَحقُّ أن يَفتَحه، وظهرَ كحَمَلٍ وديع مُساقٍ إلى الذبح. ثمَّ ارتفعت آلافَ الأصوَات تُنشدُ: «مستحقٌ الحملُ الذي ذُبِحَ أن ينالَ القوّةَ والمجدَ والبركة.»

وفتحَ يسوعُ كتابَ المستقبل، فعرفَ يوحنّا أنَّ يسوع سينتصر، ورأى هزيمةَ العدوّ إبليس ونهاية الشّر أمام يسوع الذي ماتَ وقام منتصراً. ورأى بداية عالم جديد نقي وطاهر، لا أحد يَدخلُ سِوَى الذينَ قَبلوا



دم يسوعَ المسيح وتطهّروا به، وأمّا الذينَ رفضوه سيعاقبون. وكتبَ يوحنّا: ثمَّ رأيتُ سماءً جديدةً وأرضاً جديدةً وسمعتُ صوتاً عظيماً من العرش يقول: «ها هو مسكن الله مع النّاس وسَيمسَحُ الله كلَّ دمعة من عيونهم، لن يبقى موتٌ ولا حزنٌ ولا صراخٌ ولا وجعٌ بعدَ الآن. ومدينةُ الله المقدّسة لن تحتاجَ إلى ضوءِ مِصباح أو شمس، لأنَّ مجدَ الرّبِّ الإله يُضيء، ويكون يسوع نورَهم.» وكم اشتاقَ يوحنّا إلى ذلكَ اليوم، الذي وعدَ به يسوع: «نَعمْ، أنا آتٍ سريعاً!» فأجابَ يوحنا: «آمين. تعال، أيُّها الرّبُّ يسوع.»



فهرس الاعلام وأرقام الصفحات

يتضمن هذا الفهرس اسماء جميع الاشخاص الذين ذُكِروا في القصص الكتابية الـ ٣٦٥ الموجودة في هذا الكتاب ما عدا اسم يسوع.

[illegible]



.. وَفيمَا يَسُوعُ يَتَقَدَّمُ نَشَرَ
كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ ثِيَابَهُم عَلى
الطَّريقِ ، وَقَطَعَ آخَرُونَ
جُذُوعَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا
أَمامَ يَسُوعَ وَهٰكَذا تَحَقَّقَ
ما تَنَبَّأَ بِهِ النَّبيُّ زَكَرِيّا حِينَ
قالَ : " لا تَخافي يا مَدينَةَ
أُورُشَليمَ ، ها هُوَ مَلِكُكِ
آتٍ راكِبًا عَلى جَحْشٍ " .
وَكانَ الذينَ أَمامَ يَسُوعَ
والذينَ وَراءَهُ يَهْتِفُونَ :
" المَجْدُ لِلّهِ ! تَبارَكَ المَلِكُ
الآتي بِاسْمِ الرَّبِّ " .